

قيام دولة شاهات خوارزم

(٤٧٠ - ٦١٧ هـ / ١٠٧٧ - ١٢١٩ م)



دكتورة

حنان مبروك اللبودي
أستاذة التاريخ الإسلامي
والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الآداب جامعة الإسكندرية



مؤسسة شباب الجامعة
40 ش د / مصلح مشرق
تليفون 4839496 الإسكندرية
Email: shabab.algamaa@yahoo.com

قيام دولة شاهات خوارزم

«٤٧٠-٥٦١٧/١٠٧٧-١٢١٩م»

دكتورة

حنان مبروك البودي

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

٢٠١٣

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ شارع الدكتور مصطفى مشرفة

إسكندرية - تليفاكس : ٤٨٢٩٤٩٦

Email:Shahab_Elgamasa@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا
عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾

{سورة البقرة : الآية ١٢٩}

صَلَّى
الْعَظِيمِ

إهداء

إلى روح أستاذي

الأستاذ الدكتور

سعد زغلول عبد الحميد

فهرست الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
١١	تقديم
١٥	للمقدمة
١٧	أ - أهمية الموضوع وسبب اختياره والدراسات السابقة عليه
٢٢	ب - دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث
٤٩	الباب الأول
	الهلاء والسكان وتشاطهم البشري
٥١	الفصل الأول
	الهلاء
٥٥	• خولزوم
٧٠	• ما وراء النهر
٨٤	• المياه الجارية
٩٩	• للجبال
١٠٦	• للصخاري
١٠٥	الفصل الثاني
	السكان
١٠٩	١- قفروس
١٣٨	٢- القرنة
١٦٠	٣- العرب
١٨٢	٤- قطوائف الأخرى

رقم الصفحة	الموضوع
١٨٥	الفصل الثالث النشاط البشري
١٨٩	أولاً : الزراعة
١٩٦	ثانياً : الثروة الحيوانية وحرفة الرعي
٢٠١	ثالثاً : المعادن والثروة المعدنية
٢٠٥	رابعاً : الصناعة
٢١٣	خامساً : التجارة
٢٣٩	الكتاب الثاني التطور السياسي والتاريخي لإقليم خوارزم ٢٠٥ - ٨٦١٢ / ٨٢٠ - ١٢١٩ م
٢٤١	الفصل الأول التاريخ السياسي لإقليم خوارزم وبداية قيام دولة شاهان خوارزم ٢٠٥ - ٨٥٥١ / ٨٢٠ - ١١٥٦ م
٢٤٥	١- أثر المواقع الجغرافية والمقومات السابقة على تطور إقليم خوارزم
٢٤٦	٢- لوضاح إقليم خوارزم قبل قيام الأسرة المأمونية
٢٥١	٣- الكيانات السياسية شبه المستقلة في إقليم خوارزم
٢٧٩	٤- تولية شاه ملك إقليم خوارزم ولتتواء حكم الأسرة الثانية... ..
٢٨٣	٥- خوارزم وبعيبتها للسلاجقة
٢٨٧	٦- بداية قيام دولة شاهات خوارزم

رقم الصفحة	الموضوع
	الفصل الثاني
٣٠٧	دولة شاهات خوارزم
	«٥٥٧-٥٦١٧/١١٥٦-١٢١٩م»
٣١١	أولاً : السلطان ييل أرسلان بن ألتسز خوارزم شاه
٣٢٠	ثانياً : أبو المنظر علاء الدين تكش خوارزم شاه
٣٥٤	ثالثاً : علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه
	الفصل الثالث
٤٠٧	نظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية
٤٠٩	مقدمة تمهيدية
	١- نظم الحكم والإدارة المتوارثة في خوارزم حتى قيام الدولة
٤١١	الخوارزمية
٤١١	٢- نظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية
٤١١	أولاً : البلاط السلطاني
٤١٨	ثانياً : الدواوين
٤٣٩	ثالثاً : حكام الأقاليم
٤٤٦	الخاتمة
٤٤٩	قائمة المصادر والمراجع

تقديم

تناولت تلك الدراسة الحديث عن العوامل التي كانت وراء قسمة دولة شاهنشاه خوارزم بين علمى (٤٧٠ : ٦١٧ هـ ، ١٠٧٧ : ١٢١٩ م) ، والتي تمثلت فى موقع إقليم خوارزم الجغرافى المتميز وتجانس سكانه من فرس وعرب وترك ، ونشاطهم البشرى الذى ساعد على ظهور تلك الاقليم المتطرف فى أقصى الشمال على مسرح الاحداث السياسية .

ثم للتاريخ السياسى لتلك الإمارة وحرص أمراءها الأوائل ومن بعدهم سلاطينها الذين جاهدوا من أجل تحقيق استقلالهم من تبعية تلك الدول التى تعاقبت عليها سواء كانت الدولة الغزنوية أم الدولة السلجوقية .
وقد قسمت الدراسة إلى بابين :-

الباب الأول : فقد تناولت فيه "البلاد والمكان ونشاطهم البشرى" .

وقد اشتمل على ثلاثة فصول :-

- الفصل الأول : البلاد .

- الفصل الثانى : السكان .

- الفصل الثالث : النشاط البشرى .

الباب الثاني: ويتناول: "التطور السياسي والتاريخي لإقليم خوارزم بين

علمي (٢٠٥ : ٦١٧ هـ ، ٨٢٠ - ١٢١٩ م).

ويشتمل على ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: التاريخ السياسي لإقليم خوارزم وبداية قيام دولة

شاهات خوارزم بين علمي (٢٠٥ : ٥٥١ هـ ،

٨٢٠ - ١١٥٦ م) .

- الفصل الثاني: دولة شاهات خوارزم بين علمي (٥٥٢ :

٦١٧ هـ ، ١١٥٧ - ١٢١٩ م).

- الفصل الثالث: نظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية .

ثم تعتم الدراسة بأهم نتائج البحث

د. حنان مبروك النوبدي

القدمة

المقدمة :

أ - أهمية الموضوع وسبب اختياره والدراسات السابقة عليه.

ب - دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث :

• مقدمة تمهيدية.

• المصادر الجغرافية.

• كتب الرحلات والمعالم.

• كتب التاريخ العام.

• كتب التاريخ الخاص.

• كتب الطبقات.

• الكتب الحديثة ، وتشمل :

❖ المراجع الفارسية.

❖ المراجع الحديثة.

المقدمة

١ - أهمية الموضوع وسبب اختياره والدراسات السابقة عليه :

يتناول البحث الذي يقدم في تلك الرسالة «قيام دولة شاهات خوارزم في الفترة الزمنية منذ عام ٤٧٠-٦١٧ هـ / ١٠٧٧-١٢١٩م»
الفرض من هذه الفراسة :

هو تتبع العوامل والظواهر التي كلفت وراء قيام دولة شاهات خوارزم في تلك الإمارة المترامية الأطراف ، وأثر تلك العوامل المباشرة وغير المباشرة في قيامها واستمرارها حتى صارت إمبراطورية واسعة الأرجاء شاملة خراسان ، وما وراء النهر ، وغزنة ، وبلدان أخرى ، منها : كرمان ، ومكران ، والسند.

كذلك من أهداف هذه الدراسة التعرف بالدراسات السابقة التي تناولت بشكل مختلف تاريخ تلك الدولة ، ومنها رسالة حافظ أحمد حمدي بعنوان «الدولة الخوارزمية والمغول - غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية» ، وقد طبعت كتاباً عام ١٩٤٩م ، وقد تناول الدولة الخوارزمية وعلاقتها بالمغول منذ بداية احتكاكهم بالدولة وانسلاخهم عليها ، وتضمن ذلك مطومات مقررة عن نشأة الدولة ، وموقعها من الخلافة العباسية ، علاقتها بالقرمطي ، ثم لبذه عن الحياة الاجتماعية لتلك الدولة ، أيضاً رسالة طبعت كتباً لطاف صبره بعنوان «التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية» عام ١٩٨٧م ، ثم رسالة ماجستير لفوزي حديد عباس بعنوان «علاقة خوارزم بالعالم الإسلامي خلال العهدين البويهى والسلاجقي» ، وقد توفقت عام ١٩٩٥م.
وعلى الرغم من تلك الموضوعات التي تناولت تاريخ الدولة الخوارزمية والتي سبق ذكرها ، وعلى الرغم من استقلادتنا من تلك البحوث لسابقة إلا أننا عالجنا شئ من الاستفاضة ذلك الموضوع ، وحاولنا إضافة شئ جديد من حيث المنهج والموضوع.

وقد قسمنا تلك الدراسة إلى بابين :

الباب الأول : الذي جاء تحت عنوان «البلاد والمكان وشبههم البشرى» فقد قسمته إلى ثلاثة فصول ، أما الفصل الأول : فيحمل عنوان «البلاد» وقد تحدثنا فيه عن أهمية الموقع الجغرافي لإقليم خوارزم ، من حيث أنه همزة الوصل بين شرق آسيا وغربها حيث الممرات والطرق التجارية وشر ذلك والذي جعلها فيما بعد تفرعاً من التفرع الإسلامية مثلها في المكانة مثل سمرقند وبخارى.

أما الفصل الثاني : الذي جاء تحت عنوان «المكان» فقد بينا فيه تمتع تلك المنطقة بتجاسس بشري واضح ، ومن سكنها الفرس وقد تحدثنا عن أصولهم وصفاتهم والدولة الفارسية الموجودة آنذاك ، مثل الدولة المديية ، والهلخندية «الافغانية» ، والساسانية ، وتبعية خوارزم لهم منذ القدم ونحوها ضمن نطاق حدودهم ، وحرص تلك الدول على طبع تلك الولايات المترامية الأطراف بنظمها الفارسية ، ثم الترك فتولوا أصولهم والترك الخوارزمية والقبائل المجاورة لتلك المنطقة وبذء بسطة على الحياة الاجتماعية لهؤلاء الترك ، والعرب : حيث ركزنا على تواجدهم في إقليم خوارزم ، وخاصة في فترة الفتوحات العربية الإسلامية لتلك المنطقة ، ومحاولة لولاة تثبيت للتواجد العربي بها من خلال وضع حامية عربية برأسها رابن : أحدهما عسكري خاص بالأمور العسكرية ، والآخر خاص بشئون الخراج «الأمور المالية» ، وتعتبر تلك البدور الأولى للتواجد العربي ، إلى جانب الحكومة المحلية الفارسية الأصل في خوارزم.

ولقد ركزت في تتلوي للعنصر العربي على سياسة الدولة الأموية في تلك المنطقة والمناطق المجاورة وتغييرها لولاتها من آن إلى آخر ،

وكذلك تحدثنا عن العباسيين ودعاتهم في خوارزم ومؤسساتهم المختلفة عن
«الأمويين» ، وتلك بتركيز حكم تلك المناطق في يد أسر أرستقراطية تابعة
لهم ، وما تبنت تلك التبعية أن صارت اسمية فقط ، وبذلك سبحت الفرصة
لقيام دول مستقلة.

وختمت الباب الأول بالفصل الثالث : وعنوانه «النشاط البشري»
وبينما فيه مدي اهتمامهم الشديد بحقوقتي الزراعة والرعي ، وبراعتهم في
تصنيع المادة الخام بالمنطقة التي امتازت بطبيعة أرضها الخصبة وتوافر
مياه أنهارها ، وإزدهارها بالثروات الزراعية والحيوانية والمعدنية.

ويحمل الباب الثاني عنوان «التطور السياسي والتاريخي لإقليم
خوارزم» «٢٠٥ - ٥٩١٧ / ٨٢٠ - ١٢١٩م» وقد قسمته إلى ثلاثة
فصول وكان الفصل الأول تحت عنوان «التاريخ السياسي لإقليم خوارزم
وبداية قيام دولة شاهات خوارزم ٢٠٥ - ٥٥١ / ٨٢٠ - ١٢٦م»
حيث تناولنا الكيانات السياسية شبة المستقلة في خوارزم ، وهي من
العوامل المباشرة التي ساعدت على قيام دولة شاهات خوارزم ، وتتمثل
في الأسرة المأمونية التي حكمت إمارة خوارزم منذ عام «٢٨٥ - ٤٠٨
/ ٥٩٥ - ١٠١٧م» أي ما يقارب من ثلاثة وعشرين عاماً ، وتبعيتها
للدولة الغزنوية ، ومحاولات أمراءها المستمرة في الحصول على
الاستقلال الكامل لمنطقتهم ، ثم الأسرة الأتوتشنية ، والتي حكمت منذ
عام «٤٠٨ - ٥٤٢٩ / ١٠١٧ - ١١٢٧م» ، وحصول بعض أمراءها
على الاستقلال ولو لفترات قليلة جداً ، حتى انتقلت تبعية تلك المنطقة
للسلاجقة.

واستكمالاً لتلك الكيانات التي وضعت البذور الأولى لقيام دولة
شاهات خوارزم أوردت الباحثة فضل مؤسسها أتوتشكين عرجه ، وأبيه

قطب الدين محمد ابن قوشتكين ، وحفيده الأمير آقشز الذي جاهد من أجل الحصول على استقلال تلك الدولة الناشئة من خلال صراعاته وحروبه المتعددة مع السلطان الأعظم سنجر السلجوقي ، وتحقق تلك وفاة السلطان السلجوقي ، وانتهاء تبعية تلك الدولة الناشئة إلى الأبد وبداية استقلالها وتناميها الحقيقي.

لما انفصل الثاني من هذا الباب فهو بعنوان دولة شاهنشاه خوارزم الدولة ، وذلك منذ عهد السلطان ايل أرسلان الذي يعتبره المؤرخون أول السلاطين اعظام المستقلين في خوارزم ، وكذلك علاء الدين تكش ، وعلاء الدين محمد في توسيع املاك تلك الدولة ، وذلك من خلال صرايحهم مع سلاجقة الغرب ، وطمعهم في تلك املاكهم في العراق العجمي «إقليم بلاد الجبل» ، ونجاحهم في تلك ، كذلك قضاء سلاطينها على تلك الدولة القوية المجاورة لهم ، مثل الفراعطة في ما وراء النهر ، والغوريين في خزنه ، ونجاحهم في ذلك لتثبت أنها دولة عسكرية من الطراز الأول استطاعت في كل من مائة وأربعين عاماً أن تصل إلى أقصى اتساع لها أيضاً علاقاتهم مع العباسيين والخلافة العباسية في بغداد التي اتسمت في البداية بالود والتملؤن ، ثم تحطت تلك العلاقات بسبب طمع الخوارزميين في املاك الخلافة وعلمستها ببغداد ، وفشلهم الخرب في تحقيق ذلك.

لما انفصل الثالث فهو بعنوان نظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية ، والذي وقفنا إلى حد ما في أعطاء نبذة مبسطة عن نظم حكم تلك الدولة من خلال معالجة البلاط السلطاني الذي كان على قمة السلطان للحوارزمي ، بإيه الموظفين التابعون له ومنهم ، الوزير ، والحاجب ، ووكيل الباب ، وغيرهم ، ثم معالجة الدواوين المتعددة في الدولة ، ومنها

ديوان الوزارة ، والبريد والشرطة ، والحسبة ، والقضاء ، وغيره .
والتي أن كنت على شيء فإلما نكل على مدى اهتمام رجال تلك الدولة
بنظم دولتهم وسياساتهم الداخلية ، وحرصهم الشديد على توافر الأمر
والأمان لكي تتاح لهم فرصة توسيع لإرجاء تلك الدولة ، ثم اختتم البحث
بخاتمة ذكرت فيها أبرز ما توصلت إليه من نتائج من خلال البحث .

وفي النهاية أتوجه بخالص شكري لأستاذي الفخير سعد زحلول
عبد الحميد - أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المتفرغ بكلية الآداب -
جامعة الإسكندرية ، الذي تعلمت على يديه في مرحلتى التمهيدية
للدراسات العليا ، ومرحلة الماجستير ، فاستفدت من علمه ومنهجه العلمي
الواضح ، كما أقدم بخالص شكري وتقديري للعلامة الكبير الأستاذ
الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور - أستاذ تاريخ العصور الوسطى
المتفرغ بكلية الآداب - جامعة القاهرة ، ورئيس اتحاد المؤرخين العرب
، والذي يشكر الله الذي من علينا من وقت الأستاذ الدكتور عاشور
لكي يشارك في مناقشة رسالتي هذه ، وذلك لكي استفيد من ملاحظاته
وتوجيهاته والتي نكل على كونه بديعاً لا يضرب من الخبرة والعلم ،
فجزاه الله عنى كل الخير ، كما أتوجه بخالص شكري وعرفاني لأستاذتي
الفيرة والعزيرة الأستاذة الدكتورة / نبيلة حسن محمد - أستاذ التاريخ
الإسلامي بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، والتي شرقت بموافقتها
على مناقشة رسالتي هذه ، لكي أفنفع من توجيهاتها ، فجزاها الله عنى
خيراً ، كما أتوجه بالشكر إلى أستاذتي وزملائي السنين فسكنت من
ملاحظاتهم وتوجيهاتهم لإتمام ذلك البحث .

وما تروني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

ب دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث القسم

للمصادر التي نرجع إليها لدراسة موضوع البحث تتمثل في المصادر الجغرافية ، وما يرتبط بها من كتب الرحلات ، والمعاجم ، وكتب التاريخ العام ، سواء أكانت مشرقية متمثلة في الطبري ، وابن الأثير ، والنويري وغيرهم ، أم مغربية مثل ابن خلدون ، وكتب التاريخ الخاص « المحلية » وأخيراً الكتب الحديثة التي عالجت الموضوع من زوايا مختلفة.

المصادر الجغرافية :

تعتبر تلك المصادر من أهم المراجع بالنسبة لموضوع البحث ، وذلك لأن الجغرافية العربية وثيقة الصلة بالتاريخ ، وبمرور الوقت استطاعت الجغرافية أن تنفصل عن التاريخ انفصالاً غير تام على كل حال.

وتنقسم كتب الجغرافيا إلى قسمين :

- أولهما : الجغرافية الرياضية : وتشمل فرعين هما « علم الأطوال والعروض ، علم تقويم البلدان ».
- ثانيهما : الجغرافية الوصفية : وتضم فرعين هما « علم المسالك والممالك ، علم عجائب البلدان »^(١).

وتكمن أهمية كتب الجغرافية في أنها « تكمل كتب التاريخ » التي اهتمت بالأحداث السياسية بشكل خاص - من حيث اهتمامها ، إلى جانب

(١) سعد رغلول عبد الحميد : ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة في القرنين « ٦ ، ١٧/١٢ ، ١٣م » ، نقد للمصادر « مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، المجلد الثامن ، ١٩٥٤م ، ص ٩١ .

وصف الأحوال الطبيعية والبيئية بإمدادنا بمعلومات ذات طبيعة متنوعة ،
منها الاقتصادية والاجتماعية وما يختص بعادات الشعوب وتقاليدها
الخ^(١)

وتصنف تلك المصادر الجغرافية إلى كتب جغرافية مشرقية منها
- على مبدل المثال لا الحصر - ابن خرداذبة هـ ٢٧٢/٨٨٥م ،
اليعاقبي هـ ٢٧٨/٩٨١م ، ابن رسته هـ ٢٩٠/٩٠٢م ،
الإصطخرى هـ ٣٤٠/٩٥١م ، المسعودي إلى جانب بعض الكتب
المغربية ، مثل الإدريسي هـ ٥٦٠/١١٦٦م ، ولزهرى «توفي
أواسط القرن السادس الهجري/أواسط القرن الثاني عشر الميلادي» ،
والحميري «توفي في القرن التاسع الهجري/الحاس عشر الميلادي».

ولقد تناولت أغلب كتب المشاركة في متن صفحاتها العديد من
المعلومات المتناثرة والتي تكمل بعضها البعض عن جغرافية
خوارزم وما وراء النهر شاملة الحديث عن مناخها ، مدنها ، أنهارها ،
وإن ألفرد ابن خرداذبة^(٢) دون غيره من الجغرافيين القدماء بوصف
طرق التجارة وخط سيرها إلى جانب ذكره لبعض المعلومات التاريخية
والعسكرية والتي تمثلت في ذكره لبعض ألقاب الملوك ومنهم لقب
خوارزم «مضرو خوارزم».

وبجانب ما سبق هناك بعض الكتب الهامة ذات أهمية علمية
بالنسبة لموضوع البحث وخاصة في الفصول الأولى من الرسالة والتي

(١) سعد رغلول عبد الصمد : تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور
الاستقلال طيبا ، تونس ، الجزائر ، والمغرب ، الإسكندرية ، ١٩٧٩ ،
ص ٥١.

(٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، (دار صادر ، بيروت ، ١٨٨٩م).

تعدت في جغرافية المنطقة «خولوزم» ، وما وراء القهر وسكانها
 وشاطئهم البشري ، وسوف نوضح ذلك بالتفصيل مع الإشارة إلى مواضع
 الاستفادة على وجه الخصوص ، وسوف نراعى بجانب أهميتهم ، ترتيبهم
 لرمي من الأقدم إلى الأحدث وهم :

١- اليعقوبي (٨٢٧٨/٨٩١م)

البلدان^(١).

هو من أشهر الجغرافيين الرحالة العرب ، يمتاز أسلوبه بكونه
 عملياً سهلاً مبسطاً ، نشعر من خلاله نزعة الكاتب للتحليل العقلي ، لذا
 اعتبره أبو الفدا مصدراً موثقاً به ويعتبر كتابه ن كتب الجغرافية
 الوصفية.

وتناول في كتابه الحديث عن خولوزم والأقطار التي يحدها عليها
 الإقليم ، مع ذكره لإشارات بسيطة إلى المسافات التي تربط عاصمتها
 بالمدن المجاورة لها.

(١) طبعة بريد ، ١٨٩١م ، وهو معروف في مخطوطة فريدة جليها مطبعت
 A = Mukhizadeh من المشرق عام ١٨٠٨-١٨٧٧م وهي الآن بميونيخ ،
 ومخطوطة أخرى يملكها المشرق هـ - كرن F. Kern «١٨٧٤/١٩٢١م»
 ، وبهذا دخلت المكتبة الملكية الروسية ، ولم تدرس بعد ، واليعقوبي كتب
 أخرى منها تاريخ اليعقوبي لقبول الأمم السابقة ، مشاكل الناس لزمانهم ، خبر
 الدين الرركلي ، الإعلام قلموس ، وترجم ، الطبعة الثانية ، دت ، ج ١١ ،
 ص ٩٠ ، كراتشوفسكي : تاريخ الأديب الجغرافي ، القاهرة ، ١٩٦٣م ،
 ص ١٥٩.

الأعلاق النفيسة^(١).

وقد استفاض في الحديث عن أنهار منطقة ما وراء النهر وخاصة
نهر جيحون وسيحون ، متضمناً متبعهما ومصبيهما ، ومدى استفادة
المناطق المجاورة منهما ، وخاصة إقليم خوارزم وتأثير تهر جيحون
الاجباري والسبلي عليها وعلى ما يحاورها ، وهو شيء دقيق يروق
الوصف ، واعتمد في مؤلفته على الفرغاني ، وأبي معشر وابن خردادبة
في طريقة العرض^(٢).

٣- المسعودي « ق ٩٤٦/٩٤٥م » :

مروج الذهب ومعادن الجوهر^(٣).

يمتاز هذا على سابقته بالتمالة على الحديد من المعلومات
الجغرافية والتاريخية والسياسية والاقتصادية ، حيث تناول وصفا جغرافيا
كاملاً لمنطقة دراستنا ، وكذلك ذكره للنزول وأصولهم القديمة وطبقاتهم ،
وابتداً للترك وأجناسهم وذلك ما اعتمدا عليه أثناء تناولنا للفصل الثاني
« السكان » وتحدث عن القبائل العربية ، ولكنه لم يشر إلى تحديد دقيق
للتواجد العربي في خوارزم ، ولكن إشارات بسيطة فقط.

ولقد اعتمد في المقام الأول على معلوماته من خلاله هو كشاهد
عيان حيز أسفاره في الصحراء والبر والبحر من الصين إلى أقصى
الشرق وإلى الشام ومصر والمغرب.

(١) المجلد السابع ، طبعة بيروت ، ١٨٩١م ، وهو كتاب ضخم يشتمل على خمسة
مجلدات ، صدر منه مجلد واحد وهو السابع في المكتبة الجغرافية قربية
للحاصل بالفتح والجغرافيا.

(٢) كرافتوفسكي : تاريخ الأقطاب الجغرافية ، ص ١٦٤-١٦٥.

(٣) الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٢م

ومن كتبه أيضاً التقييد والإشراف^(١). الذي تحدث فيه عن قياس
 بحر جبحون ، وحدد ذلك في أول كتابين الثاني ، وكذلك بحيرة خوارزم
 متتبعا أصل مياهها والأنهار التي تصب فيها.

كانت تعريفه لبعض المصطلحات ، ومنها : الميل ، الذراع ،
 الإصبع ، الفرسج : الكرة هو التي تشمل عدة نظم مسيحية ، الطمسوج ،
 «يقصد به» قناعية مع ملاحظة تغير ذلك من آن لآخر».

٤- الاستغفرى «ق ٨٢٤/٨٥٩ م» .

المسالك والممالك^(٢).

ونكس أهمية تلك المصدر كونه تحدث عن إقليم خوارزم شاملاً
 أغلب المعلومات المتعلقة به وذلك من خلال عواصمه ، ومنها الجرجانية
 منجر الترك الغزية ، تخطيط تلك العواصم المعماري ، طرق خوارزم
 وأبوابها والمسالك بينها وبين المدن ، وإن كان من الصعب تحويل تلك
 المصطلحات بمقاييسنا الحالية ، وذلك لمختلفها للواقع ، وعدم توصيل
 الجغرافيين لعقيدة تلك المقاييس مثل المرحلة ، الميل ، تجارة خوارزم
 وخاصة من الرقيق والأوبار ، والصناعات التي قامت بها مثل صناعة
 المنسوجات القطنية والصوفية ، وكذلك صناعة أدوات الحرب.

(١) انتهى بتصحيحه ومراجعتها عبدالله إسماعيل الصاوي ، مكتبة العصرية ، بغداد .

١٩٢٨/٨١٣٥٧ م

(٢) ط ١٩٣٧ م.

يحتل هذا الكتاب خلاصة ما شاهدته وعلمته في رحلاته وأسفاره الطويلة في ديار الإسلام وختماته للملوك ، ومجاليته للقضاة ، وتحصيله لتعلم على يد الفقهاء والعلماء ، إلى جلاب الجغرافيين السابقين ، مثل : ابن حرداذية ، والجيهاني ، والبلخي الهمداني ، ويحتل أسلوبه من أصعب أساليب مكتبة الجغرافيين العرب.

ولقد تناول في مجلد الحديث عن خوارزم ، وعلى الأخص عاصمته الجرجانية «كرگانج» معابرها وتجاراتها المتعددة والتي سوف نوضحها في الفصل الثالث من الرسالة ، كذلك سكان إقليم خوارزم من يهود وأصناف المجوس والنصارى (٣). ولقد انفرد عن سابقه من المؤرخين الجغرافيين بذكر تلك المعلومة ، وإن كان قد أكدها من بعده بسنوات عديدة القلقشندي ت ٨٢١/هـ ١٤١٨ م ، صبح الأعشى (٤). ثم لم يأت بجديد عما ذكره سابقه من الجغرافيين حول نهر جيحون منبعمه ومصبه والأنهار المتفرعة منه.

(١) وهو من كبار الجغرافيين العرب وأكثرهم أسفلة في الأدب العربي لسي القسطنطين الرابع الهجري/١٠ م ، وهو خاتم المدرسة الكلاسيكية للجغرافية العربية.

(٢) مجلد ٥ ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٠٦ م.

(٣) الخلفاء : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٢٣.

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ومندلة بتصويبات واستكملات وغبار من تصديقات مع دراسة ونقطة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر والقرجسة (دنت) ، ج ٦ ، ص ٤٠٤.

٦ الأريسي دت ٨٥٦٠/١١٦٦م :

لزعة المشتاق في اختراق الآفاق^(١).

والذي سبق وصنف ضمن كتب الجغرافية المغربية والتي تناولت عصر ذريح المشرق تنوعت مآلته وخاصة فيما يتعلق بموضوع البحث من بين المعلومات الجغرافية والحضارية فتحدث عن خوارزم حيث أطلق لفظ الإقليم عليها ، وتتبعه لها حتى بحيرة خوارزم «بحر آرال» من حيث تجارتها ، وتحدث عن صفات أهل خوارزم ولسانهم إلى جانب معالجته لمنطقة ما وراء النهر شاملة طبيعة أراضيها وبساتينها ، قراها والمعاملات بينهما ، وطرقها الرئيسية والفرعية.

وإلى كتب الجغرافيا تصانف كتب الرحلات «الرحلة» ، وتتميز تلك الكتب بتسجيل المعلومات ولادة التجربة وملاحظة العين^(٢).

أهم الرحلات بالنسبة لموضوع البحث :

١ - ابن فضلان «ت ٩٩٩-١٠٣٩م»

رسالة ابن فضلان^(٣).

وقد تناول في رسالته الحديث عن خوارزم والمعاملات بينها وبين مدن ما وراء النهر ، إلى جانب تفرد به بالحديث عن تجدد نهر جيحون ، وعلى الأخص تحديده للفترة الزمنية لذلك التجدد وهي ثلاثة أشهر وسلك ذلك ، وذكره لدواب وحيوانات تلك المناطق ، والتي تستخدم في التنقل والترحال ، وهي : البغال ، الحمير ، الفحول ، الجمال.

(١) مكتبته الفقهية الدينية ، القاهرة ، دت.

(٢) سعد رغالوي عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٥٤.

(٣) رسالة ابن فضلان : في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والقروس والصفية ، (دار صادر ، بيروت ، ١٢٧٨/١٩٥٩م).

وبجانب تلك المعلومات السابقة تجد المعلومات الحضارية التي
تحدث عن سكان خوارزم ، ووصفهم بشكل عام يكونهم أوحش الناس في
الكلام والطباع ، فضبه كلامهم بالزور ، كذلك دراهمهم المستعملة لديهم
، وهي : «المريفة ، والطارجة ، والكعب ، والدولمت ، والدراهم»
ذاكر مقدارها بالدينار ، وهو الأكثر استعمالاً وتداولاً فيما بينهم.

وتعتبر تلك الرحلة مرجعاً أساسياً للجغرافيين في المقام الأول ،
وبذلك نوصفه القائم على المشاهدة والمعاناة ، ومن هؤلاء : الإصطخرى
، والمسعودي ، وياقوت الحموي.

٢- ابن بطوطة^(١) . «ت ١٣٣٢/٣٣٩» :

نقطة انطلاق في غرائب الأعمار وعجائب الأسفار^(٢).

ولقد جمع ابن بطوطة معلوماته عن طريق مشاهدته ومعايناته مع
شخصيات تعرف عليها من خلال رحلته ، فكانت تلك الرحلة وصفاً

(١) من أعظم الرحالة العرب ، رحل من موطنه عام ٧٢٥هـ لأداء فريضة الحج ،
لكن لم أن يقضى ثلاثين عاماً في رحلات مؤلمة زار خلالها جميع ديار
الإسلام ، بالإضافة إلى سبلان ، والهند والصين وأسيا الصغرى وبلاد القرم ،
وزار كذلك خوارزم ، بغرا ، سمرقند من بلاد ما وراء النهر ، وقرمذ وبلخ
ومراة وطوس ونيسابور من خراسان ، ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل ذهب
إلى فارس والأندلس ثم عاد إلى فاس مرة ثانية ، حين مؤسس : ابن بطوطة
ورحلاته ، (تحقيق ودراسة وتطيل) ، (دار المعارف ، القاهرة ، دت ،
ص ١٢).

(٢) هذا الكتاب ليس من تصنيف ابن بطوطة ، ولكن وفقاً لرواية ابن بطوطة أن الذي
وضع له الصياغة الأدبية الفاتكة هو ابن جزري الذي انتهى منه عام
١٣٥٦/١٣٥٥م ، حيث لم يسر ابن جزري طويلاً ، وتوفي في العام التالي لصد
، بيلة حسن محمد : انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس حتى
القرن التاسع الهجري ، رسالة ملستير ، (الإسكندرية ، ١٩٧١) ، ص ٢٩

للمجتمع الإسلامي والشرقي بشكل خاص ، وهي لا تقتصر فقط على معلومات جغرافية وتاريخية بل جمع فيها حضارة ذلك العصر من حلال عروصه لجميع الظروف الاجتماعية من مراسيم البلاطات ولزياد الشعوب وتقائدها وأصناف الأطعمة بها^(١).

ولقد افرد ابن بطوطة حديثاً خالصاً عن خوارزم يتناول فيه معلومات قيمة قد بلغت إقلاقتها على مدار فصول البحث ، وخاصة في الباب الأول فجدده وصف طبيعة أرض خوارزم ، وذلك الصحراء التي بينها وبين بخارا ومسيرتها ثمانية عشر يوماً في رمال ليس بها عمارة ولا بلدة واحدة ، كذلك نهر جيحون ، وذلك باعتباره نهراً من أهلر الجلة الأربعة ، ذكراً جموده واستمراره لمدة خمسة أشهر ، وبذلك فقد اختلف مع ابن فضلان كما سبق ووضحنا من قبل. ثم عاد وتحدث عن ثروات خوارزم وخاصة النباتية ومنها بطيخ خوارزم ، ودوره في التجارة وتصديره إلى أسواقها ووضعها نظراً لمرورهم بذلك الأسواق ومنها «سوق الشور ، القيسارية»

وأضاف فيما يتعلق بالمعلومات الحضارية ، يذكره لسكان خوارزم حيث لم يجد أحسن أخلاقاً من غيرهم وذلك عكس ما ذكره ابن فضلان من قبل.

(١) كرتشوفسكي : تاريخ الألب الجغرافي ، ص ٤٣١.

وبجانب الرحلات تصنف العاجم ، ومن أشهرها .

ياقوت الحموي^(١) . رت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م

معجم البلدان

والذي تناول في معجمه بشكل عام الحديث عن الأقاليم السبعة
شاملاً مدن كل إقليم ، خطوط طوله ودوائر عرضة ، والتعريف ببعض
المصطلحات الجغرافية الأخرى ، مثل الكورة ، الرستاق ، وهو ما
استندنا به أثناء تعريفنا بتلك المصطلحات في فصول الدراسة.

أما فيما يخص منطقة دراستنا وهي خوارزم فقد تناولها من
خلال ذكره السبب وراء تسميتها بهذا الاسم ، عواصمها للقبيلة ، وتأثير
النهر على تلك العواصم ، وكذلك أقاليم تلك المنطقة مع تتبع جغرافي لكل
نهر على حدة ، وحديثاً عن بحيرة خوارزم من حيث منبعاها.

ومن خلال ما سبق نلاحظ تتبعه لتلك المناطق وملاحظة وتدوين
تطورها التاريخي منذ الفتح العربي وحتى الغزو المغولي ، موضعاً
الفرق بين ما كانت عليه وما أصبحت عليه. ولقد تناول معلوماته من كتب
الجغرافيا وكتب التاريخ الموجودة لديه ، ويتميز بالأمانة العلمية حيث
يذكر مصدر كل مادة أخذها منه.

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، (بيروت ١٩٥٥م) ، ٥ مجلدات

كتب التاريخ العام -

١ - الطبري «ت ٨٦٠/٩٢٢م» -

تاريخ رسول وللوكة^(١).

ويعتبر هذا الكتاب من أشهر كتب التاريخ العام المشرقية ، حيث
نقل الطبري الكثير من كتاب المغازي الأوائل الذي لم تصل إلينا أعمالهم
مثل الواقدي وآخرين^(٢).

ولقد استفدنا من كتاب «الرملة والملوك» وعلى وجه الأخص من
الجزء الرابع حتى الجزء السابع فيما يتعلق بالأحداث الأولى في إقليم
خوارزم حول بداية التواجد العربي فيه من خلال الحملات الثغرية لذلك
الإقليم منذ عام «٢٢٢/٦٥٢م» ، وحملة القائد الأحنف بن قيس على
خوارزم ، ثم تكرار تلك المحاولة من قبل القائد مسلم بن زياد عام
«٦١٠/٦٨٠م» ، ثم الفتوحات المنتظمة لذلك الإقليم على يد القائد العربي
قتيبة بن مسلم الباهلي عام «٩٢٣/٧١١م» واستقرار العرب إلى حد ما ،
وإقامه حكومة عربية في خوارزم^(٣).

وتناول الطبري كذلك - وعلى الأخص في الجزء السابع - بدء
ظهور الدعاة العباسيين في إقليم خوارزم ، وكره ولاية على ذلك الإقليم ،
ونكاح في عهد والي نصر بن سيار «١٢١/٧٢٨م» ومنهم : أبو حنص
بن علي ختلة ، وكذلك مسعدة بن عبدالله النشكري عام
«٢٢٦/٧٤٣م»^(٤).

(١) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم : الطبعة الرابعة ، مقدمة ومادة ، ١٩٦٥م

(٢) سعد رطلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، ص ٢٣ ، جامع محمد جمعة :
من روائع الأدب الفارسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط ٢ ، بيروت
، ١٩٨٣م ، ص ١٤ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٦٩-٤٧١ ، وتظهر الفصل
الثاني من الرسالة ، ص ١٢٣-١٢٦ .

١ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ١٥٧ ، ٢٧٩-٢٨٠ .

الأثار الباقية عن القرون العظيمة^(١).

لقد افترق هذا الكتاب ، (وذلك لكونه مخصصاً لأمرأة الأميرة الثانية في خوارزم ومن لبناء ذلك الإقليم) بمعلومات لم تذكر في أي مصدر آخر ومنها الحديث عن أهل خوارزم وبندية تاريخهم وإقليمهم بأول عبارتها ، وذلك على وجه التحديد قبل الإسكندر بحوالي ٩٨٠ عام ، وأهذهم بتورث سبوش بن كيكولوس ، ثم تملك كيسخرو لها ، وذلك بعد عمارتها بحوالي مائتي وتسعين عاماً «٢٩٠ عام» ، كذلك فقد أذهم بالفارس في التاريخ العام «على درية كيسخرو والمسمى بالشاهية» .

فوجاهت فتية بن مسلم ومقدمهم للمرة الثانية لذلك الإقليم بعد ارتدادهم ، وعين عليهم شخص يدعى «إسكندر بن أركاهارين» وبذلك خرجت الولاية من نسل الأكامرة ، وبقيت الشاهية لكونها مورثة ، ثم انتقل التاريخ إلى الهجرية على رسم المسلمين وسياسة القائد العربي المنتهية ، وتركه للحكومة المحلية كما هي مع وجود والٍ وحامية عربية بها .

كذلك احتوى كتابه على جدول منها جدول يحمل كل القاب الملوك ومنهم ملوك خوارزم «خوارزم شاه» إلى جانب معلومات حضارية ذات قيمة عظيمة سوف نستعين بها عرضاً بشكل الجالب الحضري لإقليم خوارزم في دراسة فائقة أن شاء الله

(١) دلو صلفر ، بيروت ، ١٩٧٢م .

٣ ابن الجلاء الحفيلي «ت ٨٩٠-٨٩١/١٦٧٨م»

شذرات الذهب في أخبار من ذهب^(١).

حدث عن بداية قيام دولة خوارزمشاه وذكره للأخير محمد بن
أوشتكين «مولى الأمير ميكائيل السلجوقي» ولقبه «صوارم شاه» وذلك
عام «٨٤٩/١١٩٧م» وفي كل من الجزأين الربيع والخميس تتناول
باستفاضة الحديث عن شاهات خوارزم ، وصراعاتهم على العرش ،
فتوحاتهم وتوسعاتهم ، وعلاقاتهم وصراعاتهم مع السلاجقة ، ولقراحتاي
والغوريين.

٤- ابن الأثير «ت ٦٢٠/١٢٢٢م»

الكمال في التاريخ^(٢).

يعتبر ابن الأثير مؤرخاً محققاً موهوباً ، حيث يمتاز بشده التثبت
لما يبال من حوائث إلا أنه له سبق في النقد التاريخي على ابن خلدون
، ومن هنا جاءت أهمية كتابه ليس فقط في الحصور الإسلامية القديمة ،
وليس بالنسبة للمشرق فقط بل للبلاد الأخرى من المغرب والأندلس^(٣).

ولقد اتبع طريقة الحواريات في عرض الأحداث ، حيث لخص
كتاب الطبري وإن كان قد اختلف معه حيث يتفادى القصص على الوجدة
التاريخية للحادثة ، كما كان يفعل الطبري ، فجعل لكل حادثة ترجمة ،
أما الحوادث الصغيرة فقد جمعها في فترة زمنية واحدة.

وعلى الرغم من كونه لخص كتاب الطبري إلا أنه فيما يتعلق
بموضوع البحث ولم يذكر استعانة ماك خوارزم بتقائد العربي فنية بس

(١) للطبعة الثانية ، بيروت ، ١٣٩٩/١٩٧٩م.

(٢) دار الفكر ، بيروت ، ١٣٨٦/١٩٦٦م

(٣) سعد زغلول عبد الحميد - مرجع السابق ، ص ٢٤.

مسلم الديلمي ، وتحدث عن بداية الدعوة العباسية في إقليم خوارزم ، ودعوة الجهم بن عطية إلى العلاء بن حريث بخوارزم لإظهار الدعوة العباسية لها في رمضان لخمس بقين منه.

ومن المعلومات القيمة التي ذكرها ابن الأثير ، وحصة مهم تتعلق بالكيانات السياسية شبه المستقلة في إقليم خوارزم ، وهو ما سوف نعالجه في الفصل الأول من الباب الثاني عن تبعية خوارزم لكل من السامانيين ومن قبلهم الطاهريين ، ثم الأسرة الأولى في خوارزم «المأمونية» ومعاصرتها للدولة العزمية ، الأسرة الثانية «الأتونشائية» ، واستعانتهم بالسلاجقة ، وتمكن السلاجقة من الاستيلاء على خوارزم عام «٤٢٥هـ/١٠٣٣م» ، ثم تناول قيام دولة شاهات خوارزم ، وذلك عام «٤٩١هـ/١٠٩٦م» منذ عهد مؤسسها وحتى آخر ملوكها المستقلين جلال الدين منكبرتي وسياستهم الخارجية مع السلاجقة والقراطاي والهوريين ، وكذلك الخلافة العباسية وخاصة على عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي ، وتطلعهم إلى الخلافة في بغداد.

٥ - ابن العبري «ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م»

تاريخ مختصر الفول^(١).

لقد تركزت معلومات ابن العبري فيما يتعلق بموضوع البحث حول الكيانات السياسية شبه المستقلة في إقليم خوارزم ، وذكر وفاة الأمير سامر بن محمد خوارزم شاه «مؤسس الأسرة الأولى» ، وكذلك مقتل أبي العباس مأمون بن مأمون ، وشكك السلطان محمود العزموي لإقليم خوارزم عام «٤١٧هـ/١٠١٦م» ثم انتقل للحديث عن قيام دولة شاهات خوارزم ، ذكراً للحروب الدائرة بين القراخاني والأمير أترس ووفاته ، ونولي ابنه من بعده سلطان شاه محمود ، وطعم ذلك التاريخ العباسي بسبب عن حصنة ذلك الإقليم.

(١) دار المشرق ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٩٧م.

وملاحظتنا عن كتاب ابن العربي تناوله لبعض الحوادث السياسية
والحصارية المتعلقة بدولة خوارزم شاه ، ولكن ليس في تومع واستفاضة
ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ».

٦ - النويري ج٢ ٥٧٢٢/٥١٢٢٢

نهاية الأرب في فنون الأدب^(١).

قبل تناولنا للأجزاء الهامة والتي تناولت موضوع البحث ، ذكر
أجزاء الأولى من موسوعة النويري ، وهي عبارة عن موسوعة عامة
كبرى في الألب والجغرافيا والتاريخ والاجتماع ، ولقد اقتصرنا على
استدانتها منها على بعض المعلومات للطبعة ، مثل : تعريف لبعض
المحاصيل الزراعية مثل القطن^(٢) . وكذلك الحيوانات مثل القاقم^(٣).

أما الجزء السادس والعشرون فقد تناول فيه مقتل خوارزم شاه
أبي العباس مأمون بن مأمون عام «٤٠٧هـ/١٠١٦م» ، وما ترتب على
ذلك من شغب في الإقليم ، كذلك أسرة التونش وعلاقتهم بسلالة
وخاصة عام «٤٢٦هـ/١٠٣٤م» وتبعية الإقليم للسلالة ، الفراهيدي
وعلاقتهم بالدولة الخوارزمية ، منذ عهد أميرها أنشز وحتى القضاء
عليهم على يد السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد واستحوذه على
أموالهم ، الباطنية الإسماعيلية وقضاء السلطان تكش على نفوذهم إلى حد
ما.

أما الجزء السابع والعشرون ، وخاصة في الباب الحادي عشر
من القسم الخامس ، والذي خصصه في أخبار الدولة الخوارزمية ،

(١) تحقيق : محمد غزالي ، مراجعة : محمد طه الحامري ، الهيئة العامة
المصرية للكتاب ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ج ٢٦ ، ٢٧.

(٢) النويري : نهاية الأرب في معرفة قلوب الألب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،
سخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة للكتاب ، ١٠٤٠ ، ص ٢ ، ١١
والترجمة والطباعة ، القاهرة ، دت ، ج ١٠ ، ص ٢ ، ١١

(٣) النويري : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١١٩.

تتاولها من حيث ملوكها «أي مرع وبنتمون إليه ، وصول الأمير محمد بن أنوشكين لخوارزم ، تسلسل هؤلاء القشاهات منذ عهده وحتى أواخر سلاطينها» ، كذلك السلطان الخوارزمي الأعظم علاء الدين محمد ، ونوسعاته ، الصراعات على العرش بين أبناء هؤلاء السلاطين واستمرارهم بالقوى المجاورة للدولة مثل القزلقاي والغوريين ، ومحاولة السلاطين علاء الدين محمد الذهاب إلى بغداد ، ومراسلة الخليفة العباسي وطالبه ملك آل سلجوق ، ورد فعل الخليفة الناصر لدين الله على ذلك ، ونقسام علاء الدين محمد لإمبراطوريته على أولاده قبل وفاته.

٧- ابن خلصون «ت ٨٨٠هـ/١٤٦٠م

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم^(١).

يعتبر كتاب ابن خلدون من أهم المصادر ، وذلك للسببين المعروفين اللذين لفتت بهما ابن خلدون ، ولأولهما : ملكة المؤرخ المبقري الموهوب التي جعلته يفهم التاريخ بمعناه الحقيقي الشامل الذي يتلخص في أن الحدث التاريخي أكبر من أن يكون حدثاً سياسياً فقط ، بل هو نتيجة لتفاعل عدد من العوامل السياسية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك النفسية أيضاً ، وهذا ما دعا ابن خلدون إلى الكلام عن كل هذه الفنون في المقدمة فجعل مفهوم التاريخ أشبه ما يكون بمفهوم الحضارة أي جعله تاريخاً للأمم والشعوب بدلاً من سير الملوك والأمراء أو طبقات الأعيان وهذا ما سماه البعض القسمة للتاريخ ، وهو في الحقيقة ليس إلا التاريخ كما ينبغي أن يكون^(٢).

(١) بيروت ، لبنان ، ١٣٣٥هـ/١٩٣٦م

(٢) سعد رغوول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٢١.

ولقد توزعت استقلالي من تلك الموسوعة حتى شملت كل البحث مد بدايته وحتى قيام دولة شاهات خوارزم وتوسعاتها ، فتحدثت عن الأكرام بما فيها إقليم خوارزم شاملاً أهلاره وبحيرة خوارزم ، كذلك العرب وفتراتهم في خوارزم ، ودعاه الدولة العباسية بها ، والكيانات السياسية شبه المستقلة بالإقليم وذلك منذ تبعيته للطاهريين والسمانيين ، وقيام الأسرة الأولى والثانية ، وبداية قيام دولة شاهات خوارزم منذ عهد مؤسسها وحتى آخر ملطمتهم مع ترتيبهم وأعمالهم وصراعاتهم على العرش وتوسعاتهم على حساب الدول المجاورة من القراخانيين والغوريين والخلالة العباسية.

كتب التاريخ الخاص

ثم ننقل بعد هذا العرض لكتب الجغرافيا وكتب التاريخ العام من مشرابة ومغربية مما يرجع إليه في دراسة موضوع البحث نعرض بعض كتب التاريخ الخاصة ، ومنها :

١- أرمينيوس فيميري

تاريخ بطاري^(١).

حيث تركزت معلوماته فيما يتعلق بالكيانات السياسية شبه المستقلة في خوارزم ، وخاصة حول الدويلات التي استقلت عن الدولة العباسية ، مثل : السمانية وبسط ملطمتهم على خوارزم وما وراء النهر عام « ٢٨٠ هـ / ٨٩٣-٨٩٤ م » ، الأسرة السامونية وكذلك الأسرة الألتوننشية ، وإشارات بسيطة حول ذلك ، وعلاقة الأخيرة بالدولة العرفوية ، وظهور السلجقة نظراً لاستعانة الأسرة الألتونية « الألتوننشية » بهم.

(١) ترجمة أحمد محمود السعدني ، مراجعة وتقديم : يحيى الخشاب - المؤسسة

المصرية العلمية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ،

١٩٥٦م.

تاريخ بيهقي^(١)

تحدث عن خولوزم من حيث «صفتها» ، عرصفها فهي ثمانون في ثمانين ، بها مساحات كثيرة ، دائماً حاضرة الملوك لعظام ، ولقد جاء ذلك في سير ملوك القريس من أحد أقارب بهرام گور الذي أتى إلى هذا الإقليم ، وكان قائداً لملك القريس واستولى على هذا الإقليم حتى مجيء العرب وبكر إلى خولوزم كانت دائماً لملك مستقل ولم تكن جزءاً من خراسان».

ولقد تحدث باستفاضة عن الأسرة الأولى في خولوزم «الأسرة المأمونية» والذي كان معاصراً لتلك الأسرة ، لذا كانت معلوماته موضع ثقة ، ولقد استقى تلك المعلومات أيضاً من كتاب البيروني السابق الحديث عنه «الآثار الباقية من القرون الخالية» الذي تحدث عنهم ، والأسباب التي

(١) مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م ، وهو مصدر ذو أهمية لتاريخ العصر الغروي ، وكذلك باعتباره تاريخاً ثلاثياً وراء النهر من قبل شهر معلم بارز من معالم التاريخ الإسلامي ، لما كان يتم به مؤنفة في البلاط المسعودي الغروي ، وهذه من هذا الكتاب هو البحث في معرفة الواقعة وأحداثها ونتائجها ، وهو في ذلك يعتمد على الوثائق في زعم تحدث التاريخي ، ولقد كتب في ثلاثين مجلداً ، ولم يبق سوى الجزء الخامس والمسلطان مسعود ، «١٠٣٠م - ١٠٤١م» ، وانتهى من كتابة هذا الجزء علم «١٠٤١م / ١٠٥٩م» حقق ونشر في طهر في عدة مرات أكثرها تحقيقاً تلك التي حققها سليم حسي ، ونسب يحيى الخشاب وصديق ضلّت بنقله للعربية عن النسخة المطبوعة ، وطبع أكثر من مرة ، إجمال جابر الاشعري ، تاريخ إيران بعد الإسلام منذ بداية الدولة السامانية حتى نهاية الدولة القاجارية «١٢٠٥هـ / ١٢٧٠م ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م» ، نقله عن الفارسية وقم له وعلق عليه - محمد علاء الدين منصور - ترجمه السباعي محمد السباعي : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، مقدمته

أدت إلى رواق إمارتهم على ذلك الإقليم عندما استولى السلطان محمود
العربوى عليها ، وكذلك آخر أُمراءها ، الذي ظل البيروني في خدمته سبع
سنوات ، ولصدقة والمصاهرة التي كتبت بينه وبين السلطان محمود
العربوى.

كل ما سبق ذكر لدى البيروني تحت مقامة بعنوان «المسامرة في
أخبار خوارزم» وتقلب الأمور علم «٤٠٧هـ/١٠١٦-١٠١٧م» وتولى
العاجب التوتانش وحتى آخر أُمراءها وهو هارون بن إسماعيل خندان
الذي استعز بالسلاجقة لمساعدته ضد أعدائه من داخل البلاد وهو وزيره
عبدالجبار وأعوته.

تناول كذلك الألقاب التي كانت تطلق على الأمراء والسلطين في
تلك الأسرة التتائية ، ومنها على سبيل المثال : لقب ولدى ومعتدى الذي
أطلقه سلاطين الدولة الغزنوية على ابن التوتانش.

٢- هبة ملك الجويني : ت ٤٨١هـ/١٠٨٢م

جهان كش «لوائح العالم»^(١).

جمع في ملحقه ما بين التاريخ السياسي والذي تمثل في التحديث
عن الدولة الخوارزمية منذ بدايتها ، سنوات بقائها كنولة ، حكامها ،
وموقعها باعتبارها في منتصف الطريق ، وبالتالي فقد عهد إليها بدور
كبير في التجارة ، امتزج وحروبه مع السلطان مسجر السلجوقي ،
الغراخدي ودولتهم وتمكن الخوارزميين منهم ، وخاصة في عهد السلطان
الخوارزمي الأعظم علاء الدين محمد ، وحروبه مع الغوريين.

(١) ترجمه للعربية المبدعى محمد السباعي : (دار الزهراء للنشر ، القاهرة ،

١٤١٢هـ/١٩٩١م).

فعرشه باستعراض كامل للعلاقات القيمة وبين ملوك الدولة الحواريمة والخلافة العباسية منذ أيام علاء الدين تكش ولطباعه النوسعية المنقوية لأهداف الخلافة التي أوشكت على الانهيار ، التي لم يبق لها سوى نفوذها الروحي ، ولعلكت حتى عهد المملوك علاء الدين محمد ، ورغبته في ملك بغداد ، وذلك عام «٦١٤هـ/١٢١٧م» وفشلها فشلاً ذريعاً.

أما مادته الحضارية فقد تمثلت في ذكره لتنظيمات الإدارية الفلزية ، والتي استمرت في خوارزم ، وكذلك التنظيمات في عهد السلاجقة التي أخذت شكلاً مطياً ، ومدى استعادة الحواريمين من ذلك وإن كانت قد اختلفت عنهم ، وخاصة أن الحواريمين في عهد السلطان علاء الدين تكش الحواريمي قد اعتمدوا على قوة القبائل ، لذا قرى لنفوذ رؤساء تلك القبائل الذي ساعد على ظهور الدولة ، ومن ناحية أخرى ساعد على إنعاش قوة الدولة المركزية ، أما السلاجقة فقد اشركوا الشعب في الأعمال الإدارية والاجتماعية.

كتب الطبقات ، وهي نوعان :

كتب طبقات عامة ، مثل موفيات الأعيان ، ولأنهاء الزمان لابن خلكان ، وكتب عامة «إقليمياً» مثل : طبقات المالكية والشافعية والحنفية والحنابلة ، وطبقات الصوفية ، وطبقات الأطباء والحكماء والغريبين والنحويين والقضاة والفقهاء ، وكتب خاصة ، وميزة هذه الكتب تتلخص في أنها تهتم بالتاريخ الاجتماعي والحضاري أكثر من اهتمامها بالتاريخ السياسي^(١).

(١) سعد زغول عبدالصمد : المرجع السابق ، ص ٥٤-٥٥.

١- ابن خلكان^(١) - «ت ٥٦٨١/١٧٨٢م» -

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان^(٢).

٢- الصفدي «ت ٥٦٦٤/١٢٦٦م»

الوافي بالوفيات^(٣).

والذي تناول الحديث عن السلطان الخوارزمي محمد بن تكتش ،
وتوسعاته لمد حدود دولته ، ومدى اهتمامه بالعلم وللمعلماء ، ومطروحات
أخرى متفرقة عن التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، وكذلك الدولة
الخوارية ؛ نشأتها ومؤسستها ، بالإضافة إلى ذلك تناول له العديد من تسرجم
للشخصيات الموجودة في منطقة خوارزم ، سواء من العرب الذين نزلوا
بها واستقروا فيها ، وكذلك علمائها وأبنائها ونتائجهم العلمي ، وهو مس
سوف نعالجه في دراسة حصارية كالأمة للمنطقة أو شيء الله .

(١) قاضي القضاة ، شمس الدين أبو العباس البرمكي الأرميني الشافعي ، ولد بأربيل
عام ثمانية وستة ، وكان فاضلاً بصيراً بالعربية ، علامة في الأدب وأيام
الس

(٢) المجلد الثالث ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٠-١٩٧١م ، المجلد الرابع ،
دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧١م ، وهو يقع في ثمانية مجلدات ، وإن
كانوا إسوا مرشدين تراثياً فحسباً

(٣) بعثته طمرت ريتز ، الطبعة الثانية ، ج ١ ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، بأستاذ من
بجربيل ، الطبعة الثانية ، ج ٢ ، ١٤٠١هـ ، ولقد أخذ القمدي في التأليف حيث جمع
تاريخه الكبير الذي سماه توافي بالوفيات ، وذلك في ثلاثين مجلداً مرعير على
حروف شمعة ، ولقد ألفه منه أهل عصره في كتاب أسماء جاعول النصر
وأعيال العصر في ستة أجزاء ، وله كتب أخرى عديدة ، ولقد صنع منه شيخ
عصره الأعشى ، ابن كثير الحنبلي ، وغيرهم ، وترجم له السبكي في الطبقات
، معتمده تحت عنوان «ترجمة مؤلف هذا الكتاب» من ع .

الكتب الحديثة وتشمل :

أ المراجع الفارسية

محمد بن برهان الدين خوارزمي شاه «ميرخوارزم»^(١) ، «ت ١٤٩٧/٥٩٠٣»

روضة الصفا^(٢).

لقد لُفَّه في سبعة مجلدات ، ولم يمهله القدر ليتم الجبرء السابع وأكملة حفوده من بعده «خوارزمير» ولقد تركزت المعلومات الخاصة بموضوع البحث في المجلد الرابع ، حيث تناول تاريخ الخوارزميين ، ومنها على الأخص - الأمير آتيز وصراعه مع السلطان المنجولي سنجر ، مع إضافة بعض الأدبيات الشعرية التي تزيد وتؤكد تلك الأحداث ، كذلك الصراع القائم بين السلطان علاء الدين نكش والسلطان المنجولي طغرل الثالث على العراق المجسى «إقليم بلاد الجبل» وتولية السلطان علاء الدين محمد لعرش خوارزم ، وبعد ذلك تناول العلاقات بين الدولة الخوارزمية وسلطانها العظيم وبين القوي المجاورة لهم ، وهم القرخاني ، والخوريون ، والخلافة العباسية.

(١) يعتبر مؤرخ هذا المرجع من أكبر مؤرخي تلك فترة منذ علم «٨٨٣٧/١٤٢٣م» حتى عام «٩٠٤/١٤٩٨م» ، ولد ببلخ واستقر في سلاطه الشاعر «هلبشير نوتى» وزير السلطان حسين بلخرا ، فالتاح له ذلك لقاء مع العلماء والفضلاء ، واستفاد من علمهم وبخدا انصرف إلى التأليف.

(٢) ميرخوارزم : تاريخ روضة الصفا ، المجلد الرابع ، نوافذ نشرات ، كتبه وشبهى : ١٣٣٩ هـ ، ولقد اشتمل هذا المؤلف على ستة مجلدات ، هم على التوالي ، المجلد الأول : تاريخ الأنبياء والملوكين لقتلى إيران ، المجلد الثاني : فرسوس والخلفاء قراندون ، المجلد الثالث : لحوال الأمويين والعباسيين ، المجلد الرابع : تاريخ الظاهريين والفاطريين والمسلمين والفرنجيين ، التيم ، الإسماعيلية ، السلاجقة والخوارزميين ، الأتراك ، ملوك خلع ، ملوك تيمروز ، المجلد الخامس : جنكيز خان وأحواله وأولاده ، المجلد السادس : كيمور ووفته وأحداثه وأولاده.

٢ - غياث الدين بن همام الدين الحسيني «خوانسار» (١٥٢٢/١٥٢٥م)

حبيب السير في أخبار نغزاه البهراني^(١).

تأول الحديث عن أحوال ملوك شاهات خوارزم ، وذلك منذ عهد مؤسسها نوشنكي حتى نهاية عهد تلك الدولة على يد المحول غي غياث السلطان اخوارزمي جلال الدين منكبرتي.

ومن أكثر الموضوعات التي تتعلق بموضوع البحث ، ووجه ذلك المرجع ، ذلك الصراع المتكرر بين الأمير آتمز والسلطان السلجوقي منجر ، ولم يكن لم يختلف عما ذكر لدى روضة الصفا ، كذلك الصراع الدائم الذي ظل في دولة شاهات خوارزم ، وكان سمة من سماتها المميزة وهو الصراع بين أبناء السلاطين حول ولاية العهد ، وهرابهم المتمسدة مع الفراهاني والغوريين والخلافة العباسية ، ولقد دعم تلك الأحداث ، ولم يكن أغلبها بالأبيات الشعرية.

٣ - حبيب الله شالوني

تاريخ إيران ازما تبهلوي

ليس لدينا معلومات عن تاريخ وفاة هذا المؤلف ، ولا ترجمة له ، ولا تاريخ تأليف هذا المرجع وبالرغم من ذلك فقد عالج التاريخ السياسي لتلك الإمارة منذ نشأتها الأولى منذ عهد الأميرة الأولى وحتى قيام الدولة الخوارزمية الثالثة ونوسماتها ، فتجدد تناول في حديث مختصر الأسرة الأولى «المأمونية» محدداً أمراءها وتواريخهم ، ولم يختلف عن السنوات

(١) للمجلد الثاني ، الجزء الرابع ، طهران ، ١٣٥٢ هـ ، ويقع ذلك الكتاب غي ثلاثة

مجلد صم فيها كل ما ذكرته المصادر التاريخية السابقة ، ولقد جمع في

المجلد الثالث "أحداث حتى عام ١٠٢٤/١٠٢١م" وخوفتمير من أعيان القرن

التاسع ومشاهير - وندية القرن العاشر ، ومن كتبه دستور الوزراء ، والذي

نبحث فيه عن وزراء الدولة الخوارزمية.

التي ذكرت في المصادر العربية ، إلى جانب الإشارة إلى علاقاتهم بالسلطان محمود الغزنوي ، كذلك الأسرة القنكية «الأتونتشية» ومدة حكمها منذ عام «٤٠٨ هـ ٤٣٤ هـ» والتي انتهت بتسولي أمير الإقليم لسلجقة. ثم أسهب في الحديث عن الدولة الخوارزمية وقيلامها وتوسعاتها ، موضحاً الفترة الزمنية التي تولاها كل سلطان ، فعلى سبيل المثال مدة حكم السلطان علاء الدين محمد تبلغ لثنتين وعشرين عاماً ، ثم صار بعد ذلك على نفس منوال الكتب الفارسية ، وإن كان قد ركز على الظروف والأحداث السياسية مضمناً المعارك ، والعلاقات بين سلاطين تلك الدولة والقوى المجاورة لهم ، والتي سبق وأشرنا إليها سابقاً ، ولكنه لم يشر إلى تلك الأبواب الشعرية وبعض الملامح الأدبية التي ذكرت من قبل لدى مبرهواند ، وخوانشير.

ب- المراجع العربية الحديثة

١- محمد ابن أحمد بن علي بن محمد السوي^(١). «ن ١٢٢٢/٥٦٢٠م»

سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي^(٢).

يعتبر من المراجع الهامة في تاريخ الدولة الخوارزمية حيث تناول ما يلي : الأحداث السياسية الهامة في عهد السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، وابنه من بعده السلطان جلال الدين منكبرتي ، وكذلك للعلاقات القائمة بين السلاطين المعظم الخوارزميين ، والعائلة العيسية ، وأتابكة فارس وأذربيجان والإسماعيلية المنتشية.

(١) نشر وتحقيق : حافظ أحمد حمدي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٢ هـ ، وهو

يعتبر من الكتب الهامة لدراسة تلك الفترة من تاريخ الإقليم ، وذلك منذ عام

٦١٥ ٦٢٩ هـ/١٢١٨ ١٢٣٦ م.

(٢) كان معاصراً لأحداث تلك الدولة الخوارزمية وذلك لأنه كان كاتباً للسلطان جلال

الدين منكبرتي.

ولقد تخلل ذلك بعض الإشارات عن الوظائف الموجودة في الدولة الخوارزمية والتي أفرقنا لها فصلاً خاصاً بها في نهاية البحث ، وخاصة أن المصادر العربية لم تنثر إلى مطومات وفيرة عن هذا الجانب إلى جانب مصداقية تلك المعلومات لخصصة ذلك الجانب في ذلك المرحع ، وذلك لكونها قد ذكرت عن طريق شاهد عيان معاصراً إلى حد ما لهؤلاء الشاهات المطام ، ومن ذلك النظم نجد الدولتين ، ومنها : ديوان الجيش ، والإنشاء ، والوزارة ، والقضاء .

٢ - حافظ أحمد حمدي

الدولة الخوارزمية والفول غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية^(١).

تناول في ذلك المرجع الدولة الخوارزمية ، وإن كان الهدف الأساسي من وضع ذلك الكتاب هو دراسة تلك العلاقات التي كانت قائمة بين الدولة والمغول منذ بداية احتكاكهم بالسلطان الخوارزمي علاء الدين محمد حتى قضائهم على الدولة الخوارزمية ومن بعدها الخلافة الممباسية .
ولقد تركزت استقادتنا منه فيما يتعلق بأعمال بعض هؤلاء الشاهات ، وكذلك نبذات بسيطة عن بعض نظمهم وسياساتهم الداخلية والتي عند المرجع نفسه في تلك النقطة على المرجع السالف الذكر «سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي»

(١) دة فكر العربي - القاهرة ، ١٩٤٩م .

٢ - قصصى فلايمير وقتش يارتولند

تركستان من الفتاح العربى حتى القزو القولى^(١).

وهو من المراجع الهامة التى استندت منها على مدار البحث وذلك ابتداء من الفصل الأول والذي عالج فيه جغرافية ما وراء النهر بشكل عام وخوارزم بشكل خاص شاملاً جميع التولجى سواء من البادية الطبيعية والاقتصادية ، كذلك تناوله للقوى التى كان لها علاقات مع الدولة الخوارزمية ، وهم : القرغىز ، والقرويون ، وغيرهم فتناول بطريقة طويلة علاقاتهم منذ عهد إيل أرسلان حتى نهاية تلك الدولة.

(١) نقله عن الروسية : صلاح الدين عثمان داتم ، أشرف على طبعه : قسم التراث

العربى ، ط١ ، الكويت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

الباب الأول

البلاد والسكان ونشاطهم البشرى

الفصل الأول

البداية

محتويات الفصل الأول

البلاد

خوارزم :

وتشتمل على :

- ١- موقع خوارزم.
- ٢- هواصم إقليم خوارزم.
- مدينة كاث.
- مدينة الجرجانية.
- مدن بلاد خوارزم.
- قري بلاد خوارزم.

ما وراء النهر

وتشتمل على :

- ١- موقع ما وراء النهر.
- ٢- كور ما وراء النهر.
- كورة بخارا وأهم مدنها.
- سمرقند وأهم مدنها.
- الكشانية.
- إشتيخن.
- لشروسنة وأهم مدنها.
- كخش ، ونسف.
- كورة الختل والوخش.
- الصعانبان والقواديان.

المياه الجارية :

وتشتمل على :

- ١ - نهر جيحون وخلصه الأنهار التابعة لبلاد خوارزم.
- ٢ - نهر الصفد.
- ٣ - نهر سوجون.
- ٤ - البحيرات «بحيرة خوارزم» أو بحر آرال.
- ٥ - العيون والآبار.

الجبال.

الصغاري

فهرس الغرانة المتعلقة بالفصل الأول

الفصل الأول



خوارزم^(١).

١- موقع خوارزم:

يقع بلاد خوارزم في الإقليم^(٢). فخراسان الجغرافي الواقع في بلاد التركستان الغربية شرق بحر آرال ، ويشمل بشكل عام مصب نهر جيحون وبحيرة آرال بشكل خاص ، وذلك في المنطقة ما بين دائرتي

(١) خوارزم : وتصورها خوارزمي بمعنى النعم ، وزم نضى الخطب . المنقسي : لمس التباس في معرفة الأقاليم ، بيزنيل ، ط ٢ ، ١٩٠٦ م ، ص ٢٨٤ ، وفنكر الرواية حول ذلك أن ملك الشرق مند القدم غضب على أرمينية (٤٠٠) رجل من حاشيته ، فأمر بعملهم على مسافة مائة فرسخ منهم ، حيث ينكر أن موقعهم كان مدينه كاث ، وبعد فترة أراد معرفة أخبارهم ، فوجدهم قد بنوا كاخانات ويصيدون السمك ويتقنون به حيث الخطب المتوارث لديهم ، وأخير الملك بحالهم ، وسأله عن تسمية اسمك لديهم ، فقلوا : خوار ، والخطب رزم ، فذكر اسم تلك المنطقة وقال خوارزم ... المنقسي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٥ ، بالرت الحموي ، معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٥٥ م ، المجلد الثاني ، ص ١٨٠.

(٢) التلم : ذكر أنها عربية الأصل فهي مأخوذة من قام الشيء (أي قطعة) لكل من إقليم مقنوم أي مقنوم من الأرض التي تتلصق ، أي تعني البلد أو القطر أو المنطقة الجغرافية وفي موضع آخر ذكر أنها مشتقة من الكلمة اليونانية كلينما «Klinema» ومعناها ناحية أو متنح ، ولقد شوعت دلالتها في مختلف الأقطار والأمصار ، ففي الشام تعني الجهة أو القطر ، وفي فارس حيث قسم الفرس بلادهم «إبراهيم» إلى سبعة أقسام أطلقوا عليها لفظ كتورت «جمع كتور» أي خطوط مستقيمة.

ولقد قسم الإبراهيمي الأقاليم إلى سبعة أقاليم وهو تقسيم بطليموس ، فالإقليم الأولى منطقة عالية عامة ، ليست سياسية ولا إدارية ، بطرس البستاني : دفترة المعارف ، قاموس عام لكل فن ومطاب ، مطبعة المعارف ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، المجلد الرابع ، ص ٩٣ - ٩٤ ، ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٢٣٧ ، دفترة المعارف الإسلامية ، دار الشعب ، ١٩٨٠ م ، ج ١ ، ص ١٣٥.

عرض ٤٠° ، ٤٥° شمالاً ، وخطى طول ٦١° ، ٩٦° شرقاً ، ووضع على
معتق الطريق إلى بلاد خراسان جنوباً ، وإقليم ما وراء النهر شرقاً ،
وتحيط بها المعاوز والصحراء من الشرق والغرب^(١).

وهي منطقة جليظة واسعة الأرجاء ، ذات مدن كثيرة ممتدة
العمارة^(٢). فحيطها ضملون في ثمانين فرسخاً في الكبر^(٣).

ولقد أيد بقوة العموى ما ذكرته المصادر السابقة عند ريارته
لإقليم حوارزم عام «١٢١٩/٨٦١٦م» حيث قال : «فما رأيت ولاية لسط
أعمر منها على ما هي عليه من رداءة أرضها وكونها مبخة كثيرة الدور

(١) ابن رسته : الاعلاق النخبة ، بيروت ، ١٨٩٦م ، المجلد السابع ، ص ٩٨ ، أبو
إسحاق إبراهيم بن محمد القاسي الأسطخري : المسالك والممالك ، بيروت ،
١٩٣٧م ، ص ٢٥٣-٢٥٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، الطبعة الثانية ،
بيروت ، ١٩٣٨م ، ص ٤٧٧ ؛ أبو عبد الله محمد بن إدريس : نزهة المشتاق في
أخبار الألق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت. ، المجلد الثاني ،
ص ٦٩٧ ؛ القفطندي : صبح الأضي في مداعة الأنسا ، نسخة مصورة عن
الطبعة الأميرية ، د.ت. ، ج ٤ ، ص ٤٥٢ ؛ القزويني : قتل البلاد وأخبار العباد
، بيروت ، ١٢٣٨/١٩٦٠م ، ص ٤٨٨ ؛ محمد بن عبد السلام الحميري :
أفروغ المطار في خير الأسفار ، مجمع جغرافي ، مؤسسة ناصر للثقافة ،
الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م ، ص ٢٢٤ ؛ جرجي زيدان : تاريخ الفتن الإسلامية ،
مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩٠٢م ، ج ٢ ، ص ٤٦ ، دقرة للملوك الإسلامية ،
ج ٩ ، ص ٢.

(٢) ابن رسته : المصدر السابق ، ص ٢٢٤ ؛ الأسطخري : المصدر السابق ،
ص ٢٥٣-٢٥٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٧٧ ؛ الإدريسي :
المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٧ ؛ القفطندي : المصدر السابق ، ج ٤ ،
ص ٤٥٢ ؛ القزويني : المصدر السابق ، ص ٤٨٨ ؛ الحميري : المصدر
السابق ، ص ٢٢٤.

(٣) المقسي . المصدر السابق ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٦.

متصلة العمارة متقاربة للقرى كثيرة البيوت المفردة والقصور في
صحارها قل ما يقع نظرك في رسائيقها على موضع لا عمارة فيها مع
كثرة الشجر بها^(١).

٢. عواسم إقليم خوارزم.

■ مدينة كاش.

تسمى باللغة الخوارزمية «الحلظ في الصحراء» من غير أن يحيط
به شيء^(٢). وإن كان يقصد من ذلك شدة حصانتها. وهي مازالت
موجودة حيث أطلالها الآن هي مدينة تعرف باسم شيخ عباس ولى (وإن
كان حصنها الحديث للبناء لا يشمل إلا ريع القلعة القديمة بها ، إلى جانب
منارة وبقايا سور قديم)^(٣).

وهناك اختلاف في تحديد موقع مدينة كاش ، وربما كانت منبلة
بيل القديمة ، أو مدينة المنصورة (الموجود بها قصر خوارزم شاه) والتي
ظهرت لي أواخر المصور الوسطي ، وهي التي أطلق عليها الاسم
الخوارزمي «كاش»^(٤).

(١) بالقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٢٨٢.

(٢) بالقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٢٢٢.

(٣) في لستريج : بندان المملكة الشرقية ، نقلة للعربية - بشير هرسيس وكسر كيس
عرد : مؤسسة الرسطة ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٥٨ م ، ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، بيروت
: تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، نقله عن الروسية صلاح
الدين عثمان هاشم : قسم التراث العربي ، الكويت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ،
ص ٢٥١.

(٤) المقدسي . المصدر السابق ، ص ٢٨٧ : شهاب الدين أبو عبيد الله بالقوت بن عبيد الله
الحموي ، المعترك وضحا والمفرق صقعا ، مكتبة المقيس ، بغداد ، دت ،
ص ٤٠٤ : شمس الدين أبو عبيد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري «شيخ التريوة»
، حبة الدهر في عجائب البحر والبحر ، بطربروخ ، ١٢٨١ هـ / ١٨٦٥ م ،
ص ٢٢٣ : مؤكداً «أن المنصورة مصرها ثم أفتت بعدها أجزاكية».

عمارة مدينة كاث :

وهي القصبة الأولى لخوارزم ودا ب تركستان^(١) . ولقد صارت في نظامها العمراني على النظم الإيراني القديم ، وكذلك معظم مدن خوارزم وما وراء النهر ، نظرا لوقوع أغلب تلك المدن تحت تبعية الإمبراطورية الفارسية في إيران ، تتمثل تلك العناصر المعمارية في الشهر مثل «المدينة» كاث ، القهندر^(٢) . «القلعة» وهي أحصنها ، وكما ذكر البيروني أن «الفير» قلعة على طرف مدينة خوارزم مبنية من الطين اللبن مكونة من ثلاثة حصون فوق بعضها متوالية في الطول وفوقها قصور خوارزم شاه^(٣) .

وعلى ظهر القهندر كان المسجد الجامع والحسين ودار الإمارة (التي كانت قلعة على نهر جردور أحد أفرع نهر جيحون) ، وموقعها (على جانبي النهر وطوله نحو ميل) ، وربضها^(٤) .

(١) مؤلف مجهول : حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، القاهرة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ص ٩٤ .

(٢) القهندر : وهو تحريف قهندر ، ومناه قلعة القنمية (كهن : نطنج الخليل ، در : أي قلعة) ، وهو اسم جنس لكل حصن في وسط المدينة ، وقد أن يخلو بلد من بلدان درس من قهندر ، الجواليقي : المغرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شلكر : دار الكتب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ، ص ٣١٥ ، حاشية ١ : يقول الصولي : المصدر السابق ، ص ٣٦٢ .

(٣) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني - الآثار الباقية عن القرون الخالية ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٢٣م ، ص ٣٥ .

(٤) الربض : وهي تلك التضاحية تقع بين المدينة القديمة والحقل الذي يربى في عهد المسلمين ولا تستعمل المصنفات الفارسية كلمة للدلالة على هذه التضاحية إلا بكلمة العربية لربض ، دقراء المعارف الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٤٠٢ .

وبين مدينة كاث ومدينة خيوه مرحلة (أي سعة فراسخ وثلاث فرسخ) وكذلك القرية الحديثة «بيكوت» وعلى الرغم من كونها من أقدم المدن إلا أنها تعتر إلى النضافة ، كما توصف بأنها أقدم من أريديل سي أريديجان ، نظرا لعادات أهلها السيقة ، وهي تغوطهم في الشوارع.

ولقد بقي نهر جيجون على مدينة كاث فلم يتبق منها شيء. وابتدى الناس مدينة جديدة إلى الشرق من المدينة الأولى وعلى مسافة من جيجون لحمايتها من غارات قبائله.

وفي ختام المائة الرابعة الهجرية نقلت مكانتها ومركزها كعاصمة لخورازم ، فصارت مدينة ليس لها شأن^(١). لتحل محلها كالعاصمة الثانية ، وكان ملكها من ملوك الأطراف ويدعى «خورازم شاه»^(٢).

■ مدينة الهجوجانية (أركنج) :

تقع على الجانب الغربي لنهر جيجون (أي الجانب الفارسي) ، أما الجانب الشرقي والذي كانت تقع عليه مدينة كاث فيطلق عليه «الجانب التركي»^(٣). وهي الآن مدينة أركنج^(٤). على بعد مسافة قليلة من المدينة القديمة.

(١) الإسطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٠٠-٣٠١ ، محمد علي حيدر : السجلات الإسلامية في الشرق ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص ١٨٤.

(٢) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٤.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٧٨ ؛ شيخ الربوة - المصدر السابق ، ص ٢٢٥ ؛ الفتقندي - صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٥٤ ؛ دقيرة للمصنف الإسلامية ، ج ٩ ، ص ٣ ، على الثاني : الألب الفارسي في العصر العربي ، تونس ، ١٩٦٥م ، ص ٥٧ ؛ كى لسترنج - المرجع السابق ، ص ٤٩٠.

(٤) أبو سعيد عبد الجبار بن الضحاك بن ماصود التكريزي : زيل الأخبار ، ترجمة عبد السيد وديان : الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص ٢٦٢ ، حاشية ١ ، كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٨٩.

وهي مدينة عظيمة مشهورة من أهمات المدن الجامعة لجميع
الحيرات ، ولقد دلت مكانتها بعد فقدان العاصمة الأولى كاث لمكانتها كمنجر
ومعبر للتواصل الأثري من بلاد الفز ، فحلت الجرجانية محلها^(١).

وترى على ما سبق انتقال أهل خوارزم لها فبنوا بها المساكن
والدور وبنوها وعلى بعد عشرة أميال منها مدينة كركانج الصغرى^(٢)
حيث تقع على مسافة فرسخ من نهر جيحون ، وهو أهم موضع عليه.

ولم تشر المصادر إلى التخطيط المعماري لذلك المدينة وإن كانت
بعض المؤشرات تشير - وبصورة واضحة - إلى وجود تلك العناصر
المعمارية المسافة للذكر والتي من المرجح أن يكون فيضان نهر جيحون
لضي عليها.

وقد وصفها المقدسي بأنها «قضية ناحية خراسان على جيحون
حيث أن الماء يمس جوانبها ، واحتلوا في رده بالخشب والحطب وهي
في كل يوم في زيادة» ، وأضاف كذلك بأن للبلد أربعة أبواب ومن
أبنيتها قصر بناء المأمون على باب العجاج «وإن كان لم يوضح من هو
المأمون» ، ولهذا القصر باب ليس بجميع خراسان أعجب منه ، ومن
بعده بنى ابنه قصراً مولجها للآخر وأمامه ميدان^(٣).

ولقد وصف ياقوت المدينة بأن لها أربعة أبواب وإن كانت لا
توجد معلومات عنها بسبب فيضان نهر جيحون ، ولقد ذكر تلك القنوات
التي تصل إليها والتي أقيمت من أجل تغذية مخاطر نهر جيحون ، وإن
كانت لم تدخل في المدينة لضيق مساحتها^(٤).

(١) كي لستريج : بئدال الخلافة الشرقية ، ص ٤٩١.

(٢) كركانج الصغرى : تقع على بعد ثلاثة فراسخ من القضية «الجرجانوس» ومن
المرجح أن تكون خوارزم الجديدة قد اختير لها موضع هذه القضية ، ثم مر على
م صارت خوارزم هي قضية الإقليم التي حمل اسمها وتلك في القرن ١٤هـ
بارتوك : المرجع السابق ، ص ٢٥٢ ، كي لستريج : المرجع السابق ، ص ٤٩٢

(٣) المقدسي : المصدر السابق - ص ٢٨٨ ، ياقوت : المرجع السابق ، ص ٢٥٢

(٤) ياقوت : المرجع السابق ، ص ٢٥٢.

وهي تقع على طرف نهر كبير يتفرع من نهر جيحون ، ويأخذ منه من جهة الغرب ، وتجري فيه السفن^(١).

وتحدث ابن فضلان عن مدينة الجرجانية ذكراً يردّها الفسبد لوقوعها في أقصى الشمال ، وكذلك إحاطتها بالمفاوز مؤكداً أنه إذا أراد أحدهم إكرام شخص قال له : «تعال إلي نتحدث فإن عتدي نارا طيبه»

ولقد تغلبوا على ذلك بتوفر الحطب لديهم ورخص ثمنه ، وكذلك رتدّتهم أكثر من نوع من الثياب الثقيلة ، مثل القروطس^(٢) . الخفان^(٣) . اليوستين واللبادة^(٤) . والبرنس^(٥) . والسرلويل^(٦) . واللاس والقلانس ، وكانت بيوتهم في جوف بعضها البعض لاقاء حدة هذا الطقس^(٧).

■ مدن بلاد خوارزم :

لقد ذكر الإصطخرى مدن خوارزم دون فصلاتها ، وهم درغان ، هزاراسب ، خوه ، خشمين ، لونغشمين ، سافروز ، نوزور ، كزدرين ، خواس ، كرد ، قرية براتكين ، مذهنيه ، مرداجقن^(٨).

(١) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٢٠.

(٢) القروطس : تعريب لكلمة «كرته» وتصغيرها فربطس ، وهو قميص أو معطف قصير يصل إلى منتصف الجسم ، ابن منظور : لسان العرب ، دار صائر بيروت ، ١٣٧٥هـ / ١٩٦٥م ، المجلد المائث ، ص ٢٢٢ .

R.P.A. Dozy : dictionnaire detaille des noms des vetements, Amsterdam, 1845, p.2-3.

(٣) الخفان : القفطس أو الخفكيت ، هو صدرية تحت الثياب .

R.P.A Dozy : Op.cit., p.29.

(٤) اللبادة : بنس من اللباد وقاية من البرد ، Ibid, p.29.

(٥) البرنس : وهو معطف طويل له قنطرة ملتصقة به ويسمى الرأس ، Ibid,

(٦) السرلويل : لباس يستر النصف الأعلى من الجسم ، Ibid, p.29.

(٧) ابن صلال : رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والحرر والروس والصغالية ، حققها وعلق عليها وقدم لها سمي الدمل ، دار صائر ، بيروت ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م ، ص ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٧.

(٨) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ : ابن حوقل : المصدر السابق

ص ٤٧٨ : شيخ الريد : المصدر السابق ، ص ٢٢٢.

أما المتنسي فقد قسمها حسب موقعها على المجزئ الأعلى للنهر
جيحون وهي :

أولاً ، المدن الواقعة على الجهة الشرقية للنهر وهي : غورمار وأنجان
أرنخيو ، وتوكفاغ ، وكردر ، ومزدلخكان ، وخشير ، وسنور ،
وكرودوح ، وقرية براتكين ، ومتمينيه ، ذلكرا إلى مسائل المدن
للإيطانية عامرة ومحصنة.

ثانياً : المدن الواقعة على الجهة الغربية للنهر ، وهي : نوروار ،
وزمشير ، وروزد ، وزارمتد ، ونسكا خانز ، وخاس ، وحشميش
ومدائن ، وخيو ، كردانخاس ، وهزاراسب ، وجكربند ،
وجاز ، ودرغان ، وجيت ، والمرجانية الصغرى ، وسنور ،
وكاردار ، وأندريستان^(١).

أولاً ، المدن الواقعة على الجانب الشرقي فنهر جيحون .

١ - توكفاغ :

مدينة حصنة قرب المغارة ، وسط الأنهار المتشعبة من نهر
جيحون وتعود بالنفع على بلاد خوارزم^(٢).

٢ - أرنخيو «خيو» :

مدينة في أول المغارة ، واسعة ، مقلمة على إحدى الشعاب
المتفرعة من نهر جيحون وموقعها تحت جبل ، بها حصن بواب واحد
وجامع^(٣).

(١) المتنسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ،
ص ٤٩٥

(٣) المتنسي : لمن التلخيص في معرفة الأقاليم ، ص ٢٨٨ ؛ الإبريسي : برمه
المفتاح في اختراق الآفاق ، المجلد الثاني ، ص ٧٠٠ ؛ بلوتود : بركنان من
البحر العربي حتى الجزء المصري ، ص ٢٥٨ ؛ كى سترونج : المرجع السابق ،
ص ٤٩٢.

قال عنها ياقوت الحموي : «أقرب بلدة من تواجي بلاد خوارزم ، وحسن في الوقت نفسه» ، وهو ما ذكرته المصادر السابقة ، ولقد أضاف المسافات بينها وما حولها من المدن التابعة لبلاد خوارزم حينها وبين أبحر بريد «أي أربعة فراسخ» وبين سافردرز خمسة عشر ميلاً وذلك في القرن ١٣/٨٧م ، ولقد أطلق عليها أهل خوارزم اسم «صيرة» وهو الاسم الحالي لمدينة خوارزم^(١).

٣ - إيفان :

مدينة تتضح من وصف المؤرخين لها كونها مدينة عسكرية ، وذلك لأن بها حصناً وخندقاً ، ووجود حولها «عردات» على أبوابها ، وهي على بعد مرحلة من الشمال ، ولقد أيد بارنولد المقضي فيما ذكره ، وإن اختلف معه - فقط - في كونه اعتبرها «قرية»^(٢) ، وعلى نسبتها كانت شردمان وإن كانت الإضافة في وجود خندق معتمدة رمية سهم ، ولها بهان^(٣).

٤ - كورد :

مدينة أكبر من نوكفاغ وأحصن ، ولها نهر خاص يستمد مياهه من أسكن مدينة خوارزم على بعد أربعة فراسخ ، أي (١٢ ميلاً) من أربعة مواضع ويصبح نهراً بعدما ، ويذكر أن مجرى نهر جيحون القديم كان في تلك المواضع ، ولعلهم على ذلك أنه إن قل الماء في جيحون نقل الماء في هذا الفرع^(٤).

(١) ياقوت الحموي : المرجع السابق ، المجلد الثاني ، ص ٢٢٥.

(٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ ؛ المقضي : المصدر السابق ، ص ٣٨٨

بارنولد : المرجع السابق ص ٢٥٨ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٥٩

(٣) المقضي : المصدر السابق ، ص ٣٨٨ ؛ فصلل جيد المتار الحديثي أربع خراسان المشهورة ، جامعة البصرة ، وزارة التعليم والبحث العلمي ، ١٩٩٠م ، ص ٣٠٦

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٢ ؛ المقضي : المصدر السابق ، ص ٢٨٨.

واختلف معهم بلقوت الصوري وجعلها ناحية من نواحي خوارزم أو ما يجاورها من نواحي الترك ، وأشار إلى وجود قوى بها ، وإلى أن أهلها «أناس لا يتكلمون باللسان الخوارزمي ولا التركي»^(١). وإن كان من الواجب أن نصنع قى الاعتبار الفترة الزمنية ، والتي من الجائز أن يكون قد تطور وضع تلك المدينة وتحولها من كونها مدينة إلى ناحية كبيرة تشمل أكثر من مدينة وقرية.

٥ - مزارهكان «مزمخقان» :

وهي رستاق^(٢). يقع بين نهر كردر وجيخون بخلاء الجرجانية^(٣). بينها وبين نهر كردر فرسخان ، ورصفها المقدسي بأنها رستاق ومدينة كبيرة بها ألفا عشر ألف حصن وريض ، وهي تقارب الجرجانية في المساحة وهي أكبر المدن الهوسية^(٤).

٦ - سبور :

تقع على حافة نهر جيخون ، ومن خلال وصفها المعماري يتضح كونها مدينة مكتملة العناصر المعمارية فلها حصن وريض ، وكذلك الجامع في وسط البلد داخل الحصن ، وهي الآن أطلال مدينة سدفر «Sadver»^(٥).

(١) بلقوت العموي : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، ص ٤٥٠.

(٢) رستاق : فارسي معرب عن رزاق أو رزاق ، ولقد ذكر في بلاد الفرس أنهم يسمون بالرستاق ، موضع فيه مزارع وقرى ، حيث لا يقال ذلك على المدن الكبيرة ، وبغداد ، فهو هذا الفرس يملأه السواد عند أهل بغداد ، وهي لخص من الكورة والامستان : الجواليقي : المصدر السابق ، ص ٢٠١ ، حاشية ٤ ، ص ١٢٢ ، حاشية ١ : بلقوت الصوري : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٣٧.

(٣) الإسطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٠٢ : ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٠.

(٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٨.

(٥) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٨ : برفتواد : المرجع السابق ، ص ٢٤٨.

٧ - مدميتية :

مجاورة لمدينة كيت «جيت» دخل أعمارة بحوالي فرسخ في الجانب الشمالي الشرقي ، بينها وبين نهر جيحون أربعة فراسخ أي «أثنا عشر ميلا» ولقد تحول نهر جيحون من نهر كندر فقطع ما بين كيت ومدميتية لذا صارت من الجرجانية ولا يوجد على الشاطئ بحدها عمارة تذكر^(١).

٨ - براتكين :

اعتبرها العديد من المؤرخين قرية وفي الوقت نفسه وضعوها ضمن المدن الواقعة على الضفة اليسرى لنهر جيحون.

أما المقدسي فأعتبرها مدينة كبيرة في مغارة بالقرب من جبل لم يحدد اسمه تحمل منه الحجارة لاستخدامها في أخراض عديدة ، بنياتها من الطين اللبن ولها سوق عامر ، أما الإصطخري فجعلها ثغرا من الثغور الهامة وهي قلعة السكان^(٢).

٩ - غردمان :

تقع على بعد مرحلة ن مدينة كاند^(٣).

(١) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٣٠٢ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٠ ؛ الإدريسي - المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٨ ؛ ياقوت : مرجع السابق ، ص ٢٦٠.

(٢) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢-٣ ، المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٨٧ ؛ مؤلف مجهول : حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، ص ٩٥ .
(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ ؛ كي استرنج : مرجع سابق ، ص ٤٦٦.

ثانياً المكان الواقعة على الضفة الغربية لنهر جيحون .

١ - الطاهرية :

ومن الملاحظ على الجانب الغربي لنهر جيحون امتداد العمارات عليه من حد مدينة الطاهرية حتى مدينة هزاراسب ، وسبب ذلك بهر جيحون ودوره في عمران تلك المناطق ، وتعتبر أولى المدن في تلك الساحة على جيحون ، وهي ظاهرة الحصن ، وتحتوي على كثير من المزارع والخيرات^(١).

٢ - درغان :

من أكبر المدن بعد مدينة الجرجانية ، بها مسجد جامع على شط نهر جيحون لا مثيل له في المنطقة بأجمعها ، مزينه ومقوشة بالحجارة للكرامة والذهب ، وهي الآن لطلال مدينة درغان «Daeghanste».

وصفها ياقوت الحموي عام «٥٦٦هـ/١٢١٩م» بأنها «مدينة على شاطئ جيحون ، وهي أول حدود خوارزم من ناحية أعلى نهر جيحون على طريق مرو ، تقع على جرف عال ، وهي على سن الجبل وبناحية البر منها رمال ، بينها وبين جيحون ميلان»^(٢).

٣ - ارغندميان

مدينة كبيرة كثيرة الخيرات وفرة لأهلها ، من أعمال خوارزم ، وهي في حجمها قدر حجم نصيبين ، وإن كانت أهر منها ، بينها وبين الجرجانية مقدار ثلاثة أيام^(٣).

(١) لإسطرعي : المصدر السابق ، ص ٣٠٦ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٢٩ ؛ الإبريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ١٩٦ ؛ ياقوت الحموي : المشترك وضما والمقتروق صفحا ، ص ٢٩١ .

(٢) المتنسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٤٥١ ؛ برفتولد : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ .

(٣) ابن صلال : المرجع السابق ، ص ٦٨ ، حاشية ٧ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ١٤١ .

٤- جكريند :

يذكر أنها مثل خيوه على شط نهر جيحون كثيرة الشجر والبساتين ذات مرق عامر إلى جنب وقوع جامعها في وسطه فهي بذلك تمثل موقعا تجاريا هاما^(١).

٥- كرند انكس :

تقع في بداية المفازة «م المفازة» على فرع من الفروع الخارجة من نهر جيحون ، واسعة بالرغم من أنه سكنها ، وبها جامع عامر^(٢).

٦- هزاراسپ :

تسمى بالفارسية «الألف فارس» ولقد ظلت محتفظة بهذا الاسم منذ الفتح الإسلامي حتى يومنا هذا ، وهي في حجمها مثل مدينة خيوه ، وإن كانت أقرب من ضفة نهر جيحون اليسرى من خيوه ذات ، شأن عظيم لها أبواب خشب ، وكذلك خندق.

ولقد وصفها القلقشندي بكونها كلمة حصينة ، رقعة في الإقليم الخامس ، بينها وبين كاث ستة فراسخ ولبيده بالقرت الحموي عام «١٢١٦هـ/١٢١٩م» وأضاف بأنها مدينة جيدة في مولود مائها ، وذلك لإحاطته بها مثل الجزيرة.

ولقد أضاف بوجود طريق واحد على سمرقند قد أنشئ بحيث يصل إليها من نواحي لركنج الجديدة قنطماً تلك السهولة الممتدة من ضفاف نهر جيحون^(٣).

(١) برنولد : تركستان من الفتح العربي حتى الفزو السغولي ، ص ٢٤٨ ، قطمان عبد الستار المنيشي . المرجع السابق ، ص ٢٠٤ ، كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٩٤.

(٢) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجند الثالث : ص ١٤٧ ، بلرنولد . المرجع السابق ، ص ٢٤٨.

(٣) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢٠١ ، ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ ، المقنسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ، الإندريسي : المصدر السابق . المجند الثاني : ص ٦٩٨ ، القلقشندي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٤٥ ، بالقرت الحموي : المصدر السابق ، المجند الرابع ، ص ٤٠٤.

٧- نوز وئر :

مدينة صغيرة ، بها سور ذو أبواب حديد ، وإن كان المقدسي قد ذكر أن (أي المدينة) لها بابان ، وكذلك جسر يرفع كل ليلة لحماية المدينة من هجوم الفرك المجاورين لهم ، بالإضافة إلى حصن وخنق بها ويوجد على الجانب الغربي للمدينة جمام ليس بالإقليم كله مثله ، ووجود جامعها في أسواقها وهو مغلي يكمله ما عدا القليل منه^(١).

٨- زمشتر :

قرية صغيرة بها حصن وخنق وسجن وأبواب محدودة إلى حد ما ، وكانت مثل مثيلتها السابقة بها جسور ترفع كل ليلة للأمن والحماية ، وخاصة أن كل المدن والقرى التي يشقها الأنهار تبني فيها تلك الجسور ، وذلك لربط جانبي المدينة ويوجد جامعها في سوقها ولقد بلغت مكانه عظيمة في القرن «١٢/هـ» فصارت قرية كبيرة من قرى خوارزم^(٢).

٩- جيت «جيت» :

ولقد ذكرها الإصطخرى وابن حوقل والإدريسي تحت لفظ «جيت» وهي من قرى خوارزم ، توجد على بعد خمسة فراسخ من كوجاغ بالقرب من جبل (ثم نشر المصنوع إلى اسمه) والذي وراءه مفازة ، ليس بعدها صارة تذكر ، بها مياه وفيرة وعيون جارفة ، بالرغم من كونها قرية إلا أنها ثغر محصن على حد الفخر ، ومدخل إليهم أيضا^(٣).

(١) المقدسي : الحسن التتلي في معرفة الأقاليم ، ص ٢٨٩.

(٢) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ؛ يارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ ؛ شكرى فيصل : حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٧١/هـ ١٩٥٢م ، ص ٤٥٢.

(٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٢٠٢ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ،

ص ٤٧٩ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ،

المجلد الثاني ، ص ٦٩٧.

وفي الختام - بالنسبة لمدن خوارزم - نذكر أن المدن السابقة الذكر هي التي ذكرت في المصادر الجغرافية ومن الملاحظ على تلك المدن - مع وجود التفاصيل قليلة التي ذكرت - أنه نادراً ما توجد مدينة خالية من الحصون والقلاع والأسوار ، وكذلك الجسور ، وبذلك على مدى تأثير الطبيعة الجغرافية المتمثلة على الأخص في نهر جيحون وخصائصه والمسورة الواجبة وراء إقامة تلك الجسور لحماية الإقليم بشكل عام ، والمدينة بشكل خاص ، وكذلك الأهمية العسكرية لذلك ، وخاصة أن معظم تلك المدن تعتبر مدخلا رئيسياً للأتراك لتقرب موقعهم من بلاد خوارزم مما يستوجب قيام تلك الأسوار والجسور للحماية.

❖ قري: بلاد خوارزم

❖ هارابختنة : وهي قرية على نهر جيحون على بعد ستة فراسخ من نهر كاخوار. جنوب مدينة الطاهرية^(١).

❖ غرنيز ، وكذلك فرينغشان : وهي من قري بلاد خوارزم ، تقع على بعد فرسخين من العاصمة الأولى مدينة كاث^(٢).

❖ سورني : من قري خوارزم على بعد عشرين فرسخاً من ناحية شهرستان.

❖ منقطلاخ : ولقد وزعت ضمن قري خوارزم ، وهي قلعة حصينة ، تقع في آخر حدود بلاد خوارزم ، بين خوارزم المدينة ومقاسين ويدهي الروم قرب البحر الذي يصب فيه نهر جيحون ، وهو بحر طبرستان^(٣).

(١) الإصحري : المصدر السابق ، ص ٣٠١.

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص ٢٥٧.

(٣) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص ٢٧٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٥ ، ص ٢١٥.

❖ **برقان :** من قرى مدينة كلث ، تقع شرقي نهر جيحون على شاطئه ، بينها وبين مدينة الجرجانية يومان ، ولقد خرب معظمها وتحولت إلى مزرعة^(١).

ومن قرى بلاد خولوزم والتي لم تنشر إليها المعاملات بأية معلومات نجد ليش ، وباب ، وتمرتاش ، وروذان ، والسحب^(٢).
ما رواه النهر :

ذلك الاسم الذي أطلقه العرب على المنطقة الواقعة في حوض نهر جيحون «OXUS» أو «Amau - Daria» ، ونهر سيحون «Sir - Daria».

وربما لمعهم الجغرافيين المسلمين لم تكن تلك المنطقة ضمن تركستان ، لأنها يطلق عليها الأساقع العنصرية الأطراف التي تمك بين بلاد لإسلام ومملكة الصين ، حيث يقطنها الترك من الترك والمغول^(٣).
١. موقع ما وراء النهر

يحد من الشرق : فامر والراشت ، وما يجاور الختل من أرض الهند ، ومن الغرب : بلاد الترك الغزية والخرلخية (من حد طراز حتى تنتهي إلى فاراب ويكند وسغد سمرقند وموادي بخارا وخولوزم حتى بحيرتها) ، ومن الشمال : الترك الخرلخية من أقصى بلد فرغانة إلى طراز على خط مستقيم ، ومن الجنوب : نهر جيحون من بدخشان حتى بحيرة خولوزم^(٤).

(١) بلقوت قصوي ، المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص ٢١٥.

(٢) فمصل عبد الستار الحبيشي : أرياع خراسان ، ص ٣٠٩ ، ٣١١.

(٣) انقريسي : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥١٤ ، ذكرنا أن تركستان لم جامع لجميع بلاد الترك وحدها من الإقليم الأول ضارب في الشرق عرسا إلى إقليم السبع ، أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٢ م ، المجلد الأول ، ص ٤٥٨ : يارتولد : المراجع السابق ، ص ٦٤٥.

(٤) الإسطخرى : المسالك والممالك ، ص ٢٨٦ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٥٩ ، بلقوت قصوي - المصدر السابق ، المجلد الخامس ، ص ٤٥ -

٢- كورما وراء النهر:

لقد كان لتقريب السبق الأول في ذلك ، وأتي بهذه الإسطخرى وبين حوقل وغيرهم ، فكانت أولى تلك الكور بخارا ويتصل سائر السعد «الصعد» المنسوب إلى سمرقند وأشروسنة والشاش وفرغانة وكش ونسف والصغتيان وأعمالها الختل ، إلى جنب ما يمتد على نهر جيحون من الترمذ والقوافيل وأخصيك وخوارزم ، فجعل لميجاب إلى الطراز ويلحق إلى الشاش وخجند إلى فرغانة ، واضاف قتلا : «وجمعا ما بين وأشجرد والصغتيان إلى عمل الصغتيان ، وجعلنا الختل بماء وراء النهر ، لأنها ما بين نهرى وخشاب وجرياب ، أما بخارا وكش ونسف فيجوز أن يجمعها كلها إلى السعد ، ولكن فرقناها ليكون أيسر على التفصيل»^(١).

بلاد الصغد :

لقد بدأنا به نظرا لأهميته الجغرافية التي سوف توضحها فيما بعد وقربه من بلاد خوارزم واهتمام شاعات خوارزم فيما بعد بتلك المناطق ، وخاصة بخارا وسمرقند ، ومحاولتهم المستمرة ضمة لمملكتهم ونجاحهم في ذلك ، وإن كنا لن نعرض لكل بلاد الصغد بل سنركز على بعض الكور ومدنها وحواسنها الهامة وسبب تسميته هو نهر الصغد (الصغد) ، حيث نركز عليه قسبنا للصغد : بخارا وسمرقند ، بجانب العديد من الكور والمدن والقرى التابعة له^(٢).

« جرجي ريدان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، قتلا : «قسم ما وراء النهر إلى بلاد الإسلام شمالا شرقيا ، بعدها من الشمال تركستان وبلاد الهند ، ومن الغرب الجوبي خراسان يفصل بينهما نهر جيحون ، ومن الشمال الغربي خوارزم ، ومن الجنوب طخارستان» ، وما هو إلا لفصل واضح لكلام كل من الإسطخرى وابن حوقل وكذلك أبي الفدا : تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص ٤٤٧ ، الذي اضاف قتلا : «لما حدود ما وراء النهر من الشرق والشمال فلم يتضح لي»

(١) اليعقوبي : البلدان ، بيريل ، ١٨٩١م ، ص ٢٩٠ ، ٢٩٢ : الإسطخرى

المصدر السابق ، ص ٢٩٥ ابن حوقل : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

(٢) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٩٢ ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرواتبه

الممالك والممالك ، ص ١٥ : الإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٩٥

موقع بلاد الصفد -

من الشرق : خجند ، ومن الغرب : بخارا ، ومن الشمال : بلاد
جعبانيان وكش ونصف ، ومن الجنوب : بلاد غرجة وطخارستان المنصلة
ببندخشان^(١) وهي من أشهر بقاع خراسان خضرة ، حيث قيل أن جنات
الدين ثلاث وهي : نهر الأبله ، وغوطة دمشق ، وصدف سمرقند^(٢).
■ كورة بخارا^(٣):

أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها^(٤). فهي المركز الديني لبلاد
الصفد^(٥). وإلى الغرب منها أمل لشط ، وهي معبرها من خراسان ،
بينها وبين جيحون يومان.

(١) شيخ الربوة : خجند النهر في عجايب التبر والبحر ، ص ١٧٨.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٢٩٢.

(٣) بخار : صيغة تركية للكلمة السغديكية وعاز جهاز ، من الصومعة (الدير)
ومنها التوبهار = المعبد الجديد ، وقد ورد لدى لغة الترك لفظ بخارا بمعنى الحكمة
والعلم ، يزيد ذلك خوافهم ، ونسى في لغة السجوس مجمع الحظ ، ولقد ذلك
هذا ملك الجوى : بخارا مشتق من جهازا وبخار ، وهي لغة المغال جمع مع ،
(هو رجل الدين الزرادشتي) ، مجمع العلوم ، ومن خلال ما تقدم يتضح أن
بخارا لم تكن اسم علم لهذا المكان ، لكنها صفة له ، ومن المحتمل أن يكون
للسجوس في ذلك المكان معبد للمعبدة ومجمع لمناقشة الأمور الدينية ، ويؤيد ذلك
معنى كلمة جهاز ومعناه معبد البوذيين ، لمزيد من المعلومات انظر : دائرة
المعارف الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٤٦-٢٦٤ ، هذا ملك الجوى : جهاز كذا ،
دار فراهان للنشر ، القاهرة ، ١٩٩١ م ، ص ٨٦ ، خوافهم : حبيب السير في
أخبار أفراد البشر ، طهران ، ١٣٥٣ هـ ، المجلد الثاني ، ج ١ ، ص ١٧ ، ط ٢ ،
بغداد ، مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، ١٩٦٥ م ، مجلد ١٩ ، ص ٣٧.

(٤) وقد اعتبرها قدامة بن جعفر ، وابن رسته من كور خراسان ، واختلف معهم
الإصطخرى فجعلها من كور ما وراء النهر وصار على توجه كل من التمسحي
ريافرت الحموي والقروبي ، قدامة بن جعفر ، الخراج وصلته الكتابية ، مضيعة
ببريل ، ١٨٨٩ م ، ص ٢٤٢ ، ابن رسته : المصدر السابق ، ص ١٠٥ ،
الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٠٥ ، التمسحي : المصدر السابق ،
ص ٢٦١ ، القروبي الحموي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٣٥٢ ،
القروبي : المصدر السابق ، ص ٥٠٩.

(٥) كى استرج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٠٤.

وقد اختلفت بخارا عن مسرقند في كونها حافظت على تخطيطها المعماري القديم على نسق المدن الإيرانية القديمة كما سبق ووصفنا ولم يكن بمدينة بخارا ولا قهندز ما «ثالثة» الذي على مقربة منها ماء جابر نظر آلا ارتفاعها^(١).

وتميزت بخارا دون سائر مدن ما وراء النهر بالهواء الجفاف المتقلب باستمرار ، ومرجع ذلك قربها من المناطق الجبلية ، وشدة هـ بارد طويـل حيث تتكاثر الثلوج ، وريـحها ممطر ، وصيفها حار جاف ، أما خريفها فيتميز بالاعتدال ، ويتميز صيفها وخريفها بالقصر ويرجع ثقلها إلى الصحاري التي تحيط بها ، حيث صحاري حذررم وصحراء لرشاه من الشرق مما أدى إلى هجرة بعض سكانها إلى السهول والواديـن لسهولة المعيشة هناك. وتتركز منطقتها الخصبة إلى الشرق ، حيث يقع معظمها ، لذا فهي المركز الرئيس للزراعة في صولهي بخارا^(٢).

أهم مدنها :

أولاً : أهم مدنها الواقعة داخل سورها

١- بومجكث :

قسبة بخارا ، ولقد شابهت القسطنطينية في لفـن ومسود الأرض وسعة الأسواق ، وعلى شاذلة دمشق في البنيان وضيق البيوت وكثرة

(١) بارثولـد . تركستان من فتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ١٩٢.

(٢) الإصحاحي - المصدر السابق ، ص ٣١٢ ؛ أبو محمد بن جابر الفريسي ، تاريخ بخاري ، عـة عن القارمية وقـم له وحققه وعلق عليه . أمين عبد الحميد بدوي ، ترجمة : نصر الله ميشـر الطرزي : دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ، ص ٤٦ ، ٩٢ ؛ أبو منصور عبد الملك القشيري النيسابوري بكـة الدهر ، القاهرة ، الطبعـة الأولى ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م ، ج ٤ ، ص ١١٨ . الإريسي - المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٥.

الأصرحة^(١). وهي مدينة على مسافة قصيرة من جنوب نهر السند بإزاءها من الحطب.

ويتضح من خلال المصادر أنها مثل مدينتها قبي عناصرها المعمارية بدليل وجود قلعتين بها : أحدهما داخل المدينة ، وبدلين يطلق على الأول باب القورية «دروازه غوريان» وهو لباب الشرقي «مصدر يطلق عليه باب الجامع المؤذي إلى المسجد الجامع ، ثم الباب الغربي «باب الصحراء» تريستان أو باب السهلة والذي سمي فيما بعد بباب الملايين^(٢). (در حلق فروشان).

يتبع القعة الثانية في الرض خارج المدينة^(٣). ويحيط بها سور سعة لرسخ وبه سبعة أبواب ، وهم : المدينة ، نور ، حضرة ، الحديد ، القهلنر ، أسد ، مهر^(٤). بنى سعد.

٢- طواريس

من أكبر المدن بعد قسبة بخارا السابقة ، مثلها مثل بقية مدن ما وراء النهر في التخطيط المعماري فلها قهنر ومسور عظيم ومسجد جامع^(٥). ولقد ذكرها القرشي «طوايسة» وسميها «أرقود» والاسم مأخوذ من حيوان الطاووس الذي تكثر تربيته بها^(٦).

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٣ ؛ المتنسي : أصل التقسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٨٠ ؛ القفطندي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٢٤

(٢) زيمبوس هامبري : تاريخ بخارى ، ترجمة : أحمد محمود السافلي ، مراجعة وتقديم : يحيى الحشاش ، ص ٣٩.

(٣) الإصطخري : المسالك والممالك : ص ٣٠٦-٣٠٥ ؛ القرشي : المرجع السابق ، ص ١١٦ ؛ بلوتوك : المرجع السابق ، ص ١٩٣.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٨٣ ؛ المعدي : المصدر السابق ، ص ٢٨٠ ؛ القفطندي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٢٤.

(٥) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٣١٣-٣١٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ ؛ الإندريسي : مصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٥.

(٦) القرشي : المرجع السابق ، ص ٢٧.

٣- بمجكث :

تقع شمال مدينة الطولويس على بعد اثني عشر ميلا عامرة
منحصرة لها سور تراقي^(١).

ثانياً أهم مدنها الواقعة خارج سورها

١- بيكند :

تقع على رهوة مرتفعة بها سور حصين ومسجد جامع به محراب
بالع في الزحرفة ، ليس بها وراء النهر محراب لصن رحفة منه ، أما
ص رابطتها فليس في بلدان ما وراء النهر أكثر عددا منها فعددهم ألف
رباط^(٢).

٢- قرمينية

ذكرت لدى ابن الفقيه تحت إسم «كرمانية» واعتبرها من مدن
بلاد الصغد^(٣). بينها وبين الديوسية خمسة فراسخ ، أكبر من مدينة
الطولويس وأكثرها خلقا وكذلك أخصب أرضا ولطف هواء ، تحنوي
على مسجد جامع ومنير وكثير من القرى^(٤).

ومن الطبيعي أن يكون لتلك المدن السابقة الذكر العديد من القرى
ومنها أغزون ، وأفرخش ، وأندق ، وبرلكد ، وبرسخان ، وبرفشخ ،
وخرمئين ، وخزوان ، وزرخش ، وشوغ وغيرها^(٥).

(١) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٣٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ،
ص ٤٨٩ ؛ الإندريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ١٩٥.

(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٠ ، ٣١٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق
، ص ٤٨٩ ؛ الإندريسي : المصدر السابق ، ص ٤٩٥.

(٣) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، بيروت ، ١٣٠٢ هـ / ١٨٩١ م ، ص ٣٢٧ ؛ كى
سترنج : المرجع السابق ، ص ٤٧٦.

(٤) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ٢٦ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ،
ص ٤٩٩ ؛ الإندريسي : مختصر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٦.

(٥) فحطن عبد العتر شحيتي : أرباع خراسان ، ص ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٤٨٧

■ سرقند وأهم مدينتها

تقع جلوب ولدي السفد وهي أكثر منه ارتفاعا فتبعد عن فرغانة ثلاثة وخمسين يرسخا تقريبا وعن أشروسنة ستة وعشرون فرسخا ، فهي منتهي الطرق للتجارية للقفعة من الهند ملوة ببلخ ، ومن إيران مارا بمرور من أرض التتركة ، إلى جانب خصوبة أرضها لوقوعها في وادي السفد وهذا يعتبر المركز السياسي لإقليم السفد^(١). ولقد وصفها اليعقوبي بأنها «مدينة السفد العظمى ، وهي من أجل البلدان ، وأعظمها قدر» ، وهي في بحر التتركة^(٢).

أما الإيراني فقال أنها مدينة لها شوارع ومبان وقصور سامية وفنادق وحمامات وخانات كثيرة^(٣).

صارت في تعطلها المعماري على نسق سابقتها بخارا وهي :
الشهر ستان «المدينة» ، حيث بلغت مساحتها نحو ألفي جريب^(٤). القهندل ، دار الإمارة التي ظلت مقرا للأمراء حتى عهد إسماعيل الساماني وبقيت بعد ذلك إلى بخارا^(٥). ثم المسجد الجامع أسفل القهندز بيه وبينها عريض

(١) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ٢٩-٣٠ ، قدامة بن جابر : الخراج وصنعه للكتابة ، ص ٤٩٢ : الإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٦ ، ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٩٢ : يارثوك : المرجع السابق ، ص ١٧٠ ، محمد علي عيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٣.

(٢) اليعقوبي : قبلان ، ص ٢٩٢.

(٣) لإيراني : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٧.

(٤) الجريب ١٠ فمئة ثلاثة آلاف وستمئة فراع مكسورة : القانوني الأحكام القبطانية والولايات الدينية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ١٩٤.

(٥) إيراني : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٨ ، كي استرنج : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ ، يارثوك : المرجع السابق ، ص ١٧١ ، ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص ٢٤٧-٢٤٨ ، محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٣.

الشارع بناؤها من الطين والخشب يحيط بها حندق بنى على منطقة عالية من الأرض ويجذب إليها الماء من الجنوب على باب كش ، وهو نهر بنى له قنطرة عالية على الأرض في بعض المواضع تطوعا^(١). ثم الريص اندي تبلغ مساحته حوالي مئة آلاف جريب ، تتركز فيه لمواقعها وبه السور الخامس بالقرب من إلى جانب سور المنونة الأصلية نفسها ، ومشر بهم في الريص هو رأس الطلاق ، وهو نهر جاهلي وسط السوق ، وهو أعمر موضع بمرقد^(٢).

مدن سمرقند ورماتيقها :

ولقد قسمها الإسطخرى إلى قسمين : الأول ، يقع جنوب وادي السغد ، ويشتمل على (ورغسر ، ومايمرغ ، وسنجر قش ، والسرخم ، رينجيكث ، وجهل اسودار ، وأبقي) ، والأخر شمال وادي السغد ، ويشتمل على : (باركث ، ويورغد ، ويزامان ، وكبونجيكث ، وذار ، والمزبان)^(٣).

(١) ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ ، الإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٢١٧ ، المقسي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ، الأرمسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٧-٤٩٨ ، بلزولد : المرجع السابق ، ص ١٧٦ ، بقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص ٢٤٨.

(٢) ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ ، الإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٨-٣١٩ ، ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ ، المقسي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٣) لإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٠-٣٢٣ ، المقسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٦ ، حيث ذكر الرساقف نفسها التي ذكرها الإسطخرى مع اختلاف بسيط في الرساقف الجنوبية فبدلاً من أيسر ذكرت «لور» ولم يشر إلى جبال اسودار.

■ الكشائية^(١):

بلدة بتولجي سمرقند شمال وادي السغد ، بينها وبين سمرقند اثنا عشر فرسخا وهي قلب مدن الصغد^(٢) ، وكبرها عمرانا بعد سمرقند^(٣) .

هي ومدينتها إشتيخن مقارنتان في الكبر ، ولكن قصبتها أكبر وأعر وقراها أكثر ، لما أهلها فهم ليسر وأجل وأظهر من جميع مدن الصغد^(٤) .

■ إشتيخن^(٥):

مدينة جليلة ذات حصون ورساتيق ، امتازت بلباساتين وفقرى والضباع^(٦) .

وتصل إشتيخن والكشائية وحدة إدارية تامة بذلتها إلى الشمال الغربي من سمرقند فتبعد عن سمرقند مسعة فراسخ ومن الكشائية إلى إشتيخن مرحلة بعدها من الشمال جبال ساغرج^(٧) .

(١) اعتبرها ابن خردادبة ومن اتبعه سمن سمرقند حيث قال : «سمرقند لهاثر ولها من المدن القنوسية ، وأربين ، وكشائية ، وإشتيخن ، وكشن ، وفسف ، وظجده» ؛ المصدر السابق ، ص ٢٦ ؛ ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ، ٣٢٧ ؛ أما الإصطخرى والمقمني فقد جملاها من مدن الصغد جنوب الوادي الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٦ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٠-٥٠١ ؛ المقنبي . المصدر السابق ، ص ٢٦٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٩ .

(٢) لإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٦ ، ٣٢٢ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠١ ؛ ياقوت : المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٤١١ .

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٠ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٦١ .

(٥) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٩٤ ؛ وثكرها تحت اسم «إشتاخنج»

(٦) ابن خردادبة : المسالك والممالك ، ص ٣٢٢ ؛ الإدريسي : قره المشانق في احراق الآفاق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٩ .

(٧) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٧٢ ؛ بلونولد : المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

■ اشروسنة

بلدة كبيرة تقع في ما وراء النهر وهي من بلاد الهبطلية بين
سجهر وسمرقند ، بينها وبين سمرقند ستة وعشرون فرسخاً^(١) ، يحدها
من الشرق : بعض فرسخة وقلمر ، ومن الغرب : حدود خراسان ، ومن
الشمال : قشاش ، ومن الجنوب : بعض حدود كتر والقصفانيان وشومان
وواشجرد والراشت^(٢) . وأرض إقليم اشروسنة عبارة عن سهول وجبال لا
يتحلقها أنهار كبيرة^(٣) . ولي كان للإصطخري رأي آخر مختلف حيث قال
قال : أن هناك نهراً كبيراً يجري في المدينة الداخلة^(٤) .
بونوكش .

قصبه اشروسنة ومدينتها الكبرى ، تلك التي يسكنها القولاة^(٥) .
وهي تتميز مثل مثقتها من مدن ما وراء النهر على التخطيط المعماري
الإيراني حيث «الشهرستان» المدينة دلطها مدينة أخرى ، بناؤها من
الحلير وسقوفها من الخشب^(٦) . وبها كذلك التهنز والمسجد الجامع الذي
تقدم فيه حلقات العلم وربصها الواسع الذي يحيط به السور الكبير الذي
يبلغ قطره نحو فرسخ ، وبه أربعة أبواب ، وهم باب زامين ، وباب
مرسندة ، وباب نوجكت ، وباب كلهباد^(٧) .

(١) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢٢٥ ؛ القنيسي : المرجع السابق ،
ص ٢٦١ .

(٢) لإصطخري : نفسه ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٤ ؛ أحمد طبلة الله
: المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

(٣) كي استريج : بلدان فاعلة شرقية ، ص ٥١٧ ؛ محمد علي حيدر : فتوحات
الإسلامية في المشرق ، ص ١٨٦ .

(٤) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ،
ص ٥٠٥ .

(٥) الإصطخري - المصدر السابق ، ص ٢٢٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ،
المجلد الأول ، ص ٥٠٤ .

(٦) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٢٢٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد
الأول ، ص ٥٠٤ .

(٧) لإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢٢٦-٢٢٧ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق
، ص ٥٠٤ ؛ القنيسي : المصدر السابق ، ص ٢٧٧ ؛ الإدريسي : المصدر -

واهم مدنها

أوسيانيكوت^(١) - ديزك^(٢) - زامين^(٣) - ساباند^(٤).

كش ، ونسف

كش^(٥).

من من ما وراء النهر ، تبلغ مساحتها مقدار ثلث هرمسج أي
«مير» وبصفت مول « بلوفا من الطين والخشب^(٦)».

ويتمس تخطيطها المساري مدينة داخلية ذات أبواب خشب
مصنعة بالحديد ، وكذلك القنطرة ، والحصن والمسجد الجامع ، أم دار
الإمارة فهي خارج المدينة في مكان يسمى القسلي ولها ربضان تتركز
لهم معظم الأسواق وهي مدينة خصبة تتضح بها الفواكه أسرع من أي
مكان آخر بمدن ما وراء النهر ، وبها مياه جارية ومساكن ومع ذلك فهي
وبلة.

وبجانب المدينة الداخلية هناك كذلك المدينة الخارجية ولها بابان
(باب المدينة الداخلية ، وباب يركتان ، وهو منسوب إلى قرية^(٧)).

= السابق ، ص ٥٠٤ ؛ الفهردي : المصدر السابق ، ص ٦٠ ؛ بلرتولد ، المرجع
السابق ، ص ٢٨٠.

(١) المقدمي : المصدر السابق ، ص ٢٦٥ ؛ الإبريسي : المصدر السابق ، ص ٥٠٤.

(٢) الإمطري : المصدر السابق ، ص ٢٢٧ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ،
ص ٥٠٤.

(٣) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ٢٧ ؛ الإمطري - المصدر السابق ،
ص ٢٢٧ ؛ بلرتولد : المرجع السابق ، ص ٢٨٠.

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤١٥ ؛ المقدمي : المصدر السابق ، ص ٢٧٧.

(٥) أحيانا تكتب «كن» وهي شهر مشير الحافية ، وينطقها الأهالي شرمشير ، ابن
خرداذبة - المصدر السابق ، ص ٢٦ ؛ قدومه بن جهمر : المصدر السابق ،
ص ٢٤٢ ؛ الفيحوي : المصدر السابق ، ص ٢٩٠ ؛ ابن الفقيه - المصدر السابق
ص ٣٢٥ ؛ الإمطري : المصدر السابق ، ص ٢٢٢ ؛ بلرتولد : المرجع
السابق ، ص ٢٢٨.

(٦) الإمطري : المسلك والملك ، ص ٢٧٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ،
ص ٥٠١ ؛ المقدمي : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ ؛ الإبريسي : المصدر السابق
ص ٥٠٠ ؛ بلرتولد : المرجع السابق ، ص ٢٢٨.

(٧) الإمطري - المصدر السابق ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ؛ ابن حوقل - المصدر السابق
ص ٥٠٥ ؛ المقدمي : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ ؛ الإبريسي : المصدر
السابق ، المسلك الأول ، ص ٥٠٠ ؛ بلرتولد : المرجع السابق ، ص ٢٢٨.

ومن رسائيقها : رستاق كش ، ويوزماجر ، وحرار ، حرارود ،
ومنكورة الدلخلة ، ومنكورة الخارجة ، وما يمرغ ، ومسيام أو سدم ،
وحرودة ، وكشك وأوعان^(١).
سفا^(٢). «نغشيب»

من مدن ما وراء النهر تقع ما بين نهر جيحون وسمرقند بينهما
وبين جيحون مغارة لا جبل بها وبينها وبين سمرقند ثلاث مراحل.
وبها ربحن وقهنتز وسور له أربعة أبواب وفي وسطها تقع دار
الإمارة والحرس والمسجد الجامع وهو يقع على شاطئ النهر الذي يشارق
ويجري وسط المدينة في مكان يعرف برأس القطرة^(٣).
رسائيق مدينة سفا :

ومنها يزده : على بعد ستة فراسخ من سفا^(٤). وكسبة (حيث
المسالة بينها وبين سفا حوالي ثلثي عشر ميلاً)^(٥). وبها الحديد من المدن
المدن ، وعلى الرغم من عدم كتابة الماء بها طوال العام وذلك لانقطاع
مياه نهر كشكاندريا إلى جانب عدم وجود ماء جار بها ، لذا فقد اعتمدت
على مياه الآبار ، وإن كانت تعتمد في معظم الأحيان على الطريقة

(١) هو الاسم الذي أطلقه العرب ، والاسم السليبي بنغشيب ، الفصوي : المصدر
السابق ، ص ٢٩٠ ؛ ابن الفقيه . المصدر السابق ، ص ٢٦٧ ؛ وهي حالياً
«قرش» ولم تتخذ المدينة اسمها إلا في القرن «١٤/١٥م» عندما بنى الشان
عليك من آل جغتاي قسراً على مسافة قرصين ونصف من المدينة وهي تسمى
بلغة المنول قسر ، بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٤٠.

(٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٢ ، بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٤١ ؛
ياقوت الحموي . المصدر السابق ، السجل الرابع ، ص ٧٨١

(٣) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ ابن حوقل . المصدر السابق ،
ص ٥٠٢ ، بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٤٠.

(٤) الإصطخرى : نفسه ؛ ابن حوقل : نفسه ؛ الفصوي : المصدر السابق ، ص ٢٨٣
ص ٢٨٣ ؛ الإندريسي : المصدر السابق ، السجل الأول ، ص ٥٠٠ ؛ بارتولد
المرجع السابق ، ص ٢٤٠.

(٥) الإصطخرى : نفسه ؛ ابن حوقل : نفسه ؛ الإندريسي : نفسه.

الجوية ، وبالرغم من تنوع موارد المياه بها إلا أنها تمتعت بالسعة والحسب في جميع ذواحيها^(١).

■ كورة العقل والعش

وهي أول كورة على جيحون فيما وراء الفهر ، وهما الاثنان مجموعتان في واحد ، يقعان في الريض بين نهري جريان ووحشاب^(٢)
العقل «عقلان» وعقلان^(٣) :

وهي البقاع الجبلية العظيمة في تلك المنطقة التي يؤلفها نهر وحشاب مع جيحون^(٤) ، مدينتها العظمى هي «وشجر» ، والتي تحتوي على ما يقارب من سبعمائة حصن ، ويقع جامعها في وسط المدينة ، وبها مستقر السلطان ، بناؤها من الطين^(٥). مشربهم من نهر عذبيي وهي أصغر من الصغانيان المجاورة لها^(٦). وأشهر مدنها أندروجراغ (ومن المحتمل أن تكون في موضع قلعة ومر الحالية)^(٧). ومذك : التي تقع شمال شمال هلبك وشرق تمليك^(٨). وهي مدينة خصبة ومرجع خصبها إلى أحاطتها بالأنهار وفروعها من جيحون^(٩).

(١) لإسطخرى : نفسه ؛ ابن حوقل : نفسه ؛ الإدريسي : نفسه ؛ بلزولد : المرجع السابق ، ص ٢٨٠.

(٢) لإسطخرى : المسك والملك ، ص ٣٢٥ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٦٧ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، مجلد الأول ، ص ٤٨٧.

(٣) ابن خرداذبة : المسك والملك ، ص ٣٦.

(٤) كى لسترديج : المرجع السابق ، ص ٤٨١.

(٥) لإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٧٩.

(٦) لمقنسي : أصن التقاسيم في معرفة الأقطاب ، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(٧) كى لسترديج : المرجع السابق ، ص ٤٨٢.

(٨) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٨٨.

(٩) لإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٩٧.

الوخش

كورة انصمت إلى الختل في عمل واحد^(١). ومن مديها هلاورد
لواقعة على نهر وخشاب.

■ المصنفات^(٢).

تقع غرب نهر وخش (وخشاب) ، ومن الجنوب نهر جيحون^(٣).
وتتصل تلك الناحية بأرض الترمذ حيث تقوع السطح ما بين السهول
والجبال.

وهي أكبر من مدينة الترمذ ، حيث تشير على نفس نمط المدن
الإيرانية القديمة في تخطيطها المعماري ، وتشمل المدينة ، والبريمس ،
والقنلر ، إلى جانب المسجد الجامع ورسائيقها^(٤).

ولقد تميزت مساكنها وشوارعها بالسعة ، لذا فهي شديدة العمارة ،
كثيرة الخيرات ، ويعتمد أهلها في مشربهم على أنهار تمتد على النهر
الرئيسي ، وهو نهر جيحون وبها ما يقارب من ست عشر ألف قرية^(٥).
ووصفها اليعقوبي بأنها «بلد حليل واسع فيه كور وعدة مدن ومن كورها:
جردان ، ومهاران ، وكلك»^(٦).

(١) الإصحاحي : نفسه ، ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٧٦ ، الإبريسي :
المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٨٧ ، كي لسترج : المرجع السابق ،
ص ٤٨٢.

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٨٨ ، والمصنفان هي مدينة
مرأسيا الحديثة ، ومن المحتمل وجودها في أعالي نهر القشتاني أو نهر زامل
، كي لسترج : المرجع السابق ، ص ٤٨٢.

(٣) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٩٢.

(٤) الإبريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٨٩.

(٥) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ذكر أنها مدينة «طيبة
من بحر جيحون ، عاصمة أهلها صرافون يعلمون الأكسية ، مشربهم من نهر ،
والجامع وسط الأسواق ولهم نهر آخر طرف البلد».

(٦) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٩٧.

من المصغانيان -

ومنها : داررنج : وهي ناحية الجبال ، رحبة ، وكثيرة البساتين ومستكرة : وتقع بين نهرين من شعب جيحون ، وهي كذلك نحو الجبال كثيرة البساتين^(١). والواشجود : والتي اعتبرها الإصطخرى من النواحي الدابعة للمصغانيان ، حيث قيل : أنها متونة نحو الترمذ^(٢). في حين ذكره اليعقوبي سابقا - من مدن الحنل^(٣).

■ التوافيان^(٤):

هي تمثل القسم الشرقي من ناحية المصغانيان ، على أول بهر يلتقي بجيحون غرب وخشاب فوق الترمذ ، أي بينها وبين الحنل^(٥). المياه الجارية :

تقصد بها نهرى جيحون وسيحون ، وما يتكهما من روافد ولهيرات متفرعة منهما ، وإن كما سوف نركز على تلك الروافد الدابعة من نهر جيحون وتفيد بلاد خوارزم. وترجع أهمية تلك الأنهار في هذه المنطقة إلى ندرة الأمطار بها ، وخاصة أنه لا توجد سوى مدينة واحدة قد اعتمدت في زراعتها على الأمطار ، والباقي اعتمدوا على الأنهار ولوى الصداعى والبحون والآبار الدابعة من جبال المنطقة القليلة.

(١) ناصر حسرو علوى : سفر نامة ، ترجمة : يحيى الخشاب ، مصدر عبد الوهاب

غزالي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢م ، ص ١٥٨.

(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٩٧-٢٩٨.

(٣) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٩٢.

(٤) ذكرت في المصدر الجغرافية بأسماء متعددة ، منها : قبايل ، التوافيان ،

والتوافيان ، اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ : الإصطخرى - المصدر

سابق ، ص ٢٩٥ ، قمصني : المصدر السابق ، ص ٢٩٠ : كسى لسريج

المرجع السابق ، ص ٤٨٢.

(٥) كى استرنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٨٢.

١. نهر جيحون أمودريا «Amou - Daria»^(١):

يعد نهر جيحون الحد الفاصل بين تلك الأقوام الناطقة بالفارسية الأخرى الناطقة بالتركية أي الإيرانيين والتورانيين ، وهذا لا يعنى كونه حداً جغرافياً ولا إدارياً فهي شمالة أقليم أطلق عليها العرب اسم الهياطنة الذين كانوا في المائة الخامسة للميلاد أعداء للنوثة الميسانية ، وإن كان العرب لم يتفقوا في استعمال اسم الهياطنة «الهياطنة» وإنما أطلقوا اسم التورانيين على كل شعوب ما وراء النهر^(٢).

ولقد تعدت الآراء حول منبع نهر جيحون ، وإن كان هذا التعدد والاختلاف مجرد اختلاف لفظي ، أما المضمون فهو واحد حيث ينبعث من بحيرة الثبث القصوى (مقدار عرضها وطولها أربعون ميلاً) تجتمع

(١) جيحون : وهو بالفارسية (به رود) ، وقد أطلق العرب في العصور الوسطى على نهرى : أوكسس «Oxus» ، وجكزركس «Jaxartes» ، اسمى جيحون وسوحيون ، وهما كنجة والفرات ومدى حسب ما يروي من أنوار كنجة ، وبهذا المعوض أصول هذه الأسماء فيبدو أن العرب قد فهموها من اليهود ، فهم لم يكونوا يسمون سورخان لاسمى النهرين المذكورين في سفر التكوين (٢ ، ١١ ، ١٣) جيحون (كبحر) (Aihon) ، هيشون (بيسور) (Pison) وفي أواخر العصور الوسطى كان يطلق استعمال هذين الاسمين ، وظهر نهر أوكسس أمودريا (الموية) ، أما (جكزركس) فعرف بصيرديا ولفظ لمو (الموية) غير معروف) ، ومن المحتمل تسميته إلى المدينة من المدن التي تقع على حافة النهر ، وهي آتن (مدينة غربي جيحون ومنجدة إلى ما وراء النهر) ، ومن أسمائه كذلك نهر بلخ ، وهي مدينة تقع على بعد بضعة أميال من ضفته الجنوبية والميثل لما وراء النهر ، ثم اسم أكسس فقد أطلقت قبائل عليه : ابن خردادبة - المصدر السابق ، ص: ١٧٣ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص: ٤٤٤ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص: ٩٤ ؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العلمية ، دت ، المجلد الأول ، ص: ٢٧ ، كسى لسيرج للمرجع السابق ، ص: ٤٧٧-٤٧٨.

(٢) ابن النعجة : مختصر كتب البلدان ، ص: ٣١٤ ؛ كسى لسيرج المرجع السابق ، ص: ٤٧٦.

من أنهار لوخش والختل ، ويمر من خلالها بينخضان حيث عموده الأول
وهو نهر جريلب^(١).

ويجري من الشرق إلى الغرب إلى أعلى حدود بلخ ، وبعدما
يسقط إلى ناحية لشمال فيصير إلى الترمذ ما ايزم متجها إلى «أمل»
من بلاد حراسن حتى يصل إلى بلاد خوارزم فيشوق قصبتها ثم يتجاوزها
ويتشعب منه أنهار وخليج دلت اليمين واليسار ، ثم يخرج منها مياه
تصير عموداً واحداً يجري مقدار عشرين فرساقاً حتى يصب في بحر
آرال (بحيرة خوارزم) ، ومقدار جريه من مبعثه حتى انتهاء مائة وثلاثة
وثلث فرساق^(٢)، ويطلق على ساحلة بالفارسية «الروندار»^(٣).

لما أترافد الثاني لنهر جيحون (نهر وختاب) وهو المعروف الآن
بنهر سرخان (نهر الأحمر)^(٤)، متبعه من بلاد الترك التركمانية ، فيسير
إلى بلاد فامو والراشت ، ويمر بين جبلين فيما بين وأشجود ورسناق من

(١) ابن خردادبة : المسالك والممالك، ص ١٧٢ . ابن رسته : الاعلاق الفسفية ،
ص ٩١ ، المسعودي . التنبيه والإشراف ، ص ٥٦ ، شيخ الرتبة : المصدر
السابق ، ص ٩٤ ، كي سترنج : المرجع السابق ، ص ٤٧٨.

(٢) ابن خردادبة : المصدر السابق ، ص ١٧٢ ، ذكر أن «يجري النهر حتى
خوارزم ثم قال حتى يصب إلى بحيرة كرن» ، الطبري : المصدر السابق ،
ص ٢٨٩ ، «حدث جعل مخرج هذا النهر من جبل قينيل» ، المسعودي :
المصدر السابق ، ص ٥٩ ، الإبرسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ،
ص ٤٨١ ، شيخ الرتبة : المصدر السابق ، ص ٩٤ ، الحميري : المصدر السابق ،
ص ١٨٥ ، أحمد بن علي بن عمر بن صالح بن أحمد بن سليمان ابن إبراهيم
إسحاق بن يوسف بن إبراهيم قطربلي الأصل القمي المولد الفتح الأوسي
في شرح تاريخ أبي نصر الفمسي ، «تمت» ، ج ١ ، ص ١٩٣ ،
١٧١-١٧٢.

(٣) الرنديار : معناه بالفارسية (موضع النهر) وقد نقل الحموي عن السمعاني أنها
نقطة لموضع عند الأنهار الكبيرة في بلاد متفرقة ، قال رنديار بلخ ، ثم قال
وبالنسبة لبلخ قرية لها رنديار من وراء نهر جيحون ، ولقوت قصوي معجم
البدان ، المجلد الثاني : ص ٧٧ ، التويري : المصدر السابق ، المجلد الأول ،
ص ٢٧١ ، حاشية ١.

(٤) كي سترنج . المرجع السابق ، ص ٤٧٩.

أرض الحقل يسمى تمليات ، ويستمر في جريته حتى آخر أرض الحقل ،
ويصبح بعدها في جيحون عند موضع يعرف بجبله فوق الترمذ^(١).

وبعد انعطاف جيحون حول بذخشان واتجاهه إلى الغرب يستقبل
في ضيقه اليمنى نهري الطليقان وقتنز من طخارستان وأطلق عليها ابن
رسته نهري ختلاب وونداب (نهر ضرغام) وبعد تكلمة معسيرة في
الصغانيون تصب فيه عدة أنهار من جبال البتم وسنام وبهام وخاور تسمى
(كروذ وبهام روذ وخاور روذ)^(٢). وهي أنهار من الصغانيين
والقراذليين^(٣).

ويطلق عليها ابن رسته نهر زامل في ضيقه الشمالية على آخر
حدود الصغانيي ، ويصب في جيحون فوق الترمذ ويطلق على نهر
وخشاب حيث تلك الجبال بين زامل ووخشاب القراذليين ، ويستكمل
مسيرته أعلى حدود بلخ^(٤) حتى خوارزم ، وما أن يسير جيحون في
مجرى الأعلى نجد عمارة تلك النهر في جوبه أكثر من شماله حتى ينتهي
إلى قرية غاربخشة (جنوب الطاهرية لول من خوارزم بعد ستة فراسخ

(١) ابن رسته : صورة الأرض ، ص ٩٢-٩٣ : الإصطخري : المصدر السابق ،
ص ٢٧٩ : ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٥٩ ، ٤٧٥ : المسعودي :
المصدر السابق ، ص ٥٦ : الإثريسي : نزهة المشتاق ، المجلد الأول ،
ص ١٨٢ : بارثولد : المرجع السابق ، ص ١٥٣.

(٢) ابن رسته : المصدر السابق ، ص ٩٣ : كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٧٩ ،
بارثولد : المصدر السابق ، ص ١٥٥ ، حيث يعلق على كلام ابن رسته قائلا :
يذكر ابن رسته أسماء كمروذ ، نهام روذ ، غارو روذ ، بلخا روذ كالمهماس
وأنها تتبع من جبال سنام وبهام (ناري نهام من جبال حصن روهور من
مرتفعات البتم ، والواقع أن هذه الأنهار الثلاثة المعروفة الآن باسم قراباغ -
بريلر طوبلوك - وتترك ذريا ليست سوى المجرى الأعلى لنهر مرخاب)

(٣) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢٩٤ : ابن حوقل : المصدر السابق ،
ص ٤٧٥ : الإثريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٨٢ : كي لسترنج
المرجع السابق ، ص ٤٧٩.

(٤) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ٩٣.

من نهر كاوخواره) ، وقبل بلوغه هذا النهر بحوالي ثلاثة فراسخ يقطع جبحون جبل في وسطه قطعاً يضيق النهر حتى يصبح عرضه ثلاثة أقدام ويطلق على ذلك الموضع «أبو قشة» وهو موضع يخلف على اليسار منه طراً أمتدة جريته وخطورته عند مخرجه^(١).

الأنهار التابعة لبلاخ خوارزم

لما عاى الأنهار المنفرعة من المجرى الرئيسي لنهر جبحون والتي تستمد منها مدن خوارزم ، منها :

١- أنهار الجانب الشرقي من جبحون :

أ - نهر كاوخواره «أكل البقر» :

وهو أول الأنهار العظيمة فيها يستمد مياهه من ضفة جبحون اليمنى في موضع بلزاء درغان عرضه خمسة اذرع (أي خمسة عشر شبراً ، حيث الفراع الواحد ثلاثة أشرار) وعرضه نحو ثمانين ، صالح للملاحة ، يجرى شمالاً يوسقي كثيراً من المزارع ، ويبنه وبين المجرى الرئيسي للنهر بقع رستاق كث ، والذي تبعد عنه تلك المدينة نحو اثنا عشر فرسخاً^(٢).

ب - نهر كرية :

وهو مما يلي مخرج نهر كاوخواره بحوالي خمسة فراسخ ، فيكون بداية هذا النهر ، حيث يمر بعض الرستاق ، ومن الملاحظ على مدن الجانب الشرقي من جبحون قلتها ، فيبين الواحد والأخرى نحو مضافة يوم في الرستاق جنوب كاش^(٣).

(١) الإصحري المصدر السليق ، ص ٢٠١ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٧٨ ؛ الإدريسي : المصدر السليق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٧ ؛ بريدل - المرجع السابق ، ص ٣٠٤.

(٢) بارتوك : المرجع السابق ، ص ٢٥٠.

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ ؛ بارتوك : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ ؛

كي شرنج : المرجع السابق ، ص ٩٥ ؛ ٩٦

٢ أنهار الجنب الغربي لنهر جيحون في بلاد خوارزم :

حيث تبدأ لكثافة بعد مدينة هزاراسب وإن كانت الظاهرية كما سبق وذكرنا - هي أول مدن بلاد خوارزم على شط نهر جيحون إلى هزاراسب ، وذلك المسافة لشية ما تكون معومة ، والسبب وراء ذلك هي المقار والمصحاء ، وكذلك صديق مجرى النهر ، ولذي ما يلبث أن يعود مرة ثانية لمجره حتى يتمع عند مدينة هزاراسب نحو مرحلة إلى مقابل مدينة ، ويصوب مرة ثانية حتى يصير بالجرجانية نحو فرسخين حتى ينهي إلى قرية كيت (جيت) التي تقع على بعد خمسة فراسخ من كركنج ولا توجد بعدها عبارة بل جبل ومفلوز^(١).

أ - نهر هزاراسب :

وعلى ضفته مدينة هزاراسب ، ويطلق على هذا النهر لفظ قنرات حيث أصله من نهر جيحون ، والسبب وراء ذلك هو تقادى فوضان هذا النهر وتغير مجراه من آن لآخر ، ويترسب على ذلك خراب معظم مدن ضفائه مثما حدث لمدينة كاث ، ومن قبلها المنصورة وقلعتها «طيل» وميده من نهر جيحون نحو آمل ، وهو نصف كلوخورده ، ويحمل السفن نحو فرسخين ويعنى ذلك صلاحيته للتش فيه بالمرائب والجمال ، وذلك عند تجده في فصل الشتاء ويسمى هذا النهر رساتيق مدينة هزاراسب.

ب - نهر كردران خولش :

يقع على بعد فرسخين شمال هزاراسب وأصل مياهه من نهر جيحون ويمر على مدينة تحمل اسمه ، وإن كان كما سبق وذكرنا من قبل أن الأنهار هي التي تحمل أسماء المدن والسكن وذلك نظرا لثمتها. وموقع تلك المدينة «وهي خولش» في بصفت الطريق بسين هزاراسب وحيدوه ، حولها خندق ولها أبواب من الحشب وهو أكبر من نهر هزاراسب.

(١) إير حوق : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ : بلاتولد : المرجع السابق ، ص ٢٥٢

ج - نهر خبوه :

يقع شمال سائفة وهو أكبر منه ، تجري فيه تلك السفن الكبيرة من تلك المدينة التي تحمل الاسم نفسه.

د - نهر منرا :

أو (ننري) كما ذكر الإنديسي ، ومن قبل بن حوقل وهو ينسب إلى المدينة ، وهي مدينة حصة عامرة ذات سوق وسور ، ونهرها صعب لير كاوخولوه ، وتجرى فيه السفن إليها ، ويكفي المدينة من مياهها وما يجاورها ، والمسافة بينه وبين النهر السابق عليه نحو ميل.

هـ - نهر جردور :

من الطبيعي أن يكون موضع هذا النهر مع نهار الضفة الشرقية لنهر جيحون ، حيث توجد عليه مدينة كانت العاصمة الأولى لإقليم خوارزم ولكن لأن أغلبية مياهه من الضفة نهر جيحون الغربية ، وليس من جنوب المدينة من ضفتها الشرقية لذا صنف ضمن نهار الجانب الغربي لنهر جيحون.

و - نهر وذلك الكبير «وداك أو ودان» :

يحمل السفن إلى مدينة الجرجانية لتصبية الثانية لإقليم خوارزم ومخرجة على نحو ميل من نهر منرا ، وتجد المسافة بين وذلك وخوارزم حوالي عشرين.

ز - نهر بوه «بويه» :

ومخرج هذا النهر من جبل في بداية العفلة ، يقع أسفل على مقربة من درغاس حيث يجتمع كل من ماء نهري بوه ووداك في الشمال الغربي على حد قرية تعرف بأندرستان وهي على نحو مرحلة يوم من جنوب الجرجانية ، وحيث تجري فيه السفن إلى الجرجانية ، وهو اصغر من سائفة. وبالقرب من الجرجانية يوجد سكر يجمع ويعوق سير السفن ، ومن مجمع مياه هؤلاء إلى الجرجانية حوالي مرحلة ، وبين نهر

كاوحوارء والمدينة حوالي اثني عشر فرسخاً وعرض نهر خوارزم على أربعة فراسخ من أربعة مواضع ، فيصير نهراً ولحداً مثل يوم ووداك إذ اجتمعوا ، هذا ويقال أن جيحون كان مجراه في هذا الموضع حيث بدأ من قل ماء نهر جيحون يقل ثماء في هذا النهر^(١) . وإذا ما انحدر هذا النهر من مدينة الجرجانية فتشعبت منه أنهار وفجوس ذات اليمسين واليسار فصارت منها بطائح وأجام ومروج أسفل مدينة خوارزم نحو أربعة فراسخ ، ثم يمر مستقبلاً من خوارزم فيما بين الجرجانية والمزدخكان ، للأولى في غربية والثانية في شرقية ، حيث الأولى أسفل من المزدخكان بحوالي أربعة وعشرين فرسخاً.

وفي المزدخكان حيث شاطئتها الشرقي توجد قرية «هوزن» ثم فرى أخرى مجاورة لها ، وما أن ينحدر من هذا الموضع حتى تتشعب منه شعبة ذات اليسار ويمضي إلى موضع يسمى «ورغده» أسفل الجرجانية بأربعة فراسخ تقريباً ، ثم إلى قرية «تار بهن» فتسير منه إلى أسفل القرية بطائح كثيرة تسمى خلجان وهو موضع لاصطياد الأسماك المجنوبة من خوارزم إلى بقية النواحي ، ثم تتجه إلى بحيرة خوارزم (بحر آرال)^(٢).

(١) الإسطخرى : الممالك والممالك ، ص ٣٠١-٣٠٣ ، ابن حوقل : المصدر السابق ص ٤٨٠ ، ٤٨٩ ، الإندوسى : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٧-٦٩٨ ، يارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ ، ٢٠٤ ، كى لسترنج ، المرجع السابق ، ص ٤٩٦.

(٢) ابن رسته : المصدر السابق ، ص ٩١-٩٢ ، الإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٠٤ ، ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨١ ، المسعودى : التتبع والإشراف ، ص ٥٧-٥٨ ، مطهر بن طاهر القمى : الفقه والتاريخ ، على شرف وترجمته من العربية إلى الفارسية : كلمان هوار : طهران ، ٩٦٢ م ، ج ١ ، ص ٥٩ ، شيخ فرية : نخبة النهر في عجائب البحر والبحر ، ص ٩١ ، الحصري : الروص المصطل في خير الأقطار ، ص ١٨٥.

ويتضح مما سبق أن طول مجرى نهر جيحون من مبعده إلى مصبه في بحيرة خوارزم نحو أربعمائة فرسخ وقيل أكثر وفي مواضع أخرى قيل أقل^(١).

سلاحيات نهر جيحون -

كان البلديون الأولون يعنون تجمد نهر جيحون في الشتاء من الجانب ، حيث يتم ذلك في الجزء الأعلى منه (أي عند منطقة خوارزم) ويرجع ذلك إلى قسوة الطقس وشدة البرودة التي تنصف بها المنطقة ، وخاصة كلما اقتربنا من الشمال ، وتتقلب مدة تجمده من شهرين إلى خمسة أشهر ، ويبلغ سمكه ما يقارب من خمسة أقدام ، لدرجة أن أهل خوارزم كانوا يحفرون بالمعاول أبراً في النهر ويمشون منه كما يمشون من البئر ، وكانوا يخزنون المزيد منه في أنجارات لحين الحاجة إلى ذلك ، كذلك يستغلونه في ثقلاتهم وذلك كما ذكر ابن فضلان ، ومن بعده ابن بطوطة ، فكانوا يجعلون الخيول والبغال والحمير تجتاز عليه وكأنه طريق ثابت^(٢).

وعلى الرغم من تجمده طوال تلك الفترة إلا أنه صاحب الفصل الأعظم على تلك المناطق ، وذلك يتضح من تركيز معظم الرساتيق المشهورة بالمحاصيل الزراعية في الجانب الغربي من نهر جيحون ، والأنهار المتفرعة منه والتي من أهميتها أن كان لكل من تلك المدن نهر

(١) المصنوع : المصدر السابق ، ص ٥٨ ؛ شيخ القروية : المصدر السابق ، ص ٩٤ ، (روى كل قد احتلفه في تقدير مقدار جريان نهر جيحون من مبعده إلى مصبه بحر في ثلاثمائة ومئتين فرسافاً).

(٢) باقرت الصوي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ١٩٧ ؛ كسي لصنبرج : المرجع السابق ، ص ٤٨٧ ؛ ابن فضلان : المرجع السابق ، ص ٨٢ ، قال (أن سمك جلود نهر جيحون حوالي سبعة عشر شبراً ، ويجمد من أوله إلى آخره) ؛ ابن بطوطة - تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار - (طبعة ابن بطوطة) ، ص ٣٧٥.

حاص بها ، وكلن لذلك دور رافع في تلك الإقليم المتطرف المحاص بالمعاور في كل مكان.

لما عن مجراه الأدنى فكان صلاحا لسير السفن والملاحة^(١) ، وخاصة لوجود مدينتي بلخ ومرو فهما بمثابة المنخل لما وراء النهر مدينة بخارا وأسواقها ويقص إلى طولحين وضياح ولقائم يكون في مجمع مار يجاور بيكند بالقرب من قرير ويسمى «سالم خولس» ، أو «سالم خولش»^(٢).

ونظراً لارتفاع المدينة فلا يوجد بها ولا بقلعتها ماء جار كما سبق ووضحنا ، لذا فاعتمدتم الأول على نهر الصفد الذي ينتهي إلى بحارا ويدخل قصبها من كلاها ، لذا فقد جعلوا له منخلاً واسعاً وأقسم فيه الخشب ، ففي الصيف ومع غزارة المياه يترمون برفع ذلك السد من الخشب الواحدة تلو الأخرى حسب زيادة الماء فيقلب أكثره من المدخل ، ثم يمر إلى بيكند ، ويطلق عليه (أي الفتح الأول) اسم «فتنون» والأخر أسفل المدينة ويسمى «رأس الورع» ثمحصى المدينة من غرق الضبايع والرسائيق^(٣).

ويشعب من هذا النهر في منطقة بخارا أنهار عديدة وهي : نهر تشديزة ، ونهر جويباريكار ، ونهر جوشج ، ونهر بيكند ، ونهر نوكلدة ، ونهر كشته ، ونهر الطاحونة ، ونهر أويكستان ، ونهر رياح ، ونهر زغاركلده^(٤).

(١) كى لسنرج : بلدان الغلطة الشرقية ، ص ٤٨٧.

(٢) الإصطخرى : السالك والمملك ، ص ٣٠٦ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٨٣ ، الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٤ ، هربس كان

لقد اختلف معهم في مكان تجمع الماء وأطلق عليه اسم «سلمجن»

(٣) بارتولد . تركستان من الفتح العربي حتى الحروب الصليبية ، ص ١٩٨.

(٤) لمزيد من المعلومات عن تلك الأنهار انظر : الإصطخرى : المصدر السابق ،

ص ٣٠٠ - ٣٠٦ ، ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٣ - ٤٨٥ ، بارتولد

المراجع السابق ، ص ١٢٩ ، ٢٠٠.

وكذلك ينشعب من عمود نهر الصغد في حد بخارا ولكن خارج قصبته من الحائط الخارجي من ناحية الطولويس إلى أن ينتهي إلى باب المدينة انهار كثيرة متفرقة في القرى والمزارع فتقوم عليها عمارة قرى بحار وهم : نهر ساقرى ، ونهر خرغان رود ، ونهر بنجار جسر ، ونهر بيو كندة ، ونهر فرخشة ، ونهر كشتة ، ونهر قسروار السفلى ، ونهر باروان ، ونهر فروز العليا ، ونهر خرمة ، ونهر تيككن.

والملاحظ على تلك الأنهار كونها متصلة ببعضها البعض ، فعلى سبيل المثال : نجد نهر فولوز السفلى يسقى قرأة حتى ينتهي إلى فاراب ، ونهر باوراف يسقى قرى فاراب حتى ينتهي إلى باب . فتح ، وما يتبقى من الصغد قائم جري في نهر يعرف بالذر ذلك الذي ينشأ ريش بخارا ، ومنه انهار المدينة ، ومعظمها تحمل لسن ، وتكون إلى حد ما صالحة للملاحة.

هذا إلى جانب آثاره الإيجابية في خصوبة الوادي ، إلا أن لها آثاره السلبية المتمثلة في قرب مياه بخارا من التربة فهي مفيض للنهر الصغد ، لذا صارت التربة ضعيفة ، ولا تحمل الأشجار الكبيرة مثل الجوز ، اللب ، بل زرعت الشجيرات الصغيرة عبر المصرة طويلا بها وبالرغم من ذلك فولكه بخارا أصبح واذا فولكه ما وراء النهر كلها^(١).

٢- نهر الصغد .

يعتبر من الأنهار شديدة الأهمية لوائي الصغد بوجه خاص ، ومنبعه من جبال البثم على ظهر الصفانين ، حيث تخرج المياه من صوب تطرد من تلك الجبال وتتجمع في منتقع يسمى ورغسر^(٢) ومن الأنهار التي تتولد في جهة الشرق عند مفارقة ورغسر :

(١) لإسطخرى : المسالك والممالك ، ص ٢٦٠-٢٦٢ ، ابن حوقل : المصدر السابق ص ٤٨٦-٤٨٧.

(٢) لإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٠ : ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ : الإبريسي : المصدر السابق ، المعتمد الأول ، ص ٩٨-٩٩.

١- نهر يلومش : وهو محاذ لنهر يرش من جهة الجنوب ، عليه عمارات وقرى علمرة من أوله إلى آخره ، وهو إلى حد ما صالح للملاحة.

٢- نهر بشيمين : يتشعب منه تيارات عديدة من الصعب إحصاؤها ، تسير تلك التيارات والضيايع من ورغسر إلى آخر رستاق وهو للترغم.

٣- نهر بوزملجن.

٤- نهر تشيخن : ويسقى سبعة وعشرين ميلا « ٢٧ ميلا » حتى ينتهي إلى المدينة التي تحمل اسمه فيحمر رساتيقها وهو من أعظم تلك الأنهار ، ويتشعب أسفله نهر كينجكت الذي يسقى مدينة كينجكت والمرزيان ، وغير ذلك حتى تنتهي إلى لكتانية ويجاوزها إلى حدود حائذ بخارا.

٥- نهر القصارين والسرود : مخرجهما من جبال سيام وهي مسقى مدينة كش ، ويجري الأول جنوب المدينة ، والآخر نسي شمال المدينة.

ويجلب تلك الأنهار أنهار أخرى تسقى منها المدينة ، ومنها نهر خرودة ، ونهر بخشك رود ، على طريق بلخ وهو على بعد فرسخ من المدينة^(١). ويتجمع الفائض من تلك المياه حتى يصل إلى مدينة نيساب^(٢). وفي بعض الأحيان تقطع مياه الأنهار في بعض الفترات على مدار السنة ، لذا يكون اعتمادهم على الآبار حتى عودة مياه الأنهار.

ويذكر الإصطخرى كثرة عدد الأنهار برستاق سمرقند أكثر عند قراها فمن الممكن أن يكون للقرية الواحدة نهران أو ثلاثة ، ويكثر بها لشعاب الأنهار بحسب عدد القنور والقصور والبساتين^(٣). وأخرها بهر الصفد حيث يشق ريمن

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٧٤ ، ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٥٠-١٥١ الإدرسي : نزهة المشتاق في أشراف الأقاليم ، المجلد الأول ، ص ٥٠٠.

(٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠١.

(٣) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ، ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٢.

٢- نهر سيحون (سجدرية)

وهو لقد الفصل بين بلاد ما وراء النهر وبين أتركستان ميممه من تجمع انهار في حدود الترك الخرخية ، وتصير عموداً حتى يظهر في حدود أوزكند من بلاد فرغلة^(١).

ولحقاً بسبب هذا النهر «سجدرية» إلى مدينة أوزكند الواقعة على هذه النهر ، وتفيض معظم مياهه لعدم وجود جسر عليه لحفظ السماء والتحكم في جريانه^(٢).

ويجتمع إليه نهري ن : الأول : نهر خرشاب الذي يعتبره ابن حوقل مصدر الصدرة بين الرواق الكبري للنهر سيحون أو «لورست» ، والثاني : نهر جدغل والذي في امتداده يصل حتى القرية الحديثة ويبلغ ثلث نهر جيحون وعن طريقة تحمل المير إلى القرية الحديثة ، حيث أغلب سكانها مسلمون ، ومن تجار خوارزم على الرغم من كونها موطن ملك الغز واستقراره في فصل الشتاء هي ومنبتا جد وخواره ولكن القرية الحديثة أكبرها حيث المسافة بينها وبين خوارزم عشر مراحل^(٣).

ومن روافده كذلك نهر «رك - جرك - parak» ، كذلك نهر جبرجيتي نه منبعمان : أحدهما يخرج من رستاق جدغل والأخر من جبال بسكم ، وأصل منبعمها من بلد الترك الخرخية ، حيث ينقطع ولدي الشاش منه.

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٩ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص ٩٤ ، «وإن كان الأمر قد اختلف بالنسبة لبدا هذا النهر حتى يصل إلى حدود أوزكند حيث يقول : أن المجرى الأعلى لنهر سيحون هو نهر لورست» ، الواقع في الجزء الجنوبي من فرغانة فاصل مياهه من نهر فرلكجة ونهر تر ، وهما اللذان يتألف منهما نهر فراتريا حيث منبعمها من بلاد الترك ، و«بطلان» - عني قسم من فرغانة الواقع بين نهري فرلكجة ونهر تار باسم مولي رورن (أي ما بين نهريين) وهو تحير يتفق مع التفسير الحالي وهو بالتركية «بوكي صرا» - بارتوك : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١١ ، ص ٣٥٧ ؛ التبريزي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٢٧١.

(٢) بارتوك : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١١ ، ص ٣٥٧.

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ص ٥١١ ؛ الإدريسي - المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٧٠٦ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص ٩٤ ؛ التفهيم ص ٢٩٤ ، ج ٤ ، ص ٤٤٥ ؛ بارتوك : المرجع السابق ، ص ٢٧٠-٢٧١ ، ٢٩٤ ، حيث تحدث عن قرية بتكيت أو القرية الحديثة ، وهي إطلال جنكسف Janent على ثلاثة أميال من قلعة إمارة خيوه المعروفة الآن جلت قمة

وينكر المسعودي أن نهر الشاش «مفيض وجوب لا يستقي بلاد الشاش» وإنما مشربهم من نهر عظيم يعرف بنهر ترك، وهو حاليًا أنكرين، إلى جانب نهر ليلاق فهو أيضًا مشرب وادي الشاش^(١).

ولم يبق من روافد سيحون في الوقت الحالي سوى نهر حرشاب أما بقية الروافد فتصب كلها في القناة المعروفة الآن باسم شاهرا يحان تلك التي تتجلبق القنوات الأخرى التي مدت من قارنريا في القرن ١٩م^(٢).

٤. البحيرات والعيون والآبار بحيرة خوارزم^(٣).

تقع على بعد أربعين فرسخًا من الغرب والشمال، بين دائرة عرض ٤٦° ٤٥' - ٤٣° شمالًا، وخط طول ٧٦° ٧٩' - ٧٥° شرق وهي بحيرة شكلها مثلث، مشهورة ماؤها صالح، يصل طولها إلى مائة فرسخ ومحيطها ثلاثمائة فرسخ^(٤).

(١) ابن خردادبة: المصدر السابق، ص ١٧٨، ويضيف إلى نهر ترك نهر سهاوا، طراب و غيره مما يجري فيه السيل العظيم من الترك إلى الصين، أي من الشرق إلى الغرب؛ المسعودي: التبيين والإتراف، ص ٥٧؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٥٠٩؛ الإدريسي: المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ٧٠٤-٧٠٥؛ بارنولد: المرجع السابق، ص ٢٨٢؛ ذكرارمستق جدل وهو حاليًا جبل Chatkal جبل بكمك هي بكم Pskem.

(٢) بارنولد: المرجع السابق، ص ٢٧١.

(٣) بحر أرال «بحيرة خوارزم»: بحيرة كبيرة غربي للتركستان، المسماة، بلغت مساحتها عام ١٩٤٢م ٦٠,٥٤٨ كم^٢ منها ٢,٢٤٥ كم^٢ جرفت لكسرهم جزيرة «توقسان ألت» نجاء مصب نهر أمودريا وهي بقرسية «ostrowvoztozdenigo» «بحيرة قبعث» ومن قبل كانت تسمى جزيرة نيكولاس لثقت، مساحتها ٢١٦ كم^٢ وجزيرة بارما كلمز «الوصول بلا عود» مساحتها ١٢٣ كم^٢. ولها حدة جولى وجرفت صغيرة، أما مستوى الجزيرة في حصر ما قبل التاريخ فيملو أربعة أمتار من مستوى سطح البحر وكان مستوى الماء في البحيرة في الأرملة التاريخية غير ثابت، وكذلك تغيرات الضغط وخاصة في الشرق والشمال الشرقي غير ثابت؛ شجرة المعاصر الإسلامية، ج ١، ص ٤٧؛ التويري: المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٥٠.

(٤) ابن رسته: الأعلام القديمة، ص ٩٢؛ الإسطخرى: المصدر السابق، ص ٣٠٤؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٤٨١؛ مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص ١١٤؛ الإدريسي: المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ٦٩٩؛ القلقشندي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٦٩؛ التويري: المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٥٠.

يصب فيها نهر جيحون في موضع يسكنه الصيادون حيث لا توجد قرية ولا بناء ، ويطلق عليها خلجان ، ويحلب بها أهل القرية الذين يأتون إلى خولوزم حيث كانت بينهم علاقات قديمة سواء من قرية برانكين أو من الجانب الآخر من الجرجانية ، وبمنطقة الخلجان يوجد العديد من البطلح والمستنقعات الواقعة في مجرى نهر جيحون الأنسي ، حيث يصلح كميات كبيرة من الأسماك حيث تصدر من خولوزم إلى البلاد المجاورة^(١) . ومن هنا جاءت أهمية تلك البحيرة ، والتي استمرت حتى الوقت الحالي ولكن ليس فقط على لصطياد الأسماك ولكن للصناعات القائمة على تلك الأسماك^(٢) .

ومن جهة أخرى يصب فيها نهر سيحون فتجري فيه السفن المحملة بالخير والأمنعة إليها وإلى البلاد الأخرى ، ونجد أن مسافة ما بين مصب نهر جيحون وسحون مسيرة عدة أيام (أي ما يقرب من أربع مراحل) ، إلى جانب استقبالها للأنهار الأخرى ، وإلى كل ذلك لم يغير من درجة ملوحة مياهها^(٣) .

وعلى الشاطئ الشرقي للبحيرة تحيط بها غياض ذات شجر كثيف ملتف لا يمكن لأحد اختراقها وسلوكها إلا في طرق ضيقة وعرة حيث اتخذها الخنازير البرية مسكناً لها^(٤) .

٥- العيون والأبار

نجدها قليلة جداً إذا ما قورنت بمساحتها من المجاري المائية فهي في أماكن متفرقة ، وعلى الرغم من قلتها فهي تمثل أهمية عظيمة في المنطقة التي تتواجد بها .

ففي سمرقند ، وعلى الخصب في رماثيقها الشمالية حيث توجد «بارك» وهي مقامة لأخروسة ، ملوفاً ليس من نهر الصغد ولكن من العيون^(٥) .

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٠ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٦٨٩-٦٩٩ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٣٥١ ؛ ياقوت : المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١ ، ص ٤٥ .

(٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٠٤ ؛ ابن حوقل : معجم الأهرام ، ص ٤٨١ ؛ المسعودي : المصدر السابق ، ص ٥٧ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٩ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد لأو ، ص ٣٥١ .

(٤) ابن رسته : المصدر السابق ، ص ٦٣ ؛ ياقوت : المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

(٥) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٧ .

ولم نزد إشارة عن تلك العيون ولا موضعها ، أما مصدرها فهو
أما العناصر من مياه النهر أو من الأمطار الثقيلة الهطول في تلك المناطق
أيضاً ، كذلك موسمه في أثنى سنة ، وهي على طريق مرغانه إلى المسد
وأيضاً «جيرة» وهي مدينة في سهل بها العديد من الخنادق والرباطات
وملاها ببيع من جيرة^(١) .
مدينة نصف : والتي تعتمد على تلك الأنهار المتجمعة من كشر ،
ولكن وقت انقطاعها تعتمد على الأبار في سقاية بساتينها حتى تعود مياه
النهر إلى جريانه^(٢) .

هذا ما وجد في تلك المنطقة من أنهار وعيون ، ويذكر القلشندي
وجود عين بخوارزم لي جبل يطلق عليه جبل الخير ، وتعرف به العين
أيضاً ، حيث يقصد ما يورى الأمراض المزمنة ، ويقومون فيها سبعة أيام
في كل يوم يقتلون بها بكره وعشبة ، ويشربون منها عقب كل اغتسال
حتى يحدث البرء^(٣) . وفي المفازة التي تحيط بخوارزم وهي من حدود بلخ
حتى بحر خوارزم ، لا توجد بها أنهار وإنما بها أنبار^(٤) .
الجهال

من الصعب تحديد الأماكن التي تنتشر فيها الجبال في بلاد
خوارزم وما وراء النهر ،
الجبال الموجودة على مجرى نهر جيحون الأعلى :

وهي توجد على قبل بلوخه نهر كاوخواره بثلاثة فراسخ تقريب ،
وهو يقطع نهر جيحون وبوسطه في موضع يسمى «أبو قشة» فيضيق
الجبل حتى يمر بخائق فيضيق مجرى النهر ببحر من الثلث^(٥) .
المرتفعات المحيطة بالشمالي الغرب لبحر آرال .

نجد «صياء كوه» أي الجبل الأسود ، وذلك على حد قول ابن
رسته ، ولكن الإسطخرى يطلق عليه «جغراغر» ، ولعل هذا الاسم
يمكن ربطه باسم قبيلة «جغراق» أو «جغراق» التي ورد ذكرها لدى
البيهقي على اعتبار أنها من جيران خوارزم^(٦) .

(١) الإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٥-٣٢٧ .

(٢) الإسطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٢٥ .

(٣) القلشندي : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

(٤) الإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

(٥) الإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٠٤ ، بلرتولد : المرجع السابق ،
ص ٢٤٩ .

(٦) الإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٠٤ ، الإبريسي : المصدر السابق ،
المجلد الثاني ، ص ٨٣٨ ، ويطلق عليه جبل نغراغ ، وإن كان من خلال -

ويتصل به جل القيق مما يلي بحر الخزر ، حيث يسكن غير حلف بلاد الخزر ، مارا ببلاد الغزية متجها إلى الشرق من وراء بحيرة خوارزم ، ويتصل بأرض فرغانة إلى أن يلحق بجبال الصين^(١).

الجبال المحصورة بين نهري جيحون وسيهون في مجراه الأدنى وفيما وراء سمرقند أ - جبال اليتم :

وهي جبال شاهقة منيعة ، تغلب عليها التهمة والخصرة ، بها قرى عامرة بالسكان ، وللبتم جبال تعرف باليتم الأول والأوسط والدارج حيث ماء سمرقند ويخاروا والسغد ، بقية مدن السغد من اليتم الأوسط من مكان يعرف بجن «مجنى» حيث يبلغ نحو ثلاثين فرسخا تقريبا أي حوالي «٩٠ ميلا» ويجري منه أيضا إلى برغر ، وتختلط بماء سمرقند مياه نهر الصندنيان ونهر فرغانة من قرب رأس ماء جن ، ويغلب عليها البرد وبها من المعادن الذهب والفضة والراجل والنوشادر ، الذي حمل منه الكثير من الأماكن والبقاع المختلفة في الأرض^(٢).

ب - جبال الشاوذار «الساوذر» :

على جنوبي سمرقند ، فليس برستاق سمرقند ما هو أصح هواء ولا أجود زراعا ولا أحسن فاكهة منه ، وأهله أصبح أمالي هذه الناحية ، طولها زيادة عن عشرة فراسخ ، وهي من أنزه الجبال وأحسنها وبها عمارة لا تقطع ، وشلاتها منسلة مما يدل على شدة خصبتها.

وبالشاوذار منتجع للتصاري وهم من نصاري العراق ، ويطلق عليه «بوزكرده» ، وتلك الجبال مخرج «طجاج» فيه أنهار جارئة إلى ضياع ، مما يجعلها حسنة ، وتزداد خصبتها وهي فقرها العديد من الصيود المختلفة الأجناس^(٣).

وبالإضافة إلى ما سبق هناك جبال قرية من سمرقند ، بينها وبين تلك مرحلة واحدة ، وعلى مقدار نصف ميل تتصل تلك الجبال بجبال

= استكمال كلامه في موضع آخر وفيهم منه أنه يفرق بين جبل سيكوه وجبل نغرين وما ذكره يطبق على جبال سيكوه.

(١) لإيريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٨٢٩.

(٢) الإصطخري - المصدر السابق ، ص ٣٢٧ ؛ فين حوقل - المصدر السابق ، ص ٤٤٨ ، ٥٠٥ ؛ الإيريسي - المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٦ ؛ بارتوك - المرجع السابق ، ص ٢٨٢ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، - المجلد الأول ، ص ٣٣٥-٣٣٦ ؛ لخم متر : للحصانة الإسلامية في أنكرن الرابع الهجري - نقله العربية : محمد عبد الهادي أبو ريده - القاهرة ، ١٩٤١/٥ ، ج ٧ ، ص ٣٣٢-٣٣٣.

(٣) لإصطخري : المصدر السابق ، ص ٣١٨ ؛ بارتوك : المرجع السابق ، ص ١٧٣.

«كذلك» بمعنى الجبل الصغير وهو حالياً «جويان قلان» يمتد طرفة إلى سور سمرقند ، وهو مقدار نصف ميل في الطول ، ومنه أحجار بلدهم^(١) . كذلك جبل «وروكة» وهو اقرب الجبال إلى بخارا ومنه حجارة بلدهم وأسيبتهم ، وكذلك طين الأوقفي ولا يوجد بعد هذا في بخارا ولا حائطهم من الخارج جبل ولا مقبرة^(٢) .

ج - جبال سيلام «سنام» :

وهي جبال كس ، وكما يذكر بارتولد أن هذا الاسم تحمله الجبال التي تتبع منها قرطاع - دريا مما يرجح أن يكون المراد بها إلما هو القسم الشمالي جميعه لسلسلة جبال الحصار ، وينبع منها نهرا اسرود ، والقصارين حيث يستخرج منهما للكثير من الترنجين ، ولقد كان بتلك الجبال حصن قد اعتصم به المتك^(٣) .

الصغاري

واستكمالاً لوحدة الطبيعة لإقليم خوارزم وما وراء النهر ، نجد الصغاري التي تحيط بإقليم خوارزم ويطلق عليها مفارة^(٤) خوارزم التي تحيطها من الشرق والغرب ، وتسمى كذلك مفارة سيفان الواقعة غربي النهر ، وهي ممتدة في حدود بلخ إلى بحر خوارزم ، تبلغ سعتها مرحلة واحدة ، وسبع مراحل في مكان آخر^(٥) .

ويحيط بتلك المفارة من الشرق حدود مرو حتى يصل إلى جيحون وجنوبها حدود باورد ونما وفرلوة ودهستان ، وتمتد إلى بحر الخزر حتى حدود أمل ، وشمالها يحاذي نهر جيحون وبحر خوارزم وحدود الفسور حتى حد البلغار^(٦) .

(١) الإصطخري - المصدر السابق ، ص ٢١٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

(٢) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

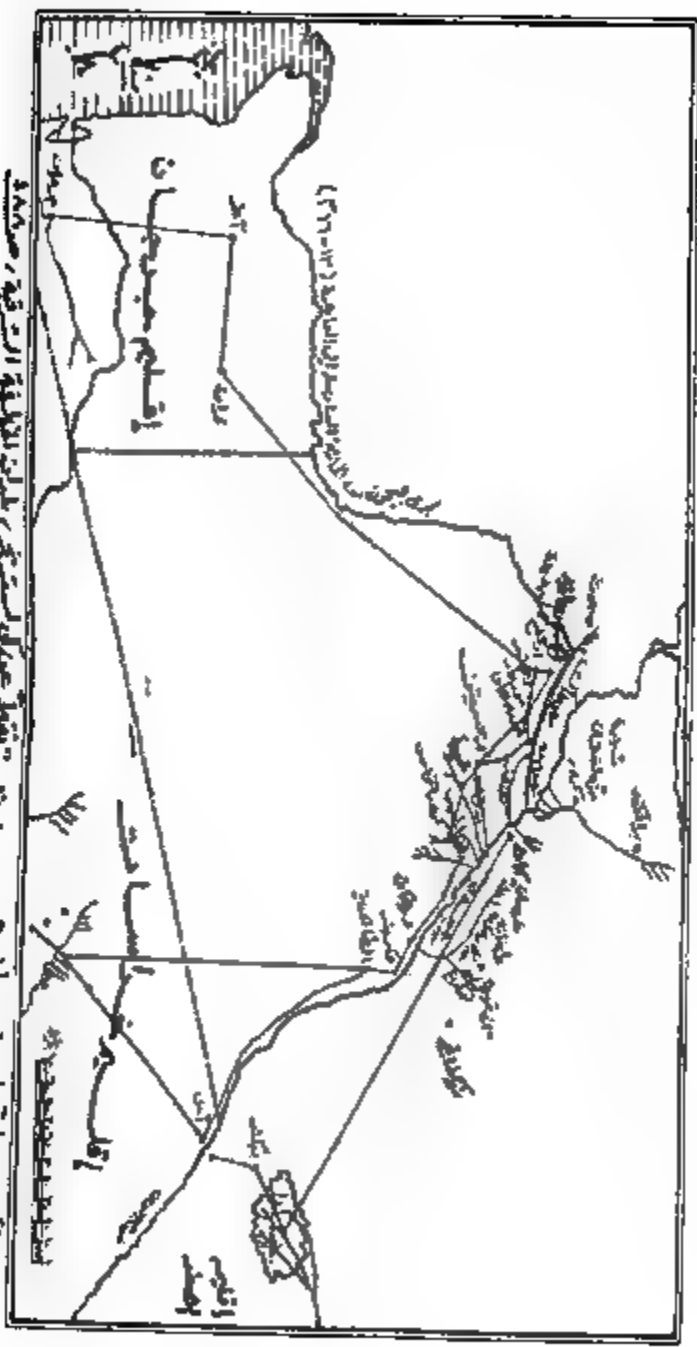
(٣) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٠٠ ، بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(٤) المفارة : أي التيف والقيعاء ، والمفارة أيضاً هي التي لا ماء فيها مع الاستمرار والسمة «أي الصحراء القلابة» ؛ ابن منظور : لسان العرب ، المجلد التاسع ، ص ٢٧٤ .

(٥) الإصطخري : المسالك والممالك ، ص ٢٨٢ ؛ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٤٤-٤٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٥ .

(٦) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٤٦ .

شماره ۱۱) اقلیم خوارزم و مسدوده "نقل عسکری استغنی" بدین الماطة الشریفة، ص ۵۸۸





نقشه رودخانه‌های استان مازندران
 مقیاس: ۱:۱۰۰,۰۰۰

شکل نقشه (۱) مازندران و رودخانه‌های استان مازندران

الفصل الثاني

السكان

محتويات الفصل الثاني

السكان

أولاً : الفرس :

- التفسير اللغوي «الاصطلاحي» للفرس.
- التفسير العرقي.
- موطن الفرس.
- هجرتهم وأصولها.
- سماتهم الاجتماعية وصفاتهم.
- الدول الفارسية القديمة وعلاقتها بولاياتها.
- طبقات الفرس.
- التركيب السكاني لإقليم خوارزم.
- الحياة الدينية عند الفرس.

ثانياً : التتار :

- التعريف اللغوي «الاصطلاحي» للتتار.
- التفسير العرقي.
- الحياة الاجتماعية عند التتار.
- الحياة الدينية عند التتار.
- بلاد التتار.
- القبائل التركية.
- أقدم الشعوب التركية
- أ - لطفارية.
- ب- الهياطلة.

ثالثاً : العرب :

- الوضع السياسي والاجتماعي في إقليم خوارزم.
- الفتوحات العربية في إقليم خوارزم.
- القبائل العربية ومشاركتها في الفتح المنظم لخوارزم.
- المواطن الأصلية لتلك القبائل.
- كيفية إدارة إقليم خوارزم.

الطوائف الأخرى :

- أ - اليهود.
- ب - المسيحية.

الفصل الثاني

المكان

مقدمة

تميزت منطقة دارستان منذ القدم بكونها موطناً للحديد من الأقوال (وهم من الأقدم للأحدث: الفرس ، الترك ، العرب) ومهداً لحضارات كثيرة^(١). وذلك لكونها منطقة عبور في وسط آسيا بين الترك والفرس شرقاً وغرباً والروس والصقالبة : شمالاً والهند جنوباً.

أولاً : الفرس

- التفسير اللغوي «الاسطلاحي» للفرس .

تعددت التسميات التي أطلقت على الفرس وتركزت في لسمين ، وهم الإيرانيون والفرس ، وإلى كان مرجعهم إلى قطر واحد بعد هجرتهم من أواسط آسيا.

فالإيرانيون : مرجعهم إلى إيران^(٢). وهي لفظة منقلبة عن أريان ومفردها آرية ، «تكررت في الفارسية القديمة Ariya ، والسنسكريتية Arya ، وفي الآهستا آريا Ariya»^(٣). لذا أطلق على موطنهم الجديد اسم «إريانا فيجا» أي موطن الآريين والإيرانيين^(٤).

(١) حافظ أحمد حسني : الدولة السلجورية والمنقول ، خرو جنكيزخان للعالم الإسلامي وأثره الاجتماعي والدينية والاقتصادية والثقافية ، ص ١١٧ : عبد السلام عبد الحريز فهمي : تاجيكستان ملصبيها وحاضرها ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٢٠ ، (٢) عبد السلام حسني : الإيرانيون القدماء ، دار الزائد العربي ، القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ١١ .

(٣) محمد حسين بن خلف تيريزي شطرنج بيرهان : برهان فطوح ، طهران ، ١٣٤١ هـ ، المجلد الأول ، ص ٣٣ ، حاشية ١ .

(٤) عبد السلام حسني . المرجع السابق ، ص ١١ ، حاشية (١١) ، ذكرنا ، ورد في «الآهستا كتاب رانشتت المنقش ، الذي وضع في القرن ٧ ق.م ، اسم «إيريانات فيجا» على موطنهم الجديد ، أي موطن الآريين لكون الإيرانيين من الشعب الآري ، ثم تطورت وأصبحت سهله وهي بلاد إيران ، وهناك تصوير آخر يذكر أن إيرانيي الهند من إير وهو البرج لحد أبناء آريين بعد تفجير مملكته على أياله ، ص ١٨ ، نصح القرية ، سجة الدهر في عجائب القير وقبحر ، ص ٢٥٥ . ٢٥٦

لما علماء الفرس فنذكروا أن نصيبهم يرجع إلى كجورموت «جيو مروت» وهو يعنى «حي ناطق مانت» ، ويلقبونه بكشاه ، وتطلى «ملك الطين» أو «ابن الطين»^(١).

ولقد أيد السعودى كل ما سبق ذكره ، أنهم قتلوا فهناك من رعم أنه ابن آدم وكبير أولاده ، وطلقة أخرى تضيق بجانب ما سبق أنه أميم بن أرم بن سام بن نوح وذلك لكونه أول من جاء بفارس من ولد نوح^(٢).

- موطن الفرس .

تحدث ابن صاعد عن موطنهم ، موضحاً حدودهم الرئيسية وما يتضمن ذلك من مدن وأقاليم ذكراً « أن أمه الفرس مسكنها في الوسط المعمور ، فعد بلادهم من الجبال في شمال العراق المتصلة بحقبة حلوان إلى بلاد خراسان كنيسابور ومرو ومرغص وهراة وخوارزم وبلخ وبخارا وسمرقند وفرغانة والفتاش ، وغيرها من بلاد خراسان إلى بلاد تهمستان وكرمان وفارس والأهواز وأصبهان ، وما تصل بها من كل هذه البلاد ، كانت مملكة واحدة لسانها واحد ملكها واحد [لا أنهم يتكلمون لغة شتى يسير من اللغات ...]^(٣).

(١) تاريخ الزبوة : المصدر السابق ، ص ٢٥٦ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٢٧ ؛ القرطبي : المصدر السابق ، ص ٣٤٧ ؛ القلنبدى : صبح الأضنى في صناعة الإنشاء ، ج ٥ ، ص ٤٨١ ، ذكر أنه [أول قبشداية «قوشداية» حيث يطلق على كل ملك قوشداة أي «سيرة العدل»].

(٢) السعودى - مروج الذهب ومناهل الجواهر ، المجلد الأول ، ص ١٨٩ .
(٣) أبو القاسم صاعد بن أحمد سماعة الأندلسي : طبقات الأمم ، (بيروت ، ١٩٩٢م) ، ص ٦٢٥ ؛ محمد عبد المنعم القرطوبى : المسألة الآرية بشأنها وأصولها ، (مجلة كلية الآداب ، القاهرة ، ١٩٢٤م) ، تمجد الثاني ، ج ٢ ، ص ٦٤٩ ، ٢٥١ ، قائلاً : «جلى من الآراء المييزة لهذا الموطن اعتقادهم بأن آسيا هي مهد الجنس البشري نظراً لوجود أقدم اللغات الآرية وهي : (السنسكريتية ، والرمزية) ، التي تتكلمها تلك الشعوب ، لذا لا يد أنها قد وصلت إلى إقليم «هينجالي» أتبه من الشمال الغربي متفرقة إقليم كابل Cabul ، ومن ناحية أخرى - ما كان -

و إلى كل بعد فترة زمنية طويلة ظهر رأي جديد تضارب مع الرأي الأول وهو كوتهم سلكتي أوروبا باعتبار أن السهل الأوروبي هو الموطن الذي نشأ فيه الجنس الآري ، قارضا وقوعه بين خطي عرض ٤٥ ° ٦٠ ' شمالاً ، ومدى ملائمة ذلك لهم ، إلى جانب الطبيعة الجغرافية المساعدة للانتشار من الشرق إلى الغرب^(١).

ولكن ذلك عبد النعيم حسنين ذكرنا «أن أغلب الظن أنهم يفهمون في القول شمال سيبيريا ، وشمال أوروبا ووسطها ، وشمال روسيا وشرقها ، وشمال الهند وأقصى المنطقة الواقعة بين بحيرة أورال ونهر جيحون»^(٢).

— هجراتهم وأصولها —

هجراتهم :

هاجر هؤلاء الآريون^(٣) عام ١٥٠٠ ق.م تقريباً إلى جنوب الهضبة الإيرانية وغربها ، وثلاثها هجرة أخرى من الإيرانيين عام ٩٠٠

— ساد بين أهل الأستة «cavestan» فتذكر أنهم قد جاءوا إلى «مناطقهم من إلبهم الأصلي عند سفوح جبال بلورتاج ومستاج «Bhurtag-Mustag» قبل أن يتفرقوا شعباً ، وكانت الجماعات الهندوأوروبية «Indoe-Iranians» تعيش عيشة رعوية في الإقليم الواقع بين نهر جيحون وجيحون ، عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١١ ، ملاحظة (١).

(١) محمد عبد المنعم الشرقاوي : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ .
(٢) أرمينوس فابري : تاريخ بختاري ، ص ٤٤ ذكرنا هنا بقوله العلامة غاتيكوف من أن مجال الشعب الإيراني هو في الوادي الخصبة بين الهندوكوش وسلسلة جبال بامان وكوه باب مقبول حين نعد مهد للشعب الإيراني حتى المساطق الخصبة بشواطئ كوهك لوزرستان ، عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١١ .

(٣) محمد حسين بن خلف قيريزي : برهان قاطع ، ص ٢٢ ، ذكرنا أنه لم يأت من الهندوأوروبية الذين يعيشون منذ عهد سحيقة مع بعضهم البعض ، ثم انقسمت إلى قسمين : أحدهما ظل في الهند ، والآخر جاء إلى إيران ، ومن المحتمل أن تكون تلك التي نحن بصدد الحديث عنها.

ق.م. ، وعاشوا حياة مستقرة وبعدها أخذوا في حياة البدو والترحال ، حتى أصبحوا قري في إيران وصارت موطناً لهم ، وتحدثوا اللهجة الهندية الأوربية «Indo-European» ولقد لُصقوا على طوائف عدة ، منهم طائفة المينيين ، الفرس ، البارثيين ، الباكثريين «Bactrian» «أهل بلخ والسعديين» ، والسكا والميذين «scythion»^(١). وصارت كل منهم في الانتشار ، وتحديد البقعة المناسبة لها ، وأصبحت الوديان تسمى بأسماء تلك القبائل^(٢). وكان الميديون في الغرب ، والفرس في الولايات الجنوبية الغربية^(٣).

بالإضافة إلى وجود قبائل أتت عن طريق خوارزم إلى بلخ وما حولها واتجهت إلى الإقامة على الحدود الشرقية والشمالية الشرقية لإيران ، وبعدها تم الانتشار في أجزائها المختلفة^(٤).
أسباب هجراتهم .

ازدياد ضغط السكان على الموارد الطبيعية ، ندرة سقوط الأمطار وحدوث الجفاف ، ولقد استمرت تلك الهجرات الواحدة تلو الأخرى حتى أواسط الألف الثاني ق.م^(٥).

(١) دونالد واير : إيران ما قبلها ووحضرها ، ص ٢٦ ، بوكشيمبلسي : بهتراف :

كازانسكي : جغرافية الاتحاد السوفيتي «الطبيعة» ، السكان ، الاقتصاد ،

(موسكو ١٩٧٦م) ، ص ٢٤١ ، ذكروا أن السكان القدماء وعلى الأقل في القسم

الجنوبي من هذه المنطقة كانوا يشكلون فيما مسمى من أقوام وقبائل إيرانية اللغة.

(٢) عبد القاسم حسنين : المرجع السابق ، ص ١١ ، عبد المقصم ماجد : تاريخ

السيفي للدولة العربية ، (ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٠م) ، ج ١ ، ص ١٨٨-١٨٩ ،

طه ندا : أصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١١.

(٣) دونالد واير : المرجع السابق ، ص ٢٦ ؛ عبد القاسم حسنين : المرجع السابق ،

ص ١٢.

(٤) عبد القاسم حسنين : المرجع السابق ، ص ١١.

(٥) عبد المقصم ماجد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٨٩ ؛ طه ندا : المرجع السابق ،

ص ١١ ، محمد عبد المقصم لشراف : المرجع السابق ، ص ٢٨٢.

٢ - سماتهم الجسدية وسماتهم

يتمسكون بطول القامة والعيون الزرقاء والشعر الأصفر ، وجمال الوجه والرأس المستطيلة^(١) . إلى جانب سرعة العدو وقوة الساعد وحدة السمع والبصر ، لقوياء يستنون بالزراعة نظراً لبيئتهم الخصبة وطبيعتهم الجبلية ذات التباين والقوة والبطش والشرف^(٢) .

ثيابهم

يتميز ثيابهم بأنها مفتوحة من الجانبين والإمام فتتخفق مع الهواء وبالرغم من ذلك لا ترى أجسامهم عارية^(٣) .

ومن الطبيعي مع استمرار تلك الهجرات أن تنشأ دول ما تثبت أن تتحول إلى إمبراطوريات واسعة الأرجاء ، تفرض سيطرتها على من يجاورها ، ومن ضمن تلك الدول نجد :

١ - الدول الفارسية القديمة وعلاقتها بولايتها

١ - الدولة المادية «المادية»^(٤) . ٧٠٨٥ ق.م - ٥٥٠ ق.م :

من المرجح كونهم من الجنس الآري الذين استوطنوا شواطئ بحر الفرويين ، ثم سكنوا بغاري وسمرقند وبجدها هاجروا ق.م بأكثر من

(١) محمد عبد المنعم الشرفاوي : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ ، آرثر كريستسن : إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة : وهي الخشاب : دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٤٦ م ، ولقد ذكر صفات ممارسة لما سبق ، وذلك من خلال ما ذكره أمين مارسدن فهم سر البثرة أو دكتور القوي ، حواجب مغربة كقصص داللة ، لحام حويلية ، وكذلك شعورهم شعناء ، مشوقو القوام .

(٢) آرثر كريستسن : المرجع السابق ، ص ٤٩٠ .

(٣) آرثر كريستسن : المرجع السابق ، ص ٤٩٢ .

(٤) النعمة المادية : قدم دولة إيرانية قطبية ينتميا لبعض ميذا سبة إلى السبديير ، وكذلك على ورر . ليندا التي كانت معاصرة لها ، ويرجع ذلك إلى المدرجين من النغات الأوربية فكانوها طبقا للنطق العربي في اللغة الإنجليزية «The Mads» وتعني الشعب المادي و Madia وهي شئولة شمالية ، وينتشر برفون أن اسم ماد كان يستعمل في إيران حتى العصور الإسلامية الأولى ، ومع تصوير الكلمة تنطق ملا وما وبالقارسية «مادا» : عبد السلام عبد العزيز فهمي . كور وثر فكبير مؤسس الإمبراطورية الفخلمشوية ، (القاهرة ، ١٩٧٢ م) ، ص ١١ ، ١٢ .

ألف عام إلى غرب آسيا ثم إلى إيران واستقروا بها ، ومن الجذر بناء بعضهم في إقليم ما وراء النهر هي البقعة الخصبة المحصورة ما بين نهري سيحون وجيحون» وأسسوا دولة في غرب إيران^(١).

ولقد وثقت مطومات تلك الدولة من مصادر ثلاثة وهم على التوالي السقوش الأثوري^(٢) ، والمصادر اليونانية القديمة^(٣) ، والنفوش الفارسية القديمة^(٤) . ولخصاً الأخبار الإمبراطورية.

(١) عبد النجم حسنين : المرجع السابق ، ص ١٢-١٤.

(٢) النفوش الأثورية : تناولت الدولة وقيامها للأثوريين بذكرها لنقل عصر ، ١١١ ألف عام ق.م للملك الأثوري نجات يلوزر ، ووجودها منذ عام ٧٠٨-٥٥٠ ق.م ، واستقلالها في القرن ١٢ ق.م ؛ عبد النجم حسنين : المرجع السابق ، ص ١٤ ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ١٢-١٣.

(٣) المصادر اليونانية القديمة : أهمها ما كتبه هيرودوت في القرن ٥ ق.م لمصنف من لحسوسهم للأثوريين ما يقارب من ٥ قرون ، وعاصمتهم «كباتاكسا» وخصي عليها كوروش عام ٥٥٠ ق.م ، وتحولت العاصمة إلى مدينة فارس ؛ عبد النجم حسنين : المرجع السابق ، ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ١٢.

(٤) النفوش الفارسية القديمة : لم تصنف أي حدود عما سبق وذكرناه ، وإن الجنيد فهو الحديث عن العواصم والمدن ، وأصول هؤلاء من الشعوب الهندوآرية ، وموطنهم وتداولهم في منطقة ما وراء النهر وعلى الأخص بخارى وسمرقند وهجراتهم ، وعاصمتهم التي تنطق في اللغة الفارسية القديمة باسم مكناسه «hagmatana» مدائن ، ونهلتها : عبد السلام فهمي : قرآنية الإمبراطورية الفارسية ، (مجلة المنكبي ، العدد الأول ، ١٩٧٨م) ، ص ١٢٥-١٣٦ ؛ عبد السلام فهمي : المرجع السابق ، ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ؛ سيرة عائشور تاريخ القروس الأستورية عند الطبري والقرنوسي ، (الإسكندرية ، ١٩٩٢م) ، ص ٦٠.

٢ - الدولة الآخمينية ٥٥٠ ق.م - ٣٣٠ ق.م^(١).

يطلق عليها العرب دولة الفرس الفارسية الصحيحة ، كما يطلق عليها اليونانيون الدولة الهخامنشية^(٢). ولقد اعتبرها الفرس بعد ثورتهم على الدولة الساسانية ولجوتهم لقوروش^(٣) من أولى الدول الفارسية. ولقد عرفنا من خلال مصادر النقوش الآشورية والأخبار الإسرائيلية ، وكتابات مؤرخي اليونان^(٤) ، التحديد من المعلومات عن تلك الدولة ، والتي حكمت إيران واتسعت حدودها قبل الإسلام^(٥).

(١) للدولة الآخمينية : يطلق عليها الدولة الأخمينية على نسق الكلمة الانجليزية «Achaemenian - Achaemenid» والتي صارت على شكلها كافة اللغات الأوروبية ، عبد السلام عبد العزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ٨ ، حاشية (٢).

(٢) عبد النعم حسنين : الإيرانيون القدماء ، ص ١٢-١٤.

(٣) لجهدا بالعربية نكتب كوروش ، ويطلقها البعض قورش ، وفي كلتي أسماها نفساً هو كوروش نشأ مع النطق الفارسي الحديث ، وفي لغة الإنجليزية والفرنسية تطلق «سيروس - Syrus» أو الألفية «Cyrus» ، واليونانية «Koresch» عبد السلام عبد العزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ٧.

(٤) كتب مؤرخي اليونان : يذكر على رأس هيرودوت أنه عام ٥٥٠ ق.م تقريباً قامت دولة في فارس «دارم» قولها من المناطق الشمالية للهضبة الإيرانية ، تابعة للآشوريين ، ثم هاجرت إلى فتولمي الجنوبية ، وهاجروا لشعب للدولة المهدية مقبل دفع الجزية ، وهؤلاء الفارسيون حصر قري من الأكوم للهندسة الأوربية ، يتألفون من مئة قبائل ، منها قبيلة «ميسارجاد» وبالفارسية «ميساركاد» التي تنسب للمرأة الهخامنشية التي وهبت الهضبة الإيرانية ، ونهجاً لمؤسسها اتخذ كوروش اسم «مشتش» لاسماً لدولته ، وذلك يعني أن عناصرها من الأكوم الذين هاجروا للهضبة الإيرانية قبل الألف من مسياك الممبح ، ويذكر هيرودوت أن شعب يارثوا قسموا إلى مئة طوائف كانت تعمل بالزراعة ، وأربع طوائف تعمل بالرعي وسكن الخيل ، وكل الفارسيين من النصفة الأولى الذين ينتمون إلى الهخامنشية ، عبد السلام فهمي : المرجع السابق ، ص ١٩ : ٢٣.

(٥) سيرة عاشور : المرجع السابق ، ص ٦١.

وقبل تناول تلك الدولة ومؤسساتها وتبعية الولايات الشمالية لها ،
وكيفية إدارتها ، رغبنا في توضيح الأسباب وراء ذلك والتي يرجع إلى
سببين :

• الأول : موطن الفرس وهجرتهم توكيداً لتواجد العنصر الفارسي في
مطقة خوارزم.

• والثاني : محاولة إثبات أن تلك الهجرات التي حدثت لم تمثل مانعاً
من تواجد عناصر إيرانية في تلك المناطق ، وخاصة أن الأسباب
كما ذكرنا لم تكن لإبادة العنصر البشري بل لظروف طبيعية فقط مع
تزايد العنصر البشري.

ومن أهم أعمال مؤسس تلك الدولة «كوروش» وخاصة بعد ثورة
القبائل الموجودة في الأطراف الشمالية من مملكته ، حيث تمكن من
تسخير المقاطعات الشرقية للملكة ، وكانت على رأس تلك المقاطعات
«خوارزم»^(١).

ونرى الكتابة أن مفهوم التسخير في هذا المقام يعنى امتداد دولته
إلى تلك المقاطعات وسيطرته عليها وجعلها ولايات تابعة له ، إلى جانب
حرص تلك المقاطعات على إرسال الجزية السنوية المقررة عليها إلى
عاصمة الدولة ومقرها الرئيسي.

ولقد ظل هذا المؤسسة طوال فترة حكمه وحتى وفاته عام
٥٢٩ ق.م على هذا المنوال حتى وصلت حدود دولته لأول مرة في تاريخ
إيران إلى أقصى اتساع فصاروا تضم البلاد الواقعة بين البحر المتوسط
وبهر الهند وبحيرة كورال^(٢).

(١) عبد الملحم ماجد : التاريخ السيلمي للدولة الفارسية ، ج ١ ، ص ١٩٠ ، عبد العليم
حسين : المرجع السابق ، ص ١٩ ، عبد السلام فهمي - المرجع السابق ،
ص ٤٧ - ٤٩.

(٢) عبد العليم حسين : الإيرانيون القدماء ، ص ٢٠ ، عبد السلام فهمي : المرجع
السابق ، ص ٢٥ - ٢٦.

ولقد ظلت تلك الدولة أكثر من قرن حتى قُدم الإسكندر وسقوطها على يديه^(١). وانتقلت إليه بالتالي سلطنة الأقاليم التابعة لتلك الدولة السابقة ومنها خوارزم^(٢). ومع سقوطها انتابت إيران فترة من الضعف بلغت خمسة قرون^(٣).

والأهم لنا بالنسبة لتلك الدولة هو تناول بعض نظمها الإدارية وعلاقتها بأقاليمها ، لتوضح وضعها مع إقليم خوارزم الذي صار من الأقاليم التابعة لها.

من نظم الحكم في الدولة الأكمينية :
حكومة الولايات -

لنذكر أن دارا الأول - أحد الملوك العظام في تلك الدولة - كان إدارياً من الدرجة الأولى قد قسم تلك الدولة إلى ولايات جعل على كل ولاية حاكماً أو ولياً يصاحبه رجلان ، الأول : رجل عسكري يتولى قيادة الجيوش لحماية الولاية ، والثاني : يتولى ديوان الإنشاء حيث يكون على صلة بالعصمة مقدماً لها تقريراً عن كل ما يدور في تلك الولاية التي تسمى «تبر» وبمعاذته مفتشون يرسلهم الملك الذي كان على رأس هذا الهرم الوظيفي ، للتأكد من سير العمل وعدم الظلم ، وبذلك السياسة الواضحة استطاع وضع تلك الولايات تحت سيطرته ، وكان الملك يلقب «خسائراً» أي المحارب ، وذلك يعني أن الملكية الفارسية ذات صبغة عسكرية ، ويلقب كذلك بملك الملوك^(٤). ذي السلطان المطلق ، وفي حالة

(١) هذا التعميم حصين : المرجع السابق ، ص ٢٤-٢٥.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٩ ، ص ٣.

(٣) عبد الحميد حصين : المرجع السابق ، ص ٢٥.

(٤) ملك الملوك - مازال هذا الاسم ياليا في لقب ملك فارس حشامه ، وفي «خط تبر» الذي يسمى به حكام الأقاليم في فارس ، وهو لقب «كشائرا» النحال على الطريقة الحكيمة في الهند ، أحمد محمود الملقب : تاريخ المسلمين في-

احتياج الدولة لقوات حكومة الولايات يعنوتهم بآمال والعتاد والملاح ،
وبذلك فتستعد حدود الدولة إلى أقصى اتساع لها^(١).

حكم الولاية -

والذي يعرف بـ «سترب» وهو خاضع للملك المستمد سلطانه
من إرادة الملك المستمدة من إله الخير «أهورامزدا» ، وكان مكان الولاية
ملزمين بدفع مرتبات موظفي الولاية ، إلى جانب تعهدهم بإرسال الخراج
إلى العاصمة ، ذلك الخراج الذي يحدد حسب ما تكتسب به تلك الولاية من
ثراء ، ويكون نقدياً أو هبة^(٢).

النظام القضائي في الولايات التابعة للدولة الإكمنية .

هناك المحاكم المحلية المنتشرة في الولايات التابعة ، وتتركز
مهمة القضاء فيها في بحث الحقوق ، وإصدار الأحكام المدنية ، حيث
يسن القضاء القوانين بأنفسهم ، وهم في ولاياتهم يتمتعون بكافة حقوقهم
متمثلة في استعمال لغتهم الخاصة بهم ، وكذلك عاداتهم وتقاليدهم وديانهم
، وفي معظم الأحيان كانوا يتقون على الأمر المحلية في الأغلب بجانب
الوالي وترتب على ذلك رضا بعض الولايات بهذا الحكم الفارسي^(٣).

- شبه اقارة الهندية وعشورتهم ، (مكتبة الآداب ومطبعتها ، القاهرة ،
١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) ، ج ١ ، ص ٣٦ ، حاشية ١ ، عبد القوم حسنين : المرجع
السابق ، ص ٣٣ ، هذا وقد قال ملك قمين : أن السبب وراء هذا المسمى يرجع
إلى خدمة الملك ومملكته وجلالته ونفاسة قهرها وعظم شأنها ، ابن مساعد :
طبقات الأمم ، ص ١١ .

(١) عبد القوم حسنين : المرجع السابق ، ص ٣٣-٣٥ .

(٢) عبد القوم حسنين : المرجع السابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، لوثر كريستسن ،
إيران في عهد الساسانيين ، ص ١٦ .

(٣) مجدي عبد المنعم عجمية : نظم القضاء عند العرب والعجم ، (مجلة كلية الآداب
، الإسكندرية ، ١٩٩٢/١٩٩٣م) ، مجلد ٤٠ ، ص ٩٢ ، فلقراً أن الحكم في
الأمر السولية ومحافظ الأمن منوط الملك وفي بعض الأحيان يكون -

ومن خلال تناولنا الموجز لبعض نظم الحكم في ظل تلك الدولة ،
والذي من المؤكد أنه قد تم تطبيقه في خوارزم على اعتبارها جزءاً من
الدولة الهخامنشية ، ويؤكد ذلك ما وجد في نقش دارا الكبير الإكمبي عام
٤٨٦-٥٢٢ ق.م في بيستون والذي ذكر فيه تقسيم بلوت ، أي خراسان
وجرارزم وبلختر هانخ والصفند على أنهم من الولايات الخاضعة لها^(١).
٢- الدولة الساسانية وتبعية الولايات لها .

إمبراطورية واسعة الإرجاء ، ظهرت بعد فترة الانكسار
والتهور التي مرت بها منطقة فارس والأقاليم المجاورة منذ غزو
الإسكندر الأكبر والتي أطلقوا عليها عصر «ملوك الطوائف»^(٢).

= بتفويض من الملك الولاة ، وقد بلغ من اهتمام شاهنشاه متابعته للقضاء على
إصدار أحكامهم ، ومراقبة الجناة ، عبد التميم حسنين : المرجع السابق ،
ص ٢٦.

- (١) عبد السلام فهمي : تاجيكستان ملحقها وحاضرها ، ص ١٠.
(٢) لقد اتفق العديد من المؤرخين على تقسيم ملوك الفرس إلى طبقتين أو أجناس .
هي القبيضية ، والكابيه ، والاشكانية ملوك الطوائف ، والساسانية المرشد
من المعلومات فنظر : المسعودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٢ ، ٣٤٤ ؛
فخرالرمي : مفاتيح العلوم ، (طبعة الشرق ، القاهرة ، ١٣٤٢ هـ) .
ص ٦٣-٦٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الرابع ،
ص ٢٢٨-٢٢٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ص ٢٥١-٢٥٢ ، ص ٢٥٧-٢٧٦ ؛ الفيلسفي
: صبيح الأعظمي في صناعة الإنشا ، ج ٥ ، ص ٤٨٦ .

وبالنسبة لتفهم الحكم وخاصة فيما يتعلق بحكم الولايات ظم مختلف لأمر كثيراً عن سابقها فكان من موظفي الدولة حكام الأقاليم وهم معروفون «المترتبة أو المرزبة»^(١). ويجانته الشهرداران^(٢). الذي لقب بالشاء ، ويقومون بالإقليم.

ونقد ذكر أمين مرسلان يبتأ بمعظم الولايات التي وحكمها بيدخشان «جمع بيدخشن» بوصفهم قواداً لقومان تلك الولاية ، وكذلك ملوك وسدرية ، وكل من ضمن تلك الولايات والأقاليم إقليم الصغد وفي القرنين الثالث والرابع الميلاديين امتكت سيطرتها على أقاليم الشمال والشرق.

(١) المرزبة ، مفردا مرزبان «صاحب بلد» ، وبخاصة الثغر وذلك لأن المرز هو الثغر ، ويقال أي من الفضل أي يكون لقب حكام الأقاليم في الأمانة الأولى من العهد الساساني هو مترقب أو بيدخش حيث لم يحم لفظ مرزبان في مستعمله إلا بعد ذلك ، وإن كان يستدل أن اللفظ لم يظهر إلا في عهد بهرام الخامس ، «١٢٠-١٢٨م» عند تعيينه أحد المرزبة على لوميليه ، حيث يتم اختيارهم من بين النبلاء ، ومن مظاهر ترفيفه أن يمنح هرشاً من القصة ، الخوهرمي : المصدر السابق ، ص ٧٠ ، آرثر كريستنس : المرجع السابق ، ص ١٢٦ ، ١٢٨ ، حاشية ٢ ، هـ السهم ملحد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٧ ، حاشية ٩

(٢) شهرداران : من الأمراء الذين يصلون لقب ملك ، أما ملك إيرل فهو ملك الموناه شاهنشاه ، يحكمون الإمارات الخاصة لمملكة إيران ، ونظير هذا الخصوع هو ضمل ملك الأمير وألقاه من بعده في تلك الإمارة بونلك مقرون بشره وهو وصي قراهم تحت تصرفه وتولية الجرية . ويؤكد ذلك قول آر دشير : كل من بجيء إلينا مكملاً فروض قطاعة أن نخلع عنه نق ملك مدام بمضى مستقيماً على طريق الخصوع ، وهم ملزمون بالخصوع إلى البلاط . ويتقدم يسر بأعمالهم ، آرثر كريستنس : المرجع السابق ، ص ٨٧-٩٠.

ومن المرجح كون خوارزم ضمن تلك الولايات^(١). ويؤكد ذلك كون أغلب سكان خوارزم من الفرس والمجوس واليهود وبعض النصارى^(٢). وكان الخوارزميون من الترك الموجودين في أقصى الشمال الشرقي من الحدود الإسلامية جنوبي بحيرة أوردال أدنى نهر جيحون^(٣) هذا إلى جانب نقب أمراء هذا الإقليم وملوكه المستقلين - فيما بعد - بالنقب شاه «خوارزمشاه».

وبالنسبة للولايات وحكمها فهو يختلف في الدولة الساسانية عن الدولة الإسلامية ، فجدد الولايات ذات المساحات الصغيرة نسبياً لم يكن لها حدود ثابتة ، لذا كان الملك يرسل مرزبين عندما يحتاج إليه فيها ، فهو قائد الجيش تحت رئاسته الأصهبديون ، وبذلك يظلب عليه الطابع العسكري^(٤).

(١) آرثر كريستن : المرجع السابق ، ص ١٢٦-١٢٧.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٢٣ ، البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٢٨٨ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٢-٢١٣.

(٣) محمد عبد القادي حمير : المسالك الطيبة أو جمالك ما وراء النهر والدولة الإسلامية إلى أيام المتصم ، (مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ، ١٩٤٨م) ، المجلد الرابع ، ص ٤٩.

(٤) كان النظام السائد لدى الدولة هو تقسيم تلك الولايات إلى منبويات «أمستاند» ويعطى على حكمها لقب «استاند» أما «جاكوسيان» فهو لقب موالي قاضي يتولى أمر وشؤون جزء من الولاية ، ولقد كان لهم مثل ما للمرزبين مجموعة من الجنود تحت تصرفهم ، وكفوا كذلك مديرين للأعمال الملكية ثم كان تقسيم لكرور وهي تشمل المدينة ولها شهرستان وبحكمها «شهرينك» الذي يتم انتخابه من بين قديمته ، أما القرية «جبة وسوداها رسيكك» يتولى أمرها «ديوكك» آرثر كريستن : إيراني في عهد الساسانيين ، ص ١٢٨-١٢٩.

طبقات الفرس :

ظهر التنظيم الطبقي بين الفرس منذ أيام تملك جمشيد «جم من الأمرة اليشدافية» لإيمانهم به ، فوصل الأمر إلى احتفاظ كل فرد بالطبقة التي ينتمي إليها وإذا ما حدث تجاوز فلنما يعتمد على دراية الفرد وسجيته في طبقته.

ومن الملاحظ على تلك الطبقات منذ ظهورها وحتى الدولة الساسانية كون أفرادها معروفين ، ويكنم الاختلاف في الترتيب أو اختصار المسمى الخاص بإحدى هذه الطبقات.

فهناك مقاييس لتلك الطبقات ، فنجد أيام العجم كان السن ، لأكبرهم سناً أعلاهم مجسماً ، ثم الغنى والثروة أيام الضحكة وكذلك لفريدون ، ثم الأصول وقدم على عهد منوچهر فالعقل والحكم في عهد كوكاوس ، ثم الفلى والبأس والنجدة في عهد كيخسرو ، والدين والفقه أيام بهراسف وأوشروان ، ومن الممكن الأخذ بكل تلك الصفات ما عدا العنى والثروة^(١).

وتلك الطبقات هي على التوالي :

- ١- طبقة رجال الدين.
 - ٢- طبقة الفرسان.
 - ٣- طبقة أهل الحرف «ويقع تحت نطاقها : البقال ، والزراع ، والبناء».
- ولقد ذكرت تلك الطبقات في الأوستا داخل أمثيدها ، وإن كس الاختلاف فيما ذكر بين الأكواس ، ومن المرجح كون تلك المسميات باللغة

(١) طه بد : دراسات في الشاعنة ، (دار الطالب ، الإسكندرية ، ١٩٥٤م) ، ص ٢١٢-٢١٣ طه تنا : فصول من تنزيخ الحضارة الإسلامية ، ص ٣١-٣٢ ، آرثر كريستن : المرجع السابق ، ص ٨٥.

الاستراتيجية التي كتب بها كتابهم المقصود ، ولقد أشارت إليها القضاة
للفردوسي أيضاً^(١).

طبقات الفرص في عهد الساسانيين .

ولقد صاروا في عهدهم أربع طبقات يتصعب من كل طبقة لفراد
آخرون يمثلون جهازاً إدارياً متكاملًا على رأسه الملك :
١ - طبقة رجال الدين .

يتم اختيارهم من قبيلة العفان ، ورئيسها يطلق عليه «موبدان
موبد»^(٢) ، وعلى كل مركز من مراكز الدولة موبد.

وتتمثل وظائف الموبد موبدان في أن له السلطة العليا في المسائل
الدينية والعلمية والسياسية ، وكذلك لشركته في تكوين هيئات محاكم
للتفتيش ، وخاصة في الأقاليم الخاضعة للدولة ، إلى جانب كونه مستشار
في كل الأمور الدينية.

(١) طه ندا : أصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٢١٤ ، حيث وضع أن تلك
الطبقات التي ذكرت في الاستقفا هي :

أ - طبقة رجال الدين والروحانيين «أئمة يلمن» .

ب - طبقة رجال الحرب «موتوق» .

ج - طبقة الزرايع والفلاحين «موزدان» .

(٢) موبدان موبد : القاضي القضاة ، وهي من الألقاب الفهلوية ، موبد أي القاضي ،
الجاحظ : الفلاح في أخلاق الملوك ، تحقيق - أحمد زكي باشا : (القاهرة ،
١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) ، ص ٧٧ ، وفي كتابه قد ذكرت تحت تعريف أعلم العلماء
من الممكن أن يكون المقصود بذلك أنه أعلم العلماء في الفرائض الدينية ،
الفرغوسي : المصدر السابق ، ص ٧١ ، ذكر أن الموبد «القاضي المجوس» ،
والموبدان «القاضي القضاة» .

أما الوظائف القضائية فكانت من سلطة الـهريذان هريذ^(١) بوصفهم قضاة يصدرون الأحكام ، ولـغبيون «تلوران» ووكلاهم «مستوران» ثم يليه القاضي الروحاني «سروشورزداريك» وهو الذي يتولى القضاء في الأقاليم ومهمته تنفيذ العدالة ومير القنون في جميع الأعمال.

ويتبع رجال الدين كذلك «آل وردبد» «أمثاذ العمل» ، و«آل مستور» الغيبر بالمسائل الدينية وهو رجل دين ومشرع يلجأ إليه الناس للحسم في القضايا المشبهة فيها ، ومنهم «ساغان آندرنبد» أو مكوكن آندريذ «مؤدب المجوس»^(٢).

ويتواجد في كل إقليم «الدهقان»^(٣) والذي يحصل في القضاء باعتباره المسئول عن هذا الإقليم.

(١) الهريذ : خادم النار والجمع هريذ ، وهي من لغات الفرس الفهلوية ؛ الفهرريسي : المصدر السابق ، ص ٧١.

(٢) آرثر كريستسن : المرجع السابق ، ص ١٠٦-١٠٧ ؛ جرجي روتن : المصدر الإسلامي ، (مطبعة الهائل ، القاهرة ، ١٩٠٦م) ، ج ٥ ، ص ٢٢٢ ؛ مهدي عبد الميم صجيه : المرجع السابق ، ص ٩٦ ؛ يحيى الخشاب : فن الحكم عند الفرس ، (مجلة المشرق ، دت) ، ص ٢١ ، ونك أن زواندن شخص في علوم الدين وفاقه ، فصار كبير الهريذان.

(٣) الدهقان : يذكر أن أول من تخطى هو هكروت بن فروال بن سولنده بن سراس بن كيومرث الملك ، وله عشرة أبناء كلهم تخطاه ، ثا هو أول من وصعه ، وجعل على كل قرية تخطى وهم ملاك الأراضي ، وكنت طبقتهم تفرع إلى خمس مراتب ، وتختلف ملازمهم على حسب مراتبهم ؛ المسعودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٤ ؛ القرمضي : المصدر السابق ، ص ٢٤٩ ؛ عيد الميم ماجد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٦.

ب طبقة المحاربين «الفرسان»^(١).

وتتضمن الفرسان ، ومن المرجح كونهم من طبقة النبلاء ، ويطلق على ضباط الجيش الأساورة^(٢) . حيث يعيشون في إقطاعياتهم التي يباشرونها في وقت السلم ولقد صار هذا اللقب فيما بعد «حارس ، سوار» له قيمة اجتماعية أعلى شيئاً^(٣).

ويطلق على رئيسهم «مير ميران»^(٤) . وبحكم ملطانه يتكفل في كل الأمور المتعلقة بالجيش وتحت إمارته أربعة قولا يطلق عليهم «اصهبند» سباهد ، وتحت إمرته أربعة مرزبة ، وتحت هؤلاء أربعة سالارية ، وتحت الأخير عشرة أساورة وهم الفرسان وخمسة من الرجال المشاة^(٥) . وهناك موظف كبير يطلق عليه «مردب الأساورة» وهو المكلف بتعليم أبناء المحاربين في المذن والرساتيق حمل السلاح وأدائه^(٦).

(١) المنبى : تاريخ العلي ، ج ١ ، ص ٤١ ، حيث أطلق عليها «طبقة الأصهبندية» ووصفها في الطبقة الثالثة ، وكذلك رئيس رجال الحرب «سباهد» طه ند : المرجع السابق ، ص ٢٢.

(٢) الأساورة : مفردا أسوار سوار ، حيث قل أبو عبيد هم الفرسان ، والأساورة أجمع قوم من العجم ، وذكر الخوارزمي أن العجم لا تطلق اسم «أسوار» إلا على رجل شجاع البطل المشهور ويقال يكون مقابلة في الفرنسية «Chevriers» : الخوارزمي : مفتاح العلوم ، ص ٢١ ، لاحظ : المصدر السابق ، ص ٢٤ ، حاشية (١).

(٣) آرثر كريستس : إيران في عهد الساسانيين ، ص ١١٩ - ١٢١.

(٤) جرجي زيدان : المرجع السابق ، (طبقة الهلال ، القاهرة ، ١٩٠١م) ، ج ١ ، ص ١١٩.

(٥) جرجي زيدان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١٧ ، ١١٩.

(٦) الخوارزمي : المصدر السابق ، ص ٧١.

ج- طبقة المشاة «بايكن»

ورئيسهم «بيگتسالار» ويكونون تحت تصرف موظفي الأقاليم ،
والمشغل وظائف مماثلة كانت فرقة الرماة ورئيسها وقائدتها «تيريد» تحقق
الفرى ، وبعض أنحاء المملكة على الأقل^(١).

د- طبقة الكتاب .

ورئيسهم الذي يلقب «بيران يهرىذ» أو «بيران - دبيريد» أو
«دبيراس سبيست» ، ويقع على عاتقهم الاهتمام بالوثائق الرسمية
للدولة^(٢).

هـ- طبقة الفلاحين والزراعيين .

يدخل في نطاقها الزراعة ، والصناع ، والفلاحين ، والتجار ،
وكافة أصحاب الحرف ، فيكون لكل حرفه رئيس خاص بها ويطلق عليه
«واستريوشان سالار»^(٣) . وبجانبه الأشراف^(٤) . والتي تتميز عن طبقة
العامة بلباسها وما تمتلكه من القصور والبساتين والحدود وغير ذلك .

(١) آرثر كريستين : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٢) الشامخ : المصدر السابق ، ص ٧٧ ؛ طه ندا : المرجع السابق ، ص ٣٣ ؛ طه
ندا : دراسات في الشامخة ، ص ٢١٥ ؛ آرثر كريستين : المرجع السابق ،
ص ١٢١ ، ١٢٢-١٢٤ ؛ لنزيد من المطبوعات حول ذلك .

(٣) طه ندا : المرجع السابق ، ص ٣٣ ؛ طه ندا : دراسات في الشامخة ، ص ٢١٥ .

(٤) الأشراف : كثيرا ما يذكر في الدولة العثمانية اصطلاح «المعلماء والأشراف»
وخاصة في توليت تولية ملك جديد ، فكثروا حرمين على تقديم فريص الولاء
والطاعة ، إلى جانب دورهم الواضح في الشؤون السياسية ، ثم ظهرت
مصطلحات خاصة بهم وهي «Azzadkhar» الأحرار ، ويقال لهم في الأصل
اسم نغزة الأكرين ، ويعتبرهم من السكان الأصليين الذين غلبوا على أسرهم ،
ولكن مع اختلاط الأجانب وحوادث العديد من التغيرات تولى كثير من تلك الأسر
إلى طبقة الحراثين المنبثقة ، وإلى طبقة أهل قسطنطينية ، ومنهم من احتفظ
بأصلته ، وكون أنحرون ما يطلق عليهم النبال ، وهي طبقة أقل شأن ، كانت
مبشرة في الدولة ، حيث يعمل عدد كبير منها موظفين صغار في إدارة الأقاليم
، واحتفظوا لأنفسهم بكلمة أردل «الأشراف» وكذلك لم تكن خوذتهم «جوسه»
العائنة ، آرثر كريستين - إيران في عهد السلافيين ، ص ٦٨ .

- التركيب السكاني للإقليم خوارزم -

يتضح من فصوص كل من المقامي والبيريوني والخوارزمي تواجد الفرس المجومون بتلك الإمارة المترامية الأطراف ، فيذكر البيريوني اتجاه أهل خوارزم للتأريخ لأنفسهم ، وكانت البداية مع أول عمارته «قبل عهد الإسكندر بحوالي ٩٨٠ عاماً ، وبعدما أخذوا بقسور سيوش بن كيكسوس لها وثلاثة كيكسرو هو ونسبه لها عندما سبر أمره على ملك الترك بها. مما سبق نستنتج تبعية الإمارة - منذ بدايتها - للفرس ، فكانت بدايتها مع الأسرة الكيانية^(١).

وكان من نسل كيكسرو رجل يدعى «أفريغ» وحكم من بعده ابنه الذي بنى قصره على ظهر الفير «الفيل» ، ولقد أرخ أهل خوارزم به وبأولاده لكان تولية ابنه الذي بنى هذا القصر عام ٦٦٦ للإسكندر. ولقد ظل نسلهم متواجداً في تلك الإمارة ، فكان آخرهم قبل مقدم القائد الثانية بن مسلم الباهلي ، وهو أرثوخ بن بوزكارين حاكمي بن شاوش سخر بن أركاجوار بن إسكجموك بن مسك بن بغره بن أفريغ ، وظلوا حتى مقدم القائد السابق لتلك الإمارة مرة ثانية بعد تركد أهلها ، ومثلك عليهم واحد من تلك الأسرة وأخذوا لقب لشاهية منهم ، وبذلك خرجت الولاية من نسل الأكاسرة.

وبقيت حتى فترة الحكم «الشهيد أبي عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن عراق بن منصور بن عبدالله بن تركستان بن شاوش سخر بن إسكجموك بن أركاجور بن سيري بن سخر ابن أرثموخ» أمير خوارزم في مدينة كاث والحامل للقب خوارزم شاه^(٢). وذلك دليل قاطع على وجود

(١) البيريوني : الآثار الباقية من القرون الخالية ، ص ٣٥-٣٦.

(٢) البيريوني : المرجع السابق ، ص ٣٥-٣٦.

لقب خوارزم شاه : يظهر من شكل الكلمة أن لقب خوارزمشاه ، لقب لسلك الشخص الذي يكون حاكم تلك الإقليم ، وهو دليل قاطع على أن حاكم ، وكان حكام دولة مختلف مناطق إيران في الفترة التي لم تكن فيها حكومة واحدة ، يتخذ كل واحد منهم لقباً خاصاً بهم ومنهم حكومة خوارزم وخوارزم شاه -

أشهر فارسية قديمة تمارس شوقها ، وإلى كل ذلك لا يمتنع من تبعيتها
لذلك الدول المتلفة للنكر .

ويجانب الفرس بخوارزم ، وجدت شعوب أخرى منهم الأورس ،
وعند الصين «بني تسي» زحفوا إلى الغرب في «القرن الأول ق.م»
وابعثوا نفس الطريقة التي اتبعها من قبل الصين والسرمت ، ويعتمد بذلك
من كون وجود تلك العناصر بذلك للولاية ، أو بالقرب منها ، وخاصة بعد
تعدد مواقع هؤلاء.

وقد ذكر أنهم «شعب قديم ممتد تواجدهم فيما بين البلطيق والبحر
الأسود «بحر بنطش» ، وبعد منتصف القرن الأول ق.م اختفى ذلك الاسم
وسمى الشعب هناك بالان ، وهي الصيغة الإيرانية لكلمة «لري» لسي
المناطق الشمالية^(١).

وإن كنت أرجح من حال ما سبق كون تلك العناصر عناصر
تركية تأثرت بالعناصر الفارسية ، واندمجت معها ، وأطلقت عليها هذه
الصيغة أو التظنة.

ومن خلال ما سبق تؤكد أن الطابع المميز لتلك الإمارات بما فيها
إمارة خوارزم هو سيطرة طبقة الملاك «الدماقين» من رؤساء القرية ،
فهم ينتمون إلى الأمراء المحليين ، ولذين بدورهم يرجعون إلى طبقة
النبلاء أصحاب النفوذ الأعلى^(٢). الذين ليتقوا من أصحاب الأرضيات ،

- بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن الحسين بن

يوسف بن محمود ، السيف المهند في معرفة ملكه المريد «شيخ المصوي» .

(دار الكتب العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧/١٩٦٧م) ، ص ٩٩ .

محمد دهر «بني» : سلطان جلال الدين خوارزم شاه ، ترجمة : جرجي أسير

سيمي : (تبرلي ، ص ٧٣-٧٤).

(١) آرثر كريستس : المرجع السابق ، ص ١٨.

(٢) برونولد : تركستان منفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٢٣٨ ، آرثر

كريستس : المرجع السابق ، ص ٩٩.

ومن كبار الملاك في القرية ويشيء من التجاوز يمكن أن يطلق عليهم «طبقة الذهبين» ويدخل فيها كل أصحاب النفوذ والسيطرة ، سواء يعود إداري متمثلاً في الدهليزة أو نفوذ إقطاعي متمثلاً في كبار الملاك ، أو يعود عسكري الذي تمثله طبقة الفرسان^(١) . بجانبهم طبقة التجار والمصحب الحروب ، وطبقة الفرسان التي تتصف بالشجاعة وتفتقر إلى التنظيم^(٢) .

- الحياة الدينية عند الفرس .

في البداية كانوا يميلون إلى عبادة القوى والظواهر الطبيعية المتمثلة - على سبيل المثال - في النهار ، والهباء ، وغيرها ، لم أهم القوى فكانت الشمس «شيراً» عين الشمس ، والخصرة النابض منها «عين الله» ، والنور المقدس «ها لوما» ، «أناهيئا» إله الخصوبة والأرض^(٣) . ويطلق على الدين الذي اعتنقه الفرس - قديماً - الديانة المجوسية ، ومن يمتنقه مجوسي ، وإن كان حسب الرواية العربية تنسب إلى شخص اسمه «صنج كوش» وكان قدومه قبل زرتشت ، ولقد تمثلت في إله الأعلى الرامز إلى إله النور وهو «أهورامزدا» الذي يعرف في كتب أخرى باسم «بزدان» (وهي تعني خالق الخير والمعرفة) ، وبفهم منهم

(١) عبد المنعم ماهد : التاريخ السيلسي للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٢١٢ .

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٩٨-٢٩٩ .

(٣) سيو سبيرو : تاريخ الشرق ، ترجمة : أصدركي : (الطبعة الأولى ، بولاق ، ١٣١٤هـ/١٨٩٧م) ، ص ٢١٦ ؛ ذكر أن ديانة الماديين الفرس مأخوذة من عبادة الأمم الآرية القديمة ، وظلوا على ذلك بعض كتب الهند القديمة ، ولقد جاء في الأساطير المتداولة عند القلمة كونها من صنع رجل واحد هو زرتشت أو زرتشتروزل وهو من السلالة الملوكية ، أحد أميين : فجر الإسلام ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م) ، ص ٩٩ ؛ آرثر كريستمسي : مرجع السابق ، ص ١٩ ؛ طه ندا : دراسات في الحضارة ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ؛ علي حسني الخويطلي : المجوسية والمجوس ، (مجلة كلية الشف ، د ب) ، ص ١٤٧ ؛ طه ندا : المرجع السابق ، ص ٢٤١ .

تدبرهم الخواهر الطبيعية كوسيط للإله الأعلى ، وطريقتهم في ذلك هو اشتعال النار «أتش» في بيوت النار أو على رؤوس الجبال باعتبارها مصدر النور وأساس الخير الذي يحرق الشر^(١).

المتن في الظلمة والجذب ، وهم يتقربون إليه بتقديم القرابين والضحايا^(٢).

بيوت النار .

قد حصر المصنوعي بيوت النار في عشرة بيوت تقريباً ، حيث توجد في مناطق متعددة ومنشرة فهناك بيت نار باصطخر^(٣) . بيت نار بسابور من أرض فارس ، وآخر بنسا ، وآخر بنيسلور من بلاد خراسان . بيت نار خوارزم :

ونظراً لظلمة النار وأصمتها به ، نقلت إلى مدينة درابجرد من أرض فارس ، بناءً على طلب النبي رزادشت ، وكان بعظمها جم الملك ، وتلك النار هي نار خوارزم ، ويدل على ذلك أمران :

(١) عبد المنعم ماهد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٢-١٩٣ ، طه قدأ : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ ، حيث لقد أن من بين الأكفمن من كنز يؤمن بوجود إله واحد عظيم يسيطر على الكون يكن وراء كل الظواهر التي يحددها الأشخاص التخمائن مثل الشمس وغيرها .

(٢) أبو الفتح عبد الكريم الشهرستاني : الملوك والفضل ، (مكتبة المشرق ، بغداد ، دت) ، ج ١ ، ص ٢٢٢ وللمزيد من المعلومات انظر نفس المصدر ص ٦٢-٧٦ ، عماد الدين أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ١ ، ص ٨٣ ؛ روى النور عمر بن النوردي : فزيع ابن النوردي ، (قدم ، ١٢٨٥/١٨٦٨م) ، ج ١ ، ص ٢٧ ؛ ذكر (ل) تلك الملة التي يدين بها العرب يطلقون على معتقها كبرمونية ، ويعنون إليها مخلوقاً من النور «يزدان» ، والآخر من الظلمة وهو «أهرمن» فأصل تدبرهم قائم على تعظيم النور ، ثم تحول لخدمة النور واقتلوا بيوت خاصة بذلك لعمومة الة (الظلمة يئوس) ، على حسن التخييل : المرجع السابق ، ص ١٤٧-١٤٨ .

(٣) المصنوعي . مروج الذهب ومعارف الجواهر ، ج ١ ، ص ٥٤٦ .

- الأول : حكم تلك النار وأهميتها.
- الثاني : تواجد العنصر الفارسي وممارستهم لعبادتهم بحرية كاملة مع تواجد عناصر وطوائف أخرى.

وكما نذكر المسعودي كان يطلق على تلك النار اسم «آزر جوى» أي نار النهر «آزر هو أحد أسماء النار ، وجوى أحد أسماء النهر بالفارسية» ، وريادة على ذلك هو تعظيم الفرس لتلك النار على أنه مـر أخرى ، فنذكر أن كوخسرو عندما خرج غازياً للترك صار إلى خوارزم ومر عليها وعظمها وسجد لها ، وكذلك فعل أتومشرون - من الأميرة الساسانية - حيث نقلها إلى «الكاريان» فخالقوا عليها من المعلمين فتركوا بعضها في الكاريان ، وبعضها في نسا البيضاء من كورة نارس لتظل أحد هما إذا انطفأت الأخرى^(١). وأخيراً بيت نارس في كاسان بمدينة فرغانة^(٢).

الديانة الزرادشتية :

ظهر زرادشت في القرن ٧ ق.م في عهد كشتامب بن نهراسب الملك^(٣). ووقع الخلاف حول مولده ، وإن كان الشهر مثالي قد أشار إلى

(١) المسعودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٤٦-٥٤٧ ؛ الشهرستاني : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٢.

(٢) المسعودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٣٦ ؛ أبو الفتح محمد العسيري العلوي : بين الأصيل ، ترجمة : يحيى الخشاب : (عزله ، دخت) ، ص ١٦ ، ٢٥ ، في الدين أحمد بن علي المقرري السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه : محمد مصطفى زيادة : (دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٤م) ، ج ١ ، القسم الأول ، ص ١٠-١١.

(٣) المسعودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٦ ؛ الشهرستاني : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٧ ؛ مظهر بن طاهر المعنسي : أئمة وأعلام ، ج ٢ ، ص ١٤٩ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٢ ؛ ابن خلدون : الحبر وديوان المبتدع والحبر ، المجلد الثالث ، القسم الرابع ، ص ٢٢٨ ؛ أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٥٤ ؛ عبد القدير ملحد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٢ ؛ أسعد الشحرافى : الصليبة ، قرطاشية ، قيرديية ، (دار الثقافة ، بيروت ، ١٤١٧/١٩٩٧م) ، ص ٤٣.

أنه ولد بالري من إقليم ميديا «منطقة الجبال موطن الأريين القدماء» ثم رحل إلى بلخ ومنها انتشرت عقيدته إلى الصغد وخوارزم وجميع أنحاء فارم^(١).

وتدعو تلك العقيدة إلى عبادة إله واحد ، وهو : «أهورامزدا» رئيسة سوى تأكيد وتقوية لدعائهم ما كان يعتنقه الفرس منذ القدم ، ذاكراً أن هذا الإله هو خالق الكون كله «مفسر الوجود على أساس مبدأي الخير والشر» ، لذا عرفت عند العرب بالفتوية أو المزدنية أيضاً^(٢).
ولقد اتخذ زرادشت النار رمزاً لإله الخير «أو النور» ، وأطلقوا كلمة زنديق على كل ملحد لا يؤمن بالدين الحق^(٣).

(١) المسموعدي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٦ ، حيث ذكر أنه (من أهل أنريجان وهو نبي المهرس الذي أقام بالكاتب المعروف عند العرب من قبل بالزمرية ، وهذا المهرس بالسناء) : التمهيد على : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧ ؛ ولما زيد من المطومات عن ظهوره ومولده انظر نفس المصدر ، ص ٧٨-٧٩ ؛ أبو القدا : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٣ ؛ طه ندا : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ ؛ عبد القلم ماجد : المرجع السابق ، ص ١٩٣ ؛ مسير مانبير : تاريخ الشرق ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ؛ علي حسن الغربوطي : المرجع السابق ، ص ١٤٨.

(٢) آرثر كريبسلس : ليرى في عهد الساسانيين ، ص ١٩ ، ٢٢ ؛ ذكر أن زرادشت نبيا لمذهب مزدري محل في الشرق وربما على الأكثر تحديداً في الإقليم الذي به أفغانستان الحديثة . ولقد ظلت الزرادشتية وحفاظها تتخلف في الغرب ، حيث نجد أن المردية الزرادشتية لم تنتشر عند ميوس ميديا إلا منذ القرن ١٠ ق.م ، وإن كانت تختلف في بعض المسائل عما وجد في مديية الككتاب ، طه ندا : دراسات في الحضارة ، ص ٢٤٧-٢٤٨ ؛ عبد القلم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ١ ، ص ١٩٣ ؛ علي حسن الغربوطي : المرجع السابق ، ص ١٤٩ ؛ محمد توفيق صادق : ثغر خراسان من الفتح العربي حتى قيام الدولة الممثلة ، (الإسكندرية ، ١٩٨٤م) ، رسالة بكوراه ، ص ٦ ، حاشية (١).

(٣) محمد توفيق صادق : المرجع السابق ، ص ٦ ، حاشية (١) ؛ ذكر أن كلمة زنديق والتي كانت في الأصل سلمية وهي صحيح تم نكث معرفة عند الآرامية رديق إلى المهلوية ، ولأفذا العرب يصورها المعرلة عند الفرس رنديق وإن كانت لدى السغويين تعطي المعنى العكسي ، وهي تطلق على المؤمن المخلص من فجاع ماني.

ولقد جمع زراعتك كل تلك العقائد من تراث الأجداد في كتاب سماه «الأصنام» «القصص الأصلية» وعرفت فيما بعد باسم الاستنطاق أو الاستنساخ^(١). ولقد امتاز بضخامته وإلى كالي قد تعرض للضياع لأكثر من مرة ، ولم يبق منه سوى خمسة أجزاء ، وهي :

■ بسا «تسمى العبادة ، الحمد ، الصلوات» وتضم المقطوعات المنطومة ونعرف «بكتا».

■ وبسرد.

■ ولديراء.

■ بشتها أو «البشتات».

■ خورده أصناما ، وهي : «الأصنام الصغيرة التي تشمل كل ما تبقى من قطع الزندافستنا»^(٢).

ولقد كلى من أهم مبادئ تلك العقيدة هو البحث على الاهتمام بالزراعة ورعاية الماشية لكونها تُثرف الأعمال ، لدرجة تحريم الصوم لكي يجندوا في الفلاحة ، إلى جانب اعتباره لكل من الماء والهواء والنهر والتربة عناصر طاهرة مقدسة لا تتجس ، ومن هنا جاء تقدس النار والماء ، وتحريم دفن الموتى في الأرض^(٣). لذا كانوا يستنجون بالدهن ، ولا يتكلمون وقت الطعام وإنما الزمزمة واجبة في ذلك الحين^(٤).

(١) مسيو ماسيرو : تاريخ المشرق ، ص ٢١٦ ؛ أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٥٦ ؛ هبة النعم ملاح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٤ ؛ علي حسيني الخريوطي : المرجع السابق ، ص ١٥٠.

(٢) لمزيد من المعلومات حول ذلك انظر : القشتندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٢ ، ص ٢٩٢-٢٩٤ ؛ طبه نسا : درلست في التمامة ، ص ٢٤٤-٢٤٧.

(٣) محمد حسني الخريوطي : المرجع السابق ، ص ١٥١.

(٤) البغدادي - تاريخ اليهودي ، (بيروت دت) ، ج ١ ، ص ١٥٨ ؛ أبو المعالي محمد الحمصاني الطوسي ، بيني الأكيل ، ص ٢٥ ؛ آرثر كريستس : المرجع السابق ، ص ١٣٤ ؛ ذكر أن الفرس يمشون الماء قبل كل شيء إلى حد أنهم لا يمشون به وجوههم ولا يمشونه إلا لشرب أو ري الزرع.

ولقد ساحت تلك الحقبة بلاد فارس وما جاورها حتى لتتصاير الإسكندر عليهم عام ٣٣٦ ق-م ، لذا فحط شأنها حتى استعانت مكانتها مع قيام للدولة الإسلامية ، وبقيت ديناً للفرس حتى ظهور الإسلام ، فبقيت لغة فيها يعارص تمارس شعائرها تقريباً في كل ولاية فارسية ، وذلك نحو ثلاثة قرون بعد انتصار الإسلام ، وفر بعضهم إلى الهند^(١).

المانوية .

كانت من المداول وراء ضيف الزرادشتية في إيران بعد تغلغل المسيحية ونفوذها داخل المجتمع الإيراني^(٢) ، كتعب لماني الذي ولد عام ٢١٥ أو ٢١٦ م في إحدى قرى بابل ، وكان متأثراً بالزرادشتية ، والمسيحية ، واليودية ، فاستمد أصولها من هؤلاء ، لذا لم يأت بجديد فأطلقوا على عقيدته الزرادشتية الحديثة ، ولقد دعا إلى عبادة النور والظلمة ، ثم عاد ثانية إلى دين المجوسية^(٣) . إلى جانب جمعه ما بين النصرانية والمجوسية ، وتمثل ذلك في زعمه ماني أن العالم مركب من عنصرين أصليين قديمين ، هما : النور والظلمة ، وهما مختلفان ليس للنفس والصورة ، متضادان في الفعل والتعبير^(٤).

(١) طه ندا : دراسات في النشأة ، ص ٥٠ ، محمد حسني الغرهوطلي : المرجع السابق ، ص ١٥٢.

(٢) طه ندا : المرجع السابق ، ص ٢٧٥ ، طه ندا : أصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥١.

(٣) المسعودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٥-٢١٦ ، الشهرستاني : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨١ : ابن القيم : القهرست ، (دار المعارف للطباعة والنشر ، تونس ، موسسه ، ص ٤٥٨).

(٤) عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي : الفرق بين الفرق ، تحقيق - محمد محيي الدين عبد الحميد : (المكتبة العصرية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤١٦/١٩٩٥ م) ، ص ٢٧١ ، ذكرنا كون ماني قبل في زمن هخامنديين بهرام ، حاشية (١) الشهرستاني : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨١ ، طه ندا : أصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥١.

وبذلك فقد تشابه مع الزرادشتية ، وفي الوقت نفسه اختلف معهم في تشاؤم ماني على عكس زراشت حيث دعا إلى التقشف بقمع الشهوات والرفء ، والصيام سبعة أيام من كل شهر» إلى جنب أربيع أو سبع ساعات في اليوم ، وتقااضات أخرى عديدة.

وعلى الرغم مما سبق فقد كثر معتقوه حتى زاحموا الزرادشتية وضيفوا عليها المجال ، وظلت مزدهرة حتى عهد بهرام الأول وقتله لماني وتشريد أتباعه ، وإن كانت قد ظلت تعاليمه مع مريدته الذي أهدوا على عاتقهم نشر تعاليمه ، والتي كانت في بابل ثم انتشرت إلى ما وراء النهر وخاصة سمرقند^(١)، ولقد ألف ماني مبعة كتب شرح فيها تعاليم دينه ورحلاته بآسيا الوسطى والهند والصين^(٢).

المزديكية :

من الواضح كونها فرقة قد اتبعت من الزرادشتية مع اختلاف بسيط فهي تنسب إلى مزدك «وكان يشغل وظيفة موبذ موبدان أيام قباد بن فيروز» ظهر في القرن الخامس الميلادي عام ٤٨٧م من فارس من أهل نيسابور^(٣).

(١) ابن التميم : المصدر السابق ، ص ٤٦٨ ؛ الشيرازي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٥ ؛ طه ندا : دراست في الشاهنشاهية ، ص ٢٧٥-٢٧٦ ؛ طه ندا : أصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥١ ؛ محمد حسني الخربوطلي : المرجع السابق ، ص ١٥٣-١٥٤.

(٢) محمد حسني الخربوطلي : المرجع السابق ، ص ٦ ، حاشية ٢.

(٣) أشهر متفاني : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٨٦ ؛ طه ندا : دراست في الشاهنشاهية ، ص ٢٧٦ ؛ طه ندا : أصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥١ ؛ محمد حسني الخربوطلي : المرجع السابق ، ص ١٥٥ ؛ محمد توفيق صادق : المرجع السابق ، ص ٦ ، حاشية (٢).

ولقد خلف زرادشت في كثير من المسائل ، حيث ناقش القضية بين الأصليين القديمين ، وهما : النور والظلمة ، وهما أساس دين المجوس القديم^(١) وذكر أن النور يقبل بالقصد والاختيار والظلمة تقبل على الحبط والاتفاق والنور عالم حساس والظلمة جاهل أعمى ، وإن المرجح كان على لاتفاق ، وليس على القصد والاختيار ، وأيضاً الخلاص بالاتفاق دون الاختيار^(٢) . ودعا كذلك إلى التسوية والمساواة بين كل الناس للقضاء على التعاهد والطمع بينهم ، وكان ذلك وراء مقتله على يد لوشروان عام ٥٢٣ م وأتباعه معه^(٣) .

هذا إلى جانب فرق أخرى عديدة قد نشبت من مذاهب الفرس ، منها فرقة النيسانية ، والمرفونية ، والكتبونة ، والساسانية^(٤) .

هذا ومن الملاحظ على الحياة الدينية عند الفرس بقاء الديانة الزرادشتية ، وانتشار بيوت النار لممارسة العقيدة فيها ، بخلاف كل من المالوية والمزنيكية ، والتي ما لبثت أن ظهرت ثم اختفت ، وإن كان اختفاؤها لم يكن مبرهاً ، ومرجع ذلك إلى القيمة العملية لتلك الديانة بالنسبة للملك والروعية ، فمن خلالها وضعوا أسس النظام الملكي في

(١) طه ند . أصول من تاريخ الحضرة الإسلامية ، ص ٥١-٥٢ ، مصدر فخرى صافي : المرجع السابق ، ص ٦ ، عاشر (٣) .

(٢) الشهرستاني : الملوك والنمل ، ج ١ ، ص ٨٦ ، دائرة المعارف الإسلامية : ج ١ ، ص ٣٥٢ .

(٣) ابن النديم : المصدر السابق ، ص ٤٨٠ : الشهرستاني : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٨٦-٨٧ ، أبو الفعلى محمد الحسيني الطوسي : بيان الأكديان ، ص ٨٩ ، طه ند : دراسات في الحضارة ، ص ٢٨٦ ، طه ند : أصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥١-٥٢ ، محمد توفيق : المرجع السابق ، ص ١٥٥ ، أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٧٠-١٧١ .

(٤) الشهرستاني : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٨٨ ، علي حس الخربزطلي : المجوسية والمجوس ، ص ١٥٦-١٥٧ .

مارس ، حيث لقوا في وجدانهم كونهم ينتمون إلى سلالة الملوك الكابانيين السابقين عليهم ، وهم الآلهة الذين لصطفاهم الله لكسب يحكموا للعالم والأرض بتكريض منهم هو إله النور^(١). لذا وجب عليهم السمع والضعف ، لا فقد جعلوها للذين القومى للدولة.

ثانياً الترك .

اتفق الباحثون على أن موضوع الترك وأصولهم العرقية من الموضوعات التاريخية الصعبة ، وذلك لعدة أسباب ، وهي :

- اتساع تلك للربعة التي تشغلها قبائل الترك في أولسط آسيا وشرلها.
- اختلاف لهجات تلك القبائل التركية وتلوعها.
- اختلاط عروق قبائل الترك بالشعوب المجاورة من الإيرانيين عرباً وإلى الصين شرقاً.

وتضيف الكتابة إلى تلك الأسباب سبباً أحسر وهو المصادر ، فأغلب من كتب عن هذا الموضوع كتب في عصور متأخرة مما يعرض المعلومات الواردة فيها للشك ، نظراً للتأرق الزمنى الشاسع بين تأريخ حدوث الوقائع وتاريخ كتابتها.

وإن كانت الاكتشافات الأثرية الحديثة ، وأيضاً نقوش أورخون^(٢) التي تناولت فترة تاريخه قصيرة تبلغ نصف قرن من عام ٦٨٠-٦٣٠ م ،

(١) محمد حسنى الفروطلى . مرجع سابق . ص ١٥٧

(٢) نقوش أورخون - نسبة إلى نهر أورخون في منغوليا ، عثر عليها عام ١٨٨٩ م ، وهي لأدم قر حفته الأيام من آثار اللغة التركية ، اكتشفت على صريح مشترك لآتين من الأمراء ، وهما بالكافاقان وأخيه الأسفر كلنكس ، وترجع لعام ٧٣٤/٨٣١ م ، حيث كتبت بخط شبه الخط الرومى الذي استعملته الشعوب الجرمانية حوالي القرن ٧م ، فالتبسوه من القروس ، ولستبطوه من الخط لآرى ، وكما يذكر كارل بروكلمان ، بأنها تحمل كتابات تركية قديمة مد عم ٧٣١-٨٣٥ م ، وترجع إلى الدولة الجديدة التي حكمت إلى عام ٧٤٤ ، وإن كن لا تختلف معه بعض الباحثين الذين ذكرهم طه ندا بكونها تشمل فترة صخيلة من تاريخ الترك تبلغ نصف قرى وشير إلى أترك الشرق أثناء صعودهم للصين ، كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٦٠ طه ندا : القوارقور والإيرانيون ، (مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، ١٩٦٩م) - مجلد ٢٢ ، ص ٩٤-٩٥.

والتي اكتشفت في النصف الثاني من القرن ١٩م على ضفاف نهر أورخون في منغوليا قد كشفت القلب عن أشياء عديدة عن هؤلاء الترك^(١).

التعريف النقوي «الاصطلاحي» للترك .

لنحل هذا التعريف اهتماماً كبيراً من كل من الأتراك والأجانب ، ولقد تعددت أراؤهم حول ذلك ، فوجد الرأي الأول : وهو أن لفظ «الترك» تعني «ترك» بمعنى عما لو أخذ سبيله ، ولقد وجد الباحث في هذا شواهد بتوثيقها من تلك الأحاديث النبوية عن الرسول ﷺ فقال «تاركوا الترك ما تاركوكم» ، وهو يعني مسالمة الترك ، وهي أمنية بوصية موجهة للعرب جميع ، وإن كانت تلك الأحاديث ملقاة ، الغرض منها التباهي والتفاخر ، وهو ما عرف لدى الطوائف الأخرى بالشعرية منادية بزوح المساواة والعزرة ، وإن كان الأمر مختلفاً بالنسبة للعرب ، فهي تعبر عن روح الكباغض والتعذوة والتي يحملها هؤلاء للعرب^(٢).

والرأي الثاني : والذي نتج من خلال الاكتشافات الأثرية أثناء العشرين أو الخمسة والعشرين عاماً السابقة ، والتي ساعدت على تعزيز الدراسات التاريخية والوقوية تلك التي يترككم بسرعة من حل رموز نقوش أورخون Orhun ، فكانت كلمة الترك من الأشياء التي كانت تتصل في معناها لأكثرها بكونها اسماً شائعاً يعني القوة أو السلطة ، وصلة تعني رجل القوة «الأقوياء الأنداء» واستخدمت بهذا المعنى في وثيقة فارسية^(٣).

(١) طه ندا : المرجع السابق ، ص ٩٣-٩٤.

(٢) الباحث : مسائل الترك برسائله أبو الفتح بن خلدون وزير المنوكل وما يختصه من الشجاعة وهو الهمة وحسن البلاء في خدمة الإسلام ، (فقهرة ، ١٨٩٨م) ، ص ٧٦ ، سعد رطلون عبدالصمد : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، (مجلة عالم الفكر ، الإسكندرية ، ١٩٧٩م) ، المجلد العاشر ، العدد الثاني ، ص ١٤٥.

(٣) يرجع تاريخها إلى عام ٤٢٠ق م ، وكذلك في النصف الأول من القرن ٥م ، وهي المصادر البيزنطية عام ٦٥م.

Ibrahim Kafeso Glu : Hakkında Rasm Jildiz Erdo Gan Moral and Mehmet Sarary : Ashort History of Turkish-Islamic States Excluding the Ottomem State, (AnKara, 1994), p.1

وشرأي الثالث : ساد بين بعض العلماء أنها ربما مشتقة من «Tu-Tu» أو «Tu-Ko» وهو الاسم القبلي لأسرة «Man-Tun» حاكم إمبراطورية هون Huns في الوقت المناسب كاسم لتلك الشعوب التي تنحدر من الجنس التركي الذين يتحدثون اللغة التركية ويشاركون في الميراث والثقافة التركية^(١).

== التفسير المرفي

لقد تعددت الآراء حول ذلك^(٢). وإن كان هناك رأي قد استقرت عليه بعض مصانيرنا التاريخية القديمة من كون كل أمه من الأمم تنحدر سلالتها من أحد أبناء الجد الأكبر^(٣). وهو نوح من ولد يافث بن نوح والذي قسم الأرض بين أولاده ، فكان نصيب يافث الشمال والشرق ، وهي المناطق الممتدة من سهول سيبريا إلى وادي بحر الخزر وجبال ألطاي ، وترك رعملة قومه لأحد أبنائه^(٤).

- (١) برونك : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، (مكتبة الانطو المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٨م/١٩٥٨م) ، ص ٢٨-٢٩ عت النعم ماجد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٥ ، (زبيدة صفا : الترك في العمود الوسطي بين منطقة وسلاجقة الروم والعثمانيون ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت) ، ص ١٢ ، Ibid, p. 1
(٢) كلهم ينحدرون إلى أصل أثني القتب ، ومن المحتمل كونها أمراء يطلق عليها (Zona وأحياناً بورا Bura ، ثم أصبحت خلال الفترات منه سلسلة للترك والمغوليين ، وذلك بوضوح السبب وراء ظهور هذا الحيوان في العروب لأولى أئمة آسيا الوسطى ، ثم صارت عند الأتراك العثمانيين فيما بعد
M.A. Czaplicka, the Turks of central Asia in History and at the present day, (Oxford, 1981), p.4.

وهذه ارتباط بين أسطورة Bazkurt التي يظهر فيها قنقير كرمير المنفذ أو المرشد وبين اعتقاد Cok-Turk بأنهم ولدوا من قنقير القتب التي تمكنت مني حنظلهم السموي التي يحصلون فيها أصنام قلائد السموي برأس القتب المصنوع من الذهب ، Ibid, op.cit., p.24.

- (٣) أبو بكر القره ماني : كتاب الجغرافية ، ص ٦٧ ، القزويني : ريس الأخبار ، ص ٤٣٣ ، ابن خلدون : المصنوع السابق ، المجلد الخامس ، القسم الرابع ، ص ٧٦٨

- (٤) سعد رغلول عبد الصمد : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، ص ١٤٥ ؛ سعد رغلول : الترك والمجتمعات التركية منذ الكتاب العرب وغيرهم ، (مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، ١٩٥٦م) ، المجلد العاشر ، ص ٦١.

ويؤكد ذلك ما ذكرته المصادر الدينية وأكثرت الدراسات العلمية على مدار الحسمين عاماً الأخيرة «٥٠ عاماً» والتي تصف على يقيناً الهيكل العظمى الذي عثر عليه في «Kurgans» في حيرات لندن التي بنيت في الأراضى التركية القديمة في آسيا^(١).

- الحياة الاجتماعية عند الترك :

أولاً . صفاتهم الشخصية :

وصف الصينيون قبائل «الهنوح - نو» والتي يعتبر الهياطلة فرعاً منهم ، حيث تتواجد فيهم بعض تلك الصفات ، بأنهم ذو قدمة ، وجسم ربعة ، ورأس منور ضخم ووجه عريض بارز وأنف الأطلس ، ولحية طويلة الشعر ، ولثنتين طويلتين بهما حنقات تتركب للريشة ، ورأسهم بلا شعر سوى لمسة موضوعة في منتصف الرأس ، وحاجبين كثيفين وعينين مفتوحتين ذو حنقات حادة ، وتلك الصفات تنطبق على قبائل الهون أثبتها Attila التي ذكرها الكتاب الكثير ، ويضيف عليها لبهم لغودهم ولأبنانهم منذ الصغر لكي لا ينبت بها الشعر^(٢).

(١) واستكمالاً لما ذكر حول أصل الترك ، نجد هناك وجهات نظر عديدة لبعض علماء أوروبا في الصور النمطية ، فيما يتعلق بالأصل المنطوي للأكرال وإن كانت الدراسات في الهيكل العظمى لهم ، توضح عدم صحتهم بالمعول لا من الناحية العرقية ولا الثقافية ، ولا من ناحية السلالة والعرق ، أما مفهوم الحكومة والقانون وكذلك التشابه في اللغة والملاحق العرقية يرجع إلى الملاحظات المتوارثة ، وكذلك الاتصالات العرقية فيما بينهم ، ولقد أوضح الأثرولوجيون الخصائص المميزة للترك في المنطوقين بعد الكشف الذي تم في شمال غرب بحيرة بيكال Baykal في سهول منشوريا Mumsinsk منطقة مشروعة بفنلندا «صيانة» Andromove ، حيث كان يعيش الأثر في عصر ما قبل التاريخ Ibrahim, A short History of Turkish-Islamic States Excluding the Ottoman State, p.2.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد - الترك والمجتمعات التركية ، ص ٩٦ ؛ سعد زغلول الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، ص ١٤٩.

أما عن الكتاب العرب مؤرخينا فقد ذكروا الوصف نفسه ، وسهم الطبري الذي سبق ونسبهم إلى ياقث بن توح ، وضم إليهم الصقالبة وأجوج وأجوج حيث ذكر أنهم من ولد ياقث «عظيم الوجه ، صبيح العيين»^(١).

ولقد تناول المسعودي الشيء نفسه حيث عاد ذلك إلى تأثير البيئة على صماتهم وتركيبهم الجسماني موضحاً أن تأثير كل بقعة في الناس من النباتات وهما ليس بنام كتأثير أرض الترك في وجوههم وصغر أعينهم ولدت هذا التأثير على نوابهم مثل الجمال ، فقد قصرت قوائمهم وغلضت رقابهم وأبيض وهرهم ولقد شاركه الطبري في هذا الرأي ذكراً أن أرض أجوج وأجوج في صورهم^(٢).
ثانياً . صفاتهم العسكرية :

التركي فارس دائماً راكب الخيل ، لدرجة أنها قد تركت أثراً على تركيبه الجسماني وهو تقوس أرجله^(٣). يصرب بالنسهم والقوس من على بعد ، وفي كل اتجاه ذو شدة ، صاحب نوقد واشتعال ذو فطنة ، ولم بارع فهو عندما يرمي فهو يرسي الوحش والخيول والناس والطائر الخفايا حيث يرسي بسهم واحد ، وللتركي أربع عيون ، عينان في وجهة وعينان في فناء وإلى ذلك فيدل على حذرة وقوة ملاحظته وتربيته وإقامته الصولة على ظهر الخيل.

(١) الطبري ، تاريخ فرس والملوك ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ١ ، ص ٣٢ ؛ يقول لصوي معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٣٧٨ .

(٣) سعد زغول عب الصمد : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، ص ١٥٠ .

وعلى الرغم من كل تلك الصعوبات العسكرية ، إلا أنه في قتاله
وصراعه لا يقاتل على بلاده ولا على دينه ولا ملك ولا أي شيء من هذا
النبيذ . وإنما على السلب حيث لا يخلف الوعد إن خرب ، كما أنه لا
يرجو الموعد إن لجأ وهو في بلاده وطبقا لعاداتهم وحروبهم فهو الطالب
، وليس المطلوب ، فحياته تتمثل في الغزو والغلبة والمصيد وركوب
الخيول ومثلب الغنائم ، وذلك لأنهم ليس لهم في الصناعات ولا التجارات
ولا الطب والفلاحة والهندسة ولا شق الأنهار وجباية غلات^(١).

وهم مهرة في تربية الحوام وخاصة الخيول حيث اعتمادهم أول
والأخير عليها ، ساعدهم في ذلك تلك السهوب المناسبة لموطن تلك
الخيول ، لذا فهم ملتزمين لها طوال الوقت لا يدرون من عليها إلا لمقابلة
زوجاتهم وأطفالهم الذين يعيشون في تلك الحوام التي كانت في وقت السلم
مثل البيوت ، وفي الحرب فهي غيام على عجالات متحركة.

وهناك وصف لتلك العجالات قد اتفق عليها كل من المتقدمين
والمؤخرين ووصفوها بأنها عبارة عن عصيان خشب تركب جنبها إلى
جنب بأثر ملحة من الجلد ، وفي أعلاها تكون على شكل دائري حيث
تغطي بالوبر أو الجلد ، ومقفه يترك مفتوحا لدخول الهواء ولخروج
الدخان وذلك لكيونها بيتا لمعاشهم ومقاسمهم أما في الحرب فهي على شكل
أسوار للدفاع وتحفظ ما يتعلق بهم^(٢).

(١) الجاحظ : في فصيل قترك ، ص ٤١ ، ٣١ سعد زغلول عبد الحميد الإسلام
والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، ص ١٥٢.

(٢) ابن بطوطة : تحفة القطار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ١٩٧ ،
ابن عرشاه : عجائب القصور في أخبار قيمور ، (الطبعة الأولى ، القاهرة .
١٢٨٥هـ) ، ص ٥٩ ، سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٧٢

ثانياً طعامهم -

نظراً لكونهم قوماً من الرعاة ينتظرون من مكان لآخر وكذلك تولد الحيون عددهم ، لذا كان اعتمادهم في الطعام على لحومها وكانت لهم طريقة معينة في تبيحها بحيث لا يجطونها تقزف ، وذلك عن طريق صرب أو يحد منهم على رأس الشاة حتى تموت أو عن طريق الحقن ، أو إدخال السكين في الجوف^(١). وقال ابن عريشاه «إنهم يأكلون الميتة والسّم المسموح»^(٢).

ويؤكد ذلك ما ذكره الجاحظ قتيلاً : «ليس في الأرض أحد إلا وبذنه ينتفض على إفتيات اللحم وحده غير التركي»^(٣). والسبب في طريقتهم تلك اعتقادهم بأن اللحم يظل رطباً مع احتفاظه بقيمته الغذائية. شرابهم -

لقد كان المفضل لديهم لبن «الخيل» المخمر ويطلقون عليه «القمز» فلم يكن من العريب أن تشترك النساء معهم في شربه وإن كانوا بعد دخولهم في الإسلام لم يتخلوا عن هذه العادة وإلى جانب هذا الشراب يوجد شراب العسل وذلك نظراً لكثرة في بلادهم ، فكان الغز يشربون النهد ويتنمونونه قرابين لمعبوداتهم ، وكذلك ترك التبشيق الذي شاع عندهم لبيذ «النوفا» الذي يصنع من النخن حيث يسمونه «جوزه»^(٤).

(١) الجاحظ : المصدر السابق ، ص ٢٩ ، ٤٨ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ١٥٩ ؛ سعد زغلول : الترك والتجهيزات التركية عند الكشاف العرب وغيرهم ، ص ٧٣.

(٢) ابن عريشاه : المصدر السابق ، ص ٢٣٧.

(٣) الجاحظ : المصدر السابق ، ص ٤٨ ؛ أحمد بن فضل بن العباس بن راشد بن حماد رسالة بن فضل في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والحر والروم والصفالية ، ص ١٢٥.

(٤) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص ١٠٩ ، ١١٠ ؛ سعد زغلول الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، ص ١٦٠.

١ - الحياة الدينية عند الترك -

للتترك العديد من المعتقدات الدينية^(١). التي تبين مدى تأثيرهم واعتناهم لتلك الديانة ففسير الأبحاث الحديثة أن العقيدة التركية تعود في ثلاث محاور ، وهم :

المحور الأول

وهو الاعتقاد في قوى الطبيعة فتمسوا الحياة في حقيقة الأمر إلى الملامح الجغرافية ، مثل : الجبال ، والمستنقعات ، الوديان ، والصحار ، والمحيطات ، والأدهار ، والكهوف ، والغابات ، وأيضاً الظواهر الطبيعية المتمثلة في البرق ، الرعد ، السماء ، فكانوا يطلقون على هذا الاسم Yir-sub وكل تلك المعتقدات كانت لدى الشعوب التركية القديمة.

ومن الأشياء الغريبة التي تشير إليها النقوش أن قرية أونكيس Otuken ومنبع نهر Tamir حيث جد الأتراك الأول المتعش في الذهب ، والذي اتخذ الترك الغربيين شعاراً لم يصنعونه في سارية رايتهم في هروبهم «هو عبارة عن رأس نخب من الذهب» لذا اعتبرت تلك الأرض أرضاً مقدسة^(٢).

ويؤكد ذلك ما ذكرته المصادر الصينية أن خيمة ملك «التوكيو» كانت تفتح نحو الشرق نظراً لشروق الشمس مدوا مع بداية كل صباح ، وكذلك جههم إلى جبل الذهب وهو «فتون داغ» أو فتاي حيث تسكن روح السماء التي أطلقوا عليها «هوت تنجري» وكان من هؤلاء الملوك الذين يتوجهون نحو إله السماء «تنگري»^(٣).

(1) Ibrahim Kafeso Ghu : Hakkında Jildiz Erdo Gan Morcil and Mehmet Saray, op. cit., p.2.

(٢) عبد المطلب ملحد : التاريخ المحلي للدولة العريضة ، ج٢ ، ص ٢١٧-٢١٨ ؛ Ibid, p.2.

(٣) تنگری «السماء» Tengri : والتي يسمونها الترك ، تكومها بيت الأرواح الخيرة . وأحياناً يسمون أنفسهم Tengri ، وكذلك من أجل لقاءهم إله القمر ، إذ هناك مجموعة من الشامان «Shamans» ، وهي مجموعة من رجال الدين ، وين كل نكل قبيلة مسمى معين ، وكلهم يشتركون في طقوس شجيرة واحدة تشترك -

ولقد عبد الترك من أهل الصين العناصر الطبيعية الموجودة حولهم مثل الشمس ، القمر ، الجبال ، الأنهار ، وهناك قبائل عيبت البقر ، وقبائل اللججك التي بلغ عدد العناصر التي تعبدتها ١٢ عنصراً به عناصر خاصة ماثتاء ، وأخرى بالسيوف ، والعطير والشجر والناس والماء والليل والنهار ، والأرض ، وإن كان أكبر الآلهة هو تتجرى «تتكرى إله السماء» إلى جانب تخديمهم للماء لدرجة أن المسلمين كانوا يجدون حرجاً في استخدامهم للمياه في الوضوء ، لذا كانوا يفتسلون ليلاً. ومن الأشياء المقتسة لديهم أيضاً معدن الحديد الذي تصنع منه آلات الحرب^(١).

- بهذا الطيلة المقدسة ويطلق عليها «Tunguru» ، ولم تذكر أي إشارة عن تلك الطلوس ، إلا أن هناك تشابهاً بين تلك التي تمارس في قوفا الحاضر ، ويطلق على تلك التراسم لدى أتراك مقاطعة «Minusinsk» وهي ربع سوية ، وعدة في نهاية شهر يونيو ، ومن هؤلاء الأتراك بلنر Belir Kachurs وليس مسموح للنساء لانتزاعه فيها ولا التخصير لها. ويتم لفتنار المنكر الذي تتم له تلك التراسم في قمة جبل حيث ينمو الزان وبعض الأشجار المقدسة ، ويولد جنبه لآزار واحدة تسمى Ulugot لب النار تكبرى ، والأخرى Kiching أي النار الصغرى ، ولا يجوز أحد أن يقترب من تلك النار سواء من جهة الشرق أو من الجهات الأخرى ، فيسمح للقلادة بالدخول ، ثم يتم التضيئة بسمعة أوتيسر نور أوتاه حمراء أو سماح صرخة كمفتهم في النبع ، وفي بعض القبائل يستخدم الحصان Ulugot ، «إله» حيث يتم ذلك بين Altanman حيث يطلق الربع الأماسي على النار الكبرى ثم الأربع الخلفية مع لحم الحيوانات الأخرى غير المضحى بها على الصغرى ، بينما تكبر الترم Midurba يربط حيط طويسل من الكتان مربوط برش الحرس مربوط بقطعه ران وطرفي الحيط يسك باليد ويبدأ حيد السماء في قتناء للسماء.

VI A Czaplicka, the Turks of central Asia, p31,32, 140

(١) سعد رغانول عبد الحيد : الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب ، وغيرهم

، ص ٧٧.

المحور الثاني

عباد الأجداد التي تمثلت هي لحرّام الموتى ، وكان هذا الاعتقاد موجوداً في المجتمعات المختلفة منذ العصور القديمة ، ويؤكد ذلك تلك العقوبة التي توقع على من ينتهك للمقابر ، فيذكر أن الحرب التي قُلبت عام ٦٩ ق.م ، كانت بسبب سرقة قبور الأتراك القدامى ، والذين دفنوا في مراسم تسمى Yog وفيها يتفنّ الرجال بأسلحتهم ومروجهم وأطقم فرسانهم ، أما النساء فنحن بمجوهراتهم.

والى كنت أعتقد أن تلك العبادة قد تطرقت ووصلت إلى التصحية بالناس في مراسم التكري كما كان يحدث مع بعض الناس في بعض الشعوب الأخرى ، حيث لم تكن العبادة لم تكن سائدة في الاحتفال السنوي لدى الأتراك ، حيث الجنّ الذي دار ليثبت عكس ذلك من جانب بعض العلماء ، فهو لم يكن سوى نوع من التحامل على هؤلاء حيث كان يستخدم فيها « At, dan Aygir, koyundan Ko C, deveden bugra » ، وهي تعني أن اختيار الأضحية من بين ذكر الخيول ولأغنام أو الجمال^(١).

المحور الثالث

ثم تطورت عبادة تلك العناصر إلى عبادة ثانية قد اقتصرّت على عنصرين فقط هما : عنصر السماء «تجري» ، وعنصر الأرض المرتفعة كالجبال ، وعبادة تلك السماء وهي المعروفة بعبادة الشمسية «chomanissene» والمقصود بها عبادة إله السماء إلى جانب عبادة بعض الكواكب الأخرى كزحل والزهرة ويشبهها المسمودي في تلك عبادة الصائبة عند الفرس^(٢).

(1) Ibrahim, Ashort history of Turkish-Islamic States Excluding the Ottoman State, p.26-27.

(٢) قيسري : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ١ ، ص ٨٢ ؛ مطهر بن طاهر

المقدس : البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٤ ؛ حسين مجيب المصري -

هو امتلاء كل من السماء والأرض بالأرواح سواء أكانت شريرة أم حميدة وبواسطة الكاهن الذي يطلق عليه ملهان ، يستطيع السيطرة على تلك الأرواح ولتتألمب محبة الخير بالنظر إلى السماء التي تنزل الوهيتها ، فاعتقدوا أنها خلقت العالم.

ولقد تمسك الترك باسم السماء «تجزي» ، فكانت المميتية هي ديانتهم القومية «الوطنية» تلك التي تتألمب مع طبيعتهم البدوية ، وهي التي تقدر ذكرهم لحبهم للحرب ، ولقتل حيث ينكروا تماماً عقوبة أي شخص منهم في الآخرة بسبب قتله لشخص آخر ، ولكنهم يعفروا بذلك باعتبار الذي قتل هذا روح شريرة ، لذا فهم يصومون على قبر المميت أحياناً ، بعدد ما قتل ، وهذا نوع من التشريف ، أو صوم من غضب على عدد من قتل من الناس ، وذلك ليكونوا حذماً له في الحياة الأخرى^(١).

- من كتب القرنين والترك ، (القاهرة : ١٩٥٠م) ، ص ٢١ ، عبد المنعم محمد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٧ ؛ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٢ ، ذكر أن تلك التسمية : أنها نسبة إلى شامان ، حيث تعود إلى أصل سلسكري «كاهن» وقد عمت تلك التسمية لشعوب المارلة في منطقة جبل أوران من موزون وأتراك.

(١) ابن فضلان رسالة ابن فضلان ، ص ١٣٠ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : الأتراك والمجموعات التركية ، ص ٨ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، ص ١٦٦ ؛ وفي كل هذه رأي مخالف لما ذكره عن التسمية مع أن التوضيح أن كلمة Shaman ذات أصل هندي أوروبي ، حيث تعود إلى الاعتقاد الشائع بأن الأتراك كانوا شامانيين يؤمنون له دليل على العرش من صعدة أو بعض أترك آسيا الوسطى كانوا كذلك ، وفي كل ذلك لم يؤثر على حقيقة الأصلية للأتراك ، ولكن في القرنين الثامن والحادي عشر بعد هذا فتمزج قد أتى من الجنوب من الأفكار البوذية التي انتشرت بين الأتراك التركي ، وحتى أثناء Gök-Türk كان ينظر إلى التسمية على أنها شكل من أشكال الشعوب أكثر منها دينية وأفكار ، مثل الأرواح الشريرة التي تسكن الإنسان =

- بلاد الترك -

تعددت الآراء حول بلادهم ، وإن كانت جميعها تحمل على مصموبها معنى واحداً ، ويمكن الاختلاف في الشمول أو الاختصار .

تركستان : « وهي المكان الجامع لكل بلاد الترك » ، وهذا يعني انتشار اسم الترك^(١) في أربع الشرقي الشمالي من المعمور فيما بين الصين إلى تركستان وخوارزم وفتشاش وقرغانه وما وراء النهر وبخارا وسمرقند والترمذ^(٢) .

وبمعنى أكثر تحديداً نذكر أن موطنهم يشمل تلك المناطق الخصبة الواقعة بين نهري جيحون وسيحون ، وإن كان ذلك ليس موطناً للترك جميعاً بل موطن الترك الغربيين ، ثم يتجاوز إقليم ما وراء النهر صوب الشمال حتى منطقة السهوب الروسية ، وتمتد قليلاً صوب الشرق حتى حدود الصين ، وقد يمتد أحياناً ناحية الشمال الغربي من بحر قزوين ويدخل منطقة القوقاز من الشمال ، وأحياناً يمتد في حوض الفولجا ، لهذا موطن الترك الشرقيين^(٣) .

ولقد أطلق العرب على المناطق المعمورة التي تمتد من مشارق خراسان من أرض الإسلام إلى مدارب الصين في أقصى الشرق ، ومن شمال الهند جنوباً إلى أقصى المعمور شمالاً موطن الترك^(٤) .

= في القرن السابع ، والأسئلة الغنية لمتنفة بحلة ما بعد الموت ، وهذه الألباء لم يمتد فيها التركي ، ولقد ظهر اسماء أن كلمة Shaman-Kam لها المعنى نفسه ، وهو رجل الدين ولكن ثبت خطأها

Ibrahim, op. cit. p2.

(١) باقوت المصري : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٢٢ .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الرابع ، ص ١٧٤ .

(٣) حسن أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتوح العربي والتركي ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م) ، ص ١٣١-١٣٢ .

(٤) أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي : طبقات الأسماء ، ص ٨ ، السيد البكر العريضي : المغول ، (دار النهضة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ، ص ٣٠ .

- القبايل التركية :

سوف نركز على تلك المصادر التي ذكرت تلك القبائل موضححة أجناسها وتسميتها الكثيرة إلى جانب اهتمامنا بتلك القبائل الموجودة في أقصى الشمال الشرقي لإقليم خوارزم ، وذلك لكون وجود علاقة بينهم بحكم القرب والجوار ، ووجود عناصر تركية منهم داخله في التركيب السكاني لإقليم خوارزم^(١).

ولقد ذكر ابن خلدون في مواضع عديدة من كتابه ما لهؤلاء من أجناس وشعوب كثيرة ، منهم التترغز «طغرغز» وهم التتر - العطب بأرض طمغاج ، ثم كانت بلاد ملوكهم في الإسلام تركستان وكاشغر ، الخراسانية ، الفز الذين منهم السلاجقة ، الهياطلة الذين منهم الختج ، ومن أجناسهم الفور ، القفجاق «الخفشاج» ، ، ويملك ، العلان أو هلان ، شركس ، أركش ، الخزر ، وهم التركمان من ولد توغر بن كומר بن يافث^(٢). إلى جانب أصناف عدة ، منهم التتية ، الخرخيزية ، الكيمائية ، الجقر ، التيجانك ، الفلج ، بلغارية ، فذكر أنها كلها ظلم النهر إلى جانب البحر الشرقي المظلم^(٣).

ولقد انتشر هؤلاء في الأرض وعمروها حتى كثرت أسماهم وتمدهوا بمذاهب شتى ، حيث الغلب على أكثرهم كونهم مجوساً ، وعلى طبعهم الحفاء ، يتضح ذلك من خلال غزوهم للمسلمين سواء العرب أو الترك الذين أسلموا فيما بعد ، ولذين كثروا لا يهابون هؤلاء.

(١) محمد عبد الهادي شعيرة : الممالك الخليفة أو ممالك ساء وراء النهر والدولة الإسلامية إلى أيام المعتمد ، ص ١٩.

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق . المجلد الثاني ، القسم الأول ، ص ١٧ ، نقلت من نهاية الأرب في معرفة السلب العرب ، (نشر الكتب العربية ، بيروت ، لبنان ، د.ت) ، ص ٢٥ - ٢٦.

(٣) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، ص ٥١٨.

قبيلة الغر^(١) وعلاقتهم ببلاد خوارزم

يعتبر ترك الغر أحد الشعوب التركية التي هاجرت من أواسط آسيا وحضروا للصين ، حيث أطلق الصينيون على جماعة الأتراك الغر المهاجرين من منغوليا إلى شرق تركستان الصينية اسم «شا - نو» أي سكان الاستبس ، وكانت مدينة «جشي - باليق» في أودي هؤلاء منذ القرن التاسع للميلادي «٩م» ، وما إن وقع عليهم الضغط من قبل بني جلدنهم الموجودين في الغرب ثم يقوموا بأية مقاومة واتجهوا إلى الشرق ، فدخلوا الصين في القرن التاسع للميلادي «٩م» واشتركوا في قمع فتوة ، وأنشؤ صرث الإمبراطور ، ثم استقلوا عنهم وانضموا إلى إمبراطورية تومين «Tumen» فكفوا ضمن العشائر التي تكونت منها تلك الإمبراطورية السابقة في القرن السادس الميلادي «٦م» إلى جانب عشائر من ترك الغر التي كانت تنتمي إلى الأتراك الغربيين ولقد ظلوا في صراع مع أتباعهم من القبائل التركية دائمة الثورة ، وبعد انهيار تلك الإمبراطورية في القرن الثامن الميلادي «٨م» تفرق هؤلاء في اتجاهات مختلفة.

(١) الغر - الأغز - الأوغوز : من القبائل التركية ، وقد أطلق هذا اللفظ على القبيلة الكبيرة فيما يبدو ، والتي وجدت في القرن ٦م ، حيث كانت جميع القبائل في قبيلة واحدة ، والتي امتدت من الصين إلى بحر الأسود ، وقد وردت الإشارة إليهم تحت مسمى أغر وهو التفرغ في نواحي أورخوس في القرن ٨م ، ويسمى هذا «القبائل العشرة» وإن كل هذا يسمى أن الأوغوز يتألف من عشر قبائل : السيد أباي الغربي : المرجع السابق ، ص ٣٠ ؛ ومما يؤكد كون الأوغوز اسم المر من خلال ذكرهم لأماكنهم : نذكرنا كانت بلاد الأوغوز يتألف من جرجس ، وهي من تلك المسلمين في الغرب حتى قاراب واسيجك حيث تعرف الآن تحت مسمى «سورام» بالقرب من «جيمكند» ؛ بقرة المعارف الإسلامية - ج ٢ ، ص ٦٦-٦٧

وهي أواخر القرن العاشر الميلادي اتجهوا إلى مناطق الأورال
والهولجا إلى الشمال الغربي من الصين ، فطردوا عناصر الينجك ، وبعد
احتلالهم تلك المناطق وعبرهم من القولجا إلى جنوب روسيا بدأت
علاقاتهم بروسيا ، لذا أطلق عليهم في المصادر الصينية اسم
«Tokki»^(١).

وتصوب المصادر الصينية كذلك أن هؤلاء العز المقيمين ينقسمون
إلى عشر قبائل خمس من تلك العشائر تسكن نهر أبله ، والخمس الأخرى
في جنوبه ، ويطلق عليها في ترجمة نقوش لورغون اسم «لور لوق» أي
«السهم العشرة»

وتشارك تلك المصادر السابقة الذكر مع المصادر العربية في أنها
قد اتجهت فيما بين بحر الخزر إلى أواسط نهر سيردريا.

أما عن موطنهم بالنسبة لمر يجاورهم من القبائل الأخرى فنجد :
حدودهم ما بين الخزر وكيماك وأرض العربجية وبلغار وحدود دار
الإسلام ما بين جرجان إلى فاراب واسيجاب ، وبذل ذلك على مجاورتهم
للأراضي الإسلامية ، لذا كان من الطبيعي تشابكهم مع العرب عند نهر

(١) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٦ ، ٥٢ ، قتلاً بولا شك أن العرب قد عزلوا
لواحي «شي باليق» التي سكنها القفر ، ولكن بعد أن هاجروا إلى قوم
آخرين من الترك وحلوا محلهم ، وظلوا يطلقون على السكان الجدد الاسم نفسه
ونحل أوضح دليل أن كلمة «لقوزاعو» كلفت تطلق أول الأمر على «شا - نو»
لا على الأويغور ، فيذكر : المسعودي : أن إمبراطور الصين احتطاع بمعاينة
للقوزاع في ثورة في منتصف الثاني من القرن التاسع الميلادي «٩» ، وأن
كانت المصادر الصينية تحذف تلك قلعة لراك «شا - نو» القفر ، ومن هنا
جاء الاختلاف فيما بينهم وإلى كلفت المعاصرة ويقتالي الأسبق للأحداث هي
المصادر الصينية.

سيرنيا ، وإن كانت الغلبة للمسلمين حتى حل القارلوق محل ثغر ع —
صفى نهر جو عثم ٧٦٦م^(١).

ديانتهم

تشير المصادر البيزنطية إلى ديانة هؤلاء ، وهي المسيحية على
مذهب الأرثوذكس ، وذلك لنخولهم ضمن فرق الإمبراطورية ، بالرغم
من اعتبارهم أعداء اعتادوا الإغارة على أراضيهم.

ولكن كنت أرجح أن سبب اعتناقهم لهذا المذهب هو مجاورتهم
للقيم خوارزم ووجود مسيحيين من الخوارزميين على المذهب نفسه إلى
جانب وجود علاقات تجارية فيما بينهم ، ونور الخوارزميين في إمكان
اعتناق هؤلاء لهذا المذهب.

ومن المرجح حدوث ذلك بعد مصادلة ثمت بينهم ، ويتضح ذلك
من خلال كلام البيروني ، وذكره بأنه كان هناك يوم معين يسمى «يوم
فخيرية» من شهر أغسطس كان يخرج ملوك خوارزم فيه ، وذلك بعد
انتهاء الصيف ومقدم الشتاء يقضونه في الخارج متعطين أترك الغزاة
ليبعدوهم عن ثغورهم وحماية مملكتهم منهم^(٢).

(١) الأستخرى : للملك والملك ، ص ٩ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٤
: المسعودي : مروج الذهب ومطهر الجوهر ، ج ١ ، ص ١١٣ : حيلة بن
تمس الأمهلي : تاريخ سني ملوك الأرض والألبان ، (دم ، دت) ،
ص ٣٠ : ابن فضلان : المعجم السابق ، ص ٩١ : زبدة صلا . المرجع السابق
، ص ٥ ، ٢٢ : بلزولد : المرجع السابق ، ص ٣٧.

(٢) البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٢٣٦ : الترخيم . تاريخ
بخارى ، ص ١١٧ : بلزولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ١٠١ ،
زبدة صلا : الترك في الصور الوسطى بينظمة وسلاطنة الروم والعثمانيين ،
ص ٢٢.

وقيل اعتناقهم للمسيحية كانوا كما يذكر ابن فضل بن فضال مثل الحمير الصالة لا يذهبون بدين ، ولا يرجعون إلى عقل بل إلى رئيسهم ، وعدم يسأله أحدهم في شيء يقول «يا رب أئمش أصل في كذا وكذا»^(١).

وكان اعتناقهم للإسلام في القرن العاشر الميلادي ، وخاصة هؤلاء الذين عند مصب نهر سيرديا ، ويذكر ابن القارئ أن كان لهم دور وأصبح في تعلم هؤلاء الفخر الإسلام وتعاليمه ، لتتمتعهم بمستوى أعلى من العنصرية^(٢).

ولقد أكد بن فضل أن إسلامهم قد ذكر أنه سمعهم يقولون لا إله إلا الله محمداً رسول الله تقرباً إلى من يجتاز إليهم من المسلمين ، وبذلك ذلك على طاهرهم بالإسلام ، وإن كان هذا أمراً مستبعداً بعض الشيء ليرتفع ذلك من استكمالنا لعنيت ابن فضل أن عنهم بأنه إذا ظم أحدهم أو حدث له مكروه رفع رأسه إلى السماء ذكراً «يرتكري» أي الله الواحد بالتركية ، وهذا يعنى إيمانهم بالله^(٣).

— التهم الشعوب التركية :

١- الطغارية^(٤) :

أطلق عليهم العرب الطغاريين ، وذلك باسم اللهجة المغولية التي يتكلمها هؤلاء ، ويسمون عند الصين «يوكتش - Yue-tche».

(١) ابن فضل : رسالة ابن فضل ، ص ٩٦.

(٢) ابن فضل : المصدر السابق ، ص ١٠١ ؛ بلوتوك : تاريخ التتار في آسيا

الوسطى ، ص ٧٧ ؛ ريبة صفا : المرجع السابق ، ص ٧٧ ؛ Ibrahim, K. op.

cit p 39.

(٣) ابن فضل : المرجع السابق ، ص ٩٧.

(٤) الطغارية : سميت المطلق الواقعة في أعلى نهر جيحون باسم طغرسين بعية

في الطغاريين ؛ بلوتوك : المرجع السابق ، ص ٢٨.

ويذكر أنهم ربما يكونون تحت ضغط من قبل الشعوب التركية المعنوية^(١). التي فرضت سيطرتها على السهوب الشرقية ، ورحل هؤلاء في القرن الثاني قبل الميلاد « ٧ ق.م » إلى الغرب في حوض الألبس وشاطئ ميخور العليا في فرغانة ، ومنها دخلوا إلى بلخ. ويذكر الباحثون كونهم شعباً هندوآورياً ، وإن كان المؤرخون الصينيون قد عارضوا ذلك^(٢). وفي النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي ظهر شعب آخر استولى على ولاياتهم وعلمهم. بـ الهياطة .

أطلقت عليهم العديد من المسميات فقد الصينيين عرفوا باسم « يي - تا » « Ya-Ta » وعند البيزنطيين باسم هفتاليت « Hephthalites » وأيضاً الهون البيض « White-Huns » وعند الفرس اسم هيتال^(٣). ولقد عرّب العرب « هتال » وأطلقوا عليهم اسم الهياطة^(٤).

(١) سعد زغلول عبد الحميد : الفرق والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ، ص ١٦٢ حيث ذكر أن هذه الشعوب التركية المنغولية قد سماها الصينيون باسم هيونج - نو Hiong-Nou بمعنى العبد أو العصاة ، وهم اسم قريب من الهون Huns أو الهوني Hunni واليونا Huna التي أطلقت الروماني واليهود على هؤلاء البرابرة فيما بعد ، لما فيما يتعلق بكون هؤلاء عند الصينيين هم يوتان ولكن هناك رأي مغاير ، وهو أنه في الوقت الذي كان فيه « هيو - تش » في شمال جيجون ، وجد اسم قبيلة انتغار ، ولا يعلم هل كان هذا الاسم يدل على هذه الجماعة نفسها ، وإن هيو - تش ، حينما انقسموا انتغار أطلق اسم هؤلاء عليهم ، أو أن اسم « هيو - تش » أطلق على القبيلة الحاكمة بين انتغار آرثر كريستنسن : إيرل في عهد السلافيين ، ص ١٧ ، مصدر عبد الهادي شحرة : المرجع السابق ، ص ٤٣.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٦٢.
(٣) محمد عبد الهادي شحرة : الممالك الخليفة أو مملكة ما وراء النهر والفرجة الإسلامية إلى أيام المغنصم ، ص ٤٢ ، سعد زغلول : المرجع السابق ، ص ٦٣ ؛ آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ ؛ إدوارد بروي : موسوعة تاريخ الحضارات العلم ، (ط ٢ ، بيروت - ١٩٦٤ م) ، المجلد الثالث ، ص ١٠٤.

(٤) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٦٤ ؛ آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص ٢٧٦.

ونظراً لأنه من الصعب تحديد الأصل البشري لهؤلاء فقد أطلق
العرب هذا اللفظ على كل القبائل التي تقع إلى الشرق من نهر الفرات
وبلاد ما وراء النهر^(١).

وحتى الوقت الحاضر لم يصل العلماء إلى رأي حاسم بالنسبة
لأصل البشري لهؤلاء فيذكر البعض أنهم فرع من هونج - ذو «الهن»
أي كونهم تركاً تجرّ في عروقهم نماء المغول الصينيين ، لذا يصطلحهم
الصينيون بأنهم سلالة هونج - ذو التي تحدثنا عنها سابقاً^(٢).
كما يقولون عن الأتراك في القرن السادس الميلادي «٦» إنهم
من سلالة الهياطلة.

أما آرثر كريستمن فيذكر «أن الهياطلة جاءوا من الولاية
الصينية «شان - صو» وغزو مناطق طحارسنار التي هجرها الكنداريون
، ويطلق عليهم أيضاً اسم الهون البيض ولم يكونوا هوناً حقيقين^(٣).
وقد هبط هؤلاء من أعالي جبال التاي ، واستقروا في التركستان
الروسية ، ثم توجهوا إلى الصفديان : مسوقند وبكتريا التي بلغوها في
عهد الملك الساساني بهرام جور «٤٢٠-٤٣٨»^(٤). ومن هنا شكلوا خطراً

(١) ابن قتيبة : مختصر تاريخ بغداد ، ص ٢١٤ ؛ القسسي : المصدر السابق ،

ص ٢٦١ ؛ بقوت العمري : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، ص ٤٥ .

(2) I. A. R. Gibb, M. A. : The Arab Conquests in central Asia,
(London, 1923), p.2.

(3) آرثر كريستمن : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ ؛ وينكر بروكوب «Procopius» ،

أن الهون البيض ينتازون من قوام الهون الآخرين بيلغش بشرتهم ومعيشتهم
المتعددة ، حيث لم يعيشوا على شكل قبائل متقلبة ، ولم تكن لهم طبيعة قاسية ،
وكانوا يذهبون موطنهم ، وهذا يخالف حرق جيش الموتى الذي كلف بمرسه
الصينيين.

(4) إبنولود بروي : مجموعة تاريخ الحضارات العجم ، ص ١٠٤ .

واسع النطاق على الدولة السلطانية ، وذلك على وجه التحديد هي لقرن
لحامس الميلادي «هم» فكلوا قد أعاداء العرب في تلك الحسين ، وإن
كانو بعد انفصلهم عن إمبراطورية «الجوان حوان» في منغوليا في
النصف الثاني من القرن الحامس الميلادي «هم» قد انتشر سلطانهم فشمع
جوض الأكي ، وسهوب تشو ، ومنطقة طراز ، وأقاليم سيجون حتى
الارل إلى جانب احتلالهم لمنطقة ما وراء النهر ثم بلخ.

ولم يفتك الأمر عند هذا الحد ، بل خاض معهم الملك الساساني
فيروز بن يزدجرد «٤٥١-٤٨٤م» معركة صدهم وانتهت بهزيمة ومقتله
بمرور عام ٤٨٤م ، وكان زعيمهم اخشنوار^(١).

ومن المحتمل أن يكون هذا تحريفاً لكتب السعدي «خشان» أي
ملك وعلى أثر تلك المعركة توغل هؤلاء الهياطلة في إيران ، واستولوا
على ولايات كثيرة مثل «الروز ، هراه ، وفرصوا على الفرس جزيرة
سنوية»^(٢).

ومع مقدم النصف الأول من القرن السادس الميلادي «٦م»
عظمت قوتهم وامتدت دولتهم إلى بلاد الصفد وحوض جيحون والأراضي
الواقعة في الشمال والجنوب من الهندوكوش^(٣).

وبنتيجة تعرضهم لهجمات قوية من الفرس على يد كسري
أوشروان «٥٣١-٥٧٩م» وذلك نظراً لرغبته في تحرير بلاده منهم
والخلاص من دفع الجزية ، لذا لجأ كذلك إلى عقد تحالف مع البيزنطيين

(١) محمد عبد الهادي شمس: السامك الطيفة ، ص ٤٥ : أرثر كريستنسن : بيران
في عهد الساسانيين ، ص ٢٨٠.

(٢) محمد عبد الهادي شمس: المرجع السابق ، ص ٤٥ : سعد رطلول عت الحميد
المرجع السابق ، ص ٨٤.

(٣) أرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص ٢٨٠.

لتأمين حدوده الغربية وكذلك تحالف مع زعيم الأكراد الغربيين ، تلك الدولة التي ظهرت في منتصف القرن السادس الميلادي «٦م» وراء نهر سيحون^(١). ونتج عن ذلك اتجاه الهيمنة إلى الجنوب الشرقي حيث الطحارية ولعمتلوا كابل ، وانصرفوا إلى غزو الهند^(٢). وبذلك استرجع الطحارية قوتهم وعظمتهم مرة ثانية ، وكان ملكهم يلعب بلعب جعموية^(٣)

ونذكر أن هؤلاء الطحارية كان نفوذهم أيام الفتح العربي قد امتد إلى نهر المرغاب غرباً ويصل إلى مرو الروذ ، وفرضوا حلفهم على دهاقنة المدن الفارسية الواقعة شرق المرغاب فكتب التاريخ تذكر هؤلاء الطحارية إلى جانب الدهاقين في المدن الكبرى فيما بين المرغاب وجيحون ، وهي : «الجوزجن» ، والفارياب ، الطالقان ، حيث كانت أوسع الممالك التركية في هذه الناحية ، وإن كانت الانقسامات قد غرقت أجزاءه^(٤). حيث كانت تشمل كل الحوص الأعلى والأوسط من نهر جيحون ، وتمتد على ضفتيه ، وتضم أرض الختل وبدغشان والطالقان والصغانيان وشومان وأخزين.

وبذلك فقد كانت تلك المملكة تحتل مركزاً وسطاً بين شرق إيران وأعلى نهر جيحون أي ما بين السهول والجبال^(٥). ويجانب تلك الممالك والشعوب توجد العناصر التركية في كل من كش ونصف «نخشاب» ، وفي أقصى الحدود الشمالية الشرقية من الحدود الإسلامية ، وفي أنسى نهر

(١) سعد زغلول عبد الحميد : الترك والمجتمعات التركية ، ص ٦٤ ، محمد نوفيل صديق : فتية من مسلم القبايلي شخصيته ، فخره ، أصله ، رسالة مجستير ، الكويت ، ١٩٧٤ ، ص ٢٤.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٦٥ ، آرثر كريستس - المرجع السابق ، ص ٣٥٨ ، إيلارد بروي : المرجع السابق ، ص ١٩٤.

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٦٤.

(٤) محمد عبد القادر شعيرة : الممالك الطغوية ، ص ٤٣.

(٥) محمد عبد القادر شعيرة : المرجع السابق ، ص ٤٤.

جبحون يوحى الخوارزميون ، وهم من الترك حيث حاكمها الذي يلقب
بخوارزمشاه ، وعاصمته هراusb ومدينة الغيل أحصن مدنه^(١)

وبجانب تلك القبائل والشعوب التركية ، توجد عناصر أخرى في
إقليم خوارزم تشمل في العبيد والجواري الذين تم جلبهم عن طريق
الشراء «تجارة الرقيق» أو اغزو أو السرقة ، فكان أولاد الأتراك
يسرقون أو يتم شراؤهم من بين تلك القبزاري في أقصى الشمال ويبعد
تعليمهم وتأديبهم يأتون بهم إلى سائر بلاد الإسلام ، ويتدرجون في
المناصب الإدارية حتى يصلوا إلى أعلاها^(٢).

ويذكر أن أهل خوارزم كانوا يخشون من هؤلاء ، ومرجع ذلك
هو ذلك الشبه الذي بينهم وبين هؤلاء الترك.

ويذكر المقسي أنه سأل أحدهم عن اختلاف رؤوسهم عن رؤوس
بقية الناس فقالوا : أن قنماهم كانوا يغرون الترك فيأسرونهم ، وربما
وقعوا في الأسر للشبه المشترك بينهم ، فبيعوا في أسواق الرقيق ، لذا
أمروا النساء إذا ولدن أن يربطن أكياس الرمل على رؤوس الصبي من
الجانبين حتى ينبسط الرأس ، وبعد ذلك لم يسرقوا ، ورد من وقع منهم
إلى الكورة^(٣).

ومن الواضح كون هؤلاء يشتمون بامتصاص كبير في المجتمع
آنذاك ، بليل وصول الكثير منهم إلى أعلى المناصب وخير مثال على
ذلك مؤسس دولة شاهنشاه خوارزم «قوشكين» وهو في الأصل عبد
تركي اشتراه أحد أمراء السلجقة ونظراً لما أظهره من كفاءة صار والياً
على خوارزم^(٤).

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥٧١.

(٢) كى استرج . بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٠٢ ؛ هند حسين عطية : الأدب
العربي في إقليم خوارزم منذ فتح العربي ٨٩٢ حتى نهاية الدولة الخوارزمية
١٢٢٨ هـ (١٩٧٦ م) ، ص ٥٥.

(٣) للمقسي : أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

(٤) ابن الأثير المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٢ ؛ هند حسين عطية المرجع السابق
ص ٥٧.

ثانياً العرب :

تناولنا بالدراسة من قبل الحديث عن الفرس والترك ونقلوه بالحديث عن العرب وحدثنا من ذلك محاولة إثبات التواجد العربي في إقليم خوارزم.

وبذلك العناصر التي سبق الحديث عنها ، لم تكن بمعزل عن العرب ، بل كانت بينهم وبين الفرس علاقات بحكم الجوار الجغرافي وتمتد جذور تلك العلاقات إلى العصور الأسطورية^(١). وتظهر بصورة جلية في العصور التاريخية سواء كانت سلمية أو حربية ، وإن كان أغلبها حربية ، وبالرغم من ذلك فقد أحدثت رقياً حصارياً لدى الجانبين.

ولقد ازدادت تلك الصلات في عهد الساسانيين ، فعلى سبيل المثال نجد الملك الساساني يزدجرد بعث ابنه بهرامگور إلى الحيرة ليشرف الأمراء على تعليمه فتعلم الشهامة العربية.

ويختلف تلك العلاقات موقف من الحدا والحرب ، مثل موقعة ذي لار التي انتصر فيها العرب^(٢).

(١) أحمد الحوفي : صلات حريقة بين العرب والفرس ، (مجلة المقتدى ، د.ت) ، ص ٥٣ ، مؤلف عبد المحطى الصيد دراست في الحضارة الإسلامية «للتكفاء للثقاتين العربية والفرسية» ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ٦٨ ، يدع محمد جمعة : دراست في الألب القارب ، (ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٠م) ، ص ٦٤ ذكر أن المؤلف التي حيث بأساطير الفرس و فرانس هم شاعنة و قطري وابن الأكبر رغيرما من المصادر الموثوق بها حيث أن أول من تصد بالفرس هم العرب ، فالتوا إلى الضحك الملك تصويري الأسطوري اختطاع حكم ليرل قرايه لك عم «١٠٠٠ عام» ، ونظراً لسلوته قلم الإيرانيون بثورة عليه ترعها رجل يدعى «مكرد» وجعلت الثورة ، وتولى أمير إيراني آخر ، وهو فریدون ، على الرغم من كراهية الصحابة إلا أنه مرعان ما علقت العلاقات بين الشعبين العربي والفرسي فليجهد فریدون في ترويح قلبه من يفت ملك اليمر في عصره ونم ذلك الزواج ، وتوطعت العلاقات بينهما.

(٢) يدع محمد جمعة : المرجع السابق ، ص ٦٤-٦٥ : عبد السلام فهمي كروشن الكبير ، ص ٥١-٥٤.

ولقد اعتبرت لتجارة من العوامل التي كلفت وراء توثيق تلك العلاقات فوجد منذ القدم «عبد مناف» قد عاهدوا للدول المجاورة ليتربدوا عليها تجاراً ، وكلفت إحداهما مع الفرس والأخرى يرسل الفرس تجارتهم إلى أسواق العرب ، ولجئون إليهم لحماية قوافلهم التجارية^(١).

ولاستمرت العلاقات بعد الإسلام منذ عهد الرسول ، ولتصحت بصورة جلية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، حيث بدأت الفتوحات الإسلامية لبلاد الفرس ، حيث كان العرب على علم ودراسة بهذا الشعب الذي تربطهم به علاقات وثيقة منذ القدم تعرفوا من خلالها على أحوالهم السياسية والاجتماعية ، وعليها خاصوا العديد من المعارك آخرها نهاوند عام «٦٤١/٥٢١م» وبالتالي صار أمر الفرس وإمبراطوريتهم هيناً للخليفة ، ولأنهم لم يبق لهم ملوكهم يزعمون في عهد الخليفة عثمان بن عفان عام «٦٥١/٥٣١م» ولكن ذلك لم يبق تلك العلاقات ، ولا مدى الاستفادة من نظمهم الإدارية^(٢).

- الوضع السياسي والاجتماعي في إقليم خوارزم :

في الفترة الزمنية المعاصرة لبدء ذهاب العرب لتلك المنطقة ، وخاصة في المرحلة الأولى التي يطلقون عليها الحملات الثغرية «الاستطلاعية» ، وذلك بعد أن فتى الصراع بين العرب والفرس باستيلاء العرب على خراسان ، وعلى أثرها بدأت مرحلة الفتح الحقيقية ، وإن كان قد ظهر على مسرح الأحداث عنصر جديد للعرب وهم الترك.

(١) لحد الحوفي : المرجع السابق ، ص ٦٤-٦٥ : تذكر أن وإلى جانب تلك الرسائل نجد ذهاب بعض العرب إلى فارس من أجل العلم والتعلم ، وخير مثال على ذلك العرف بن كلاء فتقى الذي رحل من الطائف إلى جنديسابور وغيرها من بلدان فارس لطلب الطب والعرف على العود.

(٢) طه ندا : أصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥٣-٥٤ ، ص ٥٧.

ومن قبل ذكرنا كون تلك المنطقة إيرانية لغوياً وسكانياً ، وإن كان يختلف الأمر من الناحية السياسية وخاصة بعد سقوط الإمبراطورية الساسانية المتوسّلة الأطراف ، ولم يتبق سوى الطبقة الارستقراطية من الأسر الحاكمة من الدهاقنة التي ارتقت فوق طبقة الفيلاء عملاء الأراصي» ثم الوكلاء في القرى^(١). إلى جانب الترك المتواجدين في تلك الإمارات ، ومنها إمارة خوارزم ، ومع بداية الفتح اتجه الأتراك إلى توسيع ممالكهم إلى الغرب ، وذلك في عهد قابغان قاغان ، والذي يطلق عليه الصينيون اسم «متشوى» بعد تحريرهم ، واستقرار واحد منهم في سمرقند عاصمة الصغد بوصفة بطرخاناً خاضعاً للخاقان الأعظم^(٢). إلى جانب البدو من القبائل التركية في أقصى الشمال ، وكانت تربطهم بخوارزم علاقات تجارية ، وبالرغم من ذلك لم تعلم من غاراتهم وإلى جانب هؤلاء الأمراء يوجد المادة المعالون حيث لا يتعدى سلطانهم حدود القرى^(٣).

ومن ذلك نرى التحديد السياسي الشديد في تلك المنطقة ، فلا نستطيع أن نفصل من له السيادة على الآخر ، فهي عملية موازنة تعتمد

(1) J. Wellhausen : Translated by Margaret Grahamweir, M. A., Calcutta, the Arab Kingdom and its fall, N.P., 1927, p.432.

(2) حمزة بن قحطم الأسدي . تاريخ ملوك الأرض والأنبياء ، محمد عبد

لهيا ، شعيرة : المرجع السابق ، ص ٤٨-٤٩ ؛ الزبيدي : المرجع السابق ،

ص ٢٣-٢٤ ، تكرامة حكمه لقن وثلاثين عاماً ؛ السيد البدر الريسي :

المغول ، ص ٥ ؛ حسن أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطى بين التوسيع

العربي والتركي ، ص ١٢٦ ؛ شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي الأول

دراسة تمهيدية نشأة المصطلحات الإسلامية ، (دار الكتب العربي ، القاهرة ،

J. Wellhausen . op. cit., p.434 ؛ ص ١٦٠ ؛ ١١٢١ هـ/ ١٩٠١ م)

(3) شكري فيصل : المرجع السابق ، ص ١٦٠ ، ١٦١ ؛ محمد توفيق صائق

J. Wellhausen : op. cit., p.434 ؛ ص ٨٤ ، ٨٦ ؛ المرجع السابق

في الأول والآخر على قوة المسيطر ، وكل هذا التقني والتفكيك السريسي الذي صارت عليه تلك الولايات في صالح التواجد العربي حيث هيأ المنطقة للفتح والتواجد العربي.

- الفتوحات العربية لإقليم خوارزم :

موت مرحلة فتح إقليم خوارزم بكثير من مرحلة :

المرحلة الأولى : ويطلق عليها مرحلة الاستطلاع أو الغزوات الشرعية ، ولقد وصفها العديد من المؤرخين بأنها مرحلة جمع الخرائط والمساب والسهب مع قدر منقول من الرغبة في نشر الإسلام ، وإن كانت أرجح كونها مرحلة تمهيدية وتدرجية لمعرفة أحوال تلك المناطق الجديدة ذات الطبيعة الجغرافية المتنوعة والمختلفة اختلافا جوهرياً عن طبيعتهم ومعرفة إمكانات سكانها وطبيعة عدوهم صعب المراس ، وكيفية التعامل معه.

وكان طابع تلك المرحلة هو عدم الاستقرار والبقاء فقط في فصل الصيف والعودة إلى مرو مركز خراسان في الشتاء ، وكذلك التباطؤ ، وذلك بعدة أسباب منها :

- طبيعة أراضيهم الجبلية المختلفة عن طبيعة العرب المسهلية ، لذا صعب التعامل معهم في البداية.
- وصفها بكونها مرحلة الفرض منها هو الجمع والمساب^(١)، حيث أصبح من الصعب تحديد ذلك ، فيمكن وصفها بالاندفاع والاستثمار المبرر أكثر من انصافها بالفتح المنظم^(٢).

(١) حمزة بن الصخر الأسدي : المصدر السابق ، ص ٢٨ : يارتوك : تركس من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٣٠ : صر لصد مصو : المرجع السابق ، ص ١٣٩ : جرجي زيان : التمدن الإسلامي ، ج ١ ، ص ٥٧

(٢) شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري ، ص ١٦٢-١٦٣.

- التعقيد والتداخل ، وأيضاً تلك الروايات التي يقتضض بعضها مع الآخر في حدث بسيط فطلى سبيل المثال لاختلاف الآراء حول أول من عبر نهر جيحون إلى منطقة ما وراء النهر^(١) ، والسبب في ذلك يرجع إلى الاعتماد على الروايات الشفهية التي جاءت عن طريق القصص والروايات التي غالب عليها الخاط والتناقض ، ومزج ذلك عدم تكوينها إلا بعد عدة أجيال.
- كذلك ارتباط هذا التباطؤ بما كانت عليه خراسان في تلك الفترة ، وما كانت عليه الحياة السياسية والحربية وانعكاس ذلك على هذا الإقليم والأقاليم المجاورة ، وذلك للتجاوب الكامل الذي كان بين المنطقتين.
- وتمثلت تلك الظروف فيما يصيب الفاتحين والعلاقات بين القبائل والحملات القبلية التي كانت موجودة بين قبائل الشمال والجنوب ، وإعلان عصبيتهم على الأمراء وقسوة الأمراء عليهم ، وتغيرهم من آن لآخر كل ما سبق كان له أكبر الأثر على حركة الفتح الأولى لتلك المناطق^(٢).

(1) Gibb: The Arab Conquests in Central Asia, p.30.

ولقد اسم جب تلك الروايات إلى أهمية تدور حول ابن خازم ، وأخرى لأبي نكور حول المهلب بن أبي صفرة ، وهي أكثر الروايات شيوعاً بين العرب ، لهاخذ بها كلاً من : قبلادري : فتوح البلدان ، (بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ص٥٤٧ ، ٥٧٨ ؛ الهفوي : تاريخ اليعقوبي ، الجزء الثاني ، ص١٦٧ ، وروايات باهية ، وإن كانت لم تجد قبولاً كثيراً من المؤرخين ما هنا ، الطبري : الذي يعرضها في صورة نهك ، ج ٥ ، ص٢٨٥-٢٨٦ ؛ وروايات أخرى مصيبة يأخذ بها : القزقي : تاريخ بغلارى ، ص٦٢-٦٣ ، فهي تصور الفتوحات بكونها قصة تاريخية تترصها البطلة القومية عشتون ، وبعض الروايات الشعبية الأخرى ؛ للمزيد انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص٢٤٧ ؛ أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحفيلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ٦٠ ؛ التكريرى : رين الأخبار ، ص ١٧٢ .

(٢) حمزة بن الحسن الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٢٨ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ ، ٢٧١ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الأول ، ص ٨٣ ؛ بلرتولد : المرجع السابق ، ص ٣٠٧ ؛ شكري فيصل : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

صار خوارزم في أول محاولة للحملات الثغرية الأضعف من قبل
بن معاوية بن حصين بن عباد التميمي ، على عهد ولاية عبد الله بن
عامر ، ولم يفر عليهم ، ولم توضح المصادر الأسباب وراء ذلك بل
نكر استسلامه لأصحابه فقتلوا عليه بالرجوع إلى بلخ ، وقالوا :

إذا لم تستطع أسراً فدعه وجازوه إلى ما تمنطبع

ومما سبق يستنتج تركه لعناصر عربية في هذا الإقليم ، وكونها
حملات استطلاعية الغرض منها التعرف على الإقليم^(١).

هام «٨٦١ / ٦٨٠ - ٦٨١» .

وهي المحاولة الثانية لفتح إقليم خوارزم في عهد يزيد بن معاوية
حيث غزاها مسلم بن زياد بن أبيه وهو ابن عبيد من قتيبة^(٢).

فيذكر أن علي بن محمد ذكر الحسن بن رشيد الجوزجاني عن
شيخ من خزاة عن أبيه عن جده ، قال : غزوت مع مسلم بن زياد
خوارزم ، فصلحوه على مال كثير ، وزيادة على ذلك فقد نال من هدايا
خوارزم وأرسلها إلى يزيد بن معاوية^(٣).

(١) أبو عمرو خليفة بن أبي حيرة اللبني المصري : تاريخ خليفة بن خياط ، حقه
وفهم له : لكرم صباه المصري : (ط١ ، القاهرة ، ١٣٨٦/١٩٦٧م) ، ج ١ ،
ص ٢٢٦ ، المخطوب : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ ، أبو الحسن أحمد بن
يحيى بن جابر البلاتري : فتوح البلدان ، ص ٥٨١ ، ابن الأثير : المصدر السابق
، ج ٣ ، ص ٦٣ ، أبو الحسن الماوردي : الوزارة وأدب الوزراء ، تحقيق :
محمد سليمان داود ، إهداء عبد السلام أحمد : (ط١ ، القاهرة ، ١٣٩٦/١٩٧٦م)
، ص ٥٢ ، حاشية ٤.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٠٤.

(٣) خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤١ ، ٢٣٦ : (ولم كل قد بكر
أحداث عام ١١١ في عام ٨٦٢) ، المخطوب : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٥
، البلاتري : المصدر السابق ، ص ٥٨١ ، وقد قدر هذا قتال بوغثي أربعمائة
ألف «٤٠٠٠٠٠» ، الطبري : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٧٣ ، ٤٦٤ : أبو
الفلاح عبد الحي بن أحمد الضبي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ ،
ص ٧٠ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٤ ، حسن أحمد محمود
المرجع السابق ، ص ١٤٣.

وتكررت المحولة في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، وولاية
يرد بن المهلب بن أبي صفرة من قبيلة أزد^(١) الذي غزا خوارزم
ووصفها بكونها قليلة السلب شديدة الكلب ، وصالح أهلها ، وأصاب سبياً
وذلك في فصل الصيف ، ولقد كرر غزواته مرة ثانية في الشتاء ، ولكنه
لم يتحمل بردها ، إلا أخذ ثياب الأسرى حيث ارتداها جثوده ، فمات
السبي من البرد^(٢).

وهذا احتمال نستنتجه من تلك العبارة الأخيرة وهو يتلوه مدة في
خوارزم لاستطلاع أمرها ومعرفة ظروفها وإن كانت المصادر لم تشر
إلى أي نوع من التواجد العربي بخوارزم ولا لمآكلهم ، ويؤكد ذلك ما
فعله رؤساء وحكام المناطق من اجتماعهم بمدينة مما يلي خوارزم
ليتمددوا على إلا يعرف بعضهم بعضاً ، يتناسوا الخلافات ويتشاوروا في
أمرهم ، ويجهادوا على مقاومة عدوهم في تلك الغزوات^(٣).

ومن المحتمل أن يكون الحكام المحليون لهذا الإقليم قد تعرفوا -
ولو بشكل مبني - ما كان عليه هؤلاء القادة العرب من قوة وبأس ،
وعجابتهم بغروسيتهم وكرمهم وسلطة خلعهم ، وبالنسبة للعرب فقد
تعرفوا - ولو بشكل ضئيل - على طبيعة ذلك الإقليم الباردة وتألموا
عليه ، وبنينا على ذلك إيمانهم في بعض الأحيان وقيامهم بتلك الغزوات
بوالتي كانت متوبة في شكل صولات ، وفي بعض الأحيان في شكل
صوات شعبة للضرورة ، كما حدث في الغزوة الأخيرة ، وذلك بمعنى

(١) ابن حنبل - وفيات الأعيان ووفاء الوعد ، ج ٦ ، ص ٢٧٨.

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٥٨٦ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ،

ص ٢٩٧-٢٩٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٩٧.

(٣) ابن الأثير : المعتمد المستفيق ، ج ٤ ، ص ٥٠٤-٥٠٥ ؛ حسن أحمد مصمود

المرجع المستفيق ، ص ١٤٣ ؛ محمد توفيق صادق : المرجع السابق ، ص ١٠٧.

تكرههم مع هذا المناخ ، ومعرفتهم بعض الشيء مقدرات هذا الإقليم العسكرية والمدنية ، ومراكز الضعف والقوة فيه ، وكذلك العناصر التي يمكن أن يستعينوا بها - أحياناً - ضد العرب ، وإلى جانب أثر تلك الحملات الحاصلة التي أرهقت تلك الإقليم مادياً من خلال عهود الصلح ، وما يتقرر فيها من مقدار نفع الجزية^(١).

- القبائل العربية ومشورتها في الفتح المنظم لخوارزم -

حيث يدخل إقليم خوارزم في مرحلة جديدة من الفتح المنظم ، وذلك في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وإلى العراق وحراسين والحجاج بن يوسف الثقفي والقائد قتيبة بن مسلم الباهلي الذي ينسب إلى قبيلة باهلة^(٢) ، ودوره الواضح في إقليم خوارزم ومحاولته تثبيت التواجد العربي بها ، وسياسته التي صار عليها من جاء بعده من الولاة في حكم تلك الأقاليم.

(١) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٥٨٤ ، الطبري : المصدر السابق ، ج ٥ ،

ص ٤٠٣ ، ٣٦٩ ؛ ج ٧ ، ص ٧١ : ٧٩ .

(٢) يذكر أن باهلة امرأة ، وهي باهلة بنت صعبة وروجها من ، حيث يطلق على قبيلة من البدوية في شمال الجزيرة العربية عادة بنى باهلة ، حيث يقال إن نسب قتيبة إلى باهلة ، ومنهم من يقول : إن باهلة لم تولد من ، وليس باسم من حيث لا تجد باهلياً ينسب إلى باهلة ، وإنما تنسب إلى أحد أولاد من ، من ولد وائل بن من قتيبة بن مسلم .. : ابن الأثير : الغلب في تهذيب الأسماء ، ص نسخة الخزانة القيصرية المحفوظة في دار الكتب المصرية ، (مكتبة المتقي ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ) ، ج ١ ، ص ١١٧ ؛ ذخيرة المعرف الإسلامية ج ٦ ، ص ١٥٥ ؛ محمد توفيق صادق : المرجع السابق ، ص ١١٧ ؛ وليريد من المعلومات عن نسب قتيبة بن مسلم الباهلي انظر : ابن حزم الأندلسي : جوهرة أنساب العرب ، (باريس ، ١٩٤٨م) ، ص ٤٥٠ ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٦ .

أما بالنسبة للقبائل التي شاركت في الفتح فقد بدأ ذلك منذ آل عزم معاوية ابن أبي سفيان على تحويل خراسان إلى شر إسلامي ، وما ترتب على ذلك من تحويل أعداد كثيرة من سكان كل من البصرة^(١) والكوفة.

ففي عام «٦١١/٦٨٠ م» مد يزيد مسلم بن زياد «٢٠٠» رجل «لو «٦٠٠» رجلاً» تقريباً من وجهاء البصرة وقرمائها ، فحضر معه «عمران بن الفضيل البرهمي ، والمهلب بن أبي صفرة ، وعبدالله بن خازم السلمي ، وطلحة بن عبدالله بن خلف الخزاعي ، وحظلة بن عرادة ، ويحيى بن يعمر العدواني ، وصله ابن أشيم العدوي».

وأضاف إليهم الطبري «يحيى بن يعمر العدواني» حليف هذيل ، وأبا حريشة القوليد بن بهيك أحد بني ربيعة ، وحلق كثير من فرسان البصرة ، وأشرفهم ، فصلاً عن الذين لحقوا مع ثابتة من أهل الشام^(٢).

(١) البصرة : تعرف في العصور الوسطى في أوروبا تحت اسم بيسورا «Bassara» وكثيراً ما تكتب الآن تحت مسمى بيسورا «Bassara» ، مدينة تجارية على شط العرب ، وبها من القبائل الأكرد بعد مهاجرتهم إليها ، ولها ربيعة قتي تحالفت معها منذ تميم وانقسم إلى جانب عدد كبير من الموالي ، وفي عام ٥٥٠ هـ صار عدد سكانها ثلاثمائة ألف نسمة «٢٠٠٠٠٠» ، ولها السوق في إمدان جيبوش الفتح وبلجند ، ولقد قسمت البصرة إلى خمسة أقاليم ، وهم «أهل الثعالبية - سكان إقليم الحجاز العالي - ، وشيم ، ويكر بن وائل ، وبعيد القيس ، والأزد» ، ومن خلال هؤلاء ظهرت الطبقة العسكرية في البصرة ، ولعبت معها الموالي والسكنس الوطنيين وكذلك الشعوب المهاجرة من إسرائيل ، وهمدان ، والسكنس من السند والبلخ ، والفرج ، وكلفت المصنوعات العربية مشتهة حتى فقدت رونقها فيما بعد : دائرة المعارف الإسلامية : ج ٧ ، ص ٢٩٦-٢٩٧ ، ٣٠٠-٣٠١ ، حيث ذكر أن تلك القبائل الكبيرة انضمت إلى أخلص ، لها كور صغيرة ، مثل على ذلك كندة ، والطائي أخذت مع بكر في قيسر.

(٢) الطبري : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٧٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٤ ؛ محمد توفيق صلاح : نشر خراسان من الفتح العربي حتى قبم الدولة المستقلة ، ص ٢٨١.

وهناك احتمال ولرد من كون كل أو بعض من هؤلاء قد شاركوا في غروته لإقليم خوارزم علم «٦١١هـ/٦٨٠ - ٦٨١م» ومن للملاحظ على عناصر تلك القبائل المشاركة في الفتوح المتنوع ، فهم من بين عرب البصرة والكوفة.

ولقد صنفهم جرجي زيدان ما بين عشقبة وأخرى قحطانية ، ذاكراً أن تلك القبائل لم تكن مقيمة في القرى والمدن حتى لا تختلط بساكنيها ، وإنما كانوا رابطين في مناطق تحصيناتهم المخصصة لهم ولت غروتهم ، ولكن ما لبث أن تطور الأمر واختلطوا بسكان البلاد ، ولم يكن السبب الوحيد وراء ذلك هو انتشارهم في تلك المناطق بسبب الفتح ولا لنشر الإسلام ، وإنما لهجرتهم بأولادهم وخيامها ولعلمهم من أجل للتماس سعة العيش في البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة^(١).

ولقد خلفهم عبد المنعم ملحد في ذلك ذاكراً أن هؤلاء قد دخلوا البلاد فاتحين ولم ينقلوا إليها مهاجرين ، حيث أنه لو حدثت لهجرة لكانت مؤلفة ، حيث وجد هؤلاء داخل الجريدة العربية وأطرافها وليس رجال الجيش والقبائل التي انتقلت في حركة الفتوح ليسكنوا الأمصار ، وكان أغلب العرب عند بدء حركة الفتح من المسلمين ، ومن كان غير ذلك يطلق عليه المنتصرة ومرحان ما تحولوا للإسلام^(٢).

- المواطن الأصلية لتلك القبائل .

١- أهل البصرة :

تلك القاعدة التي تطلق منها المقاتلون لفتح تلك الأقاليم ، والتي على رأسها إقليم خوارزم ، وبقائهم مقسمة إلى خمس كتل : فوجد على

(١) جرجي زيدان : تاريخ القديس الإسلامي ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ج ٤ ، ص ٣٢٣.

(٢) عبد المنعم ملحد - تاريخ الحضرة الإسلامية في العصور الوسطى ، (ط ١) ، القاهرة ، ١٩٧٨ م ، ص ٨١-٨٢.

يحيى تميم^(١)، ضرار بن حصين القضي، وقد عزل عنها وكيع بن أبي
سود، وعندهم «١٠٠٠ شخص»^(٢)، وعلى بكر بن وائل^(٣)، الحاصيين
بن المنذر البكري وعندهم «٧٠٠»^(٤)، وعلى رأس الأزد^(٥)، عبدالله بن

(١) تميم : تنسب إلى تميم بن مر ابن اثنين خاتمة بن إلياس بن مضر ، وذلك وبني كونه من مضر ، ويقال أحياناً أنها مصالوة لمضر ، وذلك فهي مقابل تميم وربعة حيث أربعة القوتلين إلى تميم ، ومعنى ذلك أن كل فخذ للقبائل ترجع إلى مضر ، وهي بنوها ترجع إلى عدنان ، ولقد ازدادت معرفة تلك القبيلة منذ القرن السادس الميلادي «م» باعتبارها قبيلة عظيمة ، ولزبت في جانب كبير من الساحل الشرقي لبلاد العرب «في بلاد نجد بشرها قريب وجراء من البحرين وقسم من الهامة وتمتد منازلها بطول من عبد القيس وحبيشة» ، امتزجت ببكر ونظب في الشمال ، وهم بنو غسان لم تكن لهم مدن بالمعنى الصحيح ، ولقد شملت منازلهم حتى صارت قبيلة قائمة بذاتها ، وهناك ربيعة حول تصالهم بالقوم الساسانيين ، اعتنقوا الإسلام في العام ٨ للهجرة ، ثم تركوا عنه ، ثم ما لبثوا أن اعتنوا به ، ووجدوا في الفتوحات الإسلامية صلاتهم ، راتجه معظمهم ففارس وعسكروا في البصرة والكوفة ثم انتقلوا إلى خراسان ، ويريد من المعلومات حول تلك أظفر - دائرة المعارف الإسلامية - ج ١١ ص ٥٤-٥٨ ، سطل بن طرفة المذعن السرحاني : جامع أنساب قبائل العرب ، (دار الثقافة ، قطر ، الطبعة ٢٠٠٢) ص ٢٨ ، ٤١-٤٣ .

(2) H. A. R. Gibb, M. A. : The Arab Conquests in central Asia, p.40.

(٣) بكر بن وائل - قبيلة عربية يرجع نسبها إلى عدنان بن لبي ممد ، وهم بكر بن وائل بن فاسط بن لمد بن ربيعة بن غرير بن ممد ، وهم أجداد عمومتهم تغلب وعتر . ولقد عانت في نهضة اليمن والقبيلة والبحرين إلى حدود الجزيرة وسكنوا الناحية التي ما تزال تحمل وتسمى إليهم وهي ديار بكر . ومكنت كذلك لماكن في بلاد فارس ، وبمجلسة إقليم خراسان ، وفي عام ١٢٤٠م أعلن فريق منهم الإسلام ، ورحل بكر إلى خراسان وسمرقند وهما ، حيث كان أكثرهم من قبيلتهم قد سبقوهم إلى الإكتمال هناك ، وفي عام ١٢٤١م رحل أبو بكر إلى خراسان مع جند تبصرة . وكان معهم ٧٠٠ رجل دائرة المعارف الإسلامية : ج ٧ ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ، ١٧٨ - ٢٩٧ ، ٢٨٥ ، سلطان بن طرخيم : قمر جم السابق ، ص ٢٦ ، ٢٩ .

(4) Ibid. p.40.

(۵) الکؤد : اعظم قبائل العرب وأشهرها تنسب إلى الأؤد من القوٹ بن غنم بن مالک بن زید بن کھلار بن میا من القحطانیة - تنقسم إلى أربعة أسام (أؤد مخوی ، أؤد عثمان ، أؤد سمرقہ ، أؤد عمان) - ولقد هاجروا إلى البصرة بعد تصدیع -

حوذان النجهمي و عندهم « ١٠٠٠٠ شخص »^(١). وعبدالله بن عمرو بن
عدي على حمص عبد القيس ، و عندهم « ٤٠٠٠ رجل »^(٢). ويورع على
كل رئيس من هؤلاء الخمسة من البصرة راية أو لواء ليثبت وجوده في
المعركة ، وليتعرف عليه قومه وبدوه ، وما لذلك من أثر واضح في
المعركة ، واستمرارها ملالاً مرفوعاً ، إذ أن سقوطه يعني الانهزام.
وكما هو شائع في تقسيم القبائل إلى بطون نجد أن لكل قبيلة من
هؤلاء بطناً وعليها رئيس يقود رجاله^(٣). الذين هم من الخمس الذي ينتمي
للقبيلة بشكل عام.

= مد مأرب ص ٦٠٠/٢٧٩م وكان قبل الهجرة بها الأزد من التفرع لقرشي ،
التي كانت تسكن جبل ثرات لسهل عمان ، ويذكر أن هؤلاء ينتمون إلى الأصل
لقرشي ، ولقد أسلموا في القرن ٥هـ ، وشاركوا في الفتوح وبخاصة في جيش
عقبة بن مسلم الباهلي ، ابن حزم الأندلسي : المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ،
رابور : معجم الأسساب والأسرات الحاكمة في التاريخ ، تأليف : ركني محمد
حسن ، مبداء إسماعيل الكشاف ، حسن أحمد محمود ، حافظ أحمد حمدي :
(بيروت ، دار الفوائد العربي ، د.ت) ، ص ٩٧ ، ابن الأثير : المصدر السابق ،
ج ١ ، ص ٤٦ ، J. Wellhausen: The Arab Kingdom and its fall ،
p. 339.

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوكة ، ج ٧ ، ص ١٢ ، ٤٤ ، ٧٢-٧٤ ، ١٢٢ ،
١٧٤.

(2) Ibid, p.40.

(٣) محمد توفيق صابر : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ ، نقلاً عن أحمد عاتق كمال
المبريق إلى المدائن ، ص ٩١-٩٢ ، أن اللواء في الأصل مسئولية رئيس الجيش
، وهو القائد العام أو الوالي ، وبعد ذلك بحمله غيره ، وذلك لتشمله
بالمعركة ، ويفرق بين اللواء والراية ، فيذكر أن اللواء على ما يعتقد بعد نسي
طرف الرمح ويلوى عنه ، أما الراية فهي ما بعد فيه ويترك حتى يصعبه
الرياح فتلواء دون الراية ، ويقول الراية صليب العرب ، الطبري : المصدر
السابق ، ج ٥ ، ص ٥٥.

٢- أهل الكوفة :

وهي المصدر الثاني لتلك القبائل العربية ، وإن كانت المصادر لم تشر إليها بشكل مستمر ، فنجد في عهد الولي زياد بن أبيه ، وولاية الربيع بن زياد الحارثي رجل معه خمسون أسرة « ٥٠ أسرة » بعيلهم إلى خراسان ، وكان من بينهم خمس وعشرون أسرة من أهل الكوفة^(١).

ولقد اعتبرتها المصادر فرقة موحدة مقاتلة قائمة بذاتها ، وكانوا في عهد فتية بن مسلم الباهلي جزءا لا يتجزأ من تكوين جيشه في الأقاليم التي قام بغزوها وفتحها ومنها خوارزم ، ووصل عددهم « ٧٠٠٠ رجل » عليهم جهم بن زهر الجمعي ، ومعهم مواليهم الذين شاركوا في القتال^(٢). وإن كانت أغلبية الفئوج من أهل البصرة ، لذا طبق نظام الخماس السائدة لديهم في خراسان مع الاختلاف.

٣- الموالي :

وهم الذين دخلوا في الإسلام حديثا^(٣). لذا يصبحون موالي لرجال الدولة أو القائد العام ، ويطلق عليهم المسلمون الجدد^(٤). إلى جانب أبناء الموالى حيث لا قوا ما لاقاه أبلاهم عند أسيادهم ، وبالتالي تمت طبقة المولدين الذين نخبوا عن سكان البلاد الأصليين^(٥).

(١) قطري : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٨٥ ، J Wellhausen, op. cit. , p.415.

(٢) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٥٩٦ ، Gibb, op. cit. , p.40.

(٣) فون كريمر : الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها بقرائن الأجنبية ، تعريب مصطفى شر ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٧م) ، ص ٧٩-٨١.

(٤) فون كريمر . المرجع السابق ، ص ٧٩.

(٥) فون كريمر - المرجع السابق ، ص ٧٤ ، ٧٧.

ولقد شارك هؤلاء الموالى في جيش قتيبة ، وكان عددهم المسجل في الديوان علم ٧٩٦هـ/٧١٤م « ٧٠٠٠ مقاتل » ، وكان قائدهم في القنائل رجل يدعى حبان القبطي^(١).

ولقد ظلوا يحاربون جنباً إلى جنب مع العرب أثناء العهد الأموي ، فكان فريق من هؤلاء يدون في الديوان ، فيكون لهم عطاء ورزق ، وآخرون كان لهم نصيب من الغنائم فقط دون أن يكونوا مسجلين في الديوان^(٢).

وبالرغم من ذلك نجد أن الأغلبية كانت للعرب ، وخاصة في العهد الأموي ثم تغير ميزان القوى في العهد العباسي حيث صارت الغلبة للفرس في الجيش ويتطور الأمر فيما بعد إلى تمكنهم من تكوين دويلات مستقلة عن الخلافة العباسية في بغداد^(٣).

(١) الطبري : تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص ٦٨٦ ، الجلابري : الفتح البلدان ، ص ٥٩٦ ، طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥٦ ، Gibb : op. cit. p.40 ، هنا ما ذكر عن أعداد الموالى في جيش قتيبة وإن كان في ديوان الجند منذ عهد معاوية ومجيء ابنه يزيد الأول ، عددهم يسوق ذلك بكثير فصب ما ذكر في الديوان يمتد على ٧٠ ألف جندي نظامي عربي و ٩٠ ألف من القهار الموالى ، ثم زاد العدد في عهد يزيد الأول ذكراً لأنه أصبح ٨٠ ألف من الجند النظاميين ، ٦٥٠ ألف من التجار ، ولا ندري إن كان يقصد بالتجار هذا ما قصده بإسقاط الأول نفسه وهم القروى أم لا ؟ J. Wellhausen : op. cit. p.442 ، حبان القبطي : مولى طلحة بن خبيزة القبطي ، حيث كان رجلاً عظيماً ذا قدر ، ذهب لفرسان وعقد مسلماً بين قتيبة وطرخون ملك الصند : الترشيح : تاريخ بخارى ، ص ٨٥.

(٢) محمد توفيق صلاح : شعر فرسان من الفتح العربي حتى قيام الدولة المستقلة ، ص ٢٨٧ : p.4-2 .Ibid.

(٣) طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٦٢ : حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٦٩-٧٠.

وبذلك صارت عدة جيش قتيبة بن مسلم الباهلي في فتوحاته ما يلي من تميم وعندها «١٠٠٠٠ مقاتل» ، والأرد «١٠٠٠٠ مقاتل» ، ولقيس «١٠٠٠ مقاتل» ، ويكر «٦٠٠٠ مقاتل» ، وعبد القيس «١٠٠٠ مقاتل» أي «٤٠٠٠٠ مقاتل» فلذين على حمل السلاح يجانب الموالي ، لذا صر للعند الإجمالي للعرب في خراسان ، وتشارك في الفتوحات حتى وصل إلى «٢٠٠ ألف مقاتل»^(١).

٤- السكان المحليون :

استفاد منهم القائد قتيبة في فتوحاته ، وجعل منهم فرقة تقوم بالعند من الأعمال التي تتمثل في وظيفة الأدلاء «الندليل» وكذلك الحراس لمعرفة الطرق والمفاوز ، ويتم اختيارهم من مناطق النفوس ذات الأهمية العسكرية ، والتي تتوفر في سكانها صفات عسكرية جيدة^(٢).

وغير ذلك على ذلك وجود ما يقارب من (٢٠ ألف مقاتل) تحت قيادة عبد الرحمن بن مسلم الباهلي من ضمنهم عناصر مطوعة من خوارزم وبخارا^(٣). ويدل ذلك على حسن العلاقات - إلى حد ما - بين

(1) Ibid: p.427; Gibb : op. cit. p40.

وتقد أضاف على ذلك من البصرة أهل القلبية «Able La Lyya» ٩ آلاف ، وبني كند على ما اعتقد أنه يقصد بها القيس ، وقد زد لي من الكوفة ٧ آلاف ، وبذلك يصبح الإجمالي لبيلاء العرب ٤٧ ألف من العرب ، الفيلاني : المصدر السابق ، ص ٥٩٦ ، حيث قل إن من البصرة ٤٠ ألف ومن أهل الكوفة ٧ آلاف ومن الموالي ٧ آلاف.

(2) الطبري . المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٢٧ ؛ محمد عبد الهادي شعيرة . المرجع السابق ، ص ٤٣.

(3) الفيلاني . المصدر السابق ، ص ٥٩٧ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٦٩ ، ٤٧٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، لمجد القلائد ، القسم الأول ، ص ١٢٧-١٣٨ ؛ Gibb : op. cit. p.48.

العرب وسكن تلك المناطق ، وقبولهم الفشل لدخل الجيوش العربية مدبر
مقدر من المال ، وذلك يؤهلهم - بتدبيره الحال - للتقرب والتعرف على
معالم الإسلام.

ومن خلال هذا العرض السريع للتفوجات والقبائل العربية
المشاركة فيها نتحدث عن الفتح المنظم لإقليم خوارزم وبدلية تثبيت
الوجود العربي به ، وذلك عام ٧١١/٥٩٣م.

وهي تلك السنة التي صالح فيها ملك خوارزم ومبب ذلك ضعف
ملك خوارزم ، وطلبه أخيه خرزاد ، بالرغم من كونه الأصغر منه ، لذا
لقد طلب الأول المساعدة من القائد العربي ، وذلك دون علم المرعبة
والدهاننة. وكان مقابل ذلك أن يعطي للقائد العربي ثلاثة مائتي من الذهب
لثلاث من مدن خوارزم ، واستجاب القائد لذلك ، واعد السعة ونزل مدينة
الفل «أحصن مدن خوارزم» وطلب منه ملك خوارزم أن يرحل هذا العام
ومن قبل ذلك صالحه على «١٠ آلاف فارس» وعين ومناخ مقابل إعانته
على أخيه ، فبعث إليه أخوه وحاشيته فقتله أخو قتيبه «عبد الرحمن» وقتل
من الأسرى ما يقارب من «٤٠٠٠ أسير» ولقد استخدم هؤلاء
الخوارزميين أثناء سرحهم لمدنية ممرقند^(١).

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ، ص ٢٠٩ ، السيلكري . فتوح
البلدان ، ص ٥٩١ ، ٥٩٢ ، الطبري : تاريخ الرمل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٦٩ -
٤٧٢ ، ٤٧٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٧٠ - ٥٧١ ؛ ابن
خلون : المصدر السابق ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ؛ بلوتوند : المرجع السابق ،
ص ٣٠٣ ؛ مصمود حيث خطاب فتية بن مسلم فتح ما وراء النهر حتى حدود
الصون ، (مجلة مجمع العلوم العراقي ، ١٣٨٤/١٩٦٥م) ، مجلد ١١٢ ،
ص ٦٥ - ٦٣

ولم يفته الأمر عند هذا الحد ، بل فلتيز الفرصة من أجل الهدف الاسمي وهو تثبيت التوليد العربي ، فبعد مصالحتهم ولي أخاه عبدالله بن مسلم^(١) على خوارزم ، فكانت تلك بداية التوليد العربي ، وكان على خوارزم من قبل القائد العربي قتيبة عاملة «إياس بن عبدالله بن عمرو» على جيشها ، وإي كان ضيقاً ، أما خولجها فكان عليه «عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى بني مسلم».

وإن كانوا قد انتصهوا «إياماً» لذا أرسل أخاه عبدالله بن مسلم في الشتاء عاملاً عليها ، وأمره قاتلاً : لضرب إياس بن عبدالله ، وحيان التنبطى مائة مائة ويخلق لهما ، وضم إليه عبيد الله بن أبي عبيد الله ، ولقد أمره أن يسمع له ، فإنه له وفاة ، وما إن صار إلى خوارزم حتى تكفى إياس ، لضرب حيان التنبطى وخلق له ، ووجه بعدها قتيبة إلى خوارزم «عبد الله بن القميرة بن عبدالله» ، فسبى وقتل وصالحوه على أخذ الجزية. وكما سبق وذكرنا من قبل على لسان البيروني من وجود أسرة عليها ملك يدعى «اسكجموك» ملفب بالفارسية^(٢). وبذلك عاد الهدوء للإقليم ، وقامت حكومة عربية في خوارزم.

(١) الخطوبى : تاريخ قحطوبى ، ج ٢ ، ص ٢٨٦-٢٨٧ ، ذكرنا أحداث عام «٩٢هـ» : وفي الأحداث نفسها التي تمت في عام «٩٢هـ» حيث إنه عندما صار قتيبة إلى خوارزم كل بها سعيد بن ونوفل حيث كانوا قد قتلوا عامل قتيبة بها فقتلها وسبى ١٠٠ ألف شخص ، وحاصر سعيد حتى قتله ، وعندما أصبح حال البلاد تصرف بالخدم التي لم يسع بملها ، واستغلت على خوارزم عبدالله بن أبي عبدالله الكرمانى ، ومن المرجح أن يكون هذا هو المذكور في روليه التلمسري وهو «عبيد الله بن أبي عبدالله مولى بني مسلم» : البلاتري : المصدر السابق ، ص ٢٩٢ ، ولما كان قد ذكر عبدالله بن مسلم بدلاً من «عبيد الله بن مسلم» : الخطوبى : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٨٠-٤٨١ Gibb op. cit. p.42, 43 (٢) البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٣٥-٣٦ ، لين الأثير المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٧٥-٥٧٦.

ومن خلال ما سبق يتضح مدى اهتمام فتية بن مسلم الباهلي بإقليم خولوزم ، وتأكيداً لذلك ما ذكره فتية أثناء عزوفه لسمرقند للمرة الثانية قائلاً : «إني أرجو أن تكون خولوزم والسفد كالنصير وقريظة ، وقال الله (وآخرى) لم تقفروا عليها قد أحاط الله بها»^(١).

- كيفية إمارة إقليم خولوزم :

كان إقليم خولوزم من الأقاليم التي حرص العرب على أن تكون مركزاً للقيادة العربية ، لكونها من مدن الثغور^(٢)، لذا تمكنت سياسة فتية بن مسلم الباهلي في تولية رجلين عليها ، واحد منهم يتولى أمر الخراج ، والآخر أمور الحرب أو يولي واحد فقط للقيام بالمهنتين العسكرية والمالية^(٣).

ولقد فرض عليهم جزية ، وضم فرقة خولوزمية إلى جيشه للاستعانة بهم في فتوحاته ، إلى جانب اختاره لمدينة خولوزم لتكون مركز إشعاع للثقافة الدينية ، ومقراً للجيش العربي ، وجعل على كاهلهم مهمة استكمال فتح المناطق المجاورة وترك لذلك خولوزم في عاصمته كات ممارسة السلطة الاسمية إلى جانب مسئولين - كما سبق وذكرنا -

(١) قطري ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٧٢ ، محمد عبد الهادي شعيرة : الممالك الحامية أو (ممالك ما وراء النهر والدول الإسلامية إلى أيام المتكسّم) ، ص ٥٨-٥٩.

(٢) محمد عبد الهادي شعيرة : المرجع السابق ، ص ٦١-٦٢ ، J. Wellhausen ، op cit p 432.

(٣) قطري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٢٤ ، ٤٣٦ ، حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السلي ، (الطبعة الحامية ، القاهرة ، ١٩٦٥م) ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق منذ عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن ١٥ ، (دار الفكر العربي ، ١٩٦٥م) ، ص ٩٧.

بمارسار السلطة التنفيذية ، فالأول للقيادة العسكرية والآخر الشؤون المالية^(١).

ونقد تطور الأمر بعد مقتل خوارزم شاه ، وذلك الثورة التي قامت ، وتركز الأمور في يد شخص واحد ليقيم حكومة عربية خالصة في خوارزم^(٢). وهذا ما نهدف إليه في نهاية الأمر.

ولقد كان وراء ذلك الإقليم الذين يتم تعينهم من قبيلة قتيبة أو من الموالي وخاصة ذوى الخبرة في التنظيمات الإدارية^(٣). وكان يحثهم على ضرورة التزام الحق ، وتطبيق أحكام الشريعة وعدم مخالفة أوامره^(٤).

ويساند موظفون ومساعدون ، وعلى رأس هؤلاء القاضى والبندار «كاتب السلعة» وتتركز مهمته في المطالبة بالخراج ووجبه المال وصاحب الجند ، ومتولى الضياع السلطانية ، وصاحب المعون «الذي يساعد صاحب الجند» ويذكر أن هؤلاء يعيدون من قبل الوزير ، وله الحق في عزلهم متى شاء.

وكانت الإدارية في تلك الأقاليم تدير في أبسط النظم فلم يكن هناك ما يفرضه السلطة العليا في حاضرة الخلافة بغداد سوى دفع مبلغ معين من الضرائب «الخراج»^(٥).

(١) خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٠٩ ، قباثري : فروع البلدان ، ص ٥٩٢ ، الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٨٠-٤٨١ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الأول ، ص ١٣٧-١٣٨ ، Ibid : p.437.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملسوك ، ج ٦ ، ص ٤٨٠-٤٨١ ؛ Jibb : op.cit. p.40.

(٣) الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٢٩ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٨٠.

(٤) الصوري : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٨٠ ؛ قزويني : تاريخ بغدي ، ص ٧٣.

(٥) آدم متر : فصول الإسلام في القرن الرابع الهجري ، ج ١ ، ص ١٣٢ ، ١٣٤ ؛ محمد جمال الدين مرور : مرجع السبق ، ص ٩٥ ، ٩٨.

وعلى الرغم من وجود أوقات استقرار وهتو - تعاون بين العرب
والأمراء المحليين لم يمنع ذلك من العديد من الثورات وخاصة في العهد
لأموي ويرجع ذلك إلى سياستها الامبريالية التي تستند على أسس متينة
في فرض سلطتهم من قبل العرب ، من جيل إلى الجيل ، وجمع التجربة
من الأمراء الذين دافعوا لهم بالتبعية ، كذلك قصر مدة الولاية وتغييرهم من
آخر وآخر ، وما كان لذلك من رد فعل متمثل في ثورات الأهالي
، مماثلة الفرك لهم ، كل ذلك كان له تأثير على الوضع العربي في تلك
المناطق ، ولم يكن معظم الولاة يسبرون على تلك السياسة ، بل نجد منهم
من حاول المحافظة على اتزان العرب ، ومنهم :

• نصر بن سيار عام ٤١٢ / ٧٢٨ م :

وكان «أبو حفص بن علي ختله» - في فترة ولايته - والبداً
على خوارزم وقام نصر بن سيار بحمل الولاة المعينين من قبل سلالته
الوالي أسد القسري ، وعين مكانه - دون تعرضهم لأي شيء - ولاية كان
أهلبيتهم من قبيلة تميم^(١).

ومن الملاحظ على الولاة في خوارزم في عهد نصر بن سيار
تدلي أكثر من عامل على تلك المنطقة.

فيذكر الطبري أن نصر بن سيار ولي عليها «معهدة بن عبد الله
اليشكري» ثم ولي «عبد الملك بن عبد الله السلمي» على خوارزم ، وله
خطبة فيهم قال : «ما أنا بالأعرابي الجلف ولا الفزاري المستهبط ولكن
كرمتمني الأمور وكرمتمها ، أما والله لأضفن السيف موضعهم ، والسوط

(١) الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٥٧ ، في الأثر : الم - السابق ، ج ٥
، ص ٢٣٧ .

(٢) الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٥٧ ، في خوارزم : المصدر السابق ،
المجلد الثالث ، القسم الأول ، ص ٢٠٧ .

موسمه ، والسجن مدخله وتجنني غشمشما أعشى الشجر ، ولتمتقيس
لى الطريقة ، ورفض البكرة فى السفن الأعظم ، أولاً لأصمكتكم صك
القطامى لاقط القرب بصكون جانباً قجانباً»^(١).

ويتصح من تلك الخطبة ما فيها من شدة وعنف ، مما يرجح قيم
ثورات عديدة ضد دولة العرب فى تلك المنطقة ، وإن كانت المصادر
صامتة فى تلك النقطة.

وبذلك فقد كانت سياسة الدولة الأموية فى غير صالح التواجد
العربى حتى ظهور العباسيين^(٢). وتوليهم مقلد الأمور من خراسان ،
وهم حريصون على البقاء على النفوذ العربى فى خوارزم والأقاليم
الأخرى.

ولقد تميزت سياسة العباسيين مع ولائهم بالسمات الآتية :

« حكام العباسيين دنيويون ، اتبعوا فى سياستهم المساواة بين رعاياهم
من العرب والفرس ، وإن كانت لم تسر فى اتجاه واحد.

(١) الطبرى : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٧٨-٢٨٠.

(٢) ينكر لى علم «١٢٨هـ/٧٤٥-٧٤٦م» أن حدثت الفقة بين الحارث بن سريج
والكرمانى من قبيلة الأزد ، وقتله الحارث وغلب على مرو ، لذا فتوز أبو مسلم
الخراسانى تلك الفرصة واضطراب الأمور فى خراسان ، فأسر دعاته بالسمع
والطاعة ، وأعلنوا الدعوة عام ١٢٩هـ/٧٤٧م ، ووجه رجالة إلى جميع الولايات
من طخارستان ومرو الروذ وقطغان وخوارزم وأبل وبخارا إلى أن دخل مرو
عام ١٣٠هـ/٧٤٨م فطلب على ولاية مرو بخراسان ، وذهب بعد قمعته التى
حدثت وهروب نصر بن سيار من مرو ، وقتل شيبان الخارجى وابن الكرملى ،
ربعت فصال إلى البلاد مشراً بالمسونة والدعوة العباسية ، ولمزيد من
المعلومات انظر الآتى : خليفة بن خروط : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٩ ؛
٤١٣ ؛ الطبرى : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٥٦ ، ٣٦٢ ، ٣٧٧ ؛
٣٧٩ ، ٣٨٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٤٧-٣٤٦ ، ٣٥٨ ؛
الغرديرى : ريس الأخبار ، ص ١٧٨-١٧٩.

▪ يسيرون في إدارة قلايمهم على نظام السلاطين ، لا اعتقادهم بكونه
أكمل للنظم الإدارية ، وتتركز مهامهم في تدعيم للنظام السلاطني وقد
لروح التقليد السلاطنية وبذلك حددت الإطار الذي تدور فيه مهام
الولاة ، كذلك احرص على جمع كلمة أخصار النظام المتعاونين مع
السلطان ، وقمع عناصر الاضطراب والضرب من جديد على
العصاة من الأمراء وحلفائهم.

ولم يصبح ذلك حقيقة إلا بعد أن حدث الدولة من تعيين الولاة
المتعاقبين وراء بعضهم بتعيين حكام ورفقته من بين صفوف
الارستقراطيين ، ثم تطورت تلك الأمور حتى انتهت بقيام الدول المستقلة
وصارت تبعيتهم للحكومة المركزية تبعية اسمية^(١).

وبالنسبة لإقليم خوارزم قام نشر المصادر إلى ولاية عباسيين
به^(٢) ، وخاصة بعد إرسال دعائها إلى خوارزم لنشر الدعوة العباسية هناك
، ومقاومتهم لهؤلاء الدعاة ، خير مثال على ذلك تلك الثورة التي قام بها
شريك بن شيخ المهدي باسم العلويين ، وانضم إليهم أكثر من « ٣٠ ألف
رجل » ، وكذلك عمال العرب بخوارزم وبغارا ، وكذلك مكانها العلويون
، وعلى أثرها أرسل أبو مسلم الخراساني عام « ١٦٣٣هـ / ٧٥١ - ٧٥٢م »
زياد بن صالح الخزازي لإخمادها ، وساعده بغارا خذاه ووفيق لسي
ذلك^(٣).

(١) بلرنولد : تركستان من الفتح العربي حتى العرب المعولي ، ص ٣١٨ - ٣٢٠

(٢) شاهين حكارويس : تاريخ إيران ، (القاهرة ، ١٨٩٨م) ، ص ١٠٤ ، ١٠٩ : هند
حسين عطية : المرجع السابق ، ص ٤١.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، الجزء السابع ، ص ٤٥٦ : محمد توفيق ثعلب
، ذكر خراسان من الفتح العربي حتى قيام الدولة المستقلة ، ص ١٥٦.

وظل الأمر كذلك حتى ظهور طاهر بن الحسين ، ذلك السدي
أسندت إليه القليلة العامة لقول الخراسانية المتجهة إلى بغداد ، ثم انتهى
الأمر بظهور الأسر الأرستقراطية التي تولت ولاية تلك المناطق بصورة
وراثية ، وبدأت تظهر للكيفات شبة المستقلة ، ويظهر غلبة العصر
الدرامي على العصر العربي.

ويذكر القزويني قللاً : «بأنه كان بنوساور على أيام الدولة
الطهرية «٦٠٠ رجل» من بني هلال كانوا يقيمون الشغب ، لذا ظفرو
بهم ، ونقل منهم «٢٠٠» بجرجان ، «٣٠٠» بالجرجانية بخوارزم ، وما
إن تم عليهم العلم لم يبق بجرجان سوى ثلاثة ولم يمت ممي كان
بالجرجانية إلا ثلاثة» وذلك دليل على استمرار التواجد العربي
بخوارزم^(١).

الطوائف الأخرى

١- اليهود :

بالنسبة للطوائف الأخرى نجد معلوماتنا عنها صفيلة وإن كان هذا
لا يمنع من وجود يهود في تلك المناطق ، ومن المرجح أن يكون السبب
وراء ذلك تلك العزلة التي تعرضها تلك الطوائف على أنفسهم وذلك يرجع
إلى طبعهم التي ما زالتوا حريصين عليها حتى الآن ، وذلك باعتبارهم
شعب الله المختار.

ولقد ذكر القلقشندي في صبح الأحيى أن بخوارزم مائة بيت من
اليهود تقريباً^(٢). وأيد ذلك المقسي ولكن دون تحديد ، فذكر أن بها يهوداً
كثيرين^(٣).

(١) ركريا بن محمد بن محمود القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٣٤٩

(٢) القلقشندي : صبح الأحيى ، ج ٤ ، ص ٤٥٤.

(٣) المقسي : لأصغر التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٢٢.

عندما نتحدث عن الأحوال الدينية في منطقة آسيا الوسطى نجد أنه يتأهبها بعض الغموض وعدم الوضوح ، وخاصة فيما يتعلق بحديثنا عن المسيحية ، وخاصة الساطرة منهم التي نفتت في وقت مبكر داخل آسيا ، وبلغت الأراضي المتاخمة لكل من نهري سيحون وجيحون^(١)

ولقد كان موقف لكاسرة الدولة الساسانية منهم مذبذباً ما بين العناية والاضطهاد ، لذا فقد انتشرت المسيحية على نطاق واسع في كل مكان ، وكان أول اضطهاد في عهد سابور الثاني^(٢) . حيث ظل منذ عام ٣٣٩م حتى وفاة سابور الثاني ، ولقد تركز هذا الاضطهاد في ولايات الشمال الشرقي ، والمناطق المتاخمة للإمبراطورية الرومانية ، وقد نخل ذلك مذابح ومقاتل وتشريد ، وتضمن ذلك عام «٥٣٦٢» نفي «١٠٠» مسيحي مع الأسقف هيلودور من قلعة فلك في بزلده إلى خوارزم ، وقد سوزمين عدد ضحايا هذا الاضطهاد في عهد سابور بـ ١٦ ألف تقريباً ، وإلى كان في هذا الحد مبالغاً.

وإن كان يتخلل ذلك العديد من مواقف التسامح وخاصة في عهد يزديگرد الأول «٣٩٩-٤٢١م»^(٣) . وكان مذهب المسيحيين الوحيد في إيران هو المذهب النسطوري^(٤).

وعلى الرغم من ذلك الموقف المتذبذب ، نذكر أن جهودهم التبشيرية قد لاقت رواجاً قبل الإسلام بقدر ملحوظ من التوفيق في بعض الجهات ، ولقد بلغ عدد النصاري في خوارزم مائة بيت تقريباً ، حيث لا يسمح لهم بأكثر من ذلك^(٥).

(١) فاميري : تاريخ بخارى ، ص ٥٦.

(٢) آرثر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ص ٢٥٤ : فاميري . المرجع السابق ، ص ٥٣ : سيرت ، ارنولد توينبي : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة للحرية : حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عليش ، إسماعيل الحاروي (القاهرة ، ١٩٤٧م) ، ص ٩٤.

(٣) آرثر كريستنسن - المرجع السابق ، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٤) آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ : ٢٨٣.

(٥) لستبي : المصدر السابق ، ص ٣٧٣ : التفتنجر - المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٥٤.

الفصل الثالث

النشاط البشري

محتويات الفصل الثالث النشاط البشري

مقدمة.

أولاً : الزراعة :

أ - المحاصيل الحقلية.

ب- الفاكهة.

ج- زراعة الزهور.

د- النشاط الزراعي.

ثانياً : الثروة الحيوانية وحرفة الرعي :

أ - الدواب والماشية.

ب- الطيور وتربيتها.

ج- الحيوانات ذات الفراء الثقل.

د- النشاط الرعوي.

ثالثاً : المعادن والثروة المعدنية :

أ - الذهب.

ب- النحاس.

ج- الفضة.

د- الزئبق.

هـ- الحديد.

و- الزجاج.

ز- الفحم والنفط.

ح- الملح.

رابعاً - الصناعة :

- ١- صناعة المنسوجات وتشمل :
 - أ - صناعة المنسوجات القطنية والصوفية.
 - ب- صناعة المنسوجات الحريرية.
 - ج- صناعة التطريز والحياكة.
- ٢- صناعة السجاد والبسط.
- ٣- الصناعات القائمة على الكطين «الصناعات المحلية».
- ٤- الصناعات الجلدية.
- ٥- الصناعات الخشبية.
- ٦- صناعة الورق.
- ٧- صناعات أخرى عديدة.

خامساً : التجارة

- ١- الصفحات.
- ٢- الواردات.
- ٣- الطرق التجارية
 - أولاً : الطرق البرية.
 - ثانياً : الطرق النهرية.
 - ثالثاً : الطرق البحرية.
- ٤- الإجراءات الأمنية لتلك الطرق.
- ٥- الأسواق وأنواعها حديثة ، ريفية ، موسمية.

الفصل الثالث

النشاط النهري

مقدمة

امتازت تلك المناطق بتنوع السطح ما بين مناطق خصبة للزراعة وخاصة خوارزم فهي منطقة دلتاوية خصبة لوقوعها على المجرى الأعلى لنهر جيحون^(١). وسهول وجبال ومع تنوع السطح تنوعت كذلك مصادر المياه بها من أنهار وآبار وعيون ، بجانب مياه الأمطار التي تعتمد عليها الزراعة في بعض المناطق ، ومع توافر مقومات الزراعة كثرت زراعة المحاصيل الزراعية بأنواعها المتعددة ، وذلك تنوعت للمعادن بها مما أدى إلى قيام العديد من الصناعات التي اشتغل بها سكانها والتي شملت احتياجاتهم ولقائض منها قاموا بتصديره للمناطق المجاورة.

أولاً . الزراعة :

١- المحاصيل الحقلية .

١- القطن :

وهو من أشهر المحاصيل حيث يزرع منه أكثر الأصناف مقاومة لثقلات الطقس وشدة البرد ، ولقد كان مركز القطن في الشرق بشكل عام كمركز الكتاب في المغرب من ناحية الأهمية الكبيرة^(٢).

ولقد تركزت زراعة القطن في مدينة الطولوس «بلادي مدن بخاري» ولقائض منه ومصدر إلى العراق^(٣). وإن كانت المصادر لم تمدنا بالمعلومات الواضحة عن تلك المحاصيل الحقلية بشكل عام في تلك المناطق

(١) دائرة المعارف الإسلامية : ج ٩ ، ص ٢.

(٢) آثم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ٢ ، ص ٣٠٠

(٣) ابن قتيبة : مختصر كتاب البلدان ، ص ٥٠ ، ٥٤ ؛ أبو عثمان عمرو بن الجيضم

، فصول الفراء مرسلة ؛ أبو الفتح بن خاقان وريد المتوكل وما أضبو به

من الشجاعة وعطو الهمة وحسن قبلاء في خدمة الإسلام ، ص ٢٠

ولا عن ظروف زراعتها ، وإن كان من الجائز حرمهم على زراعة الأنواع التي تتلائم مع شدة البرودة التي تميزت بها تلك المناطق. وكذلك اشتهرت بلدان أخرى بزراعته ، ومنها : شومان ، ووافجر^(١) . والصغانيان ، فيذكر أن أهالي تلك المدينة على الرغم من شدة البرودة بها ، وهو ما يمنع نمو تلك النباتات^(٢) . إلا أنهم تغلبوا على ذلك ووقفوا في برر عته ، ويدل هذا على أهمية الزراعة كحرفة لهؤلاء وتقولهم في التغلب على الظروف المناخية مما يدل على إقبالهم لتلك الحرفة.

٢- القمح :

وهو من الحبوب الهامة التي اشتهرت بها مدينة خوارزم ، وثلتها بفار^(٣) . ولفترمز^(٤) .

(١) البهاري : البلدان ، ص ٢٩٢ ؛ مصطلح جدي المثلث الحيثي : أرباب خراسان ، ص ٤٤١ .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٦٥ ؛ الإبريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٥ ؛ بلوقاد : تركستان من الفتح العربي حتى لغزو المغولي ، ص ٢٨٢ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٨٩ ؛ الإبريسي : المصنوع السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٥ ؛ التنابلي : بركة الدهر ، ج ٤ ، ص ١١٨ ؛ الترشخي : تاريخ بخارى ، ص ٤٦ ، ٩٣ ؛ الميرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٢ .

(٤) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ٢٧٥ .

٢ - الأرز، الشعير، الدخن^(١).

(وهو أكثر حبوب خوارزم، ومنه ماكلهم)، الجاروس^(٢)، اليسق،
، المسمم، إلى جانب الحديد من الحبوب الأخرى التي لم تشر إليها
المراجع^(٣).

٤ - البنلق والنوز.

ولقد اشتملت المركز الأول في زراعته مدينة بنجيكت^(٤). وكذلك
بخار^(٥). وممرقند^(٦). وسبب ذلك أرضهم الخصبة ووفرة المياه التجارية،
والموقع الجغرافي الممتاز.

- (١) الدخن: من الحبوب، وهو في منظره شبيه بالجاروس، ولي مرجع آخر نذكر
أنه نوع من الجاروس يحمل منه قمح، غير أنه كل هذا من الجاروس،
وتتعلق زراعته في المناطق الباردة، ابن قتيبة: الجامع لمفردات الأديبة
والأهنية، ط ١، ١٢٩١م، ج ٢، ص ٨٩، الاطلسي: فكرة أولى الألباب
والجامع للمحب المحاب، الضمة الأخيرة، ٨١٣٧١/١٩٥٢م، ج ١، ص ١٥٢.
(٢) الجاروس: حشيشة كوروس، وهو نبات يزرع ليكون مثل قصب السكر
في شكله وقيته، وهو حب معروب يذلل، ويقطع في ثلاثة أسداف، مطبوخ
أبيض إلى صفرة في حجم الحنظل، وهو الأجود، ومستعمل مقوسط يقارب
الأرز، ومستعمل بقرق الحب، وذلك أردلهم، وهو أحسن وأجود من الدخن،
ابن فضلان: رسالته، ص ٨٩، ياقوت الحموي: معجم البلدان، القمح للثاني
، ص ٤٨١، الاطلسي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٢-١٠٣.
(٣) بوكليتيسكي: جغرافية الاتحاد السوفيتي «الطبقة»، قسطنطين، الاقتصاد،
ص ٢٦٣، على أكبر دمندا، ثلث نعمة، (إدارة المعارف)، دانشگاه طهران،
دانشگاه انبیا و علوم إنسانی، ١٣٤٩ هـ، العدد ١٥٩، ص ٨٠٠.
(٤) الإصطخري: المسالك والممالك، ص ٣١٢، ابن حوقل: صورة الأرض،
ص ٤٩٨-٤٩٩، بلوتول: تركستان من الفتوح العربي حتى الغزو الممغولي،
ص ١٨٥-١٨٤.
(٥) الإصطخري: المصدر السابق، ص ٣١٢، ابن حوقل: صورة الأرض،
ص ٤٨٩، الإدريسي: المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٤٩٥، التعالبي:
المصدر السابق، ج ٤، ص ١١٨، القرشي: المرجع السابق، ص ٤٦، ٩٣.
(٦) ابن بطوطة: المرجع السابق، ص ٣٧٧.

٥- الزعفران^(١).

ولقد تمت زراعة مدينتنا ولشجره وشومان ، وتضاف إليهما مدينتي
السفانيان ، ونظراً لكثرة تقدي عظمى لاحتياجاتهم ، وصدر الفاكس منه
للعديد من المناطق^(٢).

وكانت تباع تلك المحاصيل بالربط ، ومقداره ثلاثمائة وثلاثون
درهماً تقريباً ، فكانت العملة المتعامل بها في إيران هي الدينار ، وتمت بها
بالدرهم ستة دراهم ، أما في إقليم خوارزم وكذلك الجرجانية فلل ل
ترخص الأسعار ، وذلك لأهمية تلك المحاصيل بها وخاصة الأرز فهو
اعتمادهم الأول في غذائهم ولزادهم ، أما سعر القمح فهو يتراوح بين
دينارين ونصف الدينار تقريباً ، ويبلغ الشعير دينارين ، والسنبلين
والجارس هو الذي ربما يكون سعره معادلاً لسعر القمح^(٣).

ب- الفاكهة

١- العنب «الكرام» .

وهو من أشهر الفاكهة التي برعت في زراعته أغلب مدن تلك
المناطق وإن كانت المصادر لم تشر ولو بمعلومات بسيطة عن زراعته أو
أنواعه أو وقت حصده ، ولقد اشتهرت به على الأخص مدينة «خرغان»

(١) زرغران : وهو بالسنوية الكرم ، وبالفارسية كركميس ، وهو نبات زهره
كالبانجان ، فيها شعر إلى القبل ، وإذا ما خرق قلبت رائحته ، يصنع وهذا
اشهر هو الزعفران ؛ دلود الإطلاكي : المصدر السابق ، ص ١٧٨ .

(٢) قنبري : قلدان ، ص ٢٩١ ؛ باقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد الخامس
، ص ٣٥٢ .

(٣) قنبري : قلدان ، ص ٢٩١ ؛ الإصطخرى : قلدان والممالك ، ص ٢٨٨ ؛
باقوت الحموي : المصدر السابق ، مجلد الخامس ، ص ٣٥٢ .

(من مدن خوارزم) ، ومدينة الطولوس^(١) . وسمرقند^(٢) . والخرغم^(٣) .
 واشروسنة^(٤) . ولقد استحال زراعتها في مدينة لومسندة «مرسمة» ،
 وذلك لشدة برودتها^(٥) . وذلك لكونه في حاجة إلى مناخ معتدل «ليس حاراً
 قاسياً ولا شديد البرودة» وكذلك الترمذ^(٦) . أخرج «لجدي من إسميحب»
 حيث الغالب على رستيقها زراعة الاعذاب^(٧) .

٢- البطيخ .

وهو نوعان بري وبستاني ، والآخر ينقسم بدوره إلى ثلاثة
 أصناف وهم هندي وصيني وخراساني ، والذي من المرجح كونه الذي
 يزرع في ذلك الإقليم وله رقبة مستطيلة ومعوجة^(٨) .

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٨٩ : الإندوس : المصدر السابق ، المجلد
 الأول ، ص ٤٩٥ : المقامي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٨ : الترغزي :
 المرجع السابق ، ص ٤٦ ، ٩٣ : الفهرى : تاريخ بخاري ، ص ٣٢ .

(٢) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص ٣٧٧ .

(٣) الإصطخرى : الممالك والممالك ، ص ٢٢١ : ابن حوقل : المصدر السابق ،
 ص ٤٩٨-٤٩٩ : بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٨٤-١٨٥ .

(٤) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ : ابن حوقل : المصدر السابق ،
 ص ٥٠٥ : الإندوس : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٥ .

(٥) المقامي : المصدر السابق ، ص ٢١٥ : الإندوس : المصدر السابق ، المجلد
 الأول ، ص ٥٠٥-٥٠٦ : بارتولد : تركستان منفتح الفريسي حكي المرو
 المنولي ، ص ٢٨٢ .

(٦) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص ٣٧٥ .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠١ : المقامي : المصدر السابق ، ص ٢٧٥
 : الإندوس : ترجمة المشتق في اختلاف الألفاظ ، المجلد الثاني ، ص ٧٠٥ .

(٨) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ١١ ، ص ٣٠-٣١ .

ولقد وصف ابن بطوطة بطيخ خوارزم بأنه لا نظير له في بلاد الدنيا شرقاً وغرباً إلا ما كان من بطيخ بخارا وأصفهان حيث تفسره الأخضر وبلطنه الأحمر إلى جانب شدة صلابته وحلاوته^(١). ولقد عرف بطيخ بحارا دون غيره من مدن ما وراء النهر بـ «الساف»^(٢).

٢- الكثير والمشمس.

فاشتهرت برباعتها خوارزم^(٣). وتفردت بهما كذلك بخارا^(٤). من بقية مدن ما وراء النهر.

٤- الصفرجي^(٥)؛

ولقد اشتهرت بزراعتها مدينة خوارزم والنرمذ^(٦).

(١) للكرديري : رين الأخبار ، ص ٣٩٦ ، بالبرت المصري : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٤٨١ ، القنطري : صبح الأعيان في صناعة الإكساء ، ج ٤ ، ص ٤٧٠ ، ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص ٣٧٨ ، بارثولم : تركيا من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٢١٨ ، كي لمخزنج : بلدان الخلافة الشراعية ، ص ٥٠٢.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٨٩ ، القنطري : المصدر السابق ، ص ٢٧٥ ، الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٧٠٥.

(٣) بالبرت المصري : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٤٨١.

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ ، القنطري : المصدر السابق في معرفة الأقاليم ، ص ٢٧٥ ، الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٧٠٥.

(٥) الصفرجي : وهو شجر معروف في نهر شجرة القنقاز ، إلا أنه أصغر من ورقه وأغظ وأشدّ عوداً ، وثمره يكون في حجم الرمان ، وهو أصغر عليه حبل كالغبار بلزمه غالباً ولجوده لكثير الهش الحلو الكثير الماء وهو نوعان : طبر رطب ، والنوع الثاني حليض يابس ، فلقد أطلقني : المرجع السابق ، ص ١٨٩.

(٦) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص ٣٧٥ ، ٣٧٨.

٥- الفلاح ، الرمان ، المشمش ، الخوخ (١) :

ويجانب تلك الأنواع المختلفة من الفاكهة نجد هناك العديد من
المنس التي - حسب ما ذكر في المصادر - اشتهرت بأنواع مختلفة من
الفاكهة دون ذكر لأنواعها ومنها مدينة كس التي تميزت بكثرة فواكهها ،
وبذلك توصفها بأنها خصبة تتضح فيها الفاكهة أسرع من أي مدينة بم
رراء النهر (٢). وكذلك مدينة هلاورد فهي خصبة بكثرة الفاكهة (٣).

٦- زراعة الزهور .

وقد اكدت بزراعتها مدينة أندروسة ، ومن الواضح أن أهالي
تلك المدينة قد تطلوا على الظروف المناخية لتلك المدينة ، وررعوا
الزهور (٤). وهابوا لها المناخ المتكسب الذي يختلف مع برودة تلك
المنطقة.

٧- النشاط الزراعي .

اشتهل الإيرانيون بالزراعة منذ القدم ، فقد حثهم نبيهم زرادشت
لي عتقنهم الأولى على حرفة الزراعة ، وكذلك تربية الحيوان ، فمن
برز مبادئ الاهتمام بالزراعة ، لذا فقد حجب الناس في زراعة الأرض ،
وإن يجدوا في العمل لدرجة تحريم الصوم على أتباعه لكيلا يضمروا في
العمل ولا يجهنوا أنفسهم (٥).

(١) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص ٣٧٨ ، كمي لسردج : بلدان الخلافة الشرقية ،
ص ٥٠٢.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٧٤ ، ابن حوقل : صورة الأرض ،
ص ٥٠١ ، المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٧ ، الإدريسي : قصص المديح
، المجلد الأول ، ص ٥٠٠ ، يارنولد : المرجع السابق ، ص ٢٣٨.

(٣) المقدسي : أحسن التلخيص في معرفة الأقاليم ، ص ٣٩١.

(٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٥ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ، المجلد
الثاني ، ص ٥٠٥-٥٠٦ ، يارنولد : المرجع السابق ، ص ٢٨٧.

(٥) طه ندا : دراسات في الحضارة ، ص ٢٤٥ ، محمد حصر الحريوطي
المجوسية والمجوس ، ص ١٥١ ، ون ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمه
محمد بدران : (الجنة القليل والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٠م) ، ص ١١٢ ؛
يوكشيتهلى : جغرافية الاتحاد السوفيتي «الطبيعة» ، السكى ، الاقتصاد ،
ص ٢٤١.

وكانت بعض الأراضي يزرعها ملاكها المزارعون ، حيث كانوا
بالعموم في بعض الأحيان جماعت زراعية تعاونية تتألف من عدة أسر
لتتحد سوياً في زراعة مساحة كبيرة من الأرض الزراعية ، وبعضهم
يملكه الأشراف الإقطاعيون ويقوم بزراعة الأرض المستأجرون ، وسك
مقابل جوء من غلة الأرض ، وبعضهم يتولى زراعته الأرقاء الأجانب
«وهؤلاء لم يكونوا فرماً» ، وكانوا يستحقون في تهديد الأرض وحرثه
بمحراث من الخشب ذات أطراف من الحديد تجرها الثيران^(١).

أما الترك ، فينصح - من خلال الفصل السابق - ل الصيغة
الغالبية على الترك وقبائلهم المختلفة هي التنقل والترحال ، لذا لا تتناسب
معهم تلك الحرفة.

أما العرب فنجد هناك مواقع عديدة تحول بينهم وبين اشتغالهم
بتلك الحرفة ، وهي على النحو التالي :

- ١- بيئتهم التي يغلب عليها الطابع الصحراوي ، والتي تتناسب معها حياة
البدو ورعى الأغنام ، إلى جانب التجارة لترويح سلمهم.
 - ٢- مجيئهم لتلك المناطق بغرض الفتح والعمل على نشر الإسلام
وممارسة حرفةهم الأصلية وهي التجارة.
- لأنياً الثروة الحيوانية وحرفة الرعي :

تكن أهمية الثروة الحيوانية وحرفة الرعي في الآتي :

- ١- استغلال تلك الحيوانات في عملية التنقل والترحال.
- ٢- مساهمتها في التجارة والتبادل التجاري بينهم وبين من يحاورهم.

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ص ٤١٢.

لما عن مراعى تلك المناطق فنجد أنه كلما تخلو مدينه من مسها
من انتشار المراعى في سهولها ، فحرص على تربية ماشيتها وأسمها ،
وتصف على النحو التالي :

١- الدواب والماشية

الغواب .

ومنها الخيول والجمال التركية التي تربي وتربي في مراعى تلك
المناطق^(١) . وإن كانت الجمال من أهم حيوانات إقليم خوارزم وذلك
لعملها البرد القارس ، فتستخدم في عمليات التنقل والترحال على نهج
جيجرون ، وخاصة في فترة جموده ، فيذكر ابن فضلان قائلًا : «كانت
الخيول والبغال والصيور تجاز على الطريق وهو ثابت لا يتخلل»^(٢) .

ويتحدث القلقشندي عن رخص ثمن اللحم عندهم ، فأكثر ما يذبح
عندهم هي الخيول ، أما سكان البر فكان اللحم لا يباع عندهم ولا يشتري
لكثرته ، وأغلب أكلهم إلى جانب اللبن ، فيذكر أن من تلف هذه دابة
سواء من فرس أو بقرة أو شاة يذبحها لتكفبه هو وأهله وجيرانه ، ولو
حدث ذلك عند أحدهم فعل ما فعل جاره من قبل^(٣) .

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٨٩ ، ٣٢٥ ؛ ابن فضلان :
رحلاته ، ص ٨٣ ، ٨٩ .

(٢) ابن فضلان : المرجع السابق ، ص ٨٣-٨٤ .

(٣) القلقشندي : صبح الأضي في صناعة الإنشا ، ج ٤ ، ص ٤٧١ ؛ مصنف على
حيدر - الدولات الإسلامية في المشرق - ص ١٨٥ ؛ وعن كيفية لصيد عند
الترك انظر : الفصل الثاني من الرسالة «سكان» ، ص ١٠٠ .

وتقد امتازات بخارى بتربية الخيول في حقولها ومراعيتها ، حيث يطلق على خيولها اسم «الشهاري البخارية»^(١). وثقتها في المكانة مدينة كثر^(٢). فني امتازت بتوليد الخيول الممتازة بها ، وكذلك يعبرها الذي نمير في توجه على كل الملامات إلى جانب اعتباره الحيوان السلع الموجود في جنوب شرق آسيا ، وخاصة في عملية التنقل والترحال^(٣). وهناك أيضاً النوع السمرقندي التي افرغت بتربيتها ورعايتها مدينة سمرقند^(٤). أما عن البقال فكان موطن رعايتها وتربيتها مدينة كثر ، فكانت تصدر وتوزع من منطقة ما وراء النهر إلى قطر خراسان^(٥).
الماشية

حيث كانت تربي قطعان الماشية في مناطق خوارزم ، وبالقرب من بحر آرال وبجانب تربيتها يحمل منها أصناف من الجبن واللبن إلى أسواق الجرجانية^(٦). وثقت خوارزم في تربية الماشية مدينتا : سمرقند^(٧).

(١) ابن القتيبة : مختصر تاريخ البلدان ، ص ٥٠ ، ٥٤ ، الجاهظ : المصدر السابق ، ص ٢٠.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠٠ ، الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٥.

(٣) غسيري : تاريخ بخارى ، ص ٣٣.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٩٩.

(٥) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٧٤ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠٢ ، الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٥.

(٦) القلقشندي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٧٩ ، محمد علي حيدر : مرجع سابق ، ص ١٨٥.

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٩٩.

وكش^(١). وكذلك مدينتا : وذارو^(٢). ويزركث^(٣). هذا وقد انفردت مدرسته بحارا بتربية الضئيل التي ليس لها مثيل في العالم كله^(٤).

ب- الطيور وتربيتها

وهي الدجاج للكرلكي^(٥). وأقراح الحمام^(٦). والسمان في حوارم والصغابيان «وإن كل لم يذكر صراحة نوع الطيور في مدينته للصغابيل ، بل ذكر بها مواضع كثيرة لسيد أجناس مخالفة من الطيور»^(٧).

(١) الإسطخرى : المملكة والممالك ، ص ٢٢٤ ، ابن حوقل : صورة لأرض ، ص ٥٠٢ ، الإندلسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٥.

(٢) الإسطخرى : المملكة والممالك ، ص ٣٢٢ ، المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٧٩ ، بارتولد : المرجع السابق ، ص ٦٦.

(٣) الإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٢ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٩٩.

(٤) للمبيري : تاريخ بخارى ، ص ٣٣.

(٥) الكرلكي : يقال أنه الخرنيق أو أن الخرنيق صنف منه ، وهو طائر أخضر طويل المنقار والرجلين ، قريب من الإوز أبيض القصب ، رمادي اللون في هذه لمعان ، مزيج وهو في مرحته مثل الحمام ، له مشك ومصايف ، وهو في طيراته لقاء هجرته يكون صفاً واحداً يتكلمه واحد منهم يكون رئيسهم ، ويذكر أن من حادف الكرلكي أنه إذا كبر والده عليهما ، التويري : نهاية الأرب في فنون الأئب ، المجلد العاشر ، ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٦) ابن رسته : الأعيان النفيسة ، ص ٩٧ ، المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٨٦ ، ٢٢٥.

(٧) الإسطخرى : المملكة والممالك ، ص ٢٨٣.

جـ- الحيوانات ذات الوبر الثقل :

ومنها : السمور ، والفتق ، والقاقم^(١) ، والوشق ، والغالب^(٢) ،
والسجلب^(٣) . حيث توجد تلك الحيوانات بكثرة في كل من خولرم ومدينة
الصعاليان^(٤) .

و- النشاط الرعوي

لما بالنسبة لحرفة الرعي فمن المرجح أن يكون قد اشتغل به
الإيرانيون بجانب حرفة الزراعة ، وذلك لكونهما مكمّلين لبعضهما
البعض ، فبجانب الزراعة ترعى الأغنام والإبل والأبقار والمضنية ،

(١) القاقم : وهو حيوان يشبه السجلب ، إلا أنه أبرد منه ولرطب ، له شعر أبيض
ناعم ، يجلب من بحر خزر وجلده يشبه جلد الفهد ، ومنه يتخذ الفراء ، وهو
أحد أهمّة من السجلب ، الجملط : المصدر السابق ، ص ٢٠ ، حاشية ٢ ،
النوري : المصدر السابق ، المجلد العاشر ، ص ٣١٩ .

(٢) الغالب : يعتبر فروه من أجود الأوبار وفصلها ومنها الأسود والأبيض
والخضبي ، وأكله الأعرابي ثقلة ويرى ، وهناك نوع آخر منه في بلاد الترك
يسمى قيرطاس ، ويكثر بقلعة ويرى وحسن لونه ويرى أنواع منها : السارسنا
والبرطاس والقيب والفتق : النوري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، المجلد
العاشر ، ص ٢٨٠ .

(٣) السجلب : وهو حيوان معروف ، حسن الفراء ، ظهره لونه أزرق وخطه بضاء
، ومنه ما يكون ظهره أحمر ، ردؤ الجنس ، سريع الحركة ، وهو كثير ببلاد
الصغائية والخزر ، الجوهري : الأبدال ، ص ٢٧٨ : المقامي : أحسن التقاسيم في
معرفة الأقاليم ، ص ٣٢٥ : الجملط : القيصر بالتجارة في وصف ما يستخرى
في الأبدال من الأمتعة الرقيقة والأعلاق النفيسة والحيوانات الثمينة ، (مكتبة
الخارجي ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) ، ص ٢٥ : النوري : المصدر
السابق ، المجلد العاشر ، ص ٢٧٨ .

(٤) البحردي - الأبدال ، ص ٢٩٢ : قسطنطين حين السفر الحديثي : المرجع السابق ،
ص ٤٤٦ .

وبجانب الثمن يوجد عنصر بشري آخر - وهم التترك - حيث تمثل تلك الحرفة أهمية إلى حد ما عندهم.

ولقد وصفهم الجاحظ «ولهم أصحاب عمد وسكان فيلف وأرباب ومواش وهم أعراب العجم ، لم تشغلهم الصناعات ولا التجارات ولا الطلب والملاحة والهندسة والأغراس ، ولا بتيان ولا شق أنهار ولا حيازة غلات ، ولم يكن همهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الحبل ومقارعة الأبطال وطلب الغنائم ... وصار ذلك صناعتهم وتجارهم»^(١).
ثالثاً : المعادن والثروة المعدنية :

وتستأثر بالتفاوت في تولدها من مكان لآخر ، فهناك مناطق متعددة المعادن متوفرة ، وأخرى تكاد لا توجد المعادن بها لدرجة استيرادها ، تحتاج إليه ممن يجاورها من المدن الأخرى ، وثالثة نجد فيها ما يكفي ، وتقوم عليه بعض الصناعات البسيطة.

وعلى الرغم من تمتع إقليم خوارزم بوفرة وثراء في الثروة الزراعية ، وكذلك الثروة الحيوانية ، إلا أننا نجد المعنى بالنسبة للثروة المعدنية ، فليس ببلادهم معادن ذهب ولا فضة ولا شيء من جواهر الأرض ، على الرغم من قيام العديد من الصناعات المعدنية الخفيفة ، مثل : السكاكين والخناجر المطعمة بالجواهر والسيوف والدروع والأقال ، حيث يعملون آلاتهم من العاج والأبنوس^(٢).

(١) الجاحظ : المصنوع السابق ، ص ٤١.

(٢) لإسطخرى . المسالك والممالك ، ص ٣٠٥ : المختصر : نحن التقسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٢٥ : محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٥ ، كي سترنج : المرجع السابق ، ص ٥٠٢.

لما عن المعادن في منطقة ما وراء النهر فتجدها متحدة على

التجو التالي :

أ- الذهب .

لقد كان القسم الشرقي من مملكة الإسلام يتمتع بوجود خرائن الذهب به وحده ، ونتيجة الاتصال الذي حدث ما بين القسم الشرقي والقسم الغربي ارتفعت أسعار العملة الذهبية في المشرق ارتفاعاً عظيماً وهائلاً ، وذلك في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي^(١).

ولقد تواجد معدن الذهب في بعض المناطق القليلة من مناطق ما وراء النهر ، ومنها : مدينة سمرقند^(٢) . وكذلك مدينة خشت «إحدى مدن أشروسنة» وخاصة في جبال ألتم التي تقع جنوب إقليم الصفد^(٣) . وإيلاق^(٤) . ومدينة الختل حيث يستخرج معدن الذهب من نهر وغشاب^(٥).

ب- النحاس .

يستخرج من بحارا معدن النحاس الأصفر ، ذلك الذي يستعمل في طلاء أعلى مصابيح النور^(٦) . وأيضاً مدينة سمرقند^(٧).

(١) أدم ماز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ٢ ، ص ٣١٨.

(٢) ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٢٥١ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ،

ص ٢٨٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥.

(٣) اليعقوبي : البلدان ، ص ٣٩٤ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٧ ؛ ابن

حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠٥ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في شي اختراق

الأناف ، المجلد الثاني ، ص ٥٠٦.

(٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٢٧ ، ٢٧٤ ؛ الإصطخرى : المسالك

والمسالك ، ص ٢٣١-٢٣٢.

(٥) الفيثوي : البلدان ، ص ٢٩٠ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٩٧

(٦) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٢-٣١٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق

، ص ٤٩٠ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٦ ؛ البرثخى : تاريخ

بغداد ، ص ٢٠ ؛ أدم ماز : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧١.

(٧) ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٢٥١ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ،

ص ٢٨٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥.

ج- الفضة :

يتوافر معدن الفضة في سمرقند^(١). وفي الجزء الشمالي للعربي من مدينة خجنت^(٢). وكذلك أشروسنة^(٣). ومن المدن التي اشتهرت بمعدن الفضة وارتبط بها إيلاق حيث أطلق عليها ابن خرداذبة لاسم «معدن الفضة»^(٤).

د- الرنبيق :

توافر معدن الرنبيق في منطقة واحدة فقط من مناطق إقليم مساب وراء النهر وهي مدينة سمرقند^(٥).

هـ- الحديد :

تواجد في سمرقند^(٦). والصغانيان وابن كان المصدر لم يذكر ذلك صراحة بل تحدث عن تواجد طرائق الحديد بها^(٧).

(١) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥١ ، الإسطخرى : المصدر السابق ،

ص ٢٨٨ ، المقنسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥.

(٢) المقنسي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ، يريزوك : قمر جع السابق ، ص ٢٨١

(٣) ليعطوي : البلدان ، ص ٢٩٤ ، الإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ ، ابن

حوق : صورة الأرض ، ص ٥٠٥ ، الإبريسي . المصدر السابق ، المجلد

الثاني ، ص ٥٠٦.

(٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٦٧ ، ٢٧٤ : الإسطخرى : المسالك

والممالك ، ص ٢٣٩-٢٣٦

(٥) ابن الفقيه . مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥١ : الإسطخرى : المصدر السابق ،

ص ٢٨٨ ، المقنسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥.

(٦) الفميري . تاريخ بخارى ، ص ٤٣.

(٧) الهمقري : البلدان ، ص ٢٩١.

و الزواج

وهو نوع من الملح ، يوجد في الأغوار مختلفاً مع الكبريت أو الرقيق ، وهو ثلاثة أنواع : الأول : الأبيض «ويطلق عليه القلنس» وهو متباوي الأجزاء متحطّ غير متماسك ، ويسمي كذلك بزواج الأسكنية والمسمى باليونانية «الليطريا» ؛ والثاني : أبيض دون الأول في النقاء ، ينجبه باطنه إلى الموائد ، لين ولكن لا يخلو من لزوجه ويسمي «هلمبر» ؛ والثالث : أشعر صلب ، وهذا النوع الأخير يتوافر منه الكثير^(١) . ولقد توافر في مدينه سمرقند^(٢) . وألمرويسنة^(٣) .

ز - الفحم والنفط «القلنس» :

يوجد في سمرقند ، ولقد كشف الروس وجوده حديثاً في تلك المنطقة «سمنقند حالياً»^(٤) .

ح - الملح :

تواجد بكثرة في مدينة كثر ، وذلك تحت مسمى «الملح الزرالي» المعدني وهو يحمل إلى كثير من أفاق خراسان^(٥) .

(١) دود بن عمر الأنطاكي : تذكره أولى الأكلاب والملح للمحب العجائب ، ج ١ ، ص ١٧٦ ؛ ابن قبيطار : الجلع لمنزلات الأدوية والأغذية ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ، وإن كل قد اختلف معه في ذكر لزاج فنكر الأيسوس ، الحمر ، القصار ، الخضر ، وذكر لها مسيلات أخرى فوجد القلنس «الأيسوس» ، القلنطسار «الأسنر» ، القلقت «الأخضر والأحمر» وكلها تذاب وتعمل في الماء ما هذا الأحمر .

(٢) ديمري : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٣) ليمقوي : المصدر السابق ، ص ٢٩٤ ؛ الإسطخرى : المسالك والمعالم ، ص ٣٢٧ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠٥ ؛ الإتريسي : المصدر السابق ، ص ٥٠٦ .

(٤) ديمري : تاريخ بحري ، ص ٢٢ .

(٥) الإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠٦ ؛ الإتريسي : المصدر السابق ، المعجم الأول ، ص ٥٠٠ .

رابعاً الصناعة :

مع توافر المادة الخام بكافة أنواعها سواء كانت ثروة زراعية أم حيوانية أم معدنية قلّمت عليها العديد من الصناعات، وسوف نعرض تلك للصناعات مع تصنيفها النوعي.

١- صناعة المنسوجات :

من أشهر تلك الصناعات في تلك المناطق شديدة البرودة مثلما الحال في إقليم خوارزم حيث أقمى الشمال والطبيعة الجغرافية القاسية على سكان تلك المناطق ، لذا فهم في حاجة ماسة إلى تلك الملابس ، إلى جانب احتياج بعض المناطق المجاورة في الشمال ومشاركتها بشكل هام في التبادل التجاري.

أ- المنسوجات القطنية «الشتوية» والصوفية .

ولقد اشتهر إقليم خوارزم بصناعة المنسوجات الشتوية والصوفية من أصواف الأغنام ، فكانت تصنع السراويل المبطنة ، واللباد ، والفلانس ، والبرانس ، والقراسق ، والأبرد ، والفرش ، وثياب الحف ، وغيرها من الأنواع المختلفة من الملابس.

ولقد كانت لتلك المنسوجات أهمية ، منها أولاً : بالنسبة لخوارزم ونظراً لطبيعتها الجغرافية والبرد القارس بها كان أهلها في أشد الحاجة إلى تلك النوعية من الملابس الثقيلة ، ويؤكد ذلك قول ابن فضلان : «وأمرنا من كنا نأمن به من أهل البلد بالاستظهار في الثياب والاسكتار منها ، وهزلوا علينا الأمر وعظموا القصة فلما شاهدنا ذلك كنّا أضماص ما وصف لنا فكان كل رجل منه عليه قرطق فوقه خفتان وفوقه بومستين وفوقه لباده وبرنس لا يبدو إلا عيناه وسراويل وطباق آخر مبطن وراى وخف كيمخت ، وهرق الخف خف آخر ، فكان الواحد منا إذا ركب الجمل لا يقدر أن يتحرك بما عليه من الثياب»^(١).

(١) الإصطخرى : المسلك والممالك ، ص ٢٠٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ،

ص ٤٨١ ٤٨٢ ؛ المتخصي : لخص التقليم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٢٥ -

ولقد اشتهرت بخاراً بالثياب البخارية ، وكذلك مدينة هرنده»
التي اشتهرت بصناعة المنسوجات القطنية والصوفية ، ونظراً لإنتاجها
أجود الأقمشة حملت اسم المدينة وهي «الأقمشة الزندنجية» وكان إنتاجها
يكفي ويصدر الفائض إلى بلدان العالم الإسلامي^(١). وكذلك الكرايس التي
يطلق عليها «الزندنجي» نظراً لظهوره أول مرة في تلك المدينة ، وهو
يحمل إلى جميع الولايات مثل : العراق وفارس وكرمان ، وثانها مدينة
الطراوس ، ومن كثرة تلك المنسوجات كان يحمل منها العديد إلى العراق
، وكذلك المناطق المجاورة^(٢).

وكذلك مدين سمرقند التي اشتهرت بالثياب القوذارية التي تنسج
إلى لربة «وزار» التي تنسج بسعة طيبة حيث زاد عليه الطلب في
العراق^(٣). وكذلك الثياب السمرقندية ، والزيارية ، والديباج ، وثياب حُمر
تسمى مرجل وسيلزي^(٤)، وأيضاً لشروسة التي اشتهرت بنوع متميز

= إندريسي : ترجمة المثنوق في اختراق الآفاق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٩

الكرديري : زين الأخبار ، ص ٢٩٦ ، ابن فضل : رسائله ، ص ٨٦-٨٧ ،

علي أكبر دهقدا : لغت نامة ، (دائرة مطرند) ، ص ٨٠٠.

(١) الإسطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٢-٣١٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ،

ص ٤٩٠ ، المقنسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ؛ الإندريسي : المصدر السابق

، المجلد الأول ، ص ٤٩٥ ؛ انرشسكي : تاريخ بخارى ، ص ١٠ ، ٢٩ ،

حاشية ١ ، ص ٣١.

(٢) الإسطخرى : الممالك والممالك ، ص ٣١٢ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ،

ص ٤٨٩ ؛ الإندريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٥.

(٣) الإسطخرى : الممالك والممالك ، ص ٣١٢ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ،

ص ٤٨٩ ؛ الإندريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٥.

(٤) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥٤ ؛ المقنسي : المصدر السابق ،

ص ٣٢٥ ؛ الإندريسي : المصدر السابق ، ص ٥٠١.

من الأقمشة «الأجروته» الأثروسية^(١). ثم مدينة الصغانيان التي
لشهرت هي ومدينة «والتجرد» بالأنسجة القطنية ، وكذلك الصوئية حيث
تنسج البراة الرفيعة القرطاسية الشهب ، والخرمية المقرقة^(٢).

ب - صناعة المنسوجات الحريرية :

وتمثلت في الثياب ، والدياج ، والأبرسيم^(٣). الذي كان يؤخذ
بعضها من دودة القز .

ج - صناعة التطريز والحيطة :

اقتصرت تلك الصناعة على نساء خوارزم ، حيث يقمن بتلك
الأعمال إلى جانب الأعمال النقية الأخرى^(٤).

٢ - صناعة السجاد والبسط :

اشتهرت مدينة الطراوس ببخارا بصناعة السجاد ، والبسط ،
والمصليات ، والفرديات ، والخيام واحتياجاتها^(٥).

(١) البقلاوي : البداي ، ص ٢٩٤ ؛ الإسطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٢٧ ؛
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، للسجاد
الأول ، ص ٥٠٦ .

(٢) فطنين عبد المنار الحديثي : أرياح خراسان ، ص ٤٤١ .

(٣) الأبرسيم : لمس أنواع الحرير ، وهو بقلارسية «برشيم» ، مجمع لغة العربية
، المجمع الوسيط ، القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ، ج ١ ، ص ٢ ، محمد قنوجي ؛
المجمع الفارسي الفصحي ، غرناطة طلاكى ، (نار الضم للملحين ، الطبعة الثانية ،
١٩٨٠م) ، ص ٥٦ .

(٤) المنقي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ محمد علي حيدر : التديلات الإسلامية
في الشرق ، ص ١٨٥ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٩٢ .

(٥) لإسطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣١٤-٣١٥ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق
، ص ٤٩٠ ؛ المنقي : المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ؛ الإدريسي : المصدر
السابق ، السجك الأول ، ص ٤٩٥ ؛ طه تنا : بخارى ، مجلد ١٩ ، ص ٥٤

٢ - الصناعات القائمة على التعدين «الصناعات المعدنية» .

نرجع أهمية تلك المعادن إلى تصنيفها ، حيث يختلف التصنيع على أساس نوع المعدن ، فهناك معادن دقيقة وثمينة ، ولهذا تقوم عليها الصناعات الدقيقة الجميلة ، وأخرى تقوم عليها الصناعات الثقيلة مثل الدروع والسيوف .

صناعة الأدوات الحديدية «آلات الحديد» -

في إقليم خوارزم ، وعلى الرغم من قلة المعادن كما إلا أنه قامت بها عدد من الصناعات المعدنية والتي تمثلت في : التسكين والحناجر المطعمة بالجواهر والسيوف والدروع والأقال ، هذا إلى جانب أنهم كانوا يحملون بعض آلاتهم من الأبنوس والعاج ، ومن الجدير بالذكر الفرد إقليم خوارزم بهذا فقط ، وكذلك توافر الحديد من الصناعات البارعة في تلك الأقال ، وخاصة في مدينة الجرجانية حيث يوجد بها الحدادون والنجارون وغيرهم من هؤلاء الذين كانوا في صناعاتهم يتميزون بالثقة^(١) . وكذلك بخارا حيث اشتهرت بصناعة تلك الأدوات من المعادن المتوافرة لديها وسبق أن تحدثنا عنها^(٢) .

وكذلك سمرقند التي تزخرت بصناعاتها في صناعة آلات الحرب والقتال مثل : السيوف والدروع^(٣) . أما مدينة قشجرد والصغانيان فقد اشتهرتا بصناعة الطرائق من الحديد^(٤) . وإن كانت المصادر لم توضح أي نوع من الطرائق .

(١) المقدسي : أحسن التماسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٢٥ ، مصدر على هيدر :

المرجع السابق ، ص ١٨٤-١٨٥ ، كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٩٢ :

(٢) ابن الأثير : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥١ : الإصطخرى : المصدر السابق ،

ص ٢٨٨ : المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ .

(٣) الإنريسي : نزهة المشتاق في أحوال الأقاليم - المجلد الأول ، ص ٤٩٥

(٤) الفيضاني : البلدان ، ص ٢٩٢ : قطب الدين عبد الستار الحنفي : أرباب خراسان ،

ص ٤٤٦ .

٤ - الصناعات الجلدية .

صناعة دباغ الجلود

لقد اشتهر إقليم خوارزم بدباغ الجلود لذلك الحيوانات التي نواجت فيه من سمور وفك وقاقم وسنجاب وثعلب ، وكانت تصنع كذلك الجباب من جلود الأغنام^(١) . وكذلك مدينة بخارا التي اشتهرت بدباغة الجلود وكذلك الصناعات الأخرى الجديدة التي تقوم على دباغ الجلود^(٢) . وأيضاً مدينة سمرقند بالإضافة إلى صناعة دباغ الجلود تقوم عليها صناعات أخرى ، منها : الحكيمات ، والسور ، وصناعات أخرى عديدة^(٣) .

٥ - الصناعات الخشبية :

أ - صناعة السفن :

من أهم تلك الصناعات هي صناعة السفن^(٤) . والتي تستخدم كوسيلة للمواصلات ، ولقد كان في إقليم خوارزم تصنع المراكب «السفن» من جلود الجمال والكيفت^(٥) . الموجودة في ذلك الزمان^(٦) . أما سوارى السفن فكانت تصنع من الخشب وخاصة خشب البقس ، «وهي شجرة طويلة خضراء اللورق طول العام ، ذات خشب قوي» .

(١) البغدادي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ، المتخمي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ،

الكرديزي : زين الأخبار ، ص ٣٩٦ ، ابن فضلان : رسائله ، ص ٨٦ ، علي

كبير دهخدا : المرجع السابق ، ص ٨٠٠ .

(٢) المتخمي : المصدر السابق ، ص ٣٢٤ .

(٣) المتخمي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ .

(٤) قطب عبد الستار الطيبي : أرياح خراسان ، ص ٤٣٢ .

(٥) للكيفت : لفظ فارسي ، وهو نوع من الجلود المديوغة ، ولقد من ظهور الخيل

والحمير ، فيوري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، المجلد ١١ ، ص ٤٤ ،

حاشية (٤) .

(٦) البغدادي : السابق ، ص ٢٧٨ ، المتخمي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ،

الكرديزي : زين الأخبار ، ص ٣٩٦ ، ابن فضلان : رسائله ، ص ٨٦ ، علي

كبير دهخدا : لعت تامة ، ص ٨٠٠ .

بـ صناعات أخرى قائمة على الخشب .

منها مقابض الآلات الحربية كالقذوب والسهام والقشاب والقصي الذي كان يصنع على الأخص من لحاء الشجر الذي يسمونه «توز»^(١) كذلك تأسيس المنازل من الخشب ، وخلصه من أشجار التوت المتوفرة لديهم ، وكذلك شجر الخلف^(٢) .

٦ - صناعة الورق «الكاف»^(٣)

لم يكن الكاغد معروفاً في الشرق في أول عهد الإسلام ، وإنما كانت الكتابة على القراطيس المأخوذة من البردي المصري أو على الرقوق ، وكان أول ظهور الكاغد في الإسلام في مرقند حيث صنعه هناك أسرى من الصين ، حيث أسره الأمير زياد بن صالح في قلعة «أطنج» عام ١٣٤ هـ حيث صنع من خرق الكتاب والقنب ، وهو ما كان موجوداً لديهم ، فقدمه الناس منذ تلك الحين ، وكثر صنعه في بقاع متعددة من بلاد الإسلام ومنها دخل أوروبا واشتهر .

(١) المقامي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ : ابن فضل : المصدر السابق ، ص ٨٠ ، محمد علي حيدر . الديارات الإسلامية في المشرق ، ص ١٥٨ ، علي أكبر دهخدا : المرجع السابق ، ص ٨٠٠ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم القبايل ، المجلد الثاني ، ص ٤٨٢ ، فنوري : المصدر السابق ، ص ٢١٥ ، ٣١٦ ، حاشية (١) ، حيث قال : «في الصلابة من الصمصمات بأنواعه المختلفة» ، ولقد افترق ، دود الإطليقي مع التوري ، ولكنه ذكر أنواعه المتحدة ، ومنها : وهو الأجود يرى الذي ليس له سجل لهم طيب الرائحة ، ثم يليه البهرامج المعروف بالبلخة ثم الصمصمات المر وهو شجر لا يختص برمن وغالب وجوده عند المياه والأرض الجافة ، ومن المرجح أن يكون هذا النوع موجوداً في إقليم خوارزم الدود الإطليقي . المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

(٣) الجحظ - المصدر السابق ، ص ٢٨ ، حاشية (١) ، ذكر آ كاغد وكاغد ، كغد لفظ صيني معرب دخل العربية بطريق فارسي .

ولقد قال أبو منصور النحلي : كواغد سمركند هي من حصانيتها التي عطلت قرطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون فيها ، لأنها النعم وأحسن وأرق ، ولا تكون إلا بسمركند والعمير ثم كثرت الصلعة واستمرت العادة حتى صارت متجرا لأهل سمركند نعم خير هـ ، والارتقاء بها إلى جميع البلدان والأقالق.

وينكر لي من أشهر الأصناف التي كانت تصنع قديما في العالم الإسلامي : الكاغد الفرعوني تقليداً للقرطيس المصرية المستعملة في ذلك الوقت ، والكاغد السليماني نسبة إلى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان على عهد الخليفة هارون الرشيد ، والجبجري منسوب إلى جعفر البرمكي وزير لعملي ، والطلحي منسوب إلى طلحة بن طاهر ثاني أمراء بني طاهر ، والفروحي نسبة إلى الأمير نوح الأول من بني سامان وسوى ذلك كثير.

وقد شاعت الوراقة في البلاد العربية ، ولغتصت بدور صناعة لي العراق واليمن وفارس والشام ومصر والمغرب ، ولاسيما القبروان والمهنية ، وفي الأندلس خصوصا مدينة شاطبة «Xativa» وغيرها^(١).

(١) للمحيط : القبروان بفتح القاف ، ص ٢٨-٢٩ ، حاشية (١) : أبو الفقيه : مخلص كتاب البلدان ، ص ٢٥١ ، الإصحري : المسالك والممالك ، ص ٧٨٨ ، المحشي : لمس القاسم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٢٥ ، ركني محمد حسن : الفنون الإيرانية في مصر الإسلامية ، (مكتبة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٠م) ، ص ٢١ ، أحمد أمين : ظهور الإسلام ، (دار الكتاب ، لبنان ، ط ٥ ، بيروت ، ١٩٨٨/١٩٦٩م) ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ ، محمد جمال فستين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق منذ عهد نفوذ الأكاد إلى منتصف القرن الخامس ، ص ١٣٥ ، ناصر خسرو علوي : سفر ملحة ، ص ٤١٢ ، بوارد بروي : موسوعة تاريخ الحضارات العالم ، المجلد الثالث ، ص ٢٢٤ ، آيم متر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٣٠٩.

٧ - صناعات أخرى عديدة .

أ - صناعة تجفيف الظلقة :

ففي إقليم خوارزم كان يتم تقطيد البطيخ وتجفيفه في الشمس ، ويحمل في القوالب من خوارزم إلى الهند والصين ، فيجلب إلى بلاط الخليفة المأمون والوفا في أنية من الرصاص ملقوفة بالفلج فلذا وصل في حالة جيدة بلغ ثمنه مئمة مئمة درهم وربما تستخرجوا ماءه وصنعوا منه الحلوى ، وكذلك تجفيف العنب وتحويله إلى زبيب^(١).

ب - صناعة الزيوت :

حيث توافرت في إقليم خوارزم صناعة الزيوت القائمة على السمسم ، حيث وجدت بها العديد من المعاصر التي كان يتم بها ذلك ، وكذلك صناعة السمن ، والشمع ، والملاين ومنتجاتها^(٢). وكذلك صناعة الصابون في مدينة ترمذ.

ج - صناعة الأواني الفخارية .

في مدينة بخارا وخاصة من الطين الذي يستخرج من جبل ورکه الذي على بعد فرسخ من هذه المدينة^(٣). ومن سمرقند حيث جبل يعرب بـ «كرك» تمتد طرفه إلى سورها فيأخذ سكانها منه الأحجار والطين الذي يستخدم في صناعة الأواني^(٤).

(١) الكندي : زين الأخبار ، ص ٣٩٦ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٤٨١ ؛ ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٧٨ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٤ ، ص ٤٧٠ ؛ كى لسترج . المرجع السابق ، ص ٥٠٢ ؛ بلرتولد : تركستان من فتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٢٦٨ .

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٧٨ .

(٣) الإدريسي . المصدر السابق ، المجلد الأول ص ٤٣٢ .

(٤) قتيبي : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٨ ؛ القسسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥-٣٢٦ .

خامساً - التجارة :

توفر في تلك المناطق العديد من العوامل التي ساعدت على
ازدهار التجارة بها ، ومنها :

أ - الموقع الجغرافي : وخاصة في منطقة آسيا الوسطى فهي منطقة
وسطى تمر عليها كافة الطرق ، وهي أقرب ما تكون مركزاً لشبكة
العديد من الطرق سواء أكانت رئيسية «مثل طريق بخمد» أم فرعية
أم بركة أو نهريّة أو بحرية.

ب- توافر المادة الخام : وصناعتها ووجود فائض منها يساعد على
ازدهار التجارة.

ولقد كانت تجارة آسيا الوسطى وخاصة في القرن الأول للهجرة
رأسها متمركز في أيدي هؤلاء العرب الذين فتحوا تلك المناطق بغرض
نشر الإسلام ، والعمل على توسيع رقعة الدولة الإسلامية إلى جانب
كونهم شاطنهم الأول في أماكنهم الأولى^(١). بحكم بيئتهم التي عاشوا فيها
ومناسبة حرفة التجارة لهم.

وإن كانت التجارة في عهد المسلمين قد نهضت إلى حد كبير
لدرجة أن الكتاب العرب قد رأوا من حق الدولة أن تدبوا تلك الحركة في
كتبهم ، ومن خلال ما كتب يتضح كونها - أي الدولة المسلمانية - مركزاً
عظيماً لتجارة العالم الإسلامي ، حيث ترد إليها البضائع من كل ولاية
بعيدة أو قريبة ، ومنها تصدر إلى جميع الجهات من أقطار العالم
الإسلامي^(٢).

(١) البكري : القيدان : ص ٢٧٨.

(٢) بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين ، (قاهرة ، ١٩٥٠م) ،

ولقد اختلف الأمر في عهد الخلافة العباسية ، وخاصة بعد عهد كل من هارون الرشيد والمأمون ، حيث بدأت تنقد زمام الأمور في تلك المناطق المتزاوية الأطراف بآسيا الوسطى ، وكان السبب وراء ذلك هو سياسة الدولة وتخليها شيئاً فشيئاً عن تعيين الولاة وعزلهم إلى تركيز الأمور في يد أمير إرستقراطية تليعة لها ، فبدأت تلك الأمور تمتثل شديداً شيئاً عن الدولة ، وبذلك ضعفت نفوذ الأسرة العباسية في أمور حراسان وما وراء النهر ، وازداد نفوذ تلك الأسرة وسلطانها وتحولت إلى دول ، مثل الطاهريين ، والسامانيين في خراسان وبخارا وسمرقند والغزنويين في أفغانستان^(١).

وبجانب التجارة المسلمين هناك الرعاة سكان السهوب والبراري حيث للتجارة المتبادلة بينهما ، فهم يستوردون عدداً لا حصر له من الماشية للحومها ، وكذلك دواب الجمال إلى جانب الجلود والفراء ، وهذا بالنسبة للترك البدو أما الترك الحضري الذين بعدانهم فيحصلون على حاجاتهم من الملابس وهداياهم من الفلال ، وخاصة في بلاد ما وراء النهر ، فكانوا يسوقون أغنامهم وقطعاتهم من الماشية إلى مناطق الحدود التي يمكنها الحضر ، دون انتظار لمضرب تلك القوافل إلى مناطقهم ، فكان أكثر من استفاد من التجارة مع هؤلاء الرعاة أهل خوارزم^(٢).

١- الصفحات .

٢- مميزات الإنتاج الزراعي

اشتهر إقليم خوارزم - بشكل عام - بتصدير الفواكه من احتياجاته ، ومنها : البنق ، والسمسم والبطيخ الذي كان يحمل إلى بلاد

(١) بدر الدين حي الصيني : المرجع السابق ، ص ١٢٠-١٢١ .

(٢) جرجي زيدان : القاموس الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٥٤٩ : يارتولد : تركستان من القفح العربي حتى القرو المعربي ، ص ٣٦٧ .

الهند والصين ، وكذلك الفريسيين^(١). أما عاصمتها الجرجانية فكانت تصدر العنب ، والتين - ولب الرمان^(٢). ومن بحارها يتم تصدير الطيخ فائق الشهرة والتوزيع^(٣). ويحصل من رسائيق سمرقند الفندق والجوز^(٤).

ب- صادرات من الثروة الحيوانية :

كان كذلك إقليم خوارزم على رأس قائمة البلاد التي تصدر تصدير السمور والسجانب والنفك ، والتعالب ، خربوسنت ، خرکوش (لرنب) ملون ، وأسنان السمك ، والكيفت السمك^(٥). ومن الجرجانية يصدر منها الجلود والدهون المستخرجة من تلك الحيوانات^(٦). ومن بخرا تصدر جلود الصل ، والشحوم ، ودهن الرأس^(٧). ومن سمرقند تصدر

(١) البغدادي : البلدان ، ص ٢٧٨ ؛ المقنسي : المصدر السابق ، ص ٣٧٥ ، بدر الدين حي الصبني : المرجع السابق ، ص ١٢١ ؛ القزويني : أثير البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٤١ ؛ ابن بطوطة : رحلته ، ص ٣٧٧-٣٧٨ ؛ ياقوت : المرجع السابق ، ص ٣٦٥-٣٦٧ ؛ المعتمد عبد المتار تصديقي : أرباح خراسان ، ص ٤٠٠.

(٢) المقنسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٢٥.

(٣) المقنسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٢١ ؛ محمد علي هيدر : الديارات الإسلامية في المشرق ، ص ١٨٣.

(٤) البغدادي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ؛ المقنسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ جرجي زيدان : القديس الإسلامي ، ج ٥ ، ص ١٨٢ ؛ عبد العزيز السنوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، (بغداد ، ١٩٤٨) ، ص ١٢٨.

(٥) البغدادي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ؛ المقنسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ بدر الدين حي الصبني : المرجع السابق ، ص ١٢١ ؛ ياقوت : المرجع السابق ، ص ٣٦٥-٣٦٧.

(٦) المقنسي : المصدر السابق ، ص ٢٢٥.

(٧) بدر الدين حي الصبني : المرجع السابق ، ص ٧١ ؛ محمد علي هيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٣ ؛ شيرازي عبد القوم حسيني : مسلمو تركستان ، المرو السوفيتي من خلال التاريخ والأنب ، (القاهرة ، ١٩٨٥) ، ص ١١٣.

من الحيوانات حيوان القنم والجيد^(١). وكذلك الخنثى التي تصدر الحيل والبيال^(٢). ومن أربنجن الجلود^(٣).

➤ صادرات من الملقن

يصدر من خوارزم الأدوات المعدنية من سيوف ودرع ، وأقال وقسي «لا يقوى على استعمالها إلا أشد الرجال»^(٤). ومن الجرجانية الزجاج ، الكبريت ، الرصاص ، إسبرك ، والرنينج^(٥). ومن بحارا : المصابيح النحاسية والمروج^(٦). ومن سمرقند تصدر القدور التي يصنعها الصغارين من النحاس^(٧). ومن أربنجن الكبريت^(٨). والطامبات.

(١) البقوي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ؛ المقسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ جرجى زيان : المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٣ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ٣٩ ؛ عبد العزيز قنوري : المرجع السابق ، ص ١٣٦.

(٢) للمقسي : أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٢٥.

(٣) للمقسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٣-١٨٤ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٥١٥.

(٤) البقوي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ؛ المقسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ بدر الدين حي المصبي : المرجع السابق ، ص ١٢١ ؛ بلرتوئد : المرجع السابق ، ص ٣٢٥-٣٢٧.

(٥) المقسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥.

(٦) بدر الدين حي المصبي : العلاقات بين العرب والمسلمين ، ص ١٢١ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٣ ؛ ثيرين عبد التميم حسني : المرجع السابق ، ص ١١٣.

(٧) البقوي : الأقاليم ، ص ٢٧٨ ؛ المقسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ جرجى زيدان : التمدن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ١٨٣ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ٣٩ ؛ عبد العزيز قنوري : المرجع السابق ، ص ١٣٦.

(٨) المقسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٣-١٨٤ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٥١٥.

د صادرات الكاغد :

التي افرجت بتصديرها عن بقية مدن خوارزم وما وراء النهر مدينة سمرقند^(١).

ه صادرات من المنسوجات والقرش والسجاد :

وقد اشتهر إقليم خوارزم بشكل عام - بتصدير دياج بيشكن ، ومقايح ملم ، والعرش ، وثياب الاحف ، وثياب آرنج ، وكذلك المنسوجات ولقطاءات والبطاطين ، والسجاد^(٢).
اما الثياب للرخوة ، وثياب القرش القنكية ، ومنار المنابر ، وثياب طبر ، وثياب اشموني ، والمصليات والبسط ، فكانت تصدر من بخارا^(٣).

اما سمرقند فقد اشتهرت بتصدير انواع متعددة من الثياب ، منها ثياب سيمكون والمسرقدية ، وكذلك الدياج إلى بلاد الترك ، وثياب حمر ممرجل وسينزي ، وكذلك قز كثير لتصنيع الحرير^(٤).

(١) للعلوي : البندان ، ص ٢٧٨ ؛ المتقي : المصدر السابق ، ص ٢٢٥ ، ج ١ ، ريدان : القطن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ١٨٢ ؛ محمد علي حيدر ، المرجع السابق ، ص ٢٩ ؛ عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) للعلوي : البندان ، ص ٢٧٨ ؛ المتقي : المصدر السابق ، ص ٢٢٥ ، ج ١ ، ريدان : المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٢ ؛ محمد علي حيدر ، الدويلا الإسلامية في المشرق ، ص ٢٩ ؛ عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ، ص ٢٢١ ؛ بلوتوك : المرجع السابق ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٧ .

(٣) بنو القين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين ، ص ١٢١ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٢ ؛ شيرين عبد النعيم حبيب : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٤) للعلوي : البندان ، ص ٢٧٨ ؛ المتقي : المصدر السابق ، ص ٢٢٥ ، ج ١ ، ريدان : القطن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ١٨٢ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ٢٩ ؛ عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

واشتهرت كرميتية وانقرنت بتصدير المناديل فقط ، أما السوسية فصنرت الثياب والديباج ، وخلصمة من مدينة «وذار» واشتهلها بالثياب الدوادية «وهي ثياب على لون الصمت ، ويقال : إن سلاطين بغداد كانوا يطلقون عليه ديباج حراسان» ، أما أرينجن فقد اشتهرت باللبود والمصليات^(١).

و- صادرات من التصف الخزفية :

لقد ذاع صيت وشهرة بعض المدن في ما وراء النهر ، وأخصاً بلاد تركستان الصينية ، وهما : بخارى وسمرقند في العالم الإسلامي حيث اشتهرت بالتصف الخزفية التي امتازت بالبساطة والاقتزان ، وجمال الألوان ويذاع زخارفها ذات المسحة الفنية الممتازة ، ولبي كل هذا يعني أن صناعة الخزف من قديم ، وكبر الفن أن مركزها كان مدينة الشاش «طشاند حالياً» وكان من صادراتها^(٢).

ز- صادرات الرقيق :

لقد كان لتجارة الرقيق - بشكل عام - في العصور الوسطى ثلاث مناطق تجلب منها أعداد لا حصر لها من الرقيق ، وهي :

(١) المتنبي : المصدر السابق ، ص ٢٢٥ ، بدر الدين حي قصوى : المرجع السابق

، ص ١٢٢ ، محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٨ ، كسي لستريج :

المرجع السابق ، ص ٥٢١.

(٢) ركي محمد حسن : القون الإيرانية في عصر الإسلامي ، ص ١٦٦-١٦٧ ، ٢٢٠

حاتمية (٦) : ينكر ركي حسن : المنسوجات تلك التي تقسم إلى إيران سور

لقرين الثاني والرابع بعد الهجرة ٩٠٨م ، ضرب من الحرير عليه رسم

حيوانات بخطوط منكسرة وروايا ظاهرة وقد كل العالم الانجليزي قسير أوبري

شنيخ Avrelstein قد عثر على حفائر ببلاد التركستان الصينية على أنشبه

تشبه هذا النوع الذي يسب إلى إيران ، وفي اعتقده أنها من صناعة بلاد

التركستان ، ولاسيما سمرقند وبخارا.

١- التركستان «بلاد الترك» في سهوب آسيا الوسطى.

٢- بلاد الصقالبة «غابات» أوروبا الشرقية والوسطى.

٣- بعض المناطق الأفريقية^(١).

وإن كان الرقيق الذي يتبع منطقة ما وراء النهر من الأتراك
المحبطين هم خير رقيق يحيط بالشرق كله^(٢).

ويذكر الإبريسي أنه ليس على معمر الأرض أحسن أولاداً ، ولا
أرق بشراً ، ولا أجمل خلقاً ، ولا أعم أديناً من رقيق الترك ، والترك
يسرق بعضهم أبناء بعض ويبيعونهم من التجار حيث يبلغ ثمن الجارية
منهم ثلاثمائة دينار لها فوقها^(٣).

وهم صنفان : الأسود ، والأبيض من الصقالبة أو من العزر
الأتراك من بادية تركستان وكذلك الأرمن واليودان ، أما الصقالبة فيأتي
العبيد من عندهم ثم يبيعون بلاد العزر عند نهر نيل الفولجا ، حيث كانت

(١) إيريل محمود الطعان : نشأة الرقيق التركي والعربي في المجتمع الإسلامي
نهاییة القرن ٥٤٠ ، رسالة ماجستير ، (الإسكندرية ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ،
ص ٧٢-٧٤ ، نوری حامد عیسی السامونی : علاقة خوارزم بالعلم الإسلامي
خلال المهديين البويهی والسليمانی ، رسالة ماجستير ، موهاج ،
١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص ٢٩٧.

(٢) جرجي زيدان : المدن الإسلامية ، مطبعة الهلال ، (القاهرة ، ١٩٠٢م) ، ج ٢ ،
ص ٢٨٨.

(٣) الإبريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥١٣ ، كي لسرئج : بلدس
العلاقة الشرقية ، ص ٥٠٢ ، نذكر أن هؤلاء يتقنون أو يسرقون أولاد وبنات
أقربائهم من بنو تلك القبائل ويبيعونهم بالأسواق الإسلامية
يبيعون منها إلى سائر بلاد الإسلام فكانوا يتولون على ما يروى التاريخ أجل
مناصب الدولة ووظائفها.

تلك المدينة عاصمة الخزر ، فكانت بتقاصي رسوم مرور على هؤلاء
الترقيق ، ثم يتم توزيعهم بين الطريق البري تجاه دريند - أرمينية
طبرستان - قاري وأخيراً بخدا.

والثاني ، عن طريق بلاد البلغار إلى الجرجانية فيجتمع عند كبير
من أسيا الموسلي ، ثم ينتقل إلى ما بين النهرين وبقية البلدان الإسلامية
الأخرى.

وكن أكبر أسواق الترقيق سوق سمركند ، فيربون هناك تربية
راهبة ، ويأتي إليها التجار من تركستان وما وراء النهر والبلغار ومن
شرق أوروبا ، وكانت سمركند بيئة صالحة لتربيتهم ، وكان أهلها يتخطون
هذا الطريق صناعة لهم يعيشون بها وكان الترقيق الأبيض أعلى ثمن
وأيضاً أكثر تعلماً للفن والموسيقى^(١).

ولقد أكد المفنسي ذلك ذكراً له من ورايات خوارزم الترقيق من
الصفالبة ، الذين يجلبون من طريق خوارزم ، وأيضاً من صادرات مدينة
البلغار الذين يؤخذون إلى خوارزم ، وإلى جهات جيحون وجلبون من
خراسان رقيقاً أبيض عالي الثمن ، فيصل سعر الواحد خمسة آلاف
دينار^(٢).

(١) المفنسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٦١ ، جرمي زينل : التنس
الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٥٥٨ ، أحمد أمين : شهر الإسلام ، ج ١ ، ص ١٣٠ ،
حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السيلسي ، الطبعة الثالثة ، ص ٤٤٦ ، ج ٢
، ص ٣٢٧ ، محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٢١ ، فريل
محمود فطلان ، المرجع السابق ، ص ٨٥-٨٦.

(٢) المفنسي : المصدر السابق ، ص ٣٦٥ ، عبد العزيز النوري : المرجع السابق ،
ص ٦٤-٦٥.

• كيفية الحصول على هؤلاء الرقيق •

أ- عن طريق الحرب ، فإن فتحت بلاد جاز للمسلمين أن يسترقوا أهلها ، ويجوز أن يسترق الأمير أو الإمام أيضاً ، ولكن في القرن الرابع الهجري تضاعف مجال توسع الإسلام عسكرياً ، وزال بذلك تقريباً مجال الحصول على رقيق عن طريق الفتوحات.

ب- أم الطريقة الثانية ، للحصول على هؤلاء فتتمثل في أن يرسل الولاة هؤلاء الرقيق ضمن الولادات ، أو عن طريق الشراء ، وهي الوسيلة الرئيسية للحصول على الرقيق في القرن الرابع للهجري ، حيث توجد تجارة واسعة المجال ، فهناك أسواق خاصة لبيع الرقيق في أكثر المدن الرئيسية ، وقد اعتاد هؤلاء التجار على تنظيم حملات للحصول عليهم^(١).

وكان الرقيق الأبيض هو الرقيق الخاص ، فيعرضه التجار على الأمراء والأغنياء ، وأصناف محددة من النساء والفتيات والرجال ، ولقد قدم هذا الرقيق على اختلافهم بأعمال متنوعة وكثيرة ، حيث وصل الأمر إلى التفرغ في الحياة الاجتماعية ، فمنهم من كان جندياً وقائداً تستعين به الدولة في حروبها ، وإلى جانب هؤلاء وجد كذلك الرقيق الشعبي السذي يعرض في الأسواق^(٢).

ويذكر ما سبق ما ذكر من أيام الخليفة المحتشم بالله أبي إسحاق محمد بن الرشيد ، عندما تحول من بغداد إلى مدينته الجديدة «سمرقند» رأياً لكونه اعتنى باقتناء الفراء ، فكان أول من بعث لها كانت مسمرقند

(١) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٦٠ ، عبد القدير الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي

في القرن الرابع الهجري ، ص ٦٢-٦٤.

(٢) لحد أمين : ظهور الإسلام ، ج ١ ، ص ١٣٠.

ومرغاته والقولحي الأخرى من أجل شرائهم ، حيث بذل فيهم الأموال وأبسمهم أنواع التبياج ومناطق الذهب^(١). ولقد تفرقوا في المناصب ومنهم من صاروا أصحاب دول.

وكان هذا النوع من التجارة يتم عن طريق القوافل سواء بالطرق البرية أو البحرية ، وتبيعها في الأسواق في بغداد وغيرها من المدن الإسلامية ، وكثير الناس اشتغالاً بذلك هم التجار اليهود الرقائبة ، حيث يتقنون اللغات الراتجة ، وهي : العربية ، والفارسية ، والروسية ، والإكرنجية الأنطسية ، الصقلية ، ويسافرون بهذه البضائع من إليهم لأخر^(٢). وذلك على ما اعتقد ناحية لطرق البرية ، أما التجارة البحرية فكان أشهر أصحابها هم السيراليون.

وفي القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي اختلف الأمر فكان التجار المسلمون يجوبون الأقطار براً وبحراً ينقلون التجارة من بلد إلى آخر على شواطئ فارس وموانئ الصين والهند وسائر الشرق ، وموانئ الفريجية والحبشة ويقطعون سمارى خراسان وتركستان ولرمينية والهند والشام وأفغانستان في نقل أصناف التجارة ، وكله قد صاروا وحدهم تجار الأرض ، فكان مركز تجارة الشرق براً ببغداد وبحراً بالبصرة^(٣).

(١) السيوطي . تاريخ الخلفاء ؛ تحقيق : محمد محي الدين بن عبد الحميد : (مطبوعة

المدني ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٥

(٢) ابن خردادبة : المسالك والممالك ، ص ٣= ١ ؛ جرجي زيدان : التمدن الإسلامي ،

ج ٥ ، ص ٤٠

(٣) جرجي زيدان : التمدن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٤٠ ، ٤١ ؛ عبد العزيز الحوري

المراجع السابق ، ص ١٥١.

من صادراتهم لتلك المناطق العمور والغنك^(١) وكذلك
المصنوعات الجلدية التي تصنع من جلود تلك الحيوانات إلى جانب العبيد
والإماء من صادرات الخزر^(٢). للتروع البيضاء والعنق^(٣). كل ذلك
مقابل احتياجاتهم لما لدى البلاد المستقرة المتحضرة من المنسوجات

(١) لإسطخري : المسلك والممالك ، ص ٣٠٥ ؛ الجاحظ : التبصر بالتجارة ،
ص ٤٢ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٥ ؛ دكتور أن الحرر : اسم جنس من النعم ،
بلدهم صغير ذو جانبين يسمى أحد جانبيها آل ، والجانب الآخر خرز ، وهذا
النهر يجري من بلد الروس ، وليس بهذا المصير رسابق كثيرة ، ولا مملكة
مملكة ، وهو بلد بين بحر الخزر والقرز والروس والغزوة والكتب بين أرض
الصين والهند وأرض الخولجية والتغزغز وبحر فارس ، وبعضهم في مملكة
الهند ، والبعض الآخر في مملكة الصين ، وهم أحد الشعوب التركية للنشطة
التي ولقت في تكوين واحدة من ولايات المنطقة مع بداية القرن ٦ م ، وذلك
عندما بدأوا استقرارهم في المنطقة ما بين بحر قزوين والقوقاز ، وظهر
الأراضي الغربية المتطرفة Göktürk ثم سبأوا فيما بعد جزءاً من
الإمبراطورية التركية التي كونها تومن Tumen في الربع الأخير من القرن
السادس الميلادي ، وما أن دب الضعف فيها حتى انهوا ونفوذهم عبر البصر
الأسود وبذلك ظهرت دولة خلت الخزر منذ عام ٦٣٠ - ٩٩٥ م ، وبمكثهم
موقعهم في الأراضي التي تتحكم في طرق التجارة سواء الطريق للسياسة أو
المرات المائية ، حيث للتجارة تمر عبر أراضيهم فساد عليهم بالازدهار وهم ما
بين مسلمين ويهود ، وظلت بقوتها حتى ضعفت بسبب ضغط الهجمات الروسية
من الشمال وتكوينهم ما يسمى «Olkenze» الإمارة حول كيرك «Kirc» ؛ سعد
رغلول ع : الحصد : الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ،
ص ٦٠ .

Ibrahim Kafesoglu : a short history of Turkish, p.10-11, 38.

(٣) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص ٢٨ .

وغيرها مما يتوافر لديهم ، وتقدر لدى البيئات البدوية ، ونجد الحواريين أثناء تواجدهم إلى الغرب بنشاطهم وخاصة صوب القوفا والقوقاز ، نشأت بينهم وبين الخزر صلات قوية ، وانتشر الخوارزميون في إقليم القوقاز^(١).

ب- البلقار .

ومن صادرات البلقار لتلك المناطق - وخاصة في القرن ١٤هـ / ١٠م القراء والجلود المصنوعة صناعة دقيقة ، والصل ، وشمعه ، والسكك ، إلا أن الأهمية البلقارية تعد من أحسن صادرات تلك المدينة ، فكان لها شهرة واسعة النطاق في تركستان^(٢).

ج- إيوان .

ومن صادراتها البسط ، والسجاد ، وثياب القطن ، والطناسل ، والثياب الزرقاء ، والطويلة من الصوف ، والثياب الموشية ، والأبرسيم الجيد ، والقلائس ، والفولكه من تفاح وخوخ وسفرجل ، وكشميري ، وزبيب ، وماء الورد ، والمعاجين ، ودهن الياسمين ، والزعفران ، والزمرد ، والسكر ، والكحل^(٣).

د- خراساني :

ومن صادراتها لتلك المناطق الفولكه الكثيرة ومنها الأعشاب الطبية والزبيب الكشمانى ، والكشمش ، وبطيخ وقد كان ذلك يعمل

(١) ف بارتولد : تاريخ العمارة الإسلامية ، ترجمة : حمزة طاهر . (دار المعارف ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٢م) ، ص ٨٦ ؛ عبد قزير النورى : المرجع السابق ، ص ١٥٦.

(٢) الجحط النبصر بالتجارة ، ص ٣٠-٣٢ ، ٤٠-٤٢ ؛ ابن القتيبة : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٥ ؛ الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ١٨٢ ، ١٨٦ ؛ المعنسى : المصدر السابق ، ص ٤٤٢-٤٤٣.

(٣) الجاحظ : المصدر السابق ، ص ٤٢.

إلى الحلفاء في قدور نحلن لشدة حلاوته ، وكذلك معدن العيروج ،
واللازورد^(١).

٢- الطرق التجارية

أولا الطرق البرية :

وهي أقدم الطرق بالنسبة للطرق الأخرى ، والتي سوف نتحدث
عنها في حينها ، والتي اعتاد عليها التجار ، وخاصة من العرب ، ولقد
ربطت تلك الطرق الجناح الشرقي بالجناح الغربي ، والعكس بالنسبة
لتجار الغربيين ومنضمهم إلى أسواق المشرق الإسلامي^(٢).

ومن الطرق البرية طريق يطلق عليه طريق حراسان أو «طريق
بغداد الصين»^(٣). ولا يهنا منه سوى الجزء المتعلق بموضوع البحث ،
وهو من بدء مروره من مدينة «آمل» على نهر جيحون حيث يسلك
طريقة في منطقة ما وراء النهر حتى يصل إلى بخارا ، ثم يواصل
الطريق الرئيسي من بخارا إلى سمقند ، وعند بلدة زامين على حدود

(١) شجاعت : المصدر السابق ، ص ٤٢.

(٢) فوزي حافظ جيل الساموني . علاقة خوارزم بالعلم الإسلامي خلال العهد
النبوي والسلجوقي ، ص ٢٣٦.

(٣) يذكر أن المذهب وراء تلك التسمية هو مروره بمعظم أراضي خراسان منذ القدم
من أيام الممالك الفارسية التي كانت تسيطر على تلك المناطق ، أو لكونه كسب
طريق برى عبر تلك الأراضي ويتشعب منه طرق أخرى ، حيث يربط هذا
الطريق ما بين عاصمة الخلافة بغداد ورواسم الدول الإسلامية المسطحة بيران
وأسيا الوسطى ، ولقد اهتم به حكم الدولة وأمرأوها ، لكونه يربط ما بين
المشرق والمغرب الإسلامي ، فليجاء الأكبر يجري في الأراضي الإيرانية من
بغداد إلى مرو الشاهجان حتى يبلغ مدينة آمل ، عند الجزير شوري . المرجع
السابق ، ص ١٥٠-١٥١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٣٦٧ ؛ دلالة
المعارف الإسلامية : ج ١ ، ص ٢٥٥ ؛ ذكرنا أن آمل مثلي الطرق التي تصل
خراسان بما وراء النهر وخيوة.

إقليم لئروسنة ، ثم يفترق إلى فرعين ، أحدهما : إلى إقليم الشاش^(١) ،
والذي : إلى إقليم فرغنة وأعلى نهر سنجون حتى يصل إلى الحصن
ويمتد إلى أوزكند على تخوم صحراء الصين^(٢) .

الطرق البرية بين خوارزم والبلاذ الواقعة في أقصى شمال بحر الخزر :

أ- الطريق الأول : والذي يبدأ من بلاد برطاس «برلاس» ويمر ببلاد
البغاار فيوصل إلى كيبف ثم يتجه إلى الجنوب عبر بلاد الخزر ، ثم
إلى كل من جرجان وطبرستان والري^(٣) .

ب- الطريق الثاني : يبدأ من بلاد البغاار ثم إلى خليج مدينة الخزر ،
ويمر بحر الخزر إلى خوارزم فيلتقي مع الطريق البري الأول^(٤) ،
المتجه إلى بخداد وهي تخوم بلاد الصين^(٥) .

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٢٠٢ : المقضي : المصدر السابق ،
ص ٢٩١ ، عبد العزيز قنوزي : المرجع السابق ، ص ١٥١ : قنوزي حامد
عيس قلموني : المرجع السابق ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٢٠٧-٢٠٨ .

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٣٢ ، ابن رسته : الأهلان القابضة ،
ص ١٣٠-١٣١ ، ١٣٤ ، قنوزي حامد قلموني : المرجع السابق ، ص ٢٩١ .

(٤) بقصد بذلك الطريق البري الأول : ذلك الطريق الذي يطلق عليه طريق الحرير ،
حيث يخرج بفرعين من الصين والآخر من الهند ، ثم يلتقيان في وسط
آسيا عبر نهر الأمل ، فيلتقي مع تلك القوافل القادمة من الصين ، ثم يستمران معا
حتى ينفار في طريق واحد ثم يتفرعان أحدهما يتجه إلى وادي الفولجا شمالاً
عبر بحر القزوين والآخر يتجه غرباً إلى البحر الأسود ، معبر نكسي
فهي : طرق التجارة الدولية ومضائقها بين الشرق والغرب في أول الأمر المصور
الوسطى ، اللجنة المصرية للغة تكتيب ، ١٩٧٢ م ، ص ٣٦ .

(٥) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٣٢ : المقضي : المصدر السابق ،
ص ٢٧٢ ، ابن هسبلان : رسالته ، ص ٩١ ، ١٠٦-١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٧ ،
فيذكر أن رحلته إلى باغرات كانت ذلك الطريق ، بعد معارضة الأرميني
المواررمة نخل في معرة القزوين ثم شمالاً بحر الخزر ماراً
بمعبر شجباك والباغرات حتى وصلوا إلى عاصمة تلك البلغار -

وكان بعض التجار يذهبون إلى مدينة البغداد^(١)، إما براً عن طريق أنطاليا وإما بحراً في القوارب يصعدون الفولجا^(٢)، وهذا الطريق الذي يربط ويقوى العلاقات التجارية بين القياقل التركية وخوارزم، وشيء طبيعي أن يكون لأي طريق اتجاهان، الأول ذهب، والآخر إياب، صا دلم هذا الطريق يتجه من بحر الخزر إلى خوارزم نجد أن القوافل تتجه من الجرجانية إلى خراسان جنوباً^(٣)، حتى تبلغ المسافة لخراسان ستة أيام، والآخر الاتجاه المعاكس إلى الخزر غرب.

ولقد كان آخر مكان على هذا الطريق في رباط «فكرود» أو «فراود» ذلك الذي يتكون من ثلاثة حصون متصلة ويبعد أربعة فراسخ عن مدينة «نسا».

ويشير الكردديزي إلى وجود طريق آخر، ويتضح من الوصف كونه طريقاً براً يمر من مهاباد للساحل الغربي لبحر آرال ثم يهتدق المغارة إلى بلاد الهندك^(٤).

- عبد العزيز النوري: المرجع السابق، ص ١٥١، ذكر أن «كانت للقوافل التجارية منفلة من خوارزم إلى بغداد ومن بغداد إلى خوارزم».

(١) البغداد: وهم الترك القائل، حيث كانت هناك علاقات بينهم وبين خوارزم، ونقصهم بهم بغداد الفولجا، حيث كان تجار خوارزم يذهبون إلى الشمل إلى طريق النهر، ويحسون بالضيقة مقابل تلك الضيقة الجربية المصيبة بالخراب والموت ومع بداية القرن العاشر الميلادي «١٠٠٠م» نجد أن عدداً كبيراً من رجال خوارزم وغزوا في حملات عديدة من المقاصب الإدارية والمسكرية في الدول والولايات البغارية، وإن كانت على ما اعتاد أنه قد تم ذلك بعد حصولهم في الإسلام؛ شيخ فرينة: نغمة الدهر وشمسه لعل المصير، ص ٢٦٣ Ibrahim . op.cit.p.37-38

(٢) عبد العزيز النوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع، ص ٢٦١

(٣) الكردديزي: زمن الأخبار، ص ٢٦٨.

(٤) «ليجستك» «الشقاق»: قبيلة من الأتراك من قبائل فروغ الغز، ولقد كانوا من أصل من تركستان الصينية ثم هاجروا من وسط آسيا إلى جنوب روسيا في تلك المنطقة ما بين الفولجا والأورال بين نهري Dan-Yaulk بجوار الخزر ثم إلى الجنوب منهم، وغزبهم السلاف وشرقهم العجاق «الكرمان» وفي بداية القرن ٩م طردوا أمير Magger من قوطهم بين القوت والخيزر -

هذا ويذكر أن معظم التجار بخراسان من أهل حوارزم ، فلم تكن
مدينته كبيرة بخراسان إلا وكان بها جمع غفير من أهل حوارزم
وتجارهم ، وكانوا يتميزون عن السكان المحليين بارتدائهم الفلاكل
الطويلة.

ويذكر ويؤكد أنه في فترة من الزمن كانت جميع ضياع مدينته سا
ملكاً لخوارزميين ، ومع ذلك لا بد أن الانتعاش الاقتصادي كان
مصلحاً له اهتماماً فكري وثقافي ، فيذكر المقدسي أنه قال أن النسفي
إمام في فقه والأدب هو القرآن إلا وله تلميذ خوارزمي^(١).

ج - طريق بري من مرو إلى گرگاج «الجرجانية»^(٢).

د - طريقة بري آخر يمتد من مدينته الترمذ ببلاد قرهانه ماراً بالعسل
والصفاديين^(٣).

هـ - طريق بري فرعي يربط بين إقليم الصفاديين وبخارا^(٤).

و - طريق بري يمتد من بلخ إلى شط وادي جيجون إلى ترمذ ويبلغ
طوله يومين^(٥).

= ولكن تحت ضغط الغز وطردهم حوالي ٨٦٠م ، توجهوا على أثرها إلى
الغرب ولحقوا كثر السلاف في شمال غرب البحر الأسود حيث أهل هؤلاء
مناطق شاسعة من البحر الأسود ، ومن بقي منهم فقد ظل تحت سيطرتهم للغز
ابن الفضل : رسالة ابن فضل ، ص ١٠٦ ، حاشية ١ : الإدريسي : المصدر
السابق ، المجلد الثاني ، ص ٩٢٢ ، ٩٦٠ ، بلوتوك : تاريخ الترك في آسيا
الوسطى ، ص ١٠١ ، سعد رطلوك عبد الحميد : الترك والإسلام في العصر
الإسلامي الوسيط ، ص ١٧٥-١٧٦ ، ربيعة عطا : الترك في المصور الوسطى
ص ٨ ، ١٨

(١) المقدسي : أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٦٧ ، الجورجيري : رسال
الأخبار ، ص ٢٦٨ ، بلوتوك : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٧.

(٢) بلوتوك : المرجع السابق ، ص ٢٦٥.

(٣) ابن خردادبة : المسالك والممالك : والمزيد عن تلك الطريق انظر ص ٢٣.

٣٤

(٤) المقدسي : المصدر السابق ، لمزيد عنه انظر ص ٢٦٧-٢٦٨.

(٥) لإصطخري : المسالك والممالك ، ص ١٥٨.

ر - طريق برى ما بين بلخ وأعلى تهر جيحون عند بخشان ، وتقسر تلك المسافة ١٣ مرحلة^(١).

هـ - طريق برى من ناحية إقليم جرجان ، الأول إلى شرق آخر مدينة الرباط هو على قم المغازمة حيث يدخل تلك الناحية الطريق الداهب إلى مدينة خوارزم.

ولقد وصف هذا الطريق الواصل من جرجان إلى خوارزم مخترفاً دهستان بلن تلك الناحية كانت الحد الفاصل ما بين المسلمين والكفرة من الترك والكرد.

ط - طريق برى أمر من بستانم في قومس إلى عاصمة خوارزم «الجرجانية»^(٢).

ثانياً الطرق النهرية .

سبق أن تناولنا بالتفصيل الحديث عن تلك الطرق عند تناولنا جغرافية خوارزم وما وراء النهر ، وخاصة المجاري المائية^(٣).

ولقد لاحظنا على تلك الأنهار وفروعها أنها صالحة للملاحة النهرية طوال العام ما عدا أشهر الشتاء حيث تتجمد وتسير عليه القوارب أيضاً^(٤). وإن جاز لنا التعبير نجد أن تلك الأنهار تجمع ما بين الطرق البرية إلى حد ما في فصل الشتاء والطرق النهرية بقية أيام السنة ، وشيء طبعي أن توجد نقاط مراكز تجارية ، لتوافر الأسواق التي سوف

(١) الإسطخرى : المسالك والممالك ، ص ١٥٨ ، المغنسي : المصدر السابق ، ص ٣٦٧.

(٢) كي نسترنج . بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٦٠-٤٧٢.

(٣) انظر الفصل الأول من الرسالة ، ص

(٤) أبو حنبل ، صورة الأرض ، ص ٥١١ ؛ الإريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٧٠٦ ؛ القفندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج ٤ ، ص ٤٤٥ ؛ شيخ ترميز : المصدر السابق ، ص ٩٤ ؛ يلزولد : المرجع السابق ، ص ٢٧٠.

نتحدث عنها لاحقاً على تلك الأتھار ، ومن هذه المراكز : فرغانة ،
وحجنت ، ويطارا ، وخوارزم ، حيث كان أهلها يقومون بنقل السلع
التجارية عبر سيجون على سفن^(١).

ثالثاً الطرق البحرية.

١- الطريق البحري بحر الخزر .

الذي يصب فيه نهر آتل «آتلوجا»^(٢). وهو ذلك الطريق البحري
الذي يربط إقليم خوارزم بمن جاوره من العناصر للتركبة المحيطة من
الشرق والشمال ، بالرغم من كونه من البحار المغلقة ، وإن كان نهر
الآتل هو الممثل الوحيد له ، ومنبعه من بلاد الروس شمالاً ويصب في
بحر الخزر حيث تقع عليه مدينة آتل التي سعى باسمها النهر^(٣).

ونجد أن سكان تلك المناطق التي يخترقها مجرى نهر آتلوجا قد
اجتروا أخيراً في وضع تنظيم كامل قصائهم في اثنين ، بمعنى «وجود
جاليات عربية ويهودية ، ومسيحية هناك»^(٤). ثم استطاع التجار العرب
توثيق علاقاتهم مع مناطق شمال بحر قزوين ، حيث شهدت عاصمة دولة
الخزر «آتل Atil-Atel» وصول سفنهم وقوفهم ، فكانت نقطة الرحيل
من عندهم محطة ببضائعهم من ثمر أشربلا ، وبالنسبة للقوافل فقد كانت
نقطة الرحيل مدينة الحدود الجرجانية «Djad Janicha» على بحر آرال

(١) الإصطخرى : المسلك والممالك ، ص ١٨٧ ؛ بقول الحصوي : مجموع البلدان ،

المجلد الأول ، ص ١٢١ ، المجلد الثاني ، ص ٣٤٧.

(٢) ف. هاید : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، مراجعة

وتقديم : عر اندیس غود ، عریة عن الفرنسية : أحمد مصد رصبا : الهيئة

المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م ، ج ١ ، ص ٥٣-٥٤.

(٣) الإصطخرى : المسلك والممالك ، ص ٢٥٧ ، ٢٧٦.

(٤) المسعودي : مروج الذهب ومعلل الجواهر ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ ؛ هاید : مرجع

فصلیق ، ص ٦٤.

عاصمة حوارزم^(١). وإن كان هؤلاء لم يكتفوا فقط بالوصول إلى أهل ، بل
سئلوا أن يصعدوا نهر القولجا حتى تلب رومسيا طلباً للفراء
والجلود^(٢).

٢ - الطريق البحري جنوب دولة حوارزم :

ويقصد به مياه الخليج الفارسي «الخليج العربي حالياً» وكذلك
بحر الهند حيث يحدّه من الشرق باحثة التيز ، وهي من مواقع إقامتهم
«مكران» إلى «عبدان» غرباً^(٣).

وعلى الرغم من تواجد الطرق البرية إلا أن سكان كل من
سمرقند وخراسان يفضلون الطريق البحري على الرغم من طول مسافته
عن سابقه ، حيث يركبون السفن في الخليج الفارسي حيث تستمر القوافل
في نقل البضائع^(٤).

ونأخذاً للنقطة السابقة نجد أن انتشار الإسلام في الجانب الشرقي
من الخليج الفارسي قد ساعد على تواجد شعب واحد متكامل من كل من
الفرس الذين هم سكان الخليج الفارسي والعرب سكان السواحل واشتركهم
في استعمال اللغة العربية كتابة مما يجعل من الحسير التمييز بين
العنصرين ، حيث كان من أسماء الفواخذ الموجودة ذكرها في كتاب
عجائب الهند ليزرك بن شهريز بأنها كلمة نقل على كون الغلبة للعنصر
الفارسي أكثر من العنصر الآخر^(٥).

(١) الإصحاح : الممالك والممالك ، ص ١٠١ ، ١٢٧ .

(٢) ف. هاند : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٢٣٤ .

(٤) هاند : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥٢ .

Bernard Lewis : the Arabs in history, (London, 1950), p.87.

(٥) السيد محمد يوسف : علاقات العرب التجارية ببلقانت منذ أقدم العصور حتى القرن

١٤ ، (مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، ١٩٥٣م) ، مجلد ١٥ ، ص ٧٥ .

٤ - الإجراءات الأمنية لتلك الطرق .

يقصد بتلك الإجراءات العمل على توفير الأمن والأمان للطرق التجارية في عمليات تنقل تلك القوافل والسفن ، سواء للذهاب أو الالتياسة محملة بالبضائع من المصارف والبولدات سواء عن طريق الطرق البرية أو البحرية ، وسواء كانت تجارة داخلية في مناطق ما وراء النهر مع بعضها البعض ، أو تجارة خارجية مع الصين والهند وخراسان والفرانجا ، حيث حمايتها من قطاع الطرق ولصوص القوافل ، فكان لديهم علم ودراسة بمواعيد تلك القوافل سواء في الصيف أو الشتاء ، وكذلك الفرصاة بالنسبة للطرق البحرية والنهرية ، وهم ما يطلق عليهم «فراصنة البحر».

ولكن الأمر لم يتوقف عند هؤلاء فقط ، بل هناك العناصر التركية غير المسلحة المتوطنة على سواحل النخوة الإسلامية ، والتي كانت من حين لأخر تغير على تلك المناطق وتجاريتهم وقوافلهم ، وذلك لقربهم من مراكز تجارة تلك المناطق ، مثل : الجرجانية ، وبخارا ، وسمرقند.

ومن جراء كل ذلك كان لا بد من وجود تلك الإجراءات الأمنية المتمثلة في وضع حمايات مسلحة خلفها الأول والأخير هو حماية تلك الطرق وحراستها ، وكذلك حفظ الأمن والسلام حتى يتمكن التجار من المرور ومزاولة نشاطهم التجاري ، والعودة مرة ثانية دون خوف أو إرهاب^(١). وبالإضافة إلى ذلك فإننا نجد بعض المدن قد أعصت من الخراج المكرر عليها مقابل حفظ الأمن والقيام بالإجراءات التي تقوم بها تلك الحمايات ، ومن تلك المناطق نجد منها «سبيجاب» بها ما يقارب من سبع مئة رباط للمطوعة ، حيث بعض هذه الرباطات قد شيدها أهل المدن الكبرى ومنها من بناها أهل النخوة من الأترياء^(٢). وكذلك هرات قراب ،

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد ٢ ، ص ٢٩٩.

(٢) المعجمي - لصدر التقسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٧٢-٢٧٣ ، بطرغون - المرجع السابق ، ص ٢٩٩.

وغيرها من المدن التي أعفيت من الحراج ، بل وشجنت بالسلاح
والمعونة من أجل ذلك^(١).

٥ - الأسواق وأنواعها .

الأسواق

اشتهرت مدن خوارزم ، وكذلك مدن ما وراء النهر بكثرة أسواقها
الدائمة وكذلك الأسبوعية والموسمية ، وذلك لأنه من الشئ الطبيعي في أية
مدينة من المدن تتوافر فيها المادة الخام سواء من ناحية الحاصلات
الزراعية أو الثروة الحيوانية ، لن تعرض في الأسواق من أجل الحصول
على سلعة أخرى تحتاج إليها «تبادل السلع» أو الحصول على النقد الذي
تحتاج إليه ، لذا تعتبر أي سوق في المدينة مرآة تعكس الحالة الاقتصادية
لها ، وكذلك نشاطها التجاري والصناعي بصفة عامة.

أنواعها

ويمكن تقسيم الأسواق في المدن السابقة الذكر إلى ثلاثة أنواع :

١- الأسواق المدنية التي تتركز في المدن الكبرى.

٢- الأسواق الريفية.

٣- الأسواق المشهورة بسلعة معينة أو الموسمية.

أولاً - الأسواق المدنية

يذكر عبد العزيز الدوري أن المدن - بصفة عامة - تمثل أسواقاً
لما يحيطها من القرى ، أي أنها مفاخر لإنتاجها ، وكذلك مراكز تبيع لها
ما تحتاج إليه من المواد ، وبالتالي يحرص القرويون على الحضور لتلك
الأسواق الكبيرة التي كانت تعقد في أيام معينة من الأسبوع^(٢).

ومن خلال ما سبق ذكره في الفصل الأول نذكر أنه قلما نلحظ
قرية من وجود سوق بها ، وخاصة في إقليم خوارزم^(٣) ، وعلى الأخص

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٧٩ .

(٢) البحري - البلدان ، ص ٢٥٨ ، ٢٦٣ ؛ عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق
الاقتصادي في القرن ٨٤ ، ص ١٣٣ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد ٢ ، ص ٤٨٢ .

في مدنه الكبرى التي يفتي إليها التجار من أنحاء عدة من خراسان ، وذلك لعدة أسباب ، منها : الموقع الجغرافي الممتاز لتلك المدن والإقليم ، وكذلك أهميتها للتجارية ، وسهولة مواصلاتها ، وتوفير الطرق سواء كانت داخلية أم خارجية.

وعلى رأس الأسواق المعنوية : أسواق مدينة الجرجانية التي كانت من العناصر المعمارية الأساسية بها كما سبق ولقينا من قبل ، ولقد تحدث ابن بطوطة عن تلك الأسواق واستمرارها حتى زعمه مع تعرضها لبعض التطور والتغيير الطبيعي بمرور الوقت ، وذلك أثناء وصفه لمدينة خوارزم في رحلته ذكراً «لها أكبر مدن الأتراك ، وأعظمها وأجملها وأضخمها ، وبها أسواق مئحة ، حيث قال : «قد ركبت بها يوماً ونخلت السوق فلما توسطته وبلغت منتهى الزحام في موضع يقال له «الشور» لم أستطع أن أجوز ذلك لكثرة الزحام ، وكانت هذه السوق يغلب زحامها يوم الجمعة وذلك لأهم يسدون سوق القيسارية وغيره من الأسواق»^(١).

وكذلك أسواق «مدينة كاث» التي تميزت بسواد المنزل والأمن بها^(٢). ومدينة «جكر بند» حيث وصف سوقها بكونه كبيراً وعامراً بالخيرات الكثيرة^(٣). ومدينة «نوزوار» التي تميزت بوجود عدة أسواق بها^(٤). ومدينة «براتكير» التي لها سوق علمر بني من الطين اللبن للجب^(٥).

(١) ابن بطوطة : نحة النظر ، ص ٢٧٢ ؛ عيد الهادي التلزي : مع ابن بطوطة من البحر الأسود إلى نهر جيحون ، (مجلة المناهل ، ١٣٩٥/١٩٧٥م) ، العدد الثاني ، ص ٨١.

(٢) هلي أكبر معتق : نحت نامة ، ص ٨٠٠.

(٣) بارتوت : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ ؛ فحطال عيد الستار الحديثي : أرباح خراسان ، ص ٣٠٤.

(٤) شمقسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ؛ كي استرنج : المرجع السابق ، ص ٤٩٤.

(٥) الاصطخري : المسالك والممالك ، ص ٣٠٣ ؛ بارتوت : المرجع السابق ، ص ٢٥٢.

ومن تلك الأسواق : سوق مدينة «يومجكت» من مدن بخار ،
والتي امتازت بالفسحة^(١) . وكذلك مدينة الطواويس التي يوجد بها سوق
ومجمع كبير يأتي إليه الناس والتجار من أقطار مختلفة من أرض
حراسان ، ويعقد عدة مرات في العام ويتبلغ منته عشرة أيام^(٢) . وكذلك
مدينة «ورخشة» التي تميزت بكثرة الأسواق بها فهناك سوق يعقد كل
خمسة عشر يوماً ، وسوق آخر يعقد آخر العام ويستمر عشرة أيام
تقريباً^(٣) .

وكان لتلك الأسواق مكانتها فهي تمتد بتجارتها الواسعة ، وتلعب
دورها ومجىء التجار إليها من نواح عديدة ومختلفة من أجل التبادل
التجاري ، لمن الملاحظ على تلك الأسواق وقوع معظمها - أن لم يكن
أهلها - في الربض .
ثانياً الأسواق الريفية :

إن جاز لنا التعبير أن نطلق على تلك الأسواق كونها مجرد تجمع
بشري صغير في إحدى القرى لا يفي باحتياجاتها بشكل كامل ، لذا فهي
لا تصل في ازدهارها وكذلك نشاطها التجاري إلى ما وصلت إليه
الأسواق في المدن ، وكما سبق وأشرنا أثناء الحديث في الفصل الأول
عن تروى خوارزم من عدم خلو أية قرية من قرأها من وجود سوق أو
تجمع بشري بها يفي بأغراضهم إلى حد ما .

(١) المقامي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٨٠ .

(٢) الأصمحرى : المسالك والممالك ، ص ٣١٢ ، ابن حوقل : صورة الأرض ،
ص ٤٨٩ الإندريسي : فريدة المشتاق في اختراق الآفاق - المجلد الأول ،
ص ٤٩٥ .

(٣) الأصمحرى : المسالك والممالك ، ص ٣١٦ .

ثالث الأسواق الموسمية -

لما التي تخصصت في تجارة نوع معين من السلع منها : تلك الأسواق التي تزكرت في مدينة الجرجانية وتخصصت في تجارة الأصنام ووبرها^(١). وكذلك أسواق أخرى لبيع منتجات الدواب والماشية بها مثل : الجيب والذنب^(٢). وكذلك سوق مدينة بخارى التي تحدث عنها الترشمي ، وهو سوق «هارارماخ» أي سوق مائح ولقد ظل يعقد حتى عهد الترشمي ، وهو أقدم أسواق بخارى يعقد مرتين في العام ، ومدته أكثر من يوم ، ويقام بالقرب من مسجد مائح ، ومن المرجح أن اسمه مأخوذ من أحد ملوك بخارى ويدعى مائح^(٣). وكان من سلع الأصنام حيث عبادة الأصنام ، تلك العادة القديمة التي كان يسير عليها البخاريون ، لذا بنى الناس في هذا السوق بيت بار للعبادة ، ولقد ظل هذا المعبد قائماً حتى دخل الإسلام ثم تحول إلى مسجد^(٤). وكان موقعة في الحي الجنوبي الشرقي من للمدينة حيث سمي باسم السوق ، فكانت تلك التجارة وحدها تدر دخلاً واسع النطاق ، ولقد ظل حتى بعد اختفاء الأصنام ، وعرفت المنطقة بحي جامع مائح^(٥).

وهناك أيضاً أسواق في مدينة «ورخشة» والتي تخصصت في سلع وبضائع معينة^(٦). وكذلك «هسيجاب» حيث وجدت أغلب أسواقها في

(١) بارغوك : تركستان من القفقاس العربي حتى القزو القمولي ، ص ٢٥٣.

(٢) القلقشلي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٤ ، ص ٤٧١ ، محمد طوسي

حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٥.

(٣) الترشمي : تاريخ بخارى ، ص ٤٠ ، ٤٤ : طه ندا : بخارى ، ص ٥٦.

(٤) الترشمي : تاريخ بخارى ، ص ٢٥.

(٥) بارغوك : تركستان من القفقاس العربي حتى القزو القمولي ، ص ١٠٧.

(٦) عبد الحميد الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرون ١٤ ، ١٥ ، ص ٢٢٨.

الريص ، وهناك بعض الأسواق التي اشتهرت بالأسجة الفنية وخاصة «سوق الكرايس»^(١).

ولقد كانت كل طائفة من التجار في قسم معين من هذه الأسواق يمكنون إلى ما بعد الظهر ، ثم يكتلون في أحد المطابخ أو يحضرون شينا من طعامهم إلى نكلكينهم ، ولا يذهبون إلى بيوتهم إلا في المساء ، ولقد استلزم الأمر في المشرق جمع النكلكين صغوقا في مكان واحد^(٢). وكان يطلق على الفناء في ما وراء النهر «كوما» والذكان فولاد يطلق عليه محليا^(٣).

(١) الأسطوري : المسك والملح ، ص ٣٣٢ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥١٠ ؛ الإدريسي : تزيئة المشتق في لغات الألسن ، المجلد الثاني ، ص ٧٠٥.

(٢) المتنسي : لحن تقاسيم في معرفة الأقطاب ، ص ٤٣٤ ؛ آدم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ٢ ، ص ٣٢٥-٣٢٦ ؛ محمد جمال الدين مرور : المرجع السابق ، ص ١٤٢.

(٣) آدم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ص ٢٢٧ ، حاشية (١)

الباب الثاني
التطور السياسي والتاريخي
لإقليم خوارزم
«٢٠٥-٥٦١٧ / ٨٢٠-١٢١٩م»

الفصل الأول

**التاريخ السياسي لإقليم خوارزم
وبداية قيام دولة شاهات خوارزم**

«٢٠٥ - ٥٥٥١ / ٨٢٠ - ١١٥٦م»

محتويات الفصل

- ١- أثر الموقع الجغرافي والقومات السابقة على تطور إقليم خوارزم
- ٢- أوضاع إقليم خوارزم قبل قيام الأسرة المأمونية
 - «٢٠٦-٢٢٨٥/٨٢٠-٩٩٥م»
- ٣- الكيانات السياسية شبه المستقلة في إقليم خوارزم.
 - أ- الأسرة الأولى «المأمونية» في خوارزم
«٢٨٥-٤٠٨/٩٩٥-١٠١٧م».
 - ب- الأسرة الثانية «الكنونانية» في خوارزم
«٤٠٨-٤٢٩/١٠١٧-١٠٢٧م»
 - ٤- تولية شاه ملك إقليم خوارزم وانتهاء حكم الأسرة الثانية
«٤٢٩-٤٢٩/١٠٢٧-١٠٤٢م»
 - ٥- خوارزم وتبعيةها لسلطنة «٤٢٤-٥٥١/١٠٤٢-١١٥٦م»
 - ٦- بداية قيام دولة شاهات خوارزم «٤٧٠-٥٥١/١٠٧٧-١١٥٦م»
 - أ- مؤسس الدولة توشتكين خوجة
«٤٧٠-٤٩٠/١٠٧٧-١٠٩٧م»
 - ب- قطب الدين محمد بن توشتكين خوارزمشاه
«٤٩٠-٥١٢/١٠٩٧-١١٢٧م»
 - ج- جلال الدين أئمز بن محمد خوارزم شاه
«٥١٢-٥٢١/١١٢٧-١١٥٦م»
 - د- الأمير أئمز خوارزمشاه وعلاقته بالسلطان منجر السلجوقي.

الفصل الأول

التاريخ السياسي لإقليم خوارزم وبداية قيام

دولة شاهستان خوارزم

١ أثر المواقع الجغرافية والمقومات الحاكمة على تطور إقليم خوارزم -

تناولنا في الباب الأول من البحث إقليم خوارزم وما تميز به من موقع جغرافي ممتاز بالرغم من مناخه شديد البرودة ، بالإضافة إلى عاصمتي الإقليم وهما : كاث والجرجانية ، ومدى أهميتها السياسية والتجارية ، وما أحدثته تلك الطبيعة من رخاء وازدهار اقتصادي أدى إلى أحداث تجانس إلى حد ما بين سكان تلك الإقليم من فرس وترك وعرب^(١). على الرغم من أن المصادر لم تعط للعرب حقهم من الحديث ، وخاصة في خوارزم ، فإنه وكما سبق وأن رجحنا فإن مجيء العرب كان مع اللواتي الفاتحين الذين يصلحون معهم عائلتهم ، وخاصة بعد استقرار الأحوال.

ثم تمكن العرب من إقامة حكومة عربية في كاث في الوقت الذي وجدت فيها أسرة فارسية ترجع أصولها إلى كوكسرو الفارسي ، حيث لقب أميرها بلقب خورزمشاه.

ونكرنا ذلك النظام الذي تتبعته الدولة العباسية مع تلك الإمارات المترامية الأطراف ، والتي تختلف في نظمها عن نظام الدولة الأموية ، والذي تمثل في تولية أسر أرستقراطية تتولى أمر الإمارات فتابعة لها إدارياً وسياسياً ويكون حكمها وراثياً بدلاً من الولاية المتعاقبين وراء بعضهم بعضاً ، وتحول تلك الأسر بتبسيطها من المركزية إلى اللامركزية^(٢).

(١) محمد فريد وجدى : دائرة المعارف ، القرن ١٤هـ / ٢٠م ، الطبعة الثانية ،

١٢٤٣هـ / ١٩٢٥م ، ج ٣ ، ص ٧٩٤ ، هند حسين عطية : الأديب العربي في إقليم

خوارزم منذ الفتح العربي ٩٢٢هـ حتى سقوط الدولة الخوارزمية ٦٢٨هـ ، ص ٥٤

(٢) بارتوك : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٣٢٠.

٢ - أوضاع إقليم خوارزم قبل قيام الأسرة الطاهرية «٢٠٦- ٢٢٥هـ / ٨٢٠- ٨٩٥م»

من الأسر التابعة للدولة العباسية ، هي الأسرة الطاهرية^(١) . التي حرصت منذ ظهورها على وضع خطة محكمة متمثلة في فرض إدارتها على الأقاليم في المشرق ، وعلى رأسها إقليم خوارزم .

فكان من ولاية الطاهريين عليها «طلحة بن عبدالله بن طاهر» ابن أخي عبدالله بن طاهر ، والذي ذكر قتلاً : «أن حكم الطاهرية يتمثل بأجل بن بيان في ابن أخيه منصور بن طلحة وإلى مرو وآمل وخوارزم ، وذلك عام ٢٤٨هـ / ٨٦٢م^(٢) . وكذلك «حصين بن طاهر» القوي الثاني على خوارزم عام ٢٥٩هـ / ٨٧٢م^(٣) . وأيضاً «أحمد بن محمد بن طاهر» عام ٢٦٢هـ / ٨٧٥م^(٤) .

(١) إقبال حبلى الأتشي : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ١٤ ، فيذكر أن الطاهريين ينسبون إلى رجل يدعى مصعب بن رزيق «من سكان فوشنج بهراء» ثم جدهم في ولاية أحد شراف العرب من قبيلة خراة ، لذا سموا بالفراعيين إلى جانب ادعائهم أنهم من نسل رستم بطل القباذنة ، وهي أول أسرة إيرانية بعد الإسلام ، ومن ولاتها طاهر بن الحسين «٢٠٦- ٢٢٥هـ / ٨٢١- ٨٢٢م» ، أخرج ريدان : تاريخ المدن الإسلامي ، ج ٤ ، ص ١٧٣ ، فتمي أبو يوسف : خراسان تاريخها السياسي والحضاري من سقوط الحكم الساساني إلى بداية الحكم العنوي ، (القاهرة ، ١٩٩٤/ ١٩٩٥م) ، ص ١٩٣ .

S. Lane - Poole : the Mohammadn Dynastie, (n.p., n.d), p. 129.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص ١١٨ ، دقرة الممزره الإسلامية : ج ١٤ ، ص ٤٥ .

R.N Frye . the Cambridge history of Iran «the retriad from the Arab in Vasion to the Seljuq», (n.p., 1976), volum4, p. 105.

(٣) الفريخي : تاريخ بخارى ، ص ١١٣ ، أرمنيوس قسطنطيني : تاريخ بخارى ، ص ٩٤ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٠٢ ، رجبيلور : معجم الأنساب والأمراء الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص ٣١٦ .

ولكن ما لبث أن دبّ الضعف في أمراء تلك الأسرة فلم يستطيعوا مقاومة أمراء الدولة الصفارية الذين قضوا على نفوذهم في خراسان عام ٢٥٩هـ/٧٧٢م ، بل تمكنوا كذلك من ضم أقاليم فارس ، وسجستان ، وكرمان ، وأصفهان ، والهند واحتلت رغبتهم لضم ما وراء النهر وإقليم خوارزم لملكوتهم.

وترتب على ذلك أن تولى السامانيون^(١) أمر منطقة ما وراء النهر بدءاً على مشور من الخليفة العباسي المعتمد بالله ، وسلمت مقاليد الأمور إلى نصر بن أحمد الساماني ، وصارت خوارزم تابعة له ، وكان عليها والي تابع لهم ، وهو جهمد بن جندب الذي ظل بها بعد وفاته ،

(١) السامانيون : يرجعون إلى سلمان خذاف بن جهمان بن جهمان بن نوشر بن بهرام جوهين بن بهرام خشك اعتنق كبرهم الإسلام على عهد أسد بن عبد الله القسري لخراسان ، لذا سمي بـأسد ، وظل أبناء سلمان وهم نوح ، أحمد ، إلياس ، يحيى في أنصاهم حتى بعد تولي الطاهريين لشؤونهم ، وكل لأحمد سبعة منهم نصر الذي أعطيت له ولاية ما وراء النهر ، ابن الأكبر : المعسر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٧٩ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الثالث ، ص ٧١٣ ، إقبال عباس الاشعري : المرجع السابق ، ص ١٢٢ ، جرجي زيدان : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٧٢ ، غيب حتى ، نوردد جرجي ، جبرائيل جوير : تاريخ العرب مطول ، (دار الكتاب للطباعة وتوزيع ، ١٩٥٠م) ، ج ٢ ، ص ٥٥٦ ، غاميري : المرجع السابق ، ص ٩٥ ، محمد بن خازن خذاف جبرائيل : روضة الصفا في سيرة الأئمة والملوك والخلفاء ، تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بويه والإسماعيلية الملاحدة ترجمه عن الفارسية وعق عليه وقد له : أحمد عبد القادر الشافعي ، ربيعة وقدم له : العمادي محمد قيساني : الدار المصرية للكتاب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص ٨٠ ، ٨٧ ، أسعد خليلي ، سلطان حرتويال : (د م ، دت) ، ص ٢٩ ، ٤٢ .

وبليه الوالى الثاني «أبو سعيد الدرعلى» ومقره في مدينة الجرجانية من قبل الأمير إسماعيل السامنى الذى تولى أمر تلك المناطق وعاصمته بحار ، بالإصافة إلى حصوله على الصفة التشريعية لتلك المناطق بحصوله على تقليد من قبل الخليفة العباسى المعتضد بالله ، وصارت خوارزم تابعة له ، وخاصة بعد هزيمته لعمر بن الخطاب^(١).

ومثل إقليم خوارزم تبعاً لهم حتى عهد الأمير نوح بن منصور السامنى عام ٣٦٦-٤٢٨٧هـ/٩٧٦-٩٩٧م^(٢). ولقاءً قبيحاً هؤلاء كانت توجد أسرتان محليتان في خوارزم ، أحدهما في مدينة كاث وأميرها الملقب خوارزمشاه وهو «أبو عبدالله محمد بن محمد بن عراق» والأخرى في الشمال حيث مدينة الجرجانية والأمير «سالمون بن محمد»^(٣). والصراع القائم بينهما وأسبابه سواء أكانت أسباباً داخلية تشمل فى : الطمع والرغبة في السيطرة والنفوذ ، ومحاولة كل واحد منهما إقامة وحدة سياسية وتكوين سياسى يشمل الإقليم بشكل عام دون تجزأته ما بين

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٨١ ؛ الفهرى : المرجع السابق ، ص ٩٨ ؛ محمد أحمد الحولى : قرغشوى ، (البينة المصرية العامة للكتاب ،

ط ٢ ، د م) ، ص ٩ ؛ الخوافى : المرجع السابق ، ص ٣١ ، ٨٢ ؛

John Malcolm, K.C.B., K.L.S., "the history of Persia from the most early period to the present time, (London, 1815), vol. I, p.295; R.N. Frye: op.cit, p.138.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٧١ ؛ محمد دبیر سبغی : سلطان جلال الدین خوارزمشاه ، ص ٧٥.

(٣) أحمد السعيد سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ومجموع الأسر الحاكمة ، (دار

المعروف ، القاهرة ، د ت) ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ ؛ إيفولوت جرانفول برنور : تاريخ

الأدب في إيران ، نقلة تعريبية : إبراهيم أمين الشولوى : (مطبعة السحابة ،

القاهرة ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٤م) ، ج ١ ، ص ٢٠٧ ؛ بروتولد : المرجع السابق ،

ص ٣٦٣ ؛ حبيب الله شامونى : تاريخ إيران لزمانا پهلوى ، د م ، د ت ،

ص ٤٣٠ ؛ Ibid, p.138.

الشمال والجنوب ، أم كانت أسبلاً خارجية : فتتم في الظروف المحيطة بهم ، والتي عجلت بالقضاء على تلك الأسرة في الجنوب.

ومن خلال ما تقدم تلاحظ حسن العلاقات بين الأميرين والأمير الساماني وخلصه بعد تقديمهم المساعدة له بعد عبوره لنهر جيحور ، وبعد تغلبه على بخراخان التركي^(١). وكانت مكافئتهما على ذلك هي إقطاع كل واحد منهما بلدة ، فصارت مدينة نسا من نصيب الأمير مأمون بن محمد ، وأبيورد إلى «أبي عبدالله محمد خوارزمشاه» ومن هنا جاء الحلاف ، وعند استلام أبي عبدالله لمدينته اعترض على ذلك «أبو علي بن أبي سنجور» الذي تولى أمر خراسان مكان أبيه في عهد نوح بن منصور الساماني «٢٦٩-٣٨٧هـ/٩٧٦-٩٧٧م» ، وذلك لكون أبيورد تعتبر إقطاعاً لأخيه ، ولن يعوضه عنها القديوان الأعلى ، وتلى ذلك عبور أبي علي لنهر جيحور بعد أن أرسل الأمير نوح للأمير مأمون بن محمد ليحسن استقباله ، فأتى : «أن يكرم أبو علي ، وبعد له ما يحتاج إليه تبعاً لمقتضى رأينا في هذا الشأن» ، فأرسل إليه يحثه عن استقباله ذاكراً «بأنه سرف يصل لخدمته غداً» ، ولقد انتهز أبو عبدالله خوارزمشاه تلك الفرصة ليرد على أهانة أبي علي لرفضه تسليم مدينته أبيورد له ، لذا أبصر عليه وأحضر إليه ، ووضع في قصر من القصور ، ولم ينج من خاصته سوى حاذبة «إيملكو» الذي فر هارباً إلى الجرجانية^(٢).

(١) بخراخان : من المرجح أنه أبو تلك خان ، وفي عام ٣٨٢هـ/٩٩٢م ، أبل بخراخان الذي كان له ملكة تركية من أجل الاستيلاء على بخارا : الصين بن هانك بن المحسن بن إبراهيم الصافي الكاتب : الجزء الثاني من تاريخ أبي الصين هانك بن المحسن بن إبراهيم الصافي الكاتب ، (قاهرة ، ١٣٢٧هـ/١٩٨٩م) ، ج ٨ ، ص ٣٧٢.

(٢) أحمد بن علي بن صر بن صالح بن أحمد بن سليمان بن جريس المنفي تاريخ العربي ، ج ١ ، ص ١٨٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ : محمد خير سوالي : سيرة السلطان - جلال الدين منكبرتي ، ص ٧٤ : ميرخوند : روضة الصفا ، ص ١٠٧ -

وكانت خطة أبي عبدالله تلك فرصة أخرى للأمير الجيوب تجعل له الحق في التخلص منه بحجة الطاعة وتنفيذ أوامر الأمير نوح الساماني ، لذا أعد الأعداء وجعل على رأس فرقة الحاحب إيماثكو ، وهاجم مدينة كاث ووقع في هجومه واسر ليا عبدالله خوارزمشاه ، وتخلص أبو علي من أسره ، واتجهوا بهم إلى الجرجانية ، وتخلص من أبي عبدالله بقطع رأسه في مجانبه ، واستطاع بذلك ضم إمارة الشمال «كاث» إلى إمارة الجيوب وحدث لأول مرة في إقليم خوارزم أول كيان سياسي مستقل فيها^(١).

= حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر مستوفي قزويني : تاريخ غزيه ، دار

السلطنة ، لندن ، ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م ، المجلد الأول ، ص ٢٨٨-٢٨٩

Ibrahim Kafeso : A short history of Turkish Islamic state excluding the ottomen state, p.158.

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٠٨ : ابن خلدون : العبر والناس

المبتدأ والخبر ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص ٧٦٤ : بارقود : تركستان

من فتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٣٦٩ : أحمد السعيد سليمان ،

المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ : طلف صيرة : التاريخ السياسي للدولة

الخوارزمية ، (القاهرة ، ١٣٠٨هـ / ١٩٨٧م) ، ص ٦٧ : سامبوري : المرجع

السابق ، ص ١٢٢ : إيل جيلن الأشعقي : المرجع السابق ، ص ١٧٥ ، ١٧٦

: برون : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٨ : نظامي عروضي السمرقندي :

جهاز مقالة «العلاقات الأربع في الكتبة والفنم والفنم» ، نقلة للعربية

: عبد قوام عزام ، ويحيى الخشاب : (ط ١ ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م) ،

ص ١٦٩ : حبيب الله شاموني : تاريخ إيران از ماد تا بهلوي ، ص ١٢١ : محمد

ديبر مياني . المرجع السابق ، ص ٧٥ : ميرخوند : المرجع السابق ،

ص ١٠٧-١٠٨ : الكرديزي : زين الأخبار ، ص ٢٧٤-٢٧٥

R F. Frye : op.cit, p.174

٢- الكيانات السياسية شبه المستقلة في إقليم خوارزم -

١- الأسرة الأولى «المشوية» في خوارزم ٢٨٥ - ٩٤٥/٨٤٠ - ١٠١٢م^(١)

بقضاء مأمون بن محمد على آخر أمراء الجنوب «أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عرق خوارزمشاه» الذي لقبه البيروني «بشاهد» ، والذي كان له الفضل في إحكام زمام الأمور في ذلك الإقليم ، وخاصة في القرن الرابع الهجري في عهد أحد أفراد تلك الأسرة وهو «أبو سعيد أحمد بن محمد بن عرق خوارزمشاه» الذي وفد إليه ابن فضلان طلي رأس وفد من الخليفة المعتضد بالله إلى ملك الصفانية عام «٩٠٩/٣٠٩م»^(٢).

قامت الأسرة الأولى في خوارزم وأمراتها على النحو التالي :

١- مأمون بن محمد خوارزمشاه «٢٨٥ - ٩٤٥/٨٢٨ - ٩٩٧م» :

وبعد مأمون المؤسس الحقيقي لتلك الأسرة الأولى أو الإمارة ، وذلك بعد نصائه على أمير القسطنطين ، وتملك مدينته ، وكذلك لقبه خوارزمشاه ، واستمرار ذلك اللقب فيما بعد ذلك الإقليم حتى نضى المغول عنهم.

(1) Ibrahim : op.cit. p.153; H.A.R. Gibb : Mohammedanistan Historiel Survey, (London, n.d.), p.107.

(٢) برون : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ ؛ زامبور : المرجع السابق ، ص ٣١٦ ،

ولقد اتفق أمراء الجنوب خوارزمشاه مع الأسرة المأمونية ، وهذا : ١- أبو

سعيد أحمد بن محمد ٩٤٠/٨٤١م ، ٢- أبو عبد الله محمد بن أحمد «ولم يذكر

أما تاريخاً» ؛ حبيب الله شملوني : المرجع السابق ، ص ٤٣١ ؛ أبو عمر

مهاج الدين بن عثمان بن عراق الدين بن عمر «قضى منهاج سراج» : طبقات

ناصرى ، (٢م ، ١٣٤٢م) ، المجلد الأول ، ص ٢٣٢ ؛ وقد أضاف على

زامبور ذكر اسم محمد ووضع لملته تاريخ ٨٣٠٠هـ ، ثم ذكر قبا سعيد الذي

صك باسمه سنة ٨٣٦٦هـ ؛ الكردوى : زين الأخبار ، ص ٢٩٣ ، عيسى

صروشى السركندى : المرجع السابق ، ص ١٦٨-١٦٩.

وهو عظيم الهمة ، استطاع إلى حد ما توحيد تلك الإمارة ، والذي ظل رغم استقلاله الذاتي تابعاً ، ويرجع ذلك إلى طبيعتها الجغرافية ، وخاصة عزلتها ، وكان من أهم الصفات المميزة لهذا الاستقلال هو قصر مدته . فمجرد التفكير في الاستقلال ما تلبث أن تعود الإمارة للتبعية مرة أخرى ، وهذا ما سوف يحدث مع تلك الأسرة^(١). وصارت الجرجانية عاصمة لهم ، والتي اشتهرت بمسجدها وأقصر خوارزمشاه الذي بناه عبد باب الحجاج^(٢). وإن كان لم يستمر حكمه سوى عامين فقط^(٣).

٢- «أبو الحسن» علي بن مأمون بن محمد خوارزمشاه (٢٨٢- ٥٢٩/٥٢٩- ٥٩٩م)
خلف والده في حكم تلك الأسرة ، بعد مبايعته من أصحابه ، وظل بها حتى وفاته^(٤). ومن أهم الأحداث التي تمت في عهده رغبته وطلبه في

(١) نظامي عروضي السمرقندي : المرجع السابق ، ص ١٦٨ ، خلاف صبرية ؛

المرجع السابق ، ص ٢٦ ، حبيب الله شملوني : المرجع السابق ، ص ٤٣ ؛

R.N Frye . the Cambridge History of Iran, p.124

(٢) المقدسي : الحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٨٨ ، بارثولم : المرجع

السابق ، ص ٢٥٣ ، علي الشامي : الأديب الفارسي في العصر الغزنوي ،

ص ٢٥٧.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ١٣٦ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ،

المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص ٧٧٠ ؛ أحمد السعيد سليمان : فمراجع السابق

، ج ٢ ، ص ٢٧٣ ؛ إقبال خيلان الأثري : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ١٧٦

؛ مقرة للمعارف الإسلامية : ج ٩ ، ص ٩.

(٤) العيني : تاريخ الضبي ج ٢ ، ص ٢٥١ ؛ ابن خلكان : وفیات الأعيان وأنباء أبناء

الزمان ، ج ٢ ، ص ١٥٩ ؛ ابن الجوزي : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٧٨ ؛ ابن

خلدون : المصدر السابق ، ص ٧٩٥ ؛ نظامي عروضي السمرقندي : جهن

مقالة ، ص ١٦٩ ؛ بارثولم : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ،

ص ٤٠٧ ؛ فنكر إلى مدة حكم علي بن مأمون منذ ص ٢٨٧-٣٩٩ م ، ٩٩٧-

١٠٠٩ م ، ونهايته على يد جنده الذين تولطوا مع السامانيين وقتلوه -

ود ومصاهرة السلطان محمود الغزنوي من إحدى أخوته ، فزوجه بها ، وصاروا بدأ واحدة حتى وفاته تون نزاع^(١) . ومن زرقه «نور الحسين السهلي» وظل في عمله في الوزارة من بعد لأبيه أبي العباس^(٢) .

٣ - أبو العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه « ٣٩٠ - ٤٤٧/٩٩٩ - ١٠١٦ م » .

استطاع أبو العباس الحصول على السمة التشريعية في ولاية خوارزم ، وذلك عندما أرسل أمير المؤمنين القادر بالله وفترة حكمه « ٣٨٩ - ٤٢٢/٩٩١ - ١٠٣٠ م » إلى أبي العباس مأمون بن مأمون خلعته مع العهد والفداء ، ولقب كذلك بيمين الدولة وزير العملة ، وبذل ذلك على حسن العلاقة بين الإمارة والخلافة العباسية في بغداد ، فكانت تعاملاتهم مثل أمراء الدول المستقلة وسلطانها في الشرق^(٣) .

ولقد تصف هذا الأمير بالحنيد من الصفات التي ذكرها البيهقي ، فهو رجل فاضل ، وشهم ، نشيط ، يتحلى بالأخلاق الفاضلة وخاصة عفة اللسان ، إلى جانب علاقته الطيبة مع من يجاوره من الملوك والسلطانين وخاصة السلطان محمود الغزنوي ، وقد أكد ذلك النيرونسي في كتابه «المسامرة في أخبار خوارزم» ، والذي كل في خدمته ما يقارب من سبع سنوات بأنه لم يسمع منه قط لفظاً نابياً سوى كلمة «كلب» لا يتلفظ بها إلا وهو في شدة غضبه.

١ - عام ٤٣٩٩/١٠٠٩ م : خليل لدم : دول إسلامية ، (استانبول ، ١٩٢٧ م) .

٢ - R. N. Frye . the Cambridge History of Iran , p. ١٧٤ ، ٣٥٧ .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٣٢ ؛ المنبى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥١ ؛ بركتوك : المرجع السابق ، ص ٤١٥ .

(٢) بطلي عروضي تسمركنتي : المرجع السابق ، ص ١٦٩ ؛ هند صهي عطية

لأب العربي في إقليم خوارزم ، ص ٨١ ، ٣٠٧ .

(٣) البيهقي : تاريخ بيهقي ، ص ٧٣٥ .

هذا ومن عائلته في بلاطه ، وفي مجلس شراييه مع صفوة الأولياء والحشم ، وكذلك إبقاء الأمراء من المسلمين ، وأيضاُ الرسل لآتية من جهات أخرى ، لن يهب ولها متولواً للكأس الثالث شارباً نخب وذكرى السلطان محمود الغزنوى ، ثم يجلس ، ويأتي بعده الدور على كل الحاضرين ، فيشير إليهم ولحداً ولحداً ، حيث يقبلون الأرض ، ثم يشربون الكأس ، ويأمرهم بالجلوس ، وبعد تلك المراسيم ، يوزع عليهم الخلع وهي : (حصان ، وكسوة ، وكوس به عشرة آلاف درهم) ، إلى جانب نصيب السلطان محمود الغزنوى خوفاً من بطشة ، وحرصاً على بقاء الود بينهما^(١). وخاصة بعد أن تمت المصاهرة بينهما ، ففي عام ٤٠٦هـ/١٠١٥-١٠١٦م « أرسل أبو العباس رسولاً للسلطان محمود طالباً منه مصاهرته في أخيه وتدعى «كالجي بنت سبكتكين - Harra Yikalji » وتمت الموافقة^(٢). وكذلك حرص هذا الأمير على إرسال البيروني ورسوله ليلتظر رسول الخليفة العباسي المقتر باه عند منتصف الطريق إلى الصحراء لاستلام الخلع المرسل من قبل الخليفة مع الحاجب حسين سالار ، وكذلك لقب محمود الغزنوى كل ذلك بوضع حصن عائلة الود والتعاون بينهما^(٣).

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٣٤-٧٣٥ ؛ بارتولد : المرجع السابق ،

ص ٤١٥ ؛ هند حسين صفيّة : المرجع السابق ، ص ٥٧.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٣٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١ ،

ص ١٣٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المعجم الرابع ، القسم الرابع ،

ص ٧١٥ ؛ المنبلي : تاريخ الغني ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ ؛ بارتولد : تركستان من

الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤١٥ ؛ عقاب حجرة : التاريخ السيفي

للدولة الحورازمية ، ص ٢٧ ؛ الفكر ليزي : زين الأخبار ، ص ٢٩٣.

(٣) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٣٦ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤١٥

• ضم إمارة خوارزم للدولة الغزنوية -

ثم تبذلت علاقات للود التي كانت بينهما إلى صراعات وصراعات على إثرها قضت إمارة خوارزم استقلالها ، وصارت تابعة للدولة العربية.

الموافع والأسباب وراء ذلك .

١- رسالة السلطان محمود الغزنوي للأمير أبي العباس بغرض إرسال رسول ليحضر مع رسونه الاتفاق بينه وبين الخانيين ، وهذا ذلك على ثقة السلطان في صهره ، وإن كنت أرجح أن ذلك من أجل إلقاء الرهبة والرعب في قلب خوارزمشاه ، ولتمهيد لطلب أكثر أهمية ، وهو ما سوف نذكره فيما بعد وكأن رد فعل خوارزمشاه بالنسبة لذلك هو الرفض قتلًا على لسان رسونه : «ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه» مبرراً أنه من خاتمة السلطان ، وليس نه صلة بالخانيين ، وإن كان الوزير رأي آخر وهو الموافقة من أجل توثيق العلاقات الودية والصداقة بين الأمير الخوارزمي وبين خانات تركستان ، وكذلك السلطان الغزنوي لكي يأمن جنب الطرفين إذا ما قامت المعركة ، ولكن برفضه هذا غضب السلطان الغزنوي على صهره أبي العباس.

٢- رسالة من وزير السلطان الغزنوي «أبي القاسم أحمد بن الحسن الميمندي» تطالب بذكر اسم السلطان محمود بجانب اسم الأمير الخوارزمي ، وذلك يعني تخلي الولاية عن استقلالها وتبعيتها للغزنويين^(١).

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٣٧-٧٣٨ ، ابن خلدون : المصدر السابق ،

المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص ٧١٥ ، التوحي : نهاية الأرب في

الأدب ، ج ٢٦ ، ص ٤٩ ، قسطيني : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ -

ولقد وافق الأمير الخوارزمي على الفور ، وذلك خوفاً من القوة العسكرية للعزويين ، التي تفوق قواته بكثير قتلًا : «إن جيشي مبد يكون فاعدو شديد البأس ، قوى الشكيمة ، عنده لواقتر من الآلات والمعد ، وعنده جند من كل صنف ولو أن جيشه هزم مائة مرة لمعد من هرائمه أقوى مني ، ولو هزم منا مرة واحدة - والعياذ بالله - لتغير حالنا» ، لذا تجاهل الأمير الخوارزمي رأي أبي الريحان البيروني الذي نصحه بتجاهل ذلك ، لكونه اقتراحاً من وزير السلطان الغزنوي.

وإن كان رأي أبي العباس مخالفاً لذلك حيث تأكد من أن منبع الفكرة من السلطان الغزنوي ، لذا خاف وخشي من إكراهه على ذلك ، فأرسل يعقوب الجندی رسولاً للسلطان الغزنوي في شأن الخطبة ولكنه فشل في إتمام مهمته ونهضة الأمور ، بل ساعد على إشعال نار الفتنة ببرسائه رسالة باللغة الخوارزمية ، عثر عليها السلطان الغزنوي ، ووجد فيها من الخلط والمبالغة ، فاستشاط غضباً وكان جزاء يعقوب هو تعليقه على المشقة ورجمه بالحجارة.

ولقد زاد من حدة الموقف أخباره لأعيان إمارته ورعاياه بأمر الخطبة للسلطان الغزنوي^(١). فثاروا عليه ، وما أن علم السلطان الغزنوي

= بارتولد : تركستان من الفتوح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤١٥-٤١٦ ؛ نظامي عروضي السمرقندي : جمل مقالة ، ص ١٢٠ ؛ خليل أدهم : المرجع السابق ، ص ٢٥٧.

(١) البيهقي : : المصدر السابق ، ص ٧٢٨-٧٢٩ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٢٩٥ ؛ فتويزي : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ٤٩ ؛ المنبهي - تاريخ العربي ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، نذكر آرد قل رعيلاد من أعيان أشياعه وأتباعه حيث فظفروا نعلراً وأسروا واستكبروا استكباراً ، وقالوا : نحن أتباعك وأطوعك فسلم لك الملك عن الاشتراك ، فلما إذا وضعت ذلك للطاعة وصنعنا السيوف -

بذلك حتى أرسل رسالة تتضمن عدم رضائه عما بدر من رعايا الأمير
في أمر خاص بملكهم واعتراضهم عليه ، وألقه على أحياء الاستعداد
للاتجاه بجيشه من بلخ ، وعنته ١٠٠ ألف فارس ، و ٥٠٠ فيل للتوجه إلى
خوارزم.

ومضمون الرسالة ثلاثة أمور :

- أ - أن تقرأ الخطبة باسمه طوعاً أو كرهاً.
 - ب - أو يرسل الهدايا التي تليق بهم ، مقابل إعادتها إليهم مرأ فهم ليسوا
في حاجة إليها موضحاً «أن أرض قلاعا لتميد عن نقل ما تعمل من
القطاير المقطرة من الذهب والفضة».
 - ج - إرسال أعيان البلاد وأمنتها وفقهاتها ليقيموا العذر ، ويطلبوا الصلح
حتى يعود بالأعداد المهولة المجهزة لهم.
- وترتب على ذلك إعلان الخطة باسم السلطان محمود الغزنوي في
كل من مدينتي نسا وخرأوة ، وكذلك سائر البلاد ما عدا الجرجانية ،
ورسال «٨٣ ألف حصان» مع مشايخ لبلاد قضاتها وأعيانها من أجل
الاستقرار وعودة الأمور لنصابها الطبيعي^(١).
- وعلى الرغم من كل ما حدث إلا أن الثورة قامت في خوارزم
بقائد كبير حبابها وهو «البكتين البخاري» وكانت عدة جيشه ألف فارس

- على العوناني خلافاً له ، وثانيكاً عليه وجهاداً فيه : أحمد السعيد سليمان :
للمرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ ؛ يارتولد : للمرجع السابق ، ص ٤١٦ ؛ إقبال
عباس الاشثاني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ١٧٦ ؛ قحطاني عبد السندر
الحديثي : أرباع خرماني ، ص ٦٦

R.N. Frye . The Cambridge History of Iran, volume 4, p.174.

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٤١-٧٤٢ ؛ يارتولد : للمرجع السابق ،
ص ٤١٦-٤١٧ ؛ محمد دبير محلي : سلطان جلال الدين خوارزمشاه ، ص ٧٦

، قتل فيها الوزير وبعض مشايخ الدولة ، ثم حاصروا قصر خوارزمشاه ، وأشعلوا النار فيه ، وتعقبوه حتى قتلوه ، وذلك يوم الأربعاء منتصف شهر شوال عام ٤٠٧هـ / ٢٠ مارس ١٠١٦-١٠١٧م ، وتولى مكانه ابن أخيه الذي يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً^(١).

٤- أبو العارث محمد بن علي بن مأمون بن محمد خوارزمشاه «٤٠٧-٤٠٨هـ / ١٠١٦-١٠١٧م»
نظراً لحدثة عمره صارت زمام الأمور وخدمة أربعة أشهر في يد صاحب الولاية «البنكين البخاري» ووزيره «أحمد طغتا» وحاثوا في البلاد الفساد والنهب والسلب باسم أبي العارث خوارزمشاه ، مما مهد السبيل لاتجاه السلطان الغزنوي لضم ولاية خوارزم والانتقام لقصيره المقتول ، لهذا أرسل رسولا إليه يطلبهم بأنهم إن كانوا لا يرغبون في الأخذ بالنار للأمير الشهيد فعليهم ترك حكم تلك الأسرة وإرسال الجلاء وإعلان الخطبة باسمه ، فإن رصوا بذلك نظاهر الرسول بقبول الصلح ، وطالب بأخذ زوجة الأمير الراحل للسلطان الغزنوي محمود لتتسلع لهم ، وفي الوقت نفسه بعد السلطان الغزنوي لخدمة لحربهم وضم خوارزم له^(٢).

(١) البيهقي : تاريخ بهقي ، ص ٧٤٢ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٦٤ ، الذهبي : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ٤٩ «حدث خلفهم ذاكراً أنه قد أجلسوا أولاده مكانه» ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ جوفد ذكر أنه بعد قتلهم لأبي العباس بن مأمون خوارزمشاه قد بايعوا ابنه داود ، وليس ابن أخيه» ، الظفاري العروضي السمرقندي : جهار مقالة ، ص ١٦٩ ؛ أحمد المسجد سليمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ ؛ بارتولد : تركستان من فتح العربي حتى الفزو المغولي ، ص ٤١٧ ؛ خلف صيرة : المرجع السابق ، ص ٢٢ ؛ محمد تيسير سيبلي : المرجع السابق ، ص ١٦ ؛

R.N Frye : op.cit., p. 174

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٤٣-٧٤٤ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤١٧-٤١٨ ؛ حسن أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتح العربي والتركى ، ص ١٠١

حيث أرسل رسولاً إلى ختلان وقبانيان ليعذوا السمن من هناك ، أما
أعيان خوارزم فقد أرسلوا ستة أشخاص اتهموهم بإزالة دم الأمير ،
وعيين في شفاعاة السلطان ، والعضو منه ، وما أن يتم ذلك حتى يعفدوا
معه ميثاقاً وعهداً ويقيموا له ٢٠٠ ألف دينار و ٤ آلاف فارس ، وإن
كانت الأمور قد تطورت للحرب عندما وجد استعدادهم لذلك ، وطلب
منهم إرسال البتكيين والآخرين رؤوس الأفاعي ، وكانت عدة خوارزم
حينذاك ٥٠ ألف فارس وفي الوقت نفسه راسل السلطان الغزنوي كلاً من
الغان ولأليك ، وأطلعهم على رغبته في ضم خوارزم ، والثر نصبره ،
ولم يكن لأمنهم سوى مناصرته ، بالرغم من إيمانهم بكونه سوف يكون
شركة صرة في طريقهم.

وبدأت المعركة بتحريك السلطان من بلخ حتى وصل إلى مدينة
«جكر بند» بقيادة جيشه «محمد بن إبراهيم الطائي» فخرج عليه قائد الجيش
الخوارزمي «خمارنش» وقتل قوماً من أقرب محمد الطائي^(١) ، وما أن
وصل الخبر للسلطان الغزنوي حتى تقابل مع الثور والقتلة وصارت
الغلبة للغزنويين ، وأرسل من يتعقب خمارنش واهلكوا جميع جيشه وكان
عدد القتلى لا يحصى ، وفي اليوم التالي وصلوا إلى مئينة هزاراسب ،
فأثني جيش آخر من خوارزم ، ودارت رحى الحرب ، وكانت الغلبة للمرة
الثانية للغزنويين ، وأسر البتكيين الحاجب قاتلهم ، استولى السلطان
محمود الغزنوي على خوارزم ، ودخل الجرجانية في ٥ صفر عام
٤٠٨/٣ يوليو ١٠١٧م وقضى على الثور ، فمنهم من قتل ومنهم من
أند ، وبعضهم وضع في الأغلال والقيود وسجنهم إلى جانب الأسرى
الذين ساروا إلى أطراف الهند ، وبلغ عددهم زهاء ٥ آلاف أسير.

(١) البيهقي المصدر السابق ، ص ٢٤٤ : المخطي : تاريخ لغتي ، ج ١ ، ص ٣٥٦

١ باربوت : المرجع السابق ، ص ٤١٨-٤١٩.

ولقد قيل في ذلك هذا الرياعي :

هكذا يظهر السيف الملكي والآثار وهكذا يقبل العضاء إذ لزم القتال
انظر سيف الملك ولا تقرأ كتب الأولين فإن سيقه أكثر نقباء من الكتب^(١).

(١) المجلد : تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص ٢٥٦-٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ذكرنا في آخر الأمر بكتابة
على جدران تلك المقبرة - مقبرة أبي العباس - إن هذا قبر فلان بن فلان بن علي
عليه عشمه واجترأ على دمه خدمه ، فقبض الله من الدولة وأمين المنة حتى
التصم له منهم وصلبهم على الجذوع عبرة للناظرين وأية للعالمين » ابن
خلدون : المصدر السابق ، ص ٧٩٦ ، ذكرنا في بحث الباهيين في دراسة
فأخرجوا في البعث إلى الهند ، وأدركوا هناك في حامية الثغور ، وأجريت لهم
الأرزاق » : النويري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ٤٩ : أجمت سعيد سليمان
: المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ ، قسلاً - إلى محمود الغروي بعد ثلاثة
أشهر ونصف على خوارزم حين عليها نقباء ، بارتود : تركستان من للفتح
العربي حتى عمرو المعمول ، ص ٤١٩ ، ذكرنا « أن يرحي زعماء الثورة الثلاثة
تحت أرجل ثعلبة ، ثم حلفت المشايخ ، وقد شخت أيهم العيال ، وفصل بين
رؤوس المشايخ بيناء من الأجر والجص ، وكلها جسور ثلاثة ، وكهنت عبيها
أساؤهم » : إقبال عيسى الأتقي : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ١٧٩ ،
عماد صبرة : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، ص ٢٨ ، برنور - تاريخ
لأدب في إيران ، ج ١ ، ص ٢٠٨ ، محمد خير سائي : المرجع السابق ،
ص ٧٦ : حبيب الله شملغوني : تاريخ إيران از زمان تا ظهور ، ص ٤٢١ ، ذكر
قصيدة الغصيري قسلاً :

جنين بمليد شمشير خسرو لآثار جنين كند بزرگان جوگر ، بانكار
سبح شاه نكر نامه گشخته فحولان كه رست گوني تراف لشمه تبع لوبسيار

ب الأسرة الثانية «التونسية»^(١) في خوارزم ٤٠٨ - ٤٢٩/١٠١٧ - ١٠٢٧م

فصى السلطان محمود الغزنوي على الأسرة الأولى في قلبم خوارزم عام ٤٠٨/١٠١٧م وولى عليها كبير حجاب لييه سبكتكين الأمير التونتش ، الذي كان يشغل وظيفة «سيهمالار كبير» أي الحجاب الكبير لدى كتاك السلطان محمود الغزنوي ، وهو رجل عظيم متصف بالحكمة والكفاءة ، والرأي السليم ، وحسن الإدارة والمشورة ، لذا كان السلطان دائماً يستشيره في كل ما يعتريه من الأمور^(٢). وخير مثال على ذلك استشارته في اختياره لولى العهد من بعده ، فرشح له الأمير مسعود^(٣).

(١) التونتش : كبير الحجاب على عهد السلطان محمود الغزنوي ، وكنيته أبو سعيد ، وهو منزه تركي ، وبهذا صار قادراً لجيش السلطان الغزنوي سبكتكين ، قام بالعهد من الأصل في ذلك وجود السلطان محمود الغزنوي ، فكان ذلك الجناح الأيمن له جيشه أي تلك الواقعة التي كانت بين الغزنويين والقرغانيين في ٢٨ ربيع الثاني ٤٢٩/٤ يناير ١٠٠٨م ، وبهذا صار والياً على هراء عام ٤١١/١٠١٠ - ١٠١١م ، وعندما تمت خوارزم على يد السلطان الغزنوي عام ٤١٨/١٠١٧م ، صار والياً نائباً للسلطان محمود وظل بها حتى توفي ٤٢٣/١٠٣٢م ، في واقعة الفيرسية متأثراً بجراحة ، عندما أرسله السلطان لتأنيب على نكبي ابن الأكبر : الكامل في الترخيخ ، ج ٩ ، ص ٧٦ ، البيهقي : تاريخ النبي ، ج ٧ ، ص ٢٥٩ ، دائرة المعارف الإسلامية : ج ٤ ، ص ١٧٩ - ١٨٠ ، أسنّة خلبي : منطل غزنوي ، ص ٤ - ٣.

(٢) البيهقي : تاريخ بيبي ، ص ٧٤٦ ، نظم الملك تلموسي جملات ثمة : ترجمة وتعليق : السيد محمد الغزالي : (دور فراقه العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥م) ، ص ٢٩٧ : ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص ٨٢٤ ، أسنّة خلبي : المرجع السابق ، ص ٥٠ ، ٤ - ٣.

(٣) البيهقي : تاريخ بيبي ، ص ٩٠ - حاشية (٥) ، حيث ذكر خطباً في الحجاب التونتش باسم له قرص ترحيم بعد الصدور والعداء أي لنعم للفصل الحجاب للتونتش خوارزمشاه في قيفاً مخزله تعادل تلك التي كانت لواحد السلطان الراحل ، تلك لأنه رشحاً تلك المرتبة وأيضاً وأزرها حتى وافق فولد على رأيه ، وقررت له ولاية العهد بحس مؤازرته وتأييده.

وبعد توليه ولاية خوارزم أنعم عليه السلطان محمود الغوري
 بورائة لقب الأمراء السابقين ، وهو لقب خوارزمشاه ، وترك معه جزءاً
 من جيشه ، وغلظه أرسلان جانب «والي طوس» مدة وجيزة يساعده
 فيها على عودة الأمور إلى ما كانت عليه من استقرار^(١).

• أوضاع خوارزم بعد تولي التوتكاش مباشرة

بمجرد تسلم التوتكاش ولاية خوارزم وعودة السلطان محمود
 الغوري سائراً أمامه صف من الأسرى «قطار الأسرى» من بلغ حنفي
 لاهور ومكثان ووصلهم في القلاع حتى يتم اعتقالهم ، ثم توزيعهم على
 مناطق استخدامهم ، فما لبث أعوان أبي العباس وأنصاره وطلب رأسهم
 حماد «أبو إسحق» وكثير من رجال خوارزم من الاتجاه إليهم للاستيلاء
 عليها ولكنهم فشلوا فشرذوا وهزموا ، ولقد نصب أرسلان جانب مذبحة
 ذكرت الناس بما حدث أيام الحاج بن يوسف النقي ، ثم عاد الهدوء
 للإقليم ، ورجع أرسلان بعد أن أنهى مهمته وبقي التوتكاش^(٢).

(١) التبرهي : المصدر السابق ، ص ٧٤٥-٧٤٦ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،
 ج ٩ ، ص ٩٠ ، عبد الله بن عبد الله إسماعيل : التفتيش في أخبار البشر ، ج ٢
 ، ص ١٦٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة المصطفى ، القاهرة ،
 ١٣٥١/١٩٣٢م ، ج ١٢ ، ص ٥ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٨١٠ ،
 أحمد حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٥٠ ، السيد الباز الحريفي : المغرب ،
 دار النهضة ، بيروت ، ١٩٤٦/١٩٨٦م ، ص ٨٠ ، دائرة المعارف ، ج ٩ ،
 ص ١٥ ، ميرخاوند : روضة الصفا ، ص ١٤٩ ، محمد توفيق صايفي : المرجع
 السابق ، ص ٧٦ ، الكردي : زين الأخبار ، ص ٢٩٤ ، حيث قال «عين
 السلطان محمود حنجة الكبير التوتكاش لحكم خوارزم ، وأعطاه خوارزم
 وكرمانج ، حيث ظل حاكماً عليها حتى آخر عهده» ، أستاذ خليلي : المرجع
 السابق ، ص ٢٠٠ ، R.N. Frye : op. cit., p.174.

(٢) التبرهي : تاريخ بروج ، ص ٧٤٥-٧٤٦.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، ولكون تلك الولاية صارت ثابته للسلطان الغزنوي ومطمعاً له في أي وقت شاء ، لذا ترك من قوائمه ما يقرب من ألف فارس تحت قيادة «عزلق» ، وغيره إلى جانب علمائه ، وكان الوالي الجديد ملزماً بتوفير ما يحتاج إليه هؤلاء من أموال وهدايا

وفي الوقت نفسه ونظراً لفتنته وسياسته للحكمة بخبرته السابقة لزم الأمر وجود قاعدة حربية تابعة له غرضها حماية تلك الولاية ، ولا يسمح لهؤلاء بحجة إقامتهم في خوارزم بالتقاعس بأي ثورة واتخذ «أحمد بن عبد الصمد» وزيراً له وكان وكل بلطه رجلاً يدعى «شاش»^(١).

ولقد كانت العلاقات بين الغزنويين والغورانيين ودية يسودها التقدير والاستشارة ، ولكن ما لبث أن تبدل الحال ، وذلك بسبب رغبة التوثق في الاستقلال بهذا الإقليم هو وأبناؤه وأحفاده من بعده ، ولكن لهيبة السلطان محمود وسطوته التي أوقعت الرغبة في قلوب ملوك عصره رأي من الصواب تأجيل ذلك حتى تحين الفرصة له ، تلك التي تمثلت في مشكلة ولاية العهد بعد وفاة السلطان محمود الغزنوي وشركه ولاية العهد لابنه محمد دون الأمير مسعود ، وعلى أثرها انقسمت الدولة الغزنوية إلى حزبين الأول حزب مناصر للأمير محمد «المحموديين» ، والحزب الآخر لمسعود «المسعوديين» ، وكانت الغلبة في النهاية للأمير مسعود ، حيث نودي به سلطاناً على البلاد عام «٤٢١-٤٣٢هـ/١٠٣٠-١٠٤٠م»^(٢).

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٤٦.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ١-٢ ، ١٧-١٨ ، في الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٣٩٩ ؛ إقبال عيسى الأشتي : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ١٨١ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، المعجم الرابع ، القسم الرابع ، ص ٨٦ ، حبيب الله شالوئي : تاريخ إيران از ملاح تا بهوي ، ص ٤٣٢.

ولقد حصل على لقب شهيد الدولة وجمال الملة في شوال عام ٤١٧هـ/١٠٢٦م ، من قبل الخليفة للقادر بالله وعندما أرسل العهد ولسواء حرسان وفهنتومستان والتمروز وخوارزم للأخير محمود العرسوى ، فلقب أبناءه معه ومنهم مسعود ، وكذلك الأمير محمد ولقيه جلال الدولة وجمال الملة^(١).

ولقد كان لأتقوتاش دور في هذا النزاع - كما أشار ابن الأثير - فيذكر أن الأمير مسعود أرسل أخيه طالباً منه تقديم اسمه على اسم محمد في الخطبة ، ولكنه أبى ، وكذلك فعل أتقوتاش حيث نصحه بموافقة أخيه وترك مخالفته ، ولكنه لم يستجب لأحد ، حتى انتهى به المطاف في العلة نكتاباذ^(٢).

• دوافع الأمير أتقوتاش ترك قرنة والبقاء في طريقه خوارزم .

بعد وفاة السلطان محمود الغزنوي صارت الأمور غير مطمئنة ، وكثرت المؤامرات نحو أتقوتاش من أجل القبض عليه من قبل وزير السلطان مسعود الغزنوي وهو «أبو سهل محمد بن الحسين الغزنوي» لولا فطنة الأمير وإدراكه لذلك^(٣).

ولقد ذكر ذلك لرئيس ديوان الرسائل قائلاً «أن السلطان الأعظم رجل عظيم ، ولكن اتدين أحاطوا به بعد كل واحد منهم نفسه وزيراً ، وهو يسمع ولا يعمل بقولهم ، فيزينون له الباطل ، ويصدونه عن الحق ، واللهم سيهتدون بذيئاتهم هذا الصرح المشوه»^(٤).

(١) على أشاي : الأندلس الفارسي في العصر الغزنوي ، ص ٣٦ ، الغردوري ، ر.ب. لأخيل ، ص ٣٠٩.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٣٦٩ - ٤٠٠.

(٣) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٢٦ : الغردوري : زين الأخيل ، ص ٢٩٤.

(٤) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٢٦-٢٧.

كذلك تلك الرسالة التي أرسلها وزيره بشأن بعض القبائل التركية من التركمان ، والذي سمح لهم بالإقامة فترة من السنة لعملية حدود إمارته ، وهم «تلك القبائل التركية التي تتجمع حول قلعتها ، وهم جسد مأجورون يحاربون في جيش من يدفع لهم أجوراً باهظة ، ويتصرفون عن باقي الجند بالجرأة في القتال ، واعتزلز النفس ، والكبرياء ، والاستقلال في الفكر ، وإن كانت فيهم صفات لهند الرجل ، فهم يميلون إلى السلب والنهب ، ومن الصعب السيطرة عليهم ، لذا أخبره الوزير أن بعضاً من تلك القبائل مثل : كجات ، جقراق ، قيجاق^(١) ، بدؤوا يتحركون أثناء غيابهم

(١) القيجاق Kipchaks : هم فرع من الكيمك ، تتكون من عدة قبائل منهم شذين يعود أصلهم إلى آسيا الوسطى ، وهاجروا منها إلى المنطقة التي تمتد من نهر إيرتيش إلى نهر القولجا ونهر Kama ولهم مسميات عديدة مرجعها إلى صلتهم بمن حولهم ، فالمطلق عليهم الروس اسم بولووتش Polovtsy ، أما الأوربيون الغربيون والبيزنطيون فمطلقوا اسم كومان «Comans» أو Kumans ، ولدى العرب القيجاق ماعدا الإندوسي الذي ذكرها تحت اسم القومان ، وهم بدر ليس لهم علم بالإسلام ، ولم يكتولوا أعداء للمنية الإسلامية ، وفي بداية القرن ١١م انتشروا وزادت كثافتهم في حوض نهر إيرتيش ، وانحدفوا إلى أراضي الفز وتجهوا إلى الجنوب وغرب بدلاً من الشمال ، لذا استولوا على أراضي الفز التي تركوها في حوض نهر سيحون ، وكالوا وراءهم شمير للجنالك ، وبالرغم من ذلك لم تكن لديهم وحدة مؤسسية ولا دولة ، بل كانوا وحدات متفرقة يتولى أمرها خان ، وفي القرن ١٢م كونوا أسرة حاكمة ، وكانوا دائماً في حالة من الشد والجذب بينهم وبين المسلمين ، وذلك قد المسلمين للسيطرة على مدينة دريند ، وكذلك منطقة شايه ران شروان ، ولكن بمساعدة الكرج استعانوا تلك المطلق ، فكفوا بخلاف لترك حيث كان حشاهم يستعينون بأصحاب المدينة العسكرية الإسلامية والشعور العسكرية ، إلى جانب أن لهم إمراة غير مسلحة واقفة على الحدود القريبة من البلاد الإسلامية فشطوا بعض المنى مثل : سوغان طورغان الحالية ، وصارت عاصمة لهم -

لدا حشي من حدوث فتنة^(١). وخاصة أن الأمير التوتانش منذ تولية إمارة خوارزم قد أخذ على عاتقه حملة حدود بلاده من غارات تلك القبائل الرحل المجاورة.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل نجد السلطان مسعود الغزنوي يبعث برسالة مختومة بإسطباطه إلى القائد «منجوق» ومن المرجح كونه

- عندهم بالخوارزميين : كانت بينهم صلة قوية بحكم الجوار منذ عام ١٠٣٠/٥٤٢١ م ، وتكرهم بالمدينة العسكرية ، كل ذلك كان وراء دخولهم في الإسلام بأعداد كبيرة ، ولم تكن بالقل في النصف الثاني من القرن ١٢م وبعضهم اعتنق المسيحية ، ولهم دور آخر حيث يقصدهم التجار لأخذ البضائع ، لهم بيوت القصب وغيرها منازل شراء الخوارزمي والمسلم منهم كفرق وخلمة رايق الترك ، إلى جانب القنس والبرطاس ، ولبناء أخرى عديدة ؛ شيخ الزبوة ؛ بقبة الذهب في صلب البحر والبحر ، من ٢٦٤ ؛ سعد زطول عبد الحميد ؛ الإسلام والترك في العصر الوسيط ، من ١٧٥ ؛ السيد الباز العربي ؛ الفول ، من ٣١ ؛ بارنولد ؛ تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، من ١١٢-١١٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ؛ ج ١٢ ، من ٧٢

Ibrahim Kafeso Ghu : *Hakdudunum a short history of Turkish Islamic state excluding the ottoman state*, p. 13-14.

(١) البيهقي : المصدر السابق ، من ٣٤ ، ٨٨ ، ويتضمن كلام البيهقي معنيين : الأول : يتمثل في كون تلك القبائل مجاورة ، واتضح من خلال متابعتنا للتباج ، لا كانوا يشيرون الفتن متتبعين يجب حكم تلك الإقليم ؛ وهذا ما أبدته برنولد ؛ وكذلك : R.N. Frye : op. cit. p. 191 ؛ ثم ذكر في موقف نس ؛ وهو ترجيح بأن يحدث يكون التوتانش قد تخلص من جيش ضخم وكون جيشاً أصلاء من الكوشك Qipchaq والتركيمن كقوت معارضة للدفاع عن إقليمي حتى لا يتعرض لهجوم خارجي ، وقد ترك ذلك رد قل مخالف لدى السلطان الغزنوي ، ورود في اعتقاده رغبة التوتانش في الاستقلال ، لذلك أكثر الجيش لمرسته إلى غزنة ، وكذلك صل مسعود الغزنوي من بعده مع هارون بن التوتانش.

أمير جيش قبيلة كجات التركية ، وهم من الموالين للسلطان العزوى والداقمن على خوارزمشاه يحثه فيها على قتل قسولي ، ولكن نظراً لحروره وتطلوه على خوارزمشاه ، وقلانة ونكاء وزير التوتانش «أبي نصر أحمد بن علي بن عبد الصمد» أبعدته عن خوارزم شاه ، وقبضوا عليه ، وقد ساءدهم على ذلك تلك الرسالة المعماة وهو للكلام لذي عمى معناه وخفى ، فلتى أرسلها «أبو سعيد المصدي» لوزير التوتانش بأمر تلك المؤامرة ، وعليها تصرف الوزير ، وأقصاه وقضى عليه في الحال^(١).

ومن الجائر أن يكون السلطان مسعود الغزنوى قد علم بكل تلك المؤامرات التي دبرت من قبل الوزير نوالية ، لذا تعددت الرسائل المرسلة إليه للحصول على رصا ذلك العم كما كان يناديه ، ولقد أن له بالذهاب إلى خوارزم ، وما أن علم التوتانش بذلك حتى قبل الأرض ، وقال : «وددت لو اعتزل الجندية لأبقي في غزنة بهرور ضريح السلطان الماضي ، وقد بلغت من الكبر عتياً ، ولكن الأمر تعالى مطاع ، وسأستل لما أمرني به مولاي» وفي اليوم التالي وصل ركب السلطان الغزنوى إلى فارباب وأخلع عليه العديد من الخلع ، فكانت أعظم مما كان لأهم السلطان الراحل محمود الغزنوى ، وأبدى التوتانش فروض الطاعة ، وعاد إلى خوارزم^(٢).

وإن كنت أرجح أن يصدر التوتانش على العودة مرة ثانية إلى خوارزم يرجع إلى رغبته الملحة في إعلان استقلاله منتهراً ما كانت عليه الدولة من فتن ومؤامرات ودعائس ، وإن كنت استشف ذلك من خلال

(١) البيهقي - تاريخ بيهق ، ص ٦١ ، ٢٢٥ ، في الأثير : الكلام في التاريخ ، ج ١

، ص ٤٣٢ ، أستاذ جلوي : المرجع السابق ، ص ١٨٠.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٨٦ - ٨٧١.

ذكره لعبارة عندما أُرَادَ العودة إلى خوارزم ، «وإن الخير في أن يبادر بالسفر إلى خوارزم حيث تعيش كما يعيش السلطان مسعود نفسه» (١)

• معركة ديبوس (٢):

١- أسبابها

بذلك الصراع الدائم بين السلطان الغزنوي محمود وبين الأمير الغاني على تكوين من أجل الدفاع عن ممتلكاتهم في خراسان ثم تحدد الصراع مرة ثانية على عهد السلطان مسعود الغزنوي ، وخاصة عندما راسل السلطان مسعود الأمير تكين لمساعدته في مشكلة وراثته العرش والوقوف بجانبه ومناصرته ، ومقابل ذلك أن يعطي لأحد أبنائه إتيما كاملاً ، ولكن ما لبثت أن انتهت تلك المشكلة دون أن يكتفل من قبل الأمير العالي ، وبالتالي لم ينفذ السلطان الغزنوي ما وعده به ، مما أثار غضب على تكين ، وترتب على ذلك مرسلات السلطان الغزنوي مسعود للتونشاش مع شخص يدعى «عبدوس» في صورة شكوى من على تكين ، ذكر «أن علياً قام بما ليس من شأنه للقيام به فلم يكن من الأولى به أن يقتدى بخوارزمشاه ، وإن يكون على شاكلته ، وقد كان عليه أن يسيّر حتى يأتي ، فإنه واحد من الموالى والحشم ، فكان الأجدر به أن يعمل مثلاً فعل ، وأن يسيّر كما ساروا ، ثم ما أدى حمله على الوقعة بأخي بعد أن حصل على تنصيبه ، ولماذا خالف لأمره ، وحدث بذلك الألبان الغنيمة لقد كان ينطق بالخيانة ، وهذا ما دعانا إلى اعتقاله ، لأن المصلحة تدعو إلى ذلك. وكان رد التونشاش عليه بالصبح ، وقال : «لكن ما فعله الملوك في عبيدها هو حين الحق والصواب ، ومن ذا يستطيع أن

(١) البيهقي : تاريخ بيق ، ص ٢٧.

(٢) بلد بن بحر وسمرقند ، ابن السكك الحطيلي : تذرات الذهب في أخبار من

ذهب ، ج ٢ ، ص ٢٤٥.

يرى ما يراه مولانا^(١). لذا جيز جيشا بقية التوتانش خوارزم شاه من اجل محاربهه والقضاء عليه وحماية ممتلكاتهم في خراسان^(٢).

٢- الترتيب للمعركة :

١- الجانب الغزنوي

خرج السلطان الغزنوي في اليوم التالي من إرساله للأمير التوتانش لأصحراء لكي يستعرض قواته التي سوف تلاحق بجيش التوتانش معطيا الأوامر بإبطاعته ، فحاطب كلا من «يكتكين جوكاني ، وبيري قائد الاصطبلات المسعودية» ، وغيرهما من القواد قائلًا : «كونوا عقلاء يقظين ، ولستموا الجند من تعدى على الناس سواء في بلادكم أو غيرها من بلاد الأعداء ، حتى لا يقع الظلم على أحد» ، وكانت عندهم ١٥ ألف جندي تقريباً ، ومعهم كاتب البيهقي ، إلى جانب فرقة أخرى من الجيش قائدها «تاش فراش» ميهسالر ، والكاتب طاهر ، ومعهم ٤ آلاف فارس من الخراسان ليكونوا مدداً للجيش لراحم^(٣).

ب- الجانب الخوارزمي

جمع التوتانش جيشاً من خوارزم ، وعبر جيحون عن طريق بخارا مرافقاً للبريد حتى وصلت الأخبار بمعرفة على تكون بحور خوارزم شاه للنهر لذا سلم بخارا إلى خزاة ما وراء النهر ، وجمع كل ما يخاف عليه واتجه إلى ديوسي ، لذا أرسل التوتانش عشرة من فرسانه واتجهوا فما إن رأي خزاة ما وراء النهر وبخارا ذلك حتى أعطوا الطاعة والخصوع للدولة الغزنوية ، قائلين : «إنا كنا نأمل مدد رمن بعيد أن

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٦٠.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٣٦ ، ٣٦٣ ؛ بلرتولد : المرجع السابق ،

ص ٤٣٩ ؛ R.N Frye the Cambridge History of Iran, p.191.

(٣) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٣٦٣ ، ٣٥٨-٣٥٩ ؛ خواتمير : حبيب السير

في أخبار أفراد البشر ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، ص ٣٩١.

نكون من رعايا السلطان الأعظم ملك الإسلام شهاب للدولة أدام الله
سلطانه ، فخلطف معهم خوارزمشاه» وأمر بلقحام القلعة ، وأمر ٧٠ من
حيره العلماء ، وأرسلهم للسلطان مسعود ، وتهدت القلعة واحتلوا على
ما بها ، ثم استولى على كل الطرق من يمين وشمال ، لكي لا يحدث أي
جذل في التكوين المعد لعلني تكين^(١). ثم توجه إلى دبوسي حيث جيش علي
تكوين المكون من التركمان والملاجقة والكشيرية ، وهو مكان حصين
متصل بالصغانيان^(٢).

وتقابل الجيشان واشتد القتال بينهما ، ولقد ذكر خوارزمشاه عن
تلك المعركة قائلاً «لا يذكر لها مثيلاً في حياته»^(٣). وكانت الذفرة على
جيش علي تكين بالرغم من إصابة خوارزمشاه في قدمه وفي الموضع
نفسه الذي أصيب فيه من قبل أثناء هروبه في الهند ، والتي مات متأثراً
بها^(٤). وترتب على ذلك طلب علي تكين للصلح ، وكذلك شفاعة التونش
عند السلطان له ، حتى تستقيم الأمور ، وتمنع أراقه الدماء ، ومات
التونش في تلك المعركة عام «٤٦٣هـ/١٠٣١م»^(٥).

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٢٦٤ ؛ بلوتوك : تركستان من الفتح العربي حتى
الغزو المغولي ، ص ٤٢٩.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٢٦٤.

(٣) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٢٦٧.

(٤) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٣٦٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ،
ص ٥٠٤.

(٥) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٢٦٩-٢٧١ ، ص ٣٠ ؛ أحمد السعيد مطولس : المرجع
الساير ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ ؛ بلوتوك : المرجع السابق ، ص ٤٤٠ ؛ عقاب صبره
المرجع السابق ، ص ٢٧ ؛ إقبال عيلس الاشغيني : تاريخ إيران بعد الإسلام ،
ص ١٩٤ ؛ نظام الملك الطوسي : حياست نامه ، ص ٢٩٣ ، حاشية (٧) ؛

R. N. Frye : op. cit., p. 191

• نتائج تلك المعركة .

- ١- مدى ثقة الغزنويين في الخوارزميين والاعتماد عليهم في توطيد مودهم السيلسي في آسيا الوسطى.
- ٢- حرص الغزنويين على الحفاظ على خراسان من هجمات على تكين وقتته ، ومحاولة حصولهم على الاعتراض بنقودهم ، وذلك بتبادل الرسل بين مسعود الغزنوي وخلفاء تركستان.
- ٣- فتحت الدولة الغزنوية قاعدتها من أعظم قواها وهو التوتناش ، وتولي من بعد لهبه الذي احتفظ بلقب خوارزمشاه.
- ٤- أوضحت تلك المعركة لموقف من آسيا الوسطى في بداية القرن الخامس الهجري وانقسامها إلى مناطق نفوذ ، وتصارع قوى مختلفة من العناصر والدول التركية ، من أهمها : القره خانيين الغربيين في ما وراء النهر وكذلك الغزنويين في تركستان مع تواجد النفوذ الخوارزمي في البلاد الخوارزمية ، حيث نفوذ الغزنويين الأسمي فقط.

٢- هارون بن التوتناش «٤٢٢-٤٢٥ / ١٠٣١-١٠٣٢م» :

بعد مقتل التوتناش خوارزمشاه أرسلت رسالة من السلطان محمود الغزنوي للوزير هارون الذي كان رئيس ديوان والده من قبل^(١) . فإثلاً : «إنا مقتدون ما بذله خوارزمشاه هذا الشيخ المخلص في خدمتنا حتى إنه ضعى نفسه في سبيلنا وإنا حافظون له حقوقه في أبلاته المفهمين عندنا ، وهم أهل خدمتنا ومستمرس رجلنا لتبوير الأمر على إثر هذا حتى يقوم به يجب» ، ثم تبعه كتاب آخر أرسل إلى خدم خوارزم فيه ثناء على ما فعله وقام به خوارزمشاه^(٢).

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٤٣٢ ، الفريدي : رين الأخبار ، ص ٣٢١.

(٢) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٢٧٦.

وبعدها بدأت الإجراءات الخاصة بتولية هذا الوالي مكان والده ،
 وإن اختلف الأمر عن والده ، فكانت للولاية خالصة لوالده ، أما هو
 فأصبحت مجرد ولاية نيابة عن الأمير سعيد بن مسعود الذي يذكر أنه
 حمل لقب خوارزمشاه^(١).

ولقد اختلف معهم البيهقي ، فقال : «إنه قد نصبه مكان والده في
 خوارزم ، وأعطى تلك الولاية لابنه سعيد بدلاً من السلطان مسعود
 العربي ، وكان هارون نقباً عنه ، ولقب بلقب خوارزمشاه ، وألقب
 أخرى مثل خليفة الدار ، وكذلك لقب كان يخاطبه به هو «ولدي
 ومعتمد» ، وتناول خلعه وإن كانت كل من خلع والده بمقتار النصف ،
 وتم ذلك في ٨ من جمادى الأولى عام ٤٢٢/١٠٣٢ م ، وفي ذلك قسم
 هارون بن قنوتش على تلك الولاية أمام الشهود والأعيان ، ثم استأذن
 في العودة لخوارزم ، ولقد كان لهارون أخ أكبر منه ، وأكثر قوة وبطلة ،
 معتزداً حقه في وراثة عرش خوارزم ، ولكن السلطان وعده بكونه أجدر
 بما هو أكبر من خوارزم^(٢).

(١) بن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص ٨٢٤ ، دائرة
 المعارف الإسلامية ، ج ٩ ، ص ١٥ ، مصدر ندير سبلي : المرجع السابق ،
 ص ٧٦ ، طه ندا ، التصووس الفارسية ، (دار المصروف ، ط ٢ ، الإسكندرية ،
 ١٩٧٨ م) ، ص ١٢٩.

(٢) البيهقي : تاريخ بيهقي ، ص ٣٧٦-٣٧٧ ، ولقد ذكر له مسعود أثناء عودته إلى
 خوارزم بعد الولاية قائلاً : «كأنني ولجيتي نصب عيونك لتزداد منزلتك
 عندي ، وإن أمد منك فكيف فليطع لولمعه ، وأرفع خدام أبيك واصرف لهم
 مضيقهم ، ولا تشن سلطانك ضلالتك» ، أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق
 ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ ؛ حسن أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطى بين الصين
 العربي والتركي ، ص ٥٠ ، يارتولد : تركستان من القفج العربي حتى الغزو
 المغولي ، ص ٤٤١ ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٩ ، ص ١٥ ، عصام الدين
 عبد الوعوف : تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في القصر التركي ، -

وينتصح من تلك البداية التي بدأت بها الدولة الغزنوية مع
الحوارزميين عدم الثقة ، ومحاولة إعادة توثيق العلاقات فيما بينهما ، بل
وبمعينتها لها أيضاً ، ولقد أتت تلك المحاولة بنتائج معاكسة تماماً.

وينتصح من الأحداث التي تلت تلك محاولة هارون الجلاء في
الاستقلال عن الدولة الغزنوية ، فلم تمر فترة طويلة حتى بدأت الأمور
تظهر بصورة جلية ، حيث مهد لذلك طائب السلطان العزيزي لسوريد
هارون نظراً لوفاء وزيره الميمذى ، وأسندت الوزارة لابنه من بعده عبد
الجبار كوزير لهارون بن التوتكاش^(١).

• تدهور العلاقات بين هارون خوارزمشاه والغزنويين :

١- أسباب ذلك .

١- ما قام به السلطان الغزنوي من أخذ وزير هارون وثولبة ابنه عبد
الجبار لوزارته ، وكره هارون لتلك الأسرة المسيطرة على كل
أمر خوارزم هو ورجاله من قراء السوء ، وتدهور المواقف في
آسيا الوسطى^(٢).

= (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥م) ، ص ١٦٤ ، خوالدمير : دستور
قوزراء ، ذكليف وترجمة وتمليق : حريسي أمين سايبس ، تقديم : لؤلا
عبدالمعطي السباد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م ، ص ٢٣٩ -
٢٤٠ ، R.N. Frye : The Cambridge History of Iran, p.192.

(١) خوالدمير : دستور الوزراء ، ص ٢٣٩ ، لينكر أن السلطان مسعود قد استبدع
أبا نصر أحمد من خوارزم وأسند إليه منصب الوزارة ، فتولى مهام السلطنة ،
وبذلك تدهور أمر الجيش والريعية ، ولقد شغل هذا المنصب ما يقارب من
عشرين عاماً في عهد السلطان مسعود ، وعامير أثناء حكم ابنه مسعود ، وب
كل قد ختم حياته في السجن ، وذلك بتكبير من الأمراء وختموا حياته بال
وصعواله السم في الشراب ، ص ٢٤٠ : ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد
الربيع ، القسم الرابع ، ص ٨٧٤.

(٢) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٤٧ ، يارنولد : المرجع السابق ، ص ٤٤١

٢- مقتل أخى هارون «حيث كان شمالاً ، فسقط من مكان مرتفع» ، ومن
كان قرناء السوء وشوا لهارون بكون السلطان العزى وراء
اغتياله ، وإن كان ذلك سبباً ظاهرياً لثورة هارون ورغبته في
الاستقلال.

ب- أحداث هذا التدهور :

١- الجانب الخوارزمي

بدأ هارون في فرض سلطانه على الأمور بأكملها إلى جانب
احتقاره لأراء عبد الجبار ونقده له في مجلس المظالم وقامت محاولات
عديدة لإقامة الصلح بينهما ، ولقد حاول أحمد بن عبد الصمد وابنه عبد
الجبار نقل تلك الصورة غير المطمئنة للسلطان محمود ، ولكن محاولاتهم
باجت بالفشل ، ومرجع ذلك تلك المراسلات التي كان يرسلها صاحب يريد
الأمير هارون الذي يكتب ما كل يريد هارون وما يوافق هواه.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى غرور هارون بسبب
الموقف المضطرب في خراسان نتيجة تمكن التركمان من الأمور قبل
مجيء السلاجقة ، لذا قرأى له أنه قد صار حاكماً على خراسان ، لذا
كانت الخطوة التالية هي الاتحاد مع التركمان ، وكذلك تحالفه مع علي
تكن عدو الخزنويين ، وكذلك تحالفه مع التركمان لولتوا كل عام من غور
بخارا إلى «أندرخار» ويقوموا بها مدة ، كل ذلك مكّنه من التفتت العديد
من الأحرار حوله ، لذا أعد ١٠٠٠ غلام تقريباً ، وأحد نفسه المظلة
والرربة السوداء ، ودير الأمر لتقبض على عبد الجبار ، لكنه تمكن من
الهرب^(١). ومع أبو سعيد السهلي ، ولم يتمكن من الوصول إليه ، وتولى
من بعده في الوزارة شخص يدعى «أبنا نصر أيرغشى».

(١) لبيبقي : تاريخ يوق ، ص ٧٤٧ ، باتوك : تركستان من الفتح العربي حتى

لغزو المغولي ، ص ٤٤١ ، R.N. Frye : op. cit., p.192.

ثم كانت الخطوة العملية لكل ما سبق ، وذلك في ٢٣ رمضان من عام ٤٢٥/١٠٣٣م حيث أعلن الخطبة باسمه واسم الخليفة العباسي وحذف اسم السلطان الغزنوي ، وكان ذلك أول يوم تعيشه خوارزم في استقلال كامل خاض بها ، ولكنه لم يدم طويلا ، إلى جانب مقدم طغرل داود ، وإلباليون والسلاجقة مع جيش كبير كامل العدد ، وسمح لهم بالإقامة على حدود خوارزم في بعض المناطق الخاصة بهم ، وهي : «رباط ماشه ، وشراب خان» ووفر لهم ما يحتاجون إليه من الهدايا ، وقد مهدهم لمساعدته في حروبه في خراسان ، ليكونوا في مقدمة جيشه^(١).

٢ - الجانب الغزنوي :

كان السلطان مسعود الغزنوي مدركاً أن هارون سوف يشق عصا الطاعة وتؤكد له ذلك من خلال كتابين وصلتا إليه : أحدهما كتاب من أحد الجواسيس عن اختيار وزير جديد بدلاً من الوزير الهارب ، والآخر يخبره بحذف اسم السلطان مسعود الغزنوي من خطبة يوم الجمعة ، لمجتمع بوزيره الذي كان دائماً يثمه بكون ما حدث من اضطراب في

(١) التبهلي : المصدر السابق ، ص ٧٤٨-٧٤٩ ، وقد فكر المحب وراء الترهيب بدعوة هارون بن التوتاش بلجعي إليهم ، فينكر ابن الأثير العداوة القديمة الذي كن بين علي تكيي والسلاجقة حيث أرجعه إلى عام ١٠٢٩م عندما أسر بقتل يوسف حفيد السلاجقة على يد قائد وألب قرهه على الرغم من أنه من قبل كان على رأس جميع الأتراك الموجودين لديه وبقية «فينانج يغو» وكان رد فعل السلاجقة وعلى الأخص أبناء عم يوسف وهما طغرل ، داود هو قتل قائد على تكيي ، وألف من رجاله عام ١٠٣٠م ، لذا هاجمهم علي تكيي وأينلاد وأنسلو على ممتلكاتهم فسطح عدد كبير من الأسرى ، عدد منهم من النساء والأطفال ، مما يضطرهم الأمر إلى الانتقال إلى خراسان ، كل تلك الأحداث كانت وراء موافقتهم لطلب هارون وسارعوا إلى تلك المناطق ، ابن الأثير : الكامل لسي التاريخ ، ج ٩ ، ص ٤٧٦ ، بلر توك : المرجع السابق ، ص ٤٤١-٤٤٢ .

خوارزم مرجعه إلى ابنه عبد الجبار ، وكذلك إلى أبي نصر مشكر ،
وكل من رآه توجه كتاب إلى حشوية خوارزم يحمل توقيع المستطير
مسعود ، يحرضهم على طع الأمير «هارون خوارزمشاه»

وفي النهاية حسم الأمر بإرسال كتاب معي يحرضهم على طع
هارون إلى أبي سعيد السهلي^(١). لئلا المال لأغراء جماعة لاغتياله ،
ورفع الاختيار على ثمانية علمان ، وهم من أقرب للعلمان إليه : وهم
(السلحدار ، وحامل المظلة ، وحامل العلم) وحدوا الاغتيال ، أما هارون
بن التوتاش فقد بدأ بنهياً بجيشه المكون من العناصر المختلفة من القبائل
التركية «كجات ، جغراق ، جناخ» إلى جانب السلاجقة الذين كانوا قد
تعرضوا للإبادة من قبل شاه ملك صاحب جند لذا أخذ على عاتقه قبل أن
يتجه إلى خرلسان أو يؤمن جيشه من ناحية ، ولده قبل خروجه ،
وخاصة بعد مهاجمة شاه ملك للسلاجقة في المنطقة.

وما لبثت أن بدأت المفاوضات للصلح بين السلاجقة وملك شاه ،
ولكنها باءت بالفشل لرفض شاه ملك لهذا الطلب قائلًا : «أن بيني وبينهم
ثارٌ وسيفٌ ، وسوف أعضى في قتلهم حتى يفعل الله ما يريد» ، وما إن
تقابلوا ووجد ما كانت عليه قوة هارون الذي بلغت عدته ٣٠ ألف فارس
وكثير من العلمان حتى انسحب ، وعاد إلى ولايته جند^(٢).

(١) أبو سعيد السهلي . من حاشية قسطنطين محمود الغزنوي المخطويع لخوارزم ،
نواطاً مع عبد الجبار بن أحمد عد الصيد ، وورير هارون خوارزمشاه السدي
لأخاه في سرداب خوقا من بطش هارون وعندما كشف هذا الأمر لأي كثير ،
حيث استولوا على بيته وصياغته وأمواله واستصلوا شأفه كل من له صلة به ؛
البيهقي : تاريخ بيقق ، ص ٧٤٨.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٤٩ - ٧٥٠ ، فيذكر أن بحلاف قشقق قدي كر
بير علي تكين والسلاجقة والسبب وراء مجيئهم هنا ، نجد أنه كل هناك عاء-

وبالرغم من كل تلك الأحداث لم يشن ذلك هارون عن هدفه في السير إلى حراسان ، ومساعدته في ذلك السلاجقة حيث تحركوا في عدد يقارب من ٤٠٠ فارس ، لوكفوا مقعته في مرو ، ووصل الوالي حتى صار على مسيرة ثلاثة فراسخ من المدينة ، ثم غلار المدينة يوم الأحد ٢ من جمادي الآخرة عام ٤٢٦هـ / ١٠٣٤م^(١). وإن كانت أعماله تلك لم تتم ، حيث تم إبعثه في يوم خروجه من المدينة ، وذلك لحزنه وشدة حيلته شكر العالم ، وتمت المزمرة ، ومات على أثرها بعد ثلاثة أيام ، وشارت الفتنة في البلاد ، وكان هارون كما ذكر البيهقي رجلاً صالحاً ، ولكن اغتال خطأ كبيراً حيث جلس على عرش السلطان ، وأنى للصقور أن يتمنى عرش الصقور^(٢).

= لنديم بين السلاجقة وشاه ملك صاحب جند ، لنا فقد هاجمهم على مرة منهم في شهر ذي الحجة ٤٢٥هـ / ١٠٣٤م ، وقتل منهم مقتله عظيمة قد بلغت من مبعدة إلى ثمانية آلاف واستولى على كل ما كان يستل عليه معسكرهم من الخيل وسبي جمعاً كبيراً من النساء والأطفال ، وورد ما بقي منهم من معابر خوارزم ، وهربوا لهر جيون ، وساروا إلى رباطنك ، وما إلى علم هنوز بذلك اغتم خماً شديداً تم أرسلهم مرة ثانية ، وطالبهم بمدد جديد ، لأنه مازال على وعده ، ثم نادوا إلى موطنهم الذي كان مجهزاً لهم من قبله ، بارقود : المرجع السابق ، ص ٤٤٣

(١) البيهقي : تاريخ بييخ ، ص ٧٥١ ٧٥١ ، بارقود : تركستان من القنح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٢٢.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٤٦٤-٤٦٥ ، ٧٥١ ٧٥٢ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٥٠٥ ، محمد خير سياتي : سلطان جلال الدين خوارزمشاه ، ص ٧٦ ، حاشية ٦.

وجدت الفتنة طريقها في خوارزم بعد تلك الأحداث ، ولكن تمكن شكر الخادم وإسماعيل خندان «أي للضاحك» من تدريك الموقف ، ومعه كذلك رجاء الائتلافية ، فما أن بعد إسماعيل عن خوارزم بمسافة ثلاث مراحل حتى ظهر للوزير عبد الجبار ، وتوجه لدار الإمارة راغباً في السيطرة على أمور خوارزم ، لذا ازدادت نار الفتنة وانقسمت البلاد إلى فريقين : الأول ، من المناصرين لعبد الجبار ، والفريق الثاني ، من المدصرين للوالي الجديد وشكر الخادم ، وتمكن شكر الخادم من العودة إلى خوارزم ومعه ٥٠٠ غلام مجهزين ، واستطاع بحكمته القضاء على تلك الفتنة بقضائه على عبد الجبار وقتله ، وتحصل من أمواله ، وبعضهم رحب بالوالي الجديد إسماعيل خندان حاكماً للبلاد ، فقالوا : «عد عوداً حمداً ، وادخل المدينة»^(١). وذلك يوم الأحد ٢٨ جمادى الآخرة ٤٢٥ هـ / ١٠٣٣ م ، واعترفوا به حاكماً مستقلاً ، واستقبل الوفود من الأعيان والجند لمعترفوا له بالإمارة وقولاه ووزع المناصب عليهم واستقرت الأمور وعادت إلى ما كانت عليه من قبل^(٢).

الجانب الفرنوي .

علم السلطان الفرنوي بما حدث في خوارزم فاجتمع مع وزيره بعد بأسه من أحوال ذلك الإقليم ، وخاصة لما وراءه من أمور جسام في هراسان والرى وهندوستان لذا أمر وزيره بإرسال رسول إلى أعوان الغربيين هناك ، ومعهم البتكين الحاجب ليقتضوا القصر لهذا الطفل ،

(١) أبيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٥٢ - ٧٥٤ ، ٣٧٤ ، ليس الأكبر . المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٥٠٥ .

(٢) أبيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٥٤ .

وكذلك توجه الكلام إلى أبي سعيد السهلي ، وأبي القاسم الأسكافي بحبرهم
بما يلزم ، وإن كانت الرسل قد علمت ذلك . وقوع رماح الأمور في يد
شكر الحاتم ، أما الطفل فيلهو بالشرب والصيد .

كذلك قام السلطان باعتقال أخي إسماعيل خندان وهو « رشيد » في
ضربة مقابل إلا يتعرضوا لأخواته لبناء بموء^(١) .

٤ - تولية شاه ملك إقليم خوارزم وانتهاء حكم الأسرة الثانية

« ٤٢٩ - ٥٤٢٤ / ١٠٣٧ - ١٠٤٢ م »

كانت بداية ذلك بمراسلة شاه ملك بن علي تكين إسماعيل خندان
في أمر خوارزم ، قال فيها : « إن هارون قد شد من عزائم السلاجقة
الذين هم أعدائي ، وقد هزمتهم ، وألقيت رجالهم ، وشركتهم معنمين
مشردين بلا مأوى ، ثم إنه قد كرر بالنعمة وأراد أن يقصد السلطان
مسعود وبلائه على أن يكون السلاجقة في مقعة جيشه فلم يرض بهذا الله
وأُزيل به ما أُزيل واليوم يذهب السلاجقة إلى خراسان ، وإذا كان لنا
وهارون عهد فإن هارون قد مات ، والسيف اليوم بيني وبينكم ، وإلى
لقائم فأعدوا عندكم ، فسوف أستولى على خوارزم^(٢) .

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٥٣٩ ، ٧٥٤ ، ابن الأثير : المصدر السابق ،
ج ٩ ، ص ٥٠٥ .

(٢) البيهقي : تاريخ بیهق ، ص ٧٥٥ ، وقد ذكر أن السلاجقة بعدما حدث لهارون بن
الترتاش ، وكذلك ما حدث لعلي بن تكين ، وتولية ولديه من بعده لملكه ، لم يستطع
عليهم الناس ولم يستطيعوا العودة إلى بخارا ، ولم يستطيعوا الإقامة في خوارزم
حوا من شاه ملك بعدما شرعهم من قبل ، كما ذكرنا سابقا لذا فقد عزموا على
الرحيل عنهم ٩٠٠ فارس ، وأتاه أتباعهم إلى خراسان لتصحبهم إلى
بغرا في طريقهم مدينة أموى (أمل) ونزلوا إلى جلق مرو حتى مجيئهم إلى
خراسان ، وعلا شأنهم هناك .

ويتضح من كلام البيهقي «أن تلك الرسالة قد أرسلت من قبل تفكير السلطان الغزنوي في الاستعانة بشاه ملك وإعطائه ولاية خوارزم ودليلاً على ذلك هو قوله : سأقبل هذا خدمة للسلطان وتلبية لإرادته وإلى على ثقة من أن هذا السلطان لن ييخذ عليّ بهذه الولاية بعد أن أكون قد قدمت خدمة كهذه ، ومضات شاقة العدو من بلاد»^(١).

وما أن وصلت الرسالة إلى إسماعيل خندان حتى أيقن من كون هذا التصرف من قبل وزير السلطان الغزنوي أحمد بن عبد الصمد للانتقام منه في ولده عبد الجبار ، لذا رد عليه قائلًا : «إننا مستعدون للقائك لتقدم إذا شئت ، هذا والذنب ذنب هارون الذي أقام لك وزيراً مع عظمة الجيش الذي كان له ، وأنت ضعيف ، ولم يأمر أتباعه بالسلحفة بأن يدمروك تكبيراً حتى لا تتراءى لك اليوم هذه الأحلام».

ولقد اكتشف إسماعيل خندان تلك العلاقة غير السليمة بين الغزنوي ووزيره وبين الوزير الخوارزمي البرغشي ، لذا عزله ، وعين مكانه «أبا القاسم الإسكافي»^(٢)، وبعدها أطن الولى الخوارزمي لاسمه واسم الخليفة العباسي في خطبة يوم الجمعة دون ذكر اسم السلطان مسعود الغزنوي^(٣).

• صراع الخوارزميين من أجل استرداد ولايتهم :

تباينت الرسائل بين الطرفين ، وكثفت مليئة بالتهديد والوعيد ، وطال الحديث بينهما ، ومن المرجح أن يكون «شاه ملك» قد ذكر في إحدى رسائله «أن السلطان مسعود هو السلطان حقا بل هو أمير المؤمنين ،

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٥٧٦.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٥٦.

(٣) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٥٦-٧٥٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،

ج ٩ ، ص ٥٦٠.

وقد أعطاني هذه الولاية فليكن تسليمها» ، وكان رد إسماعيل خدائن عليه
 يكونهم «لا يتصرفون بلحد ، وإن الولاية ولايتهم لا يتطاون صهما إلا
 بالسيف ، فتعالوا إلينا لنرى منذا قدر الله ، ولمن تكون الغلبة» ، وبذلك
 حسنت الأمور وبذلك تباشر الحرب بينهما ، وذلك يوم الجمعة ٦ من
 جمادى الآخرة عام ٤٣٢هـ / ١٠٤١م ، واستمرت المعركة ثلاثة أيام ،
 حيث حسنت في ظهر اليوم الثالث ، فصارت للطبة لشاه ملك ، وذهب
 الخوارزميون مدحورين إلى قلعهم منتظرين ذهاب شاه ملك ، في الوقت
 الذي كان ملكا في الرباط الذي هزم فيها للخوارزميين ، ليتولى أمر دافن
 الموتى ومدافاة الجرحى.

ونقد كانت تلك المعركة من أشد المعارك كما وصفها حسن
 التباهي الذي كان ملازماً لشاه ملك ذكراً ، فقد شهدت معارك كثيرة مع
 السلطان محمود مثل معارك مرو وهراة مع السهمجورية وطغرل لمي
 مرو ، والقبايين في دشت كرد وغيرها ، ولكن لا أذكر معركة أشد
 هولاً من تلك التي كانت بين شاه ملك والخوارزمية^(١).

وبدأت الرسل في المراسلات من أجل عقد الصلح ، وعرض :
 الخوارزميين لبذل المال من أجل ذلك ، بالرغم من رغبة شاه ملك الأكيدة
 في تلك الولاية التي صارت حقاً شرعياً مفعولاً له ، ووصل مدد له
 ورغبته في استكمال القتال ، بالإضافة إلى تدهور أحوال الإقليم ،
 وانقسامهم إلى محسكرين المعسكر الأول ويمثله إسماعيل خندان وشكر
 الخادم والاتقنتانية ، والمعسكر الثاني ويمثله الوزير والسلطان الغزنوي
 محاولين القبض عليهم ، لذا اتروا إلى السلاجقة ، وذلك في ٢٢ رجب عام
 ٤٣٢هـ / ١٠٤١م ، وحاول شاه ملك تعقبه عن طريق جنوده ولكنه فشل في

(١) البيهقي - تاريخ بيهقي ، ص ٧٥٧.

ذلك وحل خوارزم ، وعثت الأمور إلى تصايها ، واعتلى العرش يوم
الخميس منتصف شعبان ٤٣٢هـ / ٤١ - ١م ، وخطب يوم الجمعة باسمه
واسم الخليفة العباسي ، وكذلك السلطان مسعود الغزنوي الذي اعتزل مس
فترة ، أما إسماعيل خندان وكذلك شكر الخادم فقد استقبلهما بالسلافة
استقبالاً حافلاً^(١).

ولقد ذكر ابن الأثير أن تلك المعركة ظلت قائمة بينهما لمدة عام
ولتوت بانتصار شاه ملك^(٢).

ونظراً للجوء إسماعيل خندان للسلافة ، حتى أحد طغرى بك
جيشاً لمساندتهم في عودة إليهم إليهم ، ولكن لوقع شاه ملك للهزيمة بهم
، لذا ظل الإقليم تبعاً للدولة الغزنوية ، وإن كان قد اختلف الأمر باعتزال
السلطان مسعود الغزنوي ، وتولى السلطنة من بعده ابنه دلود ، والذي
دخل شاه ملك في طاعته ، وتبدل اسمه باسم السلطان مسعود الغزنوي في
الخطبة في إقليم خوارزم ، ثم تحولت خوارزم إلى تبعية السلافة عام
٤٣٤هـ / ٤٣ - ١م^(٣).

(١) فبيهي : المصدر السابق ، ص ٢٥٨ ؛ أحمد السعد سليمان : تاريخ الدول
الإسلامية ومعجم الأوقات الحكيمة ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ ؛ حسن أحمد محمود :
المرجع السابق ، ص ٥٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٥١٥ -
٥١٦ ؛ خليل آدم : دول إسلامية ، ص ٢٥٨ ؛ محمد نبير سبيقي : المرجع
للسابق ، ص ٧٧ ؛ يذكر أنه قد تلقب بلقب خوارزمشاه لمدة حتى عام ٤٣٤هـ ،
دفرة السمارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٨٠ ؛

C.E. Bosworth - the Islamic dynasties, press, 1893, V 5, p 108,
R.N Frye . op. cit., p.192; William. L-Langer : an Encyclopedia
of world history, (Boston, n. d.), p.272.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٥٠٦.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٥٠٦ ؛ محمد بن علي بن سليمان
الرواندي : راحة الصدور وفيه السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، -

وهناك تناقض من المصادر حول موقف السلاجقة من الوالي
إسماعيل خندان فتجد البيهقي يذكر مدى أكرام السلاجقة لهذا الوالي ، ثم
ما لبثوا أن غرروا به^(١).

ولقد حالفه الحقد في فكر مدى ممانعة السلاجقة ومساعدتهم
للحوارميين ، وجعل الأمير علي إقامته مقابل تبعيته للسلاجقة^(٢).

وبذلك انتهت الإمارة «الأميرة» الثانية شبه المستقلة في خوارزم
بعد استمرارها في خوارزم ما يقارب من ٢٦ عاما ، وكم لاحظت من
محاولات عديدة من قبلهم من أجل الاستقلال ، ومحاولة وضع أول أساس
لقيام دولتهم ، ولكن دائما ما كانت تنتهي بالفشل وتعود للتبعية مرة ثانية.
٥- خوارزم وتبعيةها للسلاجقة ٤٣٤-٥٥١ / ١٠٤٢-١١٥٦ م.

منذ ذلك التاريخ صارت خوارزم - بصفة رسمية - تابعة
للسلاجقة ، وذلك عندما تمكن إسماعيل خندان من الهرب مع شكر الخادم
والأتوناشبة إليهم لمناصرتهم ضد شاه ملك ، وعلى أثرها ظهر طغرل بك
وداود المنجوليان بجيش واتجها إلى خوارزم ، ووقع صدام عسكري ،
صارت نتيجته في صالح السلاجقة ، فصار الإقليم لهم بعد هزيمتهم لشاه
ملك وفراره مصطحبا معه أمواله وفخثرته ، ومضى في المغازة إلى

- تلكه العربية : إبراهيم أمين الشولوي ، عبد النعم محمد حمضي ، إزاد عبد
المحلي السيد ، مراجعة ونشر : إبراهيم أمين الشولوي : (مؤسسة الثقافة ،
١٣٧٩هـ/١٩٦٧م) ، ص ١٥٤ ، ١٥٩ : ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ج ١
، ص ٢٤٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٥٠ ، ابن خلدون
المصدر السابق : الملوك الرابع ، القسم الرابع ، ص ٨١٧ ، ٨٢٤ ، أحمد السعيد
سليمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٤.

(١) قبيهقي : تاريخ بيهقي ، ص ٧٥٨.

(٢) الكرديزي : زين الأخبار ، ص ١٣٤.

دهستان ومنها إلى طيش ثم لطراف كزمان ثم إلى أعمال التيز وعكران
ولقد تمكن منه «لوتاش شقيق إبراهيم بنقل» ابن عم طغركبك ، في جيش
عنده ٤ آلاف فارس ، فأسرة وسلمه إلى دلاود^(١). ومنذ تلك التواريخ
«٤٤٣/هـ ١٠٤٣م» لم تقم حكومة مستقلة ولا شبه مستقلة في إقليم خوارزم
، حيث صغر الأمر إلى حاكم من قبل السلاجقة يتولى أمرها^(٢).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٥٠٦ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر
القدس ، ص ٩٢ ؛ أبو قلدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٦٦ ؛
التويزي : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٦ ، ص ٢٧٩ ، ٢٩٧ ؛ ابن خلدون
: المصدر السابق ، ص ٨٢٤ ، ٨٢٦ ؛ المقرئ : الملوك لمعرفة دول الملوك
، ج ١ ، القسم الأول ، ص ٣١ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٥٠ ،
ذكر «الاستيلاء طغرل على معظم بلاد الشرفية» والتي من بينها خوارزم ،
إلى جانب أنه خطب له على تلك التوحي ، «أنا عظيم شأنه» ؛ ابن خلدون
المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٨ ؛ حسن أحمد مصمود : المرجع السابق ،
ص ٧٤ ؛ بارتوك : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٢٧٩ ،
٢٩٧ ، ٤٤٩ ؛ حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، (بغداد ،
١٣٨٥/هـ ١٩٦٥م) ، ص ٥٤ ، ذكر «أنه قد اختلف مع بعض المصادر في كون
الاستيلاء على خوارزم قد تم عام ٤٤٣/هـ ١٠٤١م ؛ إقبال حبس الأشتيالي :
تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٢٣١ ، حيث اختلف في الشخص الذي قام بأسر
شاه ملك بن علي وهو إبراهيم بن بنقل ؛ خوافيمير : حبيب السير ، المجلد
الرابع ، ج ٢ ، ص ٤٨٥ ؛ فوليب حنفي : تاريخ العرب مطول ، الجزء الثاني
، ص ٥٦٩ ؛ نقسرة المساريف الإسلامية ، ج ١٢ ، ص ٢٧ ،
C.E. Bosworth, op. cit., p. 108.

(٢) أحمد سعيد سليمان : المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٣٧٤ ؛ السيد بلال العريبي :
المعول ، ص ٨٠ ؛ عفا صيرة : المرجع السابق ، ص ٣٢ ، قلعة مولوع
خوارزم منذ عام ٤٣٤-٤٤٦هـ ، تحت طاعة السلاجقة ؛ خوافيمير : المرجع
السابق ، ص ٤٨٥ ؛ محمد نير ميقاتي : المرجع السابق ، ص ٧٧.

وتقد حرص هؤلاء السلاجقة على اكتساب الصفة الشرعية لتلك الولايات التي تولوا أمرها ، وتمثل ذلك في استدعاء للخليفة العباسي للقائم بأمر الله الأمير طغرل للعراق للتخلص من فتنه البساسيري وبعد ذلك قسم للخليفة تلك الولايات على هؤلاء السلاجقة ، فكان للأمير طغرل بك داود بن ميكائيل المنطقة الممتدة من نيسابور إلى جيحون ، إلى جانب تمكنه من ضم خوارزم وبخارا وبلغ له^(١). ولم تذكر المصادر اسم ذلك الحاكم من قبل السلاجقة الذي تولى أمر خوارزم ، وإن كنت أرى أن يكون حاكم أو تابع من اتباع هؤلاء الأتراك ، ولقد ظل الحال على ما هو عليه حتى وفاة طغرل بك داود والذي تولى أمرها بصفة شرعية حتى عام «١٠٥٩/٤٥١م».

• أرسلان أرغو «أرسلان أرغو»^(٢). بن عصف الدين ألب أرسلان .

وهو ثاني وال على إمارة خوارزم ، وظل بها حتى وفاة والده عام «١٠٧٢/٤٦٥م»^(٣). ونظراً لعدم «ركن الدين أبي المظفر» بركيارق «٤٨٥-٤٩٨م / ١٠٩٢-١١٠٤م» لعمه أرسلان أرغو ، لذا أعلن الثورة

(١) للرواندي : المصدر السابق ، ص ١٦٩ ، أبو الحسن بن عاربي الطبري : أخبار الدول المنقطعة ، مكتبة دار ، المدينة المنورة ، ١٤٠٨/١٩٨٨م ، ص ٢٦٧ ، محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول ، (الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م) ، ص ٤٥.

(٢) للرواندي : المصدر السابق ، ص ٢٦١ ، صدر الدين علي بن ناصر الحسيني : ربه التاريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ، تحقيق : محمود نور الدين ، (دبي ، ١٤٠٥/١٩٨٥م) ، ص ٨٤ ، وفي كل عند شكر شبله مفالك لما ذكره ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٢ ، في أرسلان أبو سلطان ألب أرسلان ، أما الرواندي والحسيني : فنكروا أن أرسلان أرغو هو ابن ألب أرسلان وأخو ملكشاه وعنه بركيارق ، وقد فرض له والده ولاية خوارزم ، ولقد أيد في ذلك خوقنمير : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ ، وكذلك إقبال علي . المرجع السابق ، ص ٢٤٥.

(٣) حمزة بن الحسن الأصبهاني : تاريخ مني ملوك الأرض والأشياء ، ص ٤٥ ، أحمد السعيد طهري : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣١٩ ، إقبال علي الأصبهاني . المرجع السابق ، ص ٢٤٥ ، محمد أحمد الحوفي : قزوين ، ص ١٦٠ .

.C.E. Bosworth . op. cit., p 273

صده في خوارزم ولكن مقتل أرسلان أرغو على يد أحد غلمانه ، مكر
بركيارق من الاتجاه للاستيلاء على خراسان ، أما خوارزم فكما ذكر ابن
الأثير أنه بعد مقتل أرسلان أرغو ولي بركيارق أمر خوارزم إلى «عر
الملك أبي عبدالله الحسين بن نظام الملك الطوسي» وزير بركيارق ، وظل
ولائها ومتولياً كل ما يتعلق بها من الأمور السلطانية^(١). ثم جعل عليها
كذلك أحد أمراءه وهو «لكتجي شاه» ولقد اتخذ لقب الأمراء المحلبين
السايقين في خوارزم ، وهو لقب خوارزمشاه ، ومن بعده الأمير «ساذ
حبشي بن التوتناق»^(٢).

ثم تولى السلطان منجر السلجوقي^(٣) على حكومة خراسان
وصلار خوارزم من ضمن ولاياته^(٤).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٧٦ ابن خلدون : المصدر السابق ،
المجلد الثالث ، القسم الخامس ، ص ٩٩٢ الرواندي : المصدر السابق ،
ص ١٢١٤ خوافنير : المرجع السابق ، ص ٥٠٠

C.E. Bosworth : the Islamic dynasties, p.273

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٩٢ ابن خلدون : المصدر السابق ،
المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ١٨٩ ، ولقد ذكر لؤيه تحت اسم «داود
حبشي بن اتناق» ، صفا ملك تيموري : جهل گشا ، ص ٢٤٢.

(٣) السلطان منجر السلجوقي : هو المارث منجر بن ملكشاه بن آلب أرسلان بن
داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، ولد يوم الجمعة ٢٥ رجب عام
٢٧/٨٠٧٩ ، ٢٧ نوفمبر ١٠٧٤م ، بمدينة سنجار ، ومن هنا جاء اسمه ، تولى أمور
المنطقة نهاية عر أخيه بركيارق عام ٤٩٠هـ ، لمدة أربعين عاماً ، وصلار بعده
سلطان خراسان وعزبة وما وراء النهر ، وخطب له بالقرنيتين وأثر بيجسان
ومناطق أخرى عديدة ، تلقب بـ «السلطان الأعظم معز الدين» ، أعظم السلطنة
همه وأكثرهم عطاء ، توفي ١٤ ربيع الأول عام ٥٥٢/١١٥٧م ، ودفن بمرو ؛
ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٢٧-٤٢٨ القلاوي : تاريخ القاري
، حققه وقدم له : بدوي عبد اللطيف هـوص ، (بيروت : د.ت) ، ص ٢٨٦ .
حاشية (٢).

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ١٨٢ ، خوافنير : المرجع السابق ،
ص ٥٠٧.

٦ - بداية قيام دولة شاهات خوارزم «٤٧٠ - ٥٥١ / ١٠٧٧ - ١١٥٦ م» .

وهي مرحلة جديدة مكملة للتاريخ السياسي لإقليم خوارزم ، وقد تمثلت في الأسرة الثالثة «أسرة نوشتكين خرج»^(١) . حيث نجدها في ترونها الأولى تابعة للسلاجقة ، وإن كنا تحديدًا على الوجه الأكمل فهي منذ عام «٤٧٠ ٥٥٢ / ١٠٧٧ ١١٥٧ م» ، والفترة الثانية وهي المرحلة التي قامت فيها الدولة الخوارزمية ذات الامتداد الشاسع والاستقلال الكامل ، وذلك على وجه التحديد منذ عام «٥٥٢ - ٦١٧ / ١١٥٧ - ١٢١٩ م» .

أ - مؤسس الدولة نوشتكين خرج «٤٧٠ - ٥٥٢ / ١٠٧٧ - ١١٥٧ م» :

كان من مجموعة السيد الذين اشتراهم أحد أمراء السلاجقة ، حيث يجلبون من بلاد القباقي ، وتربوا في قصور السلاجقة وترقوا العديد من المناصب الإدارية^(٢) . وقد وفق هذا المملوك وأظهر من الكفاءة ما أهله للترقي في أعلى المناصب الإدارية^(٣) . عمل لدى الأمير السلجوقي بلكتاتكين وبعدها خدم لدى السلطان منكشاه ، فتولى منصب العطشدار^(٤) .

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٩٢ ؛ زين الدين عمر بن الوردي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩ ، ذكر أن سبب وراء ذلك التقرب الأخير «خرج» كل مملوك لرجل من غرشتكن ومن هنا أخذ التقرب ، فهو الفدا : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، القسم الأول ، السجك الخامس ، ص ١٨٩ ؛ محمد خير سيالي : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٢) حسين أمير تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ١٠٩ ؛ S Lane Pool : the Mohammadi dynasties, p.159

(٣) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٧ ، ص ١٩٧ ؛ حسين أسين ، المرجع السابق ، ص ٢٦٦ ؛ عبد القوم حسين : سلاجقة إيران والعراق ، (الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٧٠ م) ، ص ١١٥ .

(٤) العطشدار : «جيشة كبر بالفارسية» من الموظفين الذين يعملون في العطشدار «الطفت خذاه» وهو المكان الذي يحوى الطفت الذي تعمل فيه الأيدي وكذلك الأكمة ، وكذلك ملايس السلطان والمقاعد والمسجد والمستقر والمبخر وأنواع -

ولقد كان كل منصب من تلك المناصب تخصص له إيرادات منقطة بعضها للصرف عليه ، فكان خراج خوارزم مخصصا للصرف على الطشحاته ، ومن هنا جاء اتصال قوشكين بخوارزم ، وعلت مكانته في بلاط ملكشاه ، فتولى شحنة خوارزم ، وحمل لقب خوارزمشاه^(١).

ب- قطب الدين محمد بن أنوشكين خوارزمشاه «٤٩٠-٥٢١/١٠٩٧-١١٢٧م»

بعد عارفاً أنبياً ، قضى معظم أوقاته عن معدلة ينشرها أو ملزمة بلغتها ، وهو من الولاة المهتمين بدراسة العلم وتعليمه ، لذا إيراد ذكره ، وظهر اسمه ، وعلا شأنه ، واتخذ لقب خوارزمشاه ، وظل بذلك الولاية منذ عام «٤٩٠-٥٢١/١٠٩٧-١١٢٧م»^(٢).

«البخور والطيب ، ويعرف بعض الصينيين الذين يعملون فيه الطشتارية ، والبعض الآخر يعرف بالرخنولية ، لما عن هذا النفط بالذات وتفسيره فقد تحدث الآراء فجد أنه يعني «الصخر المحبوب» Afavourite-cup bearer ، وصار كذلك بأنه المنول عن صب ماء الفسيل للسلطان ، بحاجة دقة إليه في صب الماء عند قيامه بالتسيل مسجلاً ، وكذلك قبل الواجبات وبجدها ، وعند دخول الحمام ، التوري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٨ ، ص ٢٢٥ ، القلندي : صبح الاضي ، ج ٤ ، ص ١٠ ، حسايط أحمد حمدي : الدولة الفوارزمية والنفول ، ص ١١٢ ، حسين أمين : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ ، خوانمير : حبيب السير ، ص ٦٢٩ ، فليجري . تاريخ بخارى ، ص ١٣٩ ، ١٤٧ ، حاشية ١ : محمد نير سياتي : المرجع السابق ، ص ٧٩ ، حاشية ١ :

Percy Sykes : a history of Persia, London, 1921, vol.11, p 11, 49, C.E Bosworth : the Islamic dynasties : v.5, p.108; Percy Sykes : Persia, (Oxford, 1922), p.53.

(١) أحمد السعيد ، طبرستان : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ ، خوانمير : سقوط الوزراء ، ص ٢٠٨ ، حمد لله بن أبي بكر ابن أحمد بن نصر مستوفي قزويني . تاريخ كزينة ، المجلد الأول ، ص ٤٨٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ، ص ٩٢ ، التويري : المختصر السبق ، ج ٢٧ ، ص ١٦٨ ، أبو قلدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ، الذهبي : الخیر فی خبر من غیر ، (بيروت ، ١٩٦٤م) ، ج ٤ ، ص ٣٢٧ ، ~

• أهم أعماله وعلاقته بالسلطان سنجر السلجوقي :

كان حريصاً في بداية حكمه على استتباب الأمور والأحوال الداخلية في إمارته ، فكانت بدليتها تلك الفتنة التي ترعسها طغرلنكير بن كنجي» حيث والده كنجي في خوارزم من قبل أيام «يركيارق» ، والذي قر هارباً إلى الأتراك ، وتجمعت حوله ، واتجهوا إلى خوارزم ، وعلى إثرها اتجه قطب الدين محمد لخوارزم ، واستعان بالسلطان سنجر الذي كان موجوداً آنذاك في نيسابور ، فصار يصكره إليه ، ولكن بالقرب قطب الدين محمد من خوارزم قر تلك الآثار والأثر إلى منقشلاغ^(١). وهرب طغرلنكير إلى جند خان ، وعادت الأمور إلى حودنها المعتاد^(٢).

أما علاقته بالسلطان سنجر السلجوقي فكانت علاقة الذبح بالمكبوع ، فهو تابع مطيع طوال مدة إمارته على خوارزم ، ذا لولاء وناسة في إرسال الخراج المقرر عليهم إلى جانب الهدايا ، وكان حريصاً على

- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٥٤ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٩ ؛ أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي القرطبي : أخبار الدول وآثار الأول ، ص ٢٧٥ ؛ أحمد المسعود سليمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ ، ذكر أن له شأ مثل أبيه في النجابة والشجاعة وحسن التدبير ؛ السيد أحمد بن زيني دحلان : الدول الإسلامية بالحدائق المرسية ، (الطبعة : ١٣٠٦هـ) ، ص ٩٥-٩٦ ؛ عبد النعمان حسنين : المرجع السابق ، ص ١٥١ ؛ محمد أحمد الحوفي القزويني : ص ١٢ ؛ كازل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٣٧٦ ؛ خوافمير : المرجع السابق ، ص ١٦٩ ؛ محمد باقر مستوفي : تاريخ كزينة ، المجلد الأول ، ص ٢٢٣.

(١) منقشلاغ : قلعة حصينة في آخر حدود خوارزم ؛ النويري : المصدر السابق ، ج ٢٧ ، ص ١٦٩ ، حاشية (١).

(٢) غير المؤيد : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٩٢ ؛ ابن العماد الحفصلي : مدينت الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٤ ، ص ٢٢٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، القسم الأول ، المجلد الخامس ، ص ١٩٠ ، ٢٩٠-٤٠٠.

اصحاب ابنه أنتمز معه ، وفي السنة التالية أرسل معه ، وفي السنة التالية أرسل ابنه أنتمز ، وظل هكذا حتى وفاته^(١).

ج- جلال الدين أنتمز^(٢) بن محمد خوارزم شاه (٥٢١ - ٨٥٩/١١٢٧ - ١١٥٦م).

ولقد صار على منهاج والده في اهتمامه بالرعية ، وتحقيق العدل بينهم ، وبذل فسارى جهده في بداية حكمه في تكعيم سلطانه في الإقليم ، وكانت خطواته في سبيل تحقيق ذلك تتمثل في إخضاع الأهل المجاورين لخوارزم ، وبعدها تمكن من بعض المناطق ذات الأهمية بالنسبة لخوارزم وهي مدينة «جند» (الموجودة على المجرى الأمثل لنهر سيحون) ، وشبه جزيرة منقشلاغ^(٣).

(١) إقبال عباس الاشفاقى : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٢٨٣ ، خواندمير : هبيب السور ، ص ٦٢٩.

(٢) أنتمز : كلمة تركية معناها «من لا اسم له» أت تعني الاسم ، سور تسرى أذا تجريد وهي عادة سائدة لدى الترك ، وخاصة لدى من يموت قبله وهم صغار ، فيطلق على كل واحد منهم هذا الاسم لكي يمشي الآخرون بنظام عروضي السمرقندي : جبار مقالة ، ص ١٠٦ ؛ محمد دبیر ساقی : المرجع السابق ، ص ٨٠ ، حاشية (١).

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ، ص ٩٢ ؛ الفوري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ٣٧٦ ؛ صلاح الدين خليل بن أبيك الصمدى : الوفاي بالوفات ، ج ٦ ، ص ١٩٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٤٠ ، ١٣٦ ، ١٩٨ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن قسوردي ، ج ٢ ، ص ١٠ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص ٦٢٩ ؛ محمد دبیر ساقی : المرجع السابق ، ص ٨٠ ؛ مريم حمدي : نظام حكومت ایران در دوران إسلامی، بروسی نر تكتلات اداري ، كتوري وتشكري ایران از صدر إسلامی تا عصر مغول ، مؤسسة مطالعات وتحقیقات فرهنگی ، د.م. تیت ، ص ٢٨٠ ؛ فاضلي القصبة صدر الدين جهان أبو عمرو منهاج الدين بن عثمان بن سراج الدين بن عمر ، طبقات باصري ، (د.م. ، ١٣٤٢هـ) ، المجلد الأول ، ص ٤٨٧ ؛ يارنوبد : المرجع السابق ، ص ٤٧٤.

د- الأمير أتمز خوارزمشاه وعلاقته بالسلطان سنجر السلجوقي .

يمكننا تقسيم تلك العلاقة إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى : منذ عام ٥٢١-٥٢٣/١١٢٧-١١٣٥م.

المرحلة الثانية : منذ عام ٥٢٣-٥٥١/١١٢٨-١١٥٦م.

• المرحلة الأولى منذ عام «٥٢١-٥٢٣/١١٢٧-١١٢٥»

ولقد تميزت المرحلة الأولى بالود والهدوء ، والحرص على تنفيذ أوامر السلطان ، سنجر السلجوقي ، وتلبية فروع الطاعة ، وقبائمه لجيوش السلطان السلجوقي ، ومعاربته لأعداء بلاده المجاورين له ، وهي أشبه ما تكون بعلاقة الابن بوالده^(١). وهناك العديد من الأمثلة الدالة على الطاعة والولاء وسوف نكتفي بذكر مثالين :

أولهما ، عام «٥٢٦/١١٣٢م» : حيث اشترك أتمز في تلك المعركة التي كانت بين السلاجقة والسلطان مسعود الغزنوي ، وذلك بناء على أوامر السلطان سنجر ، فكان الأمير أتمز خوارزمشاه على مسيرة جيش سنجر ، وتحقيق النصر للسلاجقة ، حيث راسل السلطان سنجر السلطان مسعود معانياً ، وأعيد للسلطنة بواسطة طغرل بن محمد ، وخطب له بجميع البلاد^(٢).

والثاني : عام «٥٢٩/١١٣٤م» : نظراً لثقة السلطان السلجوقي في الأمير أتمز جعله على مقدمة جيشه المتجه إلى غزنة لمساعدة «طغر الدولة» بهرام شاه الغزنوي ليقو أرمغان شاه الذي تولي أمر غزنة بعد

(١) إقبال عباس : الاتصاف ، المرجع السابق ، ص ٢٢٠ : مستوفي قزويني تاريخ كزينة ، المجلد الأول ، ص ٤٨٧.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٢٤٢.

وفاة علاء الدولة صاحب غزنة^(١). في شوال ٥٠٨هـ/ ١١١٤م من السلطان سنجر ، ولكنه ساء معاملة أخوته بالحبس ، وقد حاول السلطان سنجر عودة الأمور إلى ما كانت عليه من الود والمحبة ، ولكن باءت محاولته بالفشل ، لذا عزم على الاتجاه إلى غزنة ، ومعهم الأمير آتسر وهرم بهرام شاه في تلك المعركة^(٢).

وبالإضافة إلى ما سبق وحرصه الشديد على الذهاب لسلطان السلطان سنجر كما عودة والده من قبل وذلك للتقرب إلى السلطان ورفع الحرية المقررة عليهم. ولكن ما لبث أن تبدلت الأحوال من السود إلى البعد والمصراعات والحروب ومفاوضات لصلح ونقصها من أن إلى آخر والسبب وراء ذلك يرجع إلى هؤلاء الأمراء الحاقدين على آتسر لولائه للسلطان سنجر لذا أوغروا صدر السلطان سنجر عليه وذلك بفكرهم رغبة الأمير آتسر في الاستقلال بدولته وإنهاء تبعيته للسلطان ، وبذلك بدأت المرحلة الثانية.

• المرحلة الثانية : «٥٢٢ - ٥٥١هـ / ١١٢٨ - ١١٥٦م»

وتقسم تلك المرحلة إلى ثلاثة صدامات :

• الصدام الأول عام ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م :

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره حول تبدل العلاقات بينهما ، لنذكر كذلك رغبة الأمير آتسر خوارزمشاه في الاستقلال والقيام بكيان دولته ، وكانت أعماله تؤكد رغبته تلك ، ومنها : خضبة من بعض أمراء السلطان سنجر في خوارزم ، وقضمة على عماله بالإضافة إلى إلقاءهم في السجن

(١) عبد النعيم حسون : سلافة إيران والعراق ، ص ١١٦.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٢٨ ، ٢٠ : التويري : المصدر السابق

، ج ٢٦ ، ص ٢٧٦.

و غصب السلطان منجر من تلك الأعمال ، قاتلاً : « قد أراق دماء المسلمين بجند و منقلاغ قتي عرف أهلها بإختلاصهم في الدفاع عن الثغور في الإسلام ، وجهادهم الدائب ضد الكفار »^(١).

ما سبق جعل الطرفين على أهمية الاستعداد لنشوب الحرب بينهما ، لذا قام الأمير آتسز بإغلاق الطرق المؤدية لإقليمه من خراسان ، ثم بغراق المناطق المجاورة له بمياه نهر جيحون « وذلك عادة الخوارزميين في وقت الحرب ، وظلت فيهم حتى قضاء المغول عليهم » ، وخاصة بالقرب من مدينة هزلارسب لإعاقة جيش السلطان الذي كان آنذاك في مدينه بلخ ، لذلك لزم عليهم الاتجاه لخوارزم عن طريق الصحراء ، وذلك في شهر محرم عام ٥٣٣هـ / ١١٣٨م^(٢). ونشبت المعركة وهزم على أثرها الأمير آتسز وفر إلى الوادي.

• نتائج ذلك الصدام

أ - فقدان الأمير آتسز ما يقارب من ١٠ آلاف جندي ما بين قتل وجرح وأسير من جيشه الذي يتضمن عدداً كبيراً من الأتراك المجاورين ومن بينهم ابنه « إيل قتلغ » الذي أمر السلطان سنجر بتصفيته وإرسال رأسه لأبيه ، مما أثار ثائرة آتسز ، وبدأ في الاستعانة بمن يجاوره من جيوشه.

ب - ترك السلطان منجر على خوارزم ابن أخيه « سليمان شاه بن محمد » ولياً عليها ، وجعل له وزيراً واتباعاً وحاجباً وعاد بعد بقائه في

(١) رشيد الدين الرطولط : حقائق السحر في دقائق الشعر ، نقلة لأول مرة بالحرية إبراهيم أمين الشولوي ، القاهرة ، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م ، ص ٨ : التويري نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٦ ، ص ٣٨٥ : بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٧٤ : خولنكير : المرجع السابق ، ص ١٧١.

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٧٤.

أرض للمعركة لميوعا إلى مرو ، ولم تمر فترة طويلة على ذلك الأحداث حتى استعان أهل خوارزم بأسيدهم آتمز ، فانتهز الفرصة وعاد لخوارزم ، وهزم سليمان شاه الذي قر هارياً إلى السلطان تاركاً خوارزم^(١) . واستقرت الأمور في خوارزم وأطلق الأمير آتمز على نفسه لقب ملك ، وفي عام « ٥٢٥/١١٤٠م » حذب اسم السلاجقة من الخطبة ، وبكتاك العملة وأغيا في الاستقلال^(٢) .

ج- تؤكد المصادر أن من أهم نتائج تلك الحرب - وكما سبق وأشرت - استعانة الأمير آتمز بالقراخطاي - الخطا^(٣) . لانتقامه من السلطان

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧ ، الطويري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ٢١٥ ، أبو القردى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٣ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ١٩١ ، قرقمالي : المصدر السابق ، ص ٢٧٥ ، أحمد الصعيد سليمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ ، الصيد أحمد بن زيني تملان : المرجع السابق ، ص ٦٦ ، عبد الصمد حسني : المرجع السابق ، ص ١١٦ ، خواتمير : ص ٦٣١ ، مسكوفي قزويني : تاريخ كزينة ، المجلد الأول ، ص ٤٨٧ ، إيلورد جرافيل براون : تاريخ الألب في إيران من الفرسوسى للمعدى ، ج ٢ ، ص ٣٨٤ .

(٢) حمدالله مستوفي ، تاريخ كزينة ، المجلد الأول ، ص ٤٨٧ .

(٣) القفطاي «الخطا» : يذكر أنه «قرء» لفظ تركي معناه أسود ، وهناك احتمال ينكر أن الممول قد أطلقوا هذا اللفظ عليهم لعدمهم وكرهم لشدة الخط ، وهم من الشعوب الصينية التي بلغ عددها اثنين وعشرين قبيلة ، منها قبيلة الخطا وبلغ عددها مائتي ألف شخص ، ويقال هيرما خرجوا من موطنهم شمال جبال تيان شان ولونجة نهرى إلى قزوين ما بين بحر قزوين وألبانيس كور . في أوائل القرن ١٢م ، ولحقوا غرب إقليم التركستان ، وتكونت دولتهم المعروفة بدولة القراخطايين ، ويرجع تأسيس تلك الدولة إلى رجل يدعى هو شنه ويقال له الكورخان «ملك الملوك» أو جخان خانات ، وقد صار فيما بعد لقب القراخطاي : الطويري : المصدر السابق ، ج ٢٧ ، ص ٢٠٠ -

سجر^(١). وكانت علاقة أئمة بني طييه ، فهو حريص على دفع الجزية ومقدارها ٢٠٠ ألف درهم من الذهب كل عام ، مرفقا معها الجرية العينية ، ومن المرجح أن يكون السبب وراء استعائته بالقرأخطاي هي معركة قطوان نسبة إلى صحراء قطوان في شمال سمرقند ، وتمرده وعصيانه على السلطان سنجر ، باعتبارها معركة فاصلة في حياته ، فهي تمثل انتهاء مرحلة القوة للسلطان وبداية مرحلة الضعف والانهيار له أيضاً ، فصارت الكفة راجحة للقرأخطاي ، حيث فقد السلطان سنجر فيها عدداً كبيراً من جنوده بلغ عددهم ١٠٠ ألف رجل منهم ١٢ ألف من أصحاب العمائم ، وكذلك ٤ آلاف امرأة وعطى رأسهم زوجته «تركان حاتون» ، بالإضافة إلى أسر السلطان سنجر نفسه ، وحمله إلى الخان وبقلته عاملاً كاملاً لديهم وعلى الرغم من معاملتهم الطيبة له لم يمنع ذلك من ضياع ملك ما وراء النهر من يديه وتملك القرأخطاي لها^(٢).

= حاشية ١ : أبو الفرج جمال الدين ابن العبري : تاريخ الرمان «مصر» - بيروت ، (دار المشرق ، بيروت ، ١٩٤٩-١٩٥٦م) ، ص ٧٨ ، ابن خلدون المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الخامس ، ص ١٠٦٩ ، إقبال عباس الانتباهي : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ ، محمد فتوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٢٦ ، حاشية ٢ ، ص ٤٢ ، حاشية ٤-٥ ، وذكر ملكهم في المراجع الأجنبية تحت «ه-توتش».

Ye-Lui tashu or ye - Lu - char: Sir Percy sykes, history of Persia, p.49.

(١) ابن العبري : تاريخ الرمان ، ص ١٥٥.

(٢) رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص ٨ ، فتوي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ ، ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، (دار صادر ، بيروت ، ١٣٥٨م) ، ج ١ ، ص ٩٦-٩٧ ، ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، =

كذلك مهد الطريق للأمير آتمز إلى القيام بالحديد من الأعمال
وهي على النحو التالي :

أ - إغارته على المناطق الشرقية الواقعة بين كشمير وبخارا وكذلك تأليب
الأنظار الإسلامية على السلطان منجر ، ولقي كانت تابعة له من
قبل^(١).

ب - استهواذه على العديد من المناطق ، ومنها سرخس واتجاهه بجيشه
إليها ، ومقابلته للإمام «أبي محمد الزياتي» ثم اتجاهه إلى العاصمة
مرو الشاهجان ، وتقابل معه الإمام «أحمد البخاري» فشنق لأهل
مرو واستجاب الأمير آتمز لأوامره ، لذا جعل الجنود على ظاهر
المدينة ونظراً لثورة أهل مرو عليه وإخراج أصحابه وقتلهم ، دفعه
ذلك إلى قتالهم ومك للمدينة عنوة ، وجلس على عرش السلطان
ساجر ، ونقل خزانته وأمواله ، وكذلك غلمانه وفقهاء مرو إلى
خوارزم ، وكان من بين الفقهاء «أبو الفضل الكرماني»^(٢).

- القسم الأول ، ص ١٩٢ : نظام عروضي سمرقندي : جهر مقالة ، ص ١٠٧ ،
حاشية ٢٤ : عطا ملك الجويني : جهر مقالة ، ص ١٠٢ : بلر توك : تركستان
من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٧٧ : عبد القيم حسيني : المرجع
السابق ، ص ١٤٤ : دقوة المعزف الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ : رشيد الدين
بهرل الله : جامع التواريخ ذكر تاريخ آل ملجوق ، تصحيح ونسخة : محمد
روشت ، ومصطفى موسى : طهران ، ١٣٧٣ هـ ، المجلد الثاني ، القسم الخامس
، ص ٨٧ .

(١) عبد النجم حسين : سلاجقة إيران والعراق ، ص ١١٧ .

(٢) رشيد الدين الطولوطي : المرجع السابق ، ص ٨ : التويري : المصدر السابق ،
ج ٢٧ ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ : ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٥ ،
ذكرنا «أنه قد قبض على أبي الفضل الكرماني متقدم الحثيفين ، وعلى جماعة
من الفقهاء» : المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، القسم الأول ، ص

وبعدها صار إلى نيسابور وحدث بها ما حدث بمرو ، وتشجع
علماءها عنه وقيل ذلك ووافقوا على ذكر لسمه في الخطبة بدلاً من
السلطان منجر السلجوقي وإن كانوا قد ثاروا عليهم ثم ما لبثوا أن رجعوا
لصوابهم خوفاً من الأمير^(١) . ثم ثار بجيشه إلى أصفهان يهيق ، وظل
يحارب أهلها خمسة أيام تقريباً ، وبعدها نقض الجود فيوماً يهبر
ويملبر^(٢) . ثم عاد الأمير أتمز إلى خوارزم ، وخلق ولاءه وتبعيته
للسلطان منجر ، وبذلك أعلن استقلاله الموقت ، وجعل رشيد الدين
الوطواط العمري رئيس ديوان إقامته ونظراً لأن رشيد الدين كان
مصاحباً للأمير في كل ما قام به ، فبارك له ما فعله ، وقال :

= ص ٣٧ ، ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢١٨ ، قتلاً : « ابن عبد
الجيش الذي كان لخوارزم ٣٠ ألف مقاتل » ابن خلدون : المصدر السابق ،
ص ١٩٧ ، حافظ أحمد حسني : المرجع السابق ، ص ٦١ ، برون : المصدر
السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٤ ، رشيد الدين فضل الله : المرجع السابق ، ص ٨٧ .
(١) رشيد الدين الطواط : المرجع السابق ، ص ٨٧ ، ابن خلدون : المصدر السابق
، ص ١٩٣ ، محمد بن الخطيب الطلي : تاريخ الخطيب ، (باريس ، ١٩٣٨م)
، ص ٤٤٢ ، بارتولد : المرجع السابق ، ص ٧٧ ، ذكراً إلى نهب أتمز لمرو ثم
في ٩ نوفمبر ٥٣٦هـ ، وإلى كان لم يبلغ نيسابور إلا في مايو من العام نفسه
١١٤٢/٥٣٦م ، ويحكي تأخره احتشافية تمرضه للهجوم من قبل قفراطاي من
اضطره إلى المصالحة ونفع الجزية ، وذلك يتطلى مع استماتته بهم ضد
السلطان منجر ، وهناك منشور قد وجهه لأهل نيسابور قال : (إلى ما حاك
بسمير كان جزءاً وفقاً على فكرته الجميل الذي قابل به إخلاص خوارزمشاه
في خدمته ولا تدري لي كان ينفعه القدم فهو لن يجد عمداً أو سديقة لدولته
مثلاً) ، وتمت الخطبة له في ٢٩ مايو ١١٤٣/٥٣٨م : عطا ملك الجويني ،
المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

(٢) التبريزي : المصدر السابق ، ج ٢٧ ، ص ٢٠١ : التبريزي : المصدر السابق ،
ج ١ ، ص ٢٧ ، عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١١٧ .

عندما أقبل الملك إلى عاصمته وعرشه انتهى أمر السلاجقة وأل لهم^(١)

ولكن ما لبث الأمير أن قد ذلك الاستقلال المؤقت ، وذلك
برجوع السلطان منير السلجوقي واستعانة لسلطانه على خوارزم ،
وتوجه للعاصمة الخوارزمية ، وبذلك بدأ الصدام الثاني بينهما .

● الصدام الثاني «١١٤٢/٨٥٢٨» :

حيث طل الصدام قائماً بينهما وراء أسوار العاصمة الخوارزمية
هزاراسب «وتعني ألف جواد» حتى أوشكت على السقوط في أيدي
السلاجقة ، لولا لجوء الأمير آتسز إلى الاعتذار ، وإرسال الهدايا مع
أمرائه جيشه ، وطلبه للصلح محتثراً عما بدر منه ، فترك السلطان الحرب
، وتركه خوارزم وعاد إلى ديار ملكه^(٢) . وبعدما أعاد الأمير آتسز كل ما
أخذ من كنوز السلطان لعاصمته مرو ، وبقي على ولايته^(٣) .

(١) جون ملك آتسز تلت ملك برلند دولت بطريق ولي سر آمد

رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص ١٨١ ، مسعودي قزويني : تاريخ
گزیده ، المجلد الأول ، ص ٤٨٧ ، (لو أن كان قد اختلف معه في ميدان ذكر ذلك
البيت محتثاً ذلك بعد الصدام الأول بينهما) .

(٢) رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص ٨٠ ، التویری : نهاية الأرب في
ملوك الأندلس ، ج ٢٧ ، ص ٢٠١ ، ج ٢٦ ، ص ٣٨٦ ، لور السوردي : المصدر
السابق ، ج ٢ ، ص ٤٤ ، ذكر أن عام ٨٥٣٧ (هو العام الهجري ٤٥٣٧) حصر فيه
السلطان منير آتسز وأعلن طاعة له ، الفريزي : السلوك لمعرفة دول
الملوك ، ج ١ ، القسم الأول ، ص ٣٧ ، يارتوود : تركستان من الصين عبري
حتى الغزو المغولي ، ص ٤٧٨ ، حسين أمين : المرجع السابق ، ص ٨١ ، أحمد
الله مستوفي قزويني : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٨٨ ، خوانسمر :
المرجع السابق ، ص ٦٣١ ، محمد تقي مياقي : المرجع السابق ، ص ٨٠ ،
ميراثوند : روضة الصفا ، ج ٤ ، ص ٣٥٩ .

(٣) التویری : المصدر السابق ، ج ٢٧ ، ص ٢٠١ ، يارتوود : المرجع السابق ،
ص ١٧٨ .

• **الصلح الثالث للأمير آتمز مع السلطان سنجر** ٥٥٤٢/١١٤٧ م .

يرجع هذا الصلح إلى تلك الرسالة التي أرسلها الأمير آتمز بعد قبول السلطان سنجر لاعتقاره ، وكان مضمونها تلك القصيدة ، وهي :
أنه لا طائفة له بالحرب ولا يرغب حتى في الصلح مع الملك
والملك ملك الدنيا والعالم هزيمتي نيمت عسرا بل فنته^(١).

ونذكر من البيتين السابقين عدم مبالاة الأمير آتمز بالحرب ولا الصلح إلى جانب أثرته لغضب السلطان سنجر ، لذا فقد رد السلطان برسالة أرسلها مع الأديب صابر ذم فيها الأمير بكونه عاجزاً عن الصلح ، وكونه في حالة من الأمن والأمان ، وأن تحول السلطان سنجر عن العهد ليس من شيمه ، إلى جانب أنه لا يخشى عدوته ، بل يخاف الله في لراقه نساء المسلمين ، وواقع القتل بينهم.

وترتب على ذلك قرار الأمير بالانطس من السلطان عن طريق توكيل شخصين من القنوية الإسماعيلية لقتله ، وسوء حظه علم أديب صابر الترمذي بذلك المؤامرة ، فأرسل إلى السلطان رسالة مخبئة لسي هذا امرأة عجوز ، موضحاً فيها أوصاف هؤلاء ، وتم التعرف عليهم وقتلهم ، وكان جزاء أديب صابر على وفائه لسيده هو قتله بإلقائه في نهر جيحون.

(١) مرا يا ملك طفت جنگ نيمت
 بصلح ملك تيز آهنگ نيمت
 ملك شهيد يا رست وشاه جهان
 هزيمت شتن زو مرات كتييمت
 حمدانك لبي بكر بن احمد بن نصر مستوفي قزويني : تاريخ گريسته ، المجلد الأول ، ص ٤٨٨.

وبعد تلك المناوشات عزم السلطان منجز على محاولة التمسك والاتجاه إلى خوارزم^(١). فكانت الحملة الثالثة على خوارزم عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م ، فاتجه السلطان إلى العاصمة هرازاسب ، وحوصرت شهرين تقريباً وأثناء الحصار تم العديد من المراسلات الأنيبة بين كل من الشاعر أنوري «كاز في خدمة السلطان سنجر» وبين رئيس ديوان الأمير أنمز رشيد الدين الطوطاط.

ولدت البداية للشاعر أنوري الذي قال هذا الرثاء ووضع
على سهم وفاء على مدينه هرازاسب ، وقال :
أيها الملك إن ملك العالمين رهن إشارتك
ويدولتك وإقبالك قد كسبت العالم
فالיום أقم بحملة واحدة وخذ هرازاسب فداً
ستأخذ خوارزم ومائة شبيه بهرازاسب

(١) رشيد الدين الطوطاط : المرجع السابق ، ص ٨ ؛ بلرغوك : تركستان منفتح
للغربي حتى الفرو اتغولي ، ص ٤٧٨ ؛ إقبال جيلس الاشغاني : تاريخ إيران
بعد الإسلام ، ص ٢٨٦ ، فضلاً : عن أنجب صابر يكونه من قرمذ ، كان مانعاً
للملطان ، ثم بحث برسالة إلى الأمير أنمز ، ومكث في خوارزم فترة حتى تمت
تلك المواجهة التي دفع حياته ثمناً لكتشفها ، ص ٢٨٧ ، حاشية ٢ ؛ همدان
مستوفي القرويني : المصدر السابق ، ص ٤٨٨ ؛ خولنمير : حبيب العمير في
لخبار البشر ، ص ٦٢١ ، حيث اختلف معهم في كونه قد أرسل أنجب صغير لكي
يوقف صفات التمرد ، وخاصة عندما علم بنية أنمز في إرسال رجلين لاغتيال
السلطان ولم يشر إلى رسالة أنمز ؛ ميرخاند : المرجع السابق ، ص ٣٥٩ ؛
بلرغوك : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

فرد عليه رشيد الدين الوطواط قللاً :

لو قدر وكان خصمك هو البطل المعروف رستم

فإنه لن يستطيع أن يأخذ حملاً واحداً من جيفك الألف «هزاراسب»^(١).

وفي النهاية تمكن السلطان منجر من الاستيلاء على مدينة هراسب ، إلى جانب رغبته الأكيدة في التوجه لعاصمة الأمير آتسر لولا تدخل الوسطاء من لطماء والمشايخ للشعاعة له عند الأمير منجر ، ومن بينهم زاهد يدعى «أهر بوش» وتم الصلح مشروطاً بذهاب الأمير آتسر إلى ضفاف نهر جيحون لتقديم مزامم الولاء والطاعة ، وتم ذلك رغم أنه في مقابلته للسلطان منجر لم يترجل عن جواده ، ولم يقبل الأرض تحت أقدام السلطان ، بل اكتفى بانحناء رأسه ، ولم يشأ السلطان نشوب حرب أخرى بسبب قصوره في تقديم واجب الاحترام من قبل أحد أتباعه وعاد إلى مرو^(٢).

(١) أي شاه إسمه ملك زمين حسب تراست ولا دولت والبل جهان كسب تراست
امروز بیک حمله هزاراسب بگیر فردا خوارزم وصد هزاراسب تراست
بيت رشيد الدين الوطواط :

گر خصم توای شاه بود رستم گرد يك خور هزاراسب تو نثر نديرد
رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص ٩ ، ذكر أن السلطان منجر بمجرد
مساهمة بما قاله حتى أقسم على تمزيقه إلى مائة قسم ، وجد في قبضته عنه ،
فأخذ الوطواط على عطفه التفتل وفترحل من مكان إلى آخر حتى أدركه في
النهاية أنه لا راحة ولا استقرار إلا بموقفه لوطنه خوارزم ، لذا جد في البحث
حما يتشبع له عنده فكان «منتخب الدين بدیع الکاتب» الذي يصنع بسبع الإنشاء
والسندمة ، وانتبه الفرصة وحصل على المهر رشيد الدين ، حمداه مستوفي
القرطبي : المرجع السابق ، ص ٤٨٨-٤٨٩ ، حوتنمير : حبيب السير في
أخبار البشر ، ص ٦٣١ ، ميرخاند : روضة الصفا ، جزء الرابع ، ص ٣٦٠
(٢) أحمد اسعيد سليمان : المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٢٢٢ ، قبيل عبس الانثنياني
: المرجع السابق ، ص ٢٨٧-٣٠٢ ، بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٧٨ -

وبذلك فقد الأمير آتسر الأمل في فرض سيطرته على خراسان ،
لذا وجه اهتمامه إلى حوض نهر سيحون لاسترداد ما ضاع منه^(١) . وسما
مدينة «جند» التي حرص على استرجاعها مرة ثانية ، وكان حاكمها سبي
ذلك الوقت «كمال الدين بن أرسلان خان مصود» فأرسل له الأمير آتسر
من أجل التعاون معه للقوام بحملة في ربيع عام ١١٥٢/١١٥٤ م ، على
أراضي القبچاق الذين جعلوا من مدينته «صقاق» أو «صعلاق» مركزاً لهم
، لذا أخذ الجيش بذلك .

ولم كنت أرجح كونه فعل ذلك لإرهاب ذلك الحاكم ، بدليل أنه ما
إن علم بذلك حتى فر هارباً من المدينة ، فأرسل إليه مبعوثيه ووعده
بالعودة سالماً ، ولكن لم يمت الأمير آتسر بذلك وقضى ذلك الحاكم بقية
حياته في السجن ، ولم تتم تلك الحملة التي زعمها ، وبظراً لانشغال جنده
في استئجاب الأمن في مواضع أخرى تمكن الثوار من المدينة فقام الأمير
آتسر بمحاولة أخرى خارج المدينة ، وتمكن فولاده في أسبوع واحد من
اجتياز المفازة بين خوارزم وجند ، ووصلوا إلى ضفاف نهر سيحون
عند «صاخ نره» أي على مسافة عشرين فرسخاً «٢٠ فرسخاً» من مدينة

- دائرة المعارف الإسلامية : ج ٢ . ص ٢٢٢ ؛ حمدالله مسعودي القزويني :
تاريخ كزنده ، المجلد الأول ، ص ٤٨٩ ؛ خوافنمير : هيوب السمر ، ج ١ ،
ص ٦٢٢ ، والذي علق المصادر حول الذي ذكرته في مقابلة الأمير آتسر
للسلطان السلجوقي منجر عند ضفاف نهر جيحون فيذكر أنه قد أتى بجانب
جيحون ، وسار في مواجهة السلطان ونزل من على جوداه ، ومرع وجهه لسي
التراب ، واضرب بقلطته وجرحه ، ثم صلب بجانبه السلطان وقبأ بآداب
السلطان ، وكذلك أرسل هدية وهي متحة مائة من الصخر إلى الكبير
ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٤ ، ص ٣٦٠ ؛ رشيد الدين فضل الله : المصدر
السابق - المجلد الثاني ، الجزء الخامس ، ص ٨٧ .

(١) بارثولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩

جند ، وفي ٩ من شهر ربيع الأول عام ١١٥٢/١١٥٤٧ م ، شارك على أبواب المدينة حيث كانت الظروف مهيأة لصالحهم ، ولقد قر الثوار حرب عندما سمع بقرب مقدم للجيش ، أما بقية الثوار فقد انقسموا ويمين للمطاعة وتم العبر عنهم واستعاد مدينة جند مرة ثانية ، وولى عليها ابنه أبا الفتح إيل أرسلان^(١).

• الوضع في خراسان :

تقد كان الوضع مختلفاً تماماً وبسر في صالح الأمير أقمز ، حيث نشبت الحرب بين السلطان سنجر وقلائل الغز التركية عام ١١٥٣/١١٥٤٨ م ، نظراً لرغبة السلطان في إخضاع هؤلاء الرعاة لولاة دولته وإدارتها وجباية صرائبها من الإبرانيين ، ولكنه خرم شر هزيمة ، وظل لديهم ما يقرب من ثلاث سنوات^(٢).

وعلى إثرها دب الهرج والمرج في خراسان ، واستولى الغز على مرو عاصمة السلطان سنجر إلى جانب نيسابور ، لذا سبغت الفرصة لأقمز من أجل تحقيق حلمه ومحاولة ثانياً للسي الاستقلال ، وفرض سيطرته على خراسان ، إلا أنه أخذته الحمية فظهر بمظهر المدافع عن السلطة الشرعية^(٣) ، فلخذ على عاتقه تأمين حدود إمارته ، بطلبه ضم مدينة آمل إليه من حاكم آمل ولكنه لم يوفق ، وكذلك حملاته إلى جند ،

(١) حمدالله مستوفي القزويني : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ ؛ خوافنمير : المرجع السابق ، ص ٦٣٢-٦٣٣ ؛ بلوتولد : المرجع السابق ، ص ٤٧٨-٤٧٩.

(٢) بدر الدين العيني : السوف المهد في سيرة الملك المؤيد ، ص ١٧٨ ، (ولقد تكسر كونه قد أسر لديهم ما يقرب من خمس سنوات ، وإن كان ذلك يقتضض مسح تاريخ وفاته) ؛ خوافنمير : حبيب السور ، ص ٦٣٢.

(٣) مير خلدون : المصدر السابق ، ص ١٩٢ ؛ إقبال عيسى الانتقائي : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٢٨٨ ؛ بلوتولد : المرجع السابق ، ص ٤٨٠ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص ٨٦ ؛ دقرة المعارف الإسلامية : ج ٢ ، ص ٢٢٢.

وثلة حريصة متضلاغ ، وكذلك ضد التيجاق ، وأخيه «بنال تكين» الذي قام بالتحريض في نواحي بيهق ، وذلك من أواخر ديسمبر عام ١١٥٣م إلى آخر حريف عام ١١٥٤م ، ويحدها اتجاه إلى ضرورة تطهير السلطان سنجر من أيدي الغز ، بحضوره بما تبقى من جيش السلطان إلى ما وراء قنهر حيث حاكمها «ركن الدين محمود خان» وعقدوا اتفاقا على إنعاده ، وترك الأمير لتصرف على خوارزم لأنه «خطاي خان» نائب «صربيه»^(١).

ولقد ظل الأمير أتمز وابن أخت السلطان سنجر ركن الدين محمود خان ثلاثة أشهر في بعض نواحي سما وتشاوران في تنظيم المملكة^(٢).

وفي عام ٥٥٦هـ/أكتوبر-نوفمبر ١١٥٦م ، تمكن السلطان سنجر بمساعدة أحد قواده من الخلاص من أيدي الغز ، ووصل إلى مدينة ترمذ بسلام ، وما أن علم الأمير أتمز بذلك حتى أرسل رسالة يهنئه بسلامة الوصول والنجاة من هؤلاء الغز^(٣). وبذلك عاد لتبعيته للسلطان سنجر طالبا منه السماح بالعودة إلى خوارزم ، أو الذهاب إلى مدينة ترمذ بعد عودة السلطان إلى عاصمته مرو ، ويضم إلى جيشه لو يتكفى لسي خراسان.

(١) بارتولد : تركستان من أفصح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٨٠.

(٢) خوانسپور : المرجع السابق ، ص ٦٣٢.

(٣) النويري : مجلة الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٦ ، ص ٢٨٨ ، ذخيرة المصارع الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ، إقبال عباس الاشتياقي : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ ، ذكرنا أن الأمير أتمز بعد أن تلقى في خراسان مع الخاقان محمود رسالة وكذب لكل من نشأه الغزى استيهد طبرستان ، علاه اثنين حصير الغوري ، تاج الدين أبو الفضل ملك فيروز ، من أجل الدعوة إلى معاونة السلطان سنجر وتخليصه من حصاره.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل أرسلت رسائل على نفس وتيرة رسالة الأمير آتمز من أجل المصالحة والمصالحة من كل من «محمود حاكماً ما وراء النهر» وحاكم سجستان حاكم ولاية القور الجبلية» وتمت المصالحة عندما تقابل السلطان مع رسول حاكم سجستان في مدينة شهرستان ، وكذلك محمود خان في إحدى مدن خراسان وهي هيوشان»^(١).

وبل الأمر آتمز على تبعيته تلك حتى إصابته بمرض مات على إثره في جمادى الأولى ٥٥١/٢٠ يوليو ١١٥٦ م ، وكان عمره في ذلك الوقت ٥٩ عاماً ، ويذكر أنه في أيام مرضه وصله صوت شخص يقرأ القرآن وعندما أنصت لهذا الصوت سمع تلك الآية (وما تدرى نفس بأمر أرض تموت) .

ولقد بكاه رشيد الدين الطوطا فقال :

أيها الملك لقد كان الفلك يرتعد لرعدة فورك

وكان ينفاد لك طواعية ويستجيب لأمره

فإن واحد من أصحاب التنظر ينتظر في خبرك

وهل كان كل هذا الملك ليساوي هذه النهاية عندما غيبوك في قبرك^(٢).

(١) ابن خلدون : المعبر وديوان السبأ والغدير ، مجلد الخامس ، القسم الأول ،

ص ١٩٤ ؛ إقبال عباس الاستثنائي : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ ؛ بلزولد :

تركستان من فتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٨١ .

(٢) رشيد الدين الطوطا : حقائق المعبر في دقائق الشعر ، ص ١٥ ؛ خليل بن ليك

بن عباد الأديب صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٦ ، ص ١٩٥ ،

حيث قال آتمز عند الموت : ما قمى بقية ، هك عن سلطان به ، ابن خلدون

المصدر السابق ، ص ١٩٤ ، ذكرنا أنه توفي بعد أن تولى حكم ولاية سكتين

عاماً تقريباً ؛ إقبال عباس الاستثنائي : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ ؛ حوفندي

المرجع السابق ، ص ٦٣٢ .

وبذلك وضع الأمير آتمز الأساس الذي سوف يميز عليه خلفاءه من بعده وذلك بعد أن انتهت تبعية إمارة خوارزم للسلاجقة بوفاء السلطان مسجر في ربيع الأول عام ٨٥٥٢/١١٥٧م^(١).

ومنذ عهد السلطان إيل أرمسلان خوارزمشاه قامت دولة شاهنشاهت خوارزم بعد محاولات عديدة من أركانها في الاستقلال من تبعية السلطنة المغولية.

(١) النويري : المصدر السابق ، ج ٧٦ ، ص ٢٨٩ ؛ يافوتوك : المرجع قسميق ، ص ٤٨٢ ؛ ذخيرة المعارف الإسلامية : ج ١٧ ، ص ٢٤٩ ؛ عطا ملك الجويني : جهن گنا ، ص ١٦٧.

الفصل الثاني

دولة شاهات خوارزم

«٥٥٢ - ٥٦١٧/١١٥٦ - ١٢١٩م»

محتويات الفصل

مقدمة تهييدية.

أولاً . السلطان إيل أرسلان بن آتغر خوارزمشاه

«٥٥٢ - ٥٦٨ / ١١٥٧ - ١١٧٢ م»

أ - توسعت إيل أرسلان خوارزمشاه.

ب - إيل أرسلان ومحاوكة السيطرة على بعض مدن إقليم بلاد الجبل.

ج - إيل أرسلان خوارزمشاه وعلاقته بالفراخطاي.

ثانياً : أبو الطغر علاء الدين تكش خوانزمشاه

«٥٦٨ - ٥٩٦ / ١١٧٢ - ١١٩٩ م»

أ - الصراع على العرش بينه وبين ابن أخيه سلطان شاه أبو القاسم محمود بن إيل أرسلان.

ب - السلطان الخوارزمي تكش وسيطرته على إقليم الجبل.

ج - الثورات ضد الخوارزميين في إقليم بلاد الجبل.

د - حملته على مدينة بخارا واستيلاؤه عليها عام ٥٩٤ / ١١٩٧ م.

هـ - محاولة السلطان تكش الاستيلاء على مدينة مروخس.

و - السلطان تكش خوارزمشاه وصراعه مع التورين والفراخطاي عام «٥٩٤ / ١١٩٧ م».

ز - السلطان تكش ومحاربته للإسماعيلية الحشوية.

ثانياً علاء الدين محمد بن تكش خوارزمشاه

« ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ - ١٢١٩ م »

- أ - توليته لعرش خوارزم وصراعه مع ابن أخيه هندوختن.
- ب - الفوريون واستيلائهم على بعض أملاك الدولة الخوارزمية وموقف السلطان الخوارزمي من ذلك.
- ج - محاصرة السلطان علاء الدين خوارزمشاه لمدينة هراة وأسباب ذلك.
- د - استيلاء السلطان علاء الدين محمد على كل من بلخ ، والترمذ والبلدان المجاورة لها.
- هـ - العودة إلى هراة والميطرة عليها نهجاً علم « ١٢٠٨ هـ / ١٢٠٨ م ».
- و - استيلاء علاء الدين محمد خوارزمشاه على خزنة وأعمالها.
- ز - الفراغ من القضاء السلطان علاء الدين محمد على دولتهم.
- ح - الانسحاب العامة لإقليم بلاد الجبل واستعادته له منذ عام « ١٢١٧ هـ - ١٢١٨ / ١٢١٧ - ١٢١٧ م ».
- ط - السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه والخلافة العباسية وحملته على بغداد.

الفصل الأول

دولة شاهات خوارزم

مقدمة تهيئية :

تأولنا في الفصل السابق الكيانات السياسية شبه المستقلة التي قامت في إقليم خوارزم ومحاولات أمراء تلك الأسر للحصول على استقلالهم وتركهم لتبعية كل من الخزنين والسلاجقة ، ومجاهداتهم في بعض الأحيان في تحقيق ذلك ، ولو لغزرات قليلة نكاد لا نذكر ، ثم يعودون لتبعية تلك الدول مرة ثانية ، واستمر ذلك حتى البدايات الأولى المبشرة لتكوين دولة شاهات خوارزم المستقلة والتي تمثلت في مؤسس تلك الدولة التوشكنين وابنه قطب الدين محمد ، وحفيده الأمير أئمز والذي جاهد محاولاً أكثر من مرة الحصول على استقلال تلك الدولة ، وذلك كما وضعنا من خلال حروبه المستمرة مع أعظم سلاطين الدولة السلجوقية السلطان سنجر السلجوقي والذي بوفائهما حصلت الدولة على استقلالها بعد جهاد ضال لمدة ، وبدأ كيان تلك الدولة القوية منذ عهد السلطان إيل أرسلان بن أئمز والذي يعتبره المؤرخين أعظم وأول السلاطين العظماء في تلك الدولة.

أولاً : السلطان إيل أرسلان بن أئمز خوارزمشاه^(١) ٥٥٢ - ٥٥٦ / ١١٥٧ - ١١٧٢ م :

كان حاكماً على ولايتي جند وسغان في حياة والده^(٢) . وما أن ذاع خبر وفاة الأمير أئمز بن قطب الدين محمد بسحو أربعة أيام ، توجه إلى خوارزم فبليعه الأمراء وأركان الدولة في الوقت الذي كان فيه فريق

(١) إيل أرسلان - إيل لفظ تركي معناه ولاية ، أرسلان لفظ تركي أيضاً يعنى الأسد .

محمد القسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٢٤ ، حاشية ٢

(٢) حبيب الله شالموتي : تاريخ إيران في عهد تاهماسب ، ص ٤٣٦ ، خوانسمر

حبيب البحر في أخبار البشر ، ص ٦٢٢ .

يترجمه «الأتاك» «أغليك» وعدد من الأعيان يتلون بقولية سليمان شاه بن
 اتسر على عرشى خوارزم ، وتمكن إيل أرسلان من القضاء على مشرى
 الفتنة وجلس على العرش في الثالث من رجب عام ٨٥٥٢/١١٥٦م^(١).
 يؤكد ذلك ما ذكره بارتولد قائلًا : «قتل نفرًا من أعماله وسمل أخاه فمات
 بعد ثلاثة أيام وقيل : بل قتل نفسه»^(٢). وبذلك تولى إيل أرسلان ملك
 خوارزم بعد وفاة والده مباشرة^(٣). وبعد بطاعته للسلطان سنجر
 السلجوقي الذي كتب له ولاية خوارزم ، وظل على تلك الطاعة حتى
 وفاته ، وبعد ما صر إيل أرسلان أو سلاطين الخوارزميين
 المستقلين^(٤).

١- توسعات إيل أرسلان خوارزمشاه :

أخذ إيل أرسلان على عاتقه تنفيذ الخطة التي رسمها والده من
 قبل في السيطرة وفرض سلطته على خراسان ، وخاصة بعد وفاة
 السلطان سنجر أكبر مانع لتقدم الخوارزميين في خراسان ، بوفاته انتهت
 القوة السلجوقية في بلاد فارس وخراسان ، وانتشر الهرج والمرج في
 خراسان وما وراء النهر ، لذا توجه لعقد اتفاق مع ركن الدين محمود خان
 (خليفة السلطان سنجر) والذي لم يكن في مهارة السلطان السابق وذلك
 بتضيق من خلال تلك الرسائل المرملة من إيل أرسلان له ، والتي كانت

(١) ميرخواند : روضة الصفا ، المجلد الرابع ، ص ٣٦٤.

(٢) بارتولد : تركستان منفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٨٧.

(٣) أرمنشوس القبري : تاريخ بخارى ، ص ١٤٩.

(٤) حافظ أحمد حسني - القولة الخوارزمية والمغول ، ص ٧٢ : حبيب الله شمالوني .

المرجع السابق ، ص ٤٣٦ .

Ibrahim Kafeso Glu - Hakkı du Rsum. Yildizerdo Gan Mere,
 İİand Mehmet Saray, A short history of Turkish Islamic State
 Excluding the Ottoman State, p.154.

تدبيل بعارف «صديقك الأمين» في حين أن الأمير أتمز كان ينيل رسلته
للسلطان منجر بعبارة «عبيدك» وذلك يدل على رجحان كفة الخوارزميين
الذين تهيأت لهم الظروف لتحقيق أطماعهم الاستقلالية^(١).

وكذلك مرسلة إيل أرسلان لخليفة السلطان منجر وحشمه على
ضرورة الاستيلاء على خراسان ، لم يتمكن من ذلك بسبب الخلاف بين
الخليفة العباسي والسلطان محمد الملجوقي ملك سلاجقة الغرب^(٢).

وبجانب تلك السياسة السلمية ، هناك دوافع دعت السلطان إيل
أرسلان خوارزمشاه إلى الاشتباك والحرب لتحقيق أهدافه التوسعية في
خراسان ، ومنها :

١- الأمير «مؤيد أبي إيه» (أحد الأمراء التابعين للحكام القراخانيين)
والذي كان يحكم جزءاً من خراسان ، ثم بدأ في توسيع نفوذ
القراخانيين مما هدد ممتلكات إيل أرسلان ، لذا طلب المساعدة من
التركمان (القرلوق) فقاموا بمساعدتهم في الإغارة على سمرقند وبخارى ،
، وصدهم حاكم سمرقند وهو «جلال الدين» وقتل عدد كبير من
حملة الترك هذه^(٣).

٢- استعانة أبناء بيغوخان ولاجين (تكرين) وجمع آخر من زعماء
القرلوق بإيل أرسلان ، ومجيئهم إلى خوارزم بسبب تسف خان
سمرقند وقضائته على بيغوجان ، ولقد توافقت ذلك مع أهداف
خوارزمشاه ، لذا اتجه بهم إلى ما وراء النهر ، وبمجرد سماع حاكم
سمرقند حتى استدعى قاطني الصحراء من التركمان «من قرانقور

(١) خالد أحمد حصدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢٧.

(٢) حبيب الله شملوني : تاريخ إيران از ماد تا بهاي ، ص ٤٣٦.

(٣) حبيب الله شملوني : المرجع السابق ، ص ٤٣٧.

حتى نجده واستماتته أيضاً بالترخاى حيث أمده بـ ١٠ آلاف فارس ، وما أن وصل خوارزمشاه إلى بخارا حتى امتنع عنه أهلها فتوجه إلى سمرقند ، فاستعان خان سمرقند «بيلك» وأقاموا معسكرهم على ضفاف نهر سعد وتمت المواجهة ولكن حاكم سمرقند أرسل العلماء والفقهاء طالبين الصلح ومن المحتمل تمام الصلح ، وأرسل أسراء قزلبان إلى بلادهم باحترام وذلك عام ٥٥٣هـ/١١٥٨م^(١).

• عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م

ثم تكررت المحاولة مرة ثانية من قبل خوارزمشاه ، فصارت طائفة من عساكره إلى «أحجة» واجموا «جفرخان بن لؤك» ومن معه من الأكراد البرزية ، وقتلوا منهم الكثير وهزموهم ، وبعدها قصد السلطان السلجوقي محمود بن محمد القز لندجته ، وخاصة بعد أن لطم أن «اختيار الدين أيتاق» وراء تعرك الخوارزميين لمهاجمته^(٢). ولكن لم يسفر ذلك عن نتائج حاسمة سوى أنها قد أوضحت تبلل حال السلاجقة من القوة إلى الضعف ، وظهور قوة جديدة على مسرح الأحداث ، وهي الدولة الخوارزمية المستقلة.

(١) هامبري : المرجع السابق ، ص ١٤٩ ، حيث قال «في أيلول أرسلان قد تمكن من بخارى ، سلباً ، ثم حبر عن مولجة جيش سمرقند ، والذي كلل أخذه من التركمان ، لذا عاد إلى خوارزم دون الوصول إلى نتيجة حاسمة معه ، وبقي الأيوغور في حوزتهم الجزء الأكبر من بلاد ما وراء النهر وكذلك قرغانه ، أما الخوارزميون فقد قتموا بالإقليم الواقع عند حدود بحارى الغربية ويقسمد بهما بدى أموى ، فراقول ، جند من ناحية الشمال الغربى ، ميرخاقد - روصة الصفا ، ص ٣٦٤ ؛

M.A. Czaplicks : the Turkes of central Asia in history and at the present day, p.82.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

بـ : ايل أرسلان ومطوئته السيطرة على بعض مدن إقليم بلاد الجبل

إقليم بلاد الجبل - أو الجبل ، أو مقاطعة بلاد الجبل ، أو العراق العجمي - ويقصد به تلك الأراضي الواقعة على وجه التقريب بين تلك المدن الأتية وتوابعها زنجان إلى الشمال ، وأصفهين إلى الجنوب ، والري وقزوین إلى الشرق وهمدان إلى الغرب^(١).

أوضاع إقليم الجبل بصفة عامة .

كانت الصفة الغالبة على أوضاع إقليم الجبل هي الفوضى السياسية ، عدم الاستقرار الإداري ، وتغشي الحروب الأهلية مما تركب عليه انعدام الأمن ولقد استمرت تلك الاضطرابات ما يقارب نصف قرن من الزمان ، ومرجع ذلك ضعف الأتكية^(٢) . المحطين في ذلك الإقليم من سلالة

(١) محمد الفسوي : المرجع السابق ، ص ٥٣ ؛ محمد بن محمد خنفة مسطر القامدي : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي دراسة جديدة لمرحلة حاسمة من تاريخ المسلمين من ٥٧٥-٦٢٩ هـ ، (مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، الرياض ، ١٤٠١/١٩٨١ م) ، ص ٨١.

(٢) الأتكية : وهو يتلّف من لفظين مركبين ، وهما : اتا بمعنى أب ، بك بمعنى أمير ، والترك أبو الأمراء ، وترجع الأتكية إلى كونها من بقايا عادات التركمان القديمة التي أملاها السلاجقة ، فمرّب هذا اللقب ومنصبه منذ عهد سلاطينهم الأوائل ، وإن كانت لم تصبح نظاماً سلباً نتيجه إلا بعد وفاة السلطان ملكشاه فكان يعيّر لأولاده لأوصياء من أمراء السلاجقة ، وكانت تتكرر مهامه في بداية الأمر في الوصاية على الأمير والتمهيد بترثته ، وتعليمه . ولكن على مر السنين شملت مهاماً جديدة ترتب عليها تقسيم الدول إلى ولايات يستقل بحكمها الأتكية ومن مهامه في كثير من الأحيان كونه عوناً للملطان على الأمير ليحول بيده وبين الاستقلال ، ولتمتاز به في تعيينه للسلطة المركزية ، وبذلك اتسع سلطانه حتى انقسمت الدولة إلى وحدات إقليمية تسيطر عليها الأمراء ؛ حصن إسماعيل حسن ، على إبراهيم حسن : القنم الإسلامية ، (مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، القاهرة ، ١٣٥٨ هـ/١٩٣٩ م) ، ص ١٠٢ ، حاشية ١ ؛ حسن البلقا الأتخاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثر ، (قاهرة ، ١٩٥٧ م) ، ص ١٢٢ ٢٣

«بلنكر» ، فترتب عليه طمع أمراءهم الذين كانوا في الأصل ممالركهم يطمحون في تأسيس حكم مستقل في تلك الولايات التي كلفوا بالإشراف عليها ، لذا صار الصراع الدائم بين هؤلاء الأتابكة والأمراء الطامعين في الاستقلال من ناحية أخرى وتلك بدورهم إلى الاستعلاء بأطراف أخرى من أجل المساعدة والاعتراف بشيئها لهم ، وخير مثال على ذلك : لجوءهم إلى الخليفة العباسي طالبيين المساعدة ، ومنشورا يعطهم حكماً على ولايتهم^(١).

• أحداث ذلك الإقليم في عهد إيل أرسلان :

أولاً : عام «٥٩٠/١١٩٤م»

وليه قام الملك المؤيد^(٢) بإعداد الجيش واتجه إلى مدينة «نسا» ومحاصرتها في جمادى الأولى من العام نفسه لذلك أرسل إلى إيل أرسلان جيشاً لتلك المدينة ، وما إن قاربوها حتى تركها عساكر الملك المؤيد وعادوا إلى مدينة نيسابور أواخر جمادى الأولى ، فتبعها إلى نيسابور وتقابل الصكران وعندما سمعوا بتقدمهم تراجع عنهم الفولزميون ، وصار صاحب نسا في طاعة السلطان الفولزمي ، وخطب باسمه وذلك يعني تبعيتها للدولة الفولزمية المستقلة ثم توجه الجيش إلى «دهستان» وصاحبها الأمير «إيثاق» لو (إيثاق ، إيثاق) ، والذي لجأ إلى الملك المؤيد رغم الوحشة التي كانت بينهما ، فتعاون معه

(١) سعد بن محمد خنيفة سفر الفلدي : المرجع السابق ، ص ٨٧-٨٨.

(٢) الملك المؤيد - قال لدى السلطان سنجر السلجوقي ، (الذي أسر ركن الدين محمود رئيسهم) ، وهو ابن أخت السلطان سنجر وقام مقامه في نيسابور ، وقد اعتبره مبرحاً نادياً للسلطان في نيسابور ، وسملوا عليه لذا سمى إيل أرسلان على الانتقام منهم ، وحدث اللقاء فيما بينهم وذلك ينهيه إيهام لتكديهم ومحاصرتهم ، وفي النهاية تمت المصالحة ، وعاد إيل أرسلان مرة ثانية إلى خوارزم خراسان مير - حبيب السور ، ص ٦٢٢ ، ميرخون : المرجع السابق ، ص ٣٦٤

وسير إليه جيشاً حتى تمكنوا من دفع الضرر عنه وعن بلده من جهة
طبرستان ، وإلا هستان ، ويقرغم من ذلك غلبهم الخوارزميون ، وجعل
عليهم والياً تكلماً أهم يعمل بوظيفة لشحنة^(١).

ثانياً عام ١١٦٥/٥٥٦١م

بدأت أحداث هذا العام عندما أعطت ولده السلطان السلجوقي ،
وكذلك «مظفر الدين قزل أرسلان» أوامر بالتحرك نحو «نخجوان» ،
ووصلوا إلى أعالي طبرستان وفي منتصف شهر رجب ذهب الأتابك
والأمراء بجانب قلعة فيروزكوه ومازندران ، وكان السلطان قد غصب
من قتلغ إينالج الذي ذهب طالباً للمدد من السلطان إيل أرسلان
خوارزمشاه ، وفي الوقت نفسه توجه السلطان السلجوقي إلى همدان ، لذا
اتجه الأتابك مسرعاً إلى أنريجتل ، وأعطى أوامره بتحصين حصن وقلعة
طبرك وتجهيزها بالعديد من الآلات.

وفي عام ١١٦٦/٥٥٦٢م ، حصر السلطان السلجوقي إلى
«مزغار شويار» في زنجان في الوقت الذي ذهب فيه السلطان
الخوارزمي إيل أرسلان ومعه الأتابك قتلغ إينالج إلى العراق ، ووصل
مدينة الري وحاصرها لعدة أيام ، ولكن أيقن من عدم فتحه لها بسهولة أم
قتلغ إينالج فقد حاصر قلعة طبرك وتوجه نحو أبهر وزيجان ، ونظراً
لرغبة الخوارزميين في القتال لم يتوقفوا عنه ، واتجه إينالج إلى زنجان
بعد وصول الأتابك إيلدكز في أنريجتل الذي استعمل به قمر تبريز ، وذهب
السلطان السلجوقي إليه ثانية ، وما أن أدرك إينالج ذلك حتى فكسر فسي
النمرة ، وإن كان لم يبعد عن مدينة أبهر كثيراً.

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٣١٥-٣١٦.

كل تلك الأحداث قد أعطت الخوارجيين الفرصة للقيام بأشنع الأفعال من تهيب وأسر المسلمين في كل من أهر وزنجان ، وإخراجهم من قروين ما يقارب من ألفي من الجبال (٢٠٠٠) ونتيجة ذلك مقدم السلطان والأمراء والأتراك إلى هناك لتجنيبهم أما قتل إيتلاج فقد ذهب إلى جرجان ، وأحرق مرغزاي ونزل على حدود أستراباد ، وبعد كل تلك الأحداث التي لم تسفر عن شيء الخوارجيين عاد جيشهم إلى خوارزم من طريق دهستان^(١).

٤- إيل أرسلان خوارزمشاه وعلاقته بالقراخاني^(٢):

سبق وذكرنا العلاقة القوية التي كانت بين الأمير أئسل خوارزمشاه والقراخاني وحرسه على دفع الجزية المقررة عليه بانتظام^(٣). وبقياتها مستمرة في عهد ابنه السلطان إيل أرسلان ، ليكون في مأمن من شرهم^(٤). وعلى الرغم من عدم تحرره من تلك الجزية ، فقد حاول أن يضمن مساعدة سلاجقة العراق ليتخلص منها ، ولكن باءت جهوده بالفشل ولكن ما لبث إيل أرسلان أن امتنع عن إرسال تلك الجزية النقدية إلى جانب الهدايا وانحنى (الهدايا القيمة) مما ترتب عليه مهاجمة القراخاني لمدينة خوارزم ، ومنعهم الخوارجيون من اقتحام عاصمتهم ، وذلك بفتح بوابات السور وإحراق البلاد بمياه نهر جيحون^(٥).

(١) الرواسي : راحة الصدور وآية السرور في تلويخ الدولة المنجوقية ، ص ٤٦-

٤٢١ : رشيد الدين فضل الله : جامع التلويخ ذكر تلويخ آل سلجوق ، مجلد ٢ ،

ج ٥ ، ص ١٦٨-١٧٠.

(٢) انظر الفصل الأول من كتاب التقي من الكتاب ، ص ، حاشية

(٣) انظر : الفصل الأول من كتاب التقي من الكتاب ، ص ، حاشية

(٤) منهاج الدين بن عثمان بن سراج الدين محمد قاضي : طبقات المصري ، مجلد ١ ،

ص ٣٠٠.

(5) Ibrahim Kasfeso Glu : Hakkida Rsum, op. cit., p.154.

ولم يكف إيل أرسلان بتلك بل أعد حملة تحت قيادة قلنده «عينريك» وذلك عام «١٥٦٧/١٧٢م» الذي تعجل مواجهة هؤلاء الكفر ، وذلك قبل مقدم خوارزمشاه ، وفُزِم الخوارزميين وأسر قلندهم ، وعاد به ألفر حطاي إلى ما وراء النهر ولقد تصادف أن مرض إيل أرسلان في أثناء المعركة التي تعطلها قائده ، لذا رجع صوب دار الملك خسارزم ، وهناك انشك عليه المرض ومات في «١٩ رجب عام ١٥٦٧/١٩ مارس عام ١١٧٢م»^(١).

(١) ابن السباد العنيلي : أخبار الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٤ ، ص ٢٢٦ ، ذكر أن وفاة إيل أرسلان عام ٥٦٨ هـ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٣٧٥ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١٥ ؛ الذهبي : العبر في خبر من خبر ، تحقيق : صلاح الدين المنجد : (الكوفيت ، ١٩٩٢) ، ج ٤ ، ص ٢٠٢ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان النبأ والخبر في أيام العرب والمجم والبربر ومن عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ١٩٤ ؛ بارفول : تركستان من الفتح العربي حتى الحروب المغولية ، ص ٤٨٨ ؛ حبيب الله شملوني : المرجع السابق ، ص ٤٢٧ ؛ خزانة خير : المرجع السابق ، ص ٦٢٢ ؛ ميرخواند : المرجع السابق ، ص ٤٦٥ ؛

John Malcolm, K.C.B., K.L.S., : the history of Persia from the most early period the present time, vol.1, p.53.

ثانياً أبو الغضنفر علاء الدين تكش بن إيل أرسلان خوارزمشاه «٥٦٨ - ٥٩٦هـ / ١١٧٢ - ١١٩٩م»^(١)

أ الصراع على العرش بينه وبين ابن أخيه سلطان شاه أبو القاسم محمود بن إيل أرسلان

لقد استمر هذا الصراع ما يقرب من عشر سنوات^(٢). فكانت بدايته عندما تولى سلطان شاه محمود العهد من والده عرش خوارزم ، وسدنته في ذلك أمه «توكا خاتون» والتي أمدته بما يحتاج إليه من الجنود الذين أيدوه وتكاثروا حوله ضد منافسه في عرش خوارزم - وهو أخوه الأكبر علاء الدين تكش - الذي اعتبر نفسه صاحب الحق في العرش ، حيث كان مقيماً في إحدى الإقطاعات الحربية ، وهي مدينة «جند»^(٣). والذي كان رافضاً للتنازل عن حقه الشرعي في وراثة العرش ، لذا بدأ كل من الطرفين في الاستمالة بإحدى القوى الكبرى المجاورة لمساندتهم فاستعان علاء الدين تكش بالقرامقاي ، وكان وقتها متولياً

(١) منه نشأ : أصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، (بيروت ، ١٩٧٥م) ، ص ١٣٠
أ خولندمير : المرجع السابق ، ص ٦٣٤ . ذكر تاريخ توليته للعرش في ٢٢ ربيع الأول عام ٥٦٨/١١٧٣م
Ibrahim . op. cit., p.155; H.A.R. Gibb : Mahammedanism
Historical survey, p.107.

حيث اختلف معهم ذكر تاريخ توليته في ٥٦٧/١١٧٢م.

(٢) فامبري : تاريخ بغاري ، ص ١٥٠ ، (ولن كل شك وانقض نفسه مرة ثانية بأنها ضمنت ثلثي سنوات) ، ص ١٥١.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٣٧٧ : أبو القدا : تاريخ أبي القدا ، ج ٣ ، ص ٥٢ : الذهبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٩٧ : ابن خلدون : المصدر السابق : ص ١٦٤ : حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٢٣ : بارتوك : المرجع السابق ، ص ٤٨٨ : ميرخوند : المصدر السابق ، ص ١٩٤ : Ibrahim : op. cit., p.154.

تقاليد أمور الحكم ابنه الكورخان الأول وزوجها «فوما» وتعهدهم لهم بدفع
 الجزية المقررة عليهم في مواعيدها دون تأخير ، وتمت الموافقة بينهم
 بإرسال الجيش^(١) ، واتجهوا صوب خوارزم ، وفي الوقت نفسه استعان
 سلطان شاه محمود بمؤيد الدولة صاحب نيسابور الذي صار معه في
 جيش ضمهم حتى صار على بعد فرسخين من خوارزم عند مدينة
 «سوبرلي» والتي تم إغراقها ولم يتمكن جيش مؤيد الدولة من المعازة إلا
 في أفواج صغيرة ، فكان مصير الفوج الأول هو السحق ، ووقعه في
 الأسر على أيدي تكش الذي كان مرتبطاً بالقرب من المكان ، وأعدم عام
 «٥٦٩/١١ يوليو ١١٧٤م» ، وتمكن سلطان شاه من الهرب إلى دهستان
 ، فتعقبهم تكش واستولى على المدينة عنوة ، وقتلت تركان خاتون وعاد
 سلطان شاه مرة ثانية إلى نيسابور حيث حاكمها «طغانشاه» أبو بكر بن
 المؤيد. وتمكن تكش من العودة إلى خوارزم ، وجلس على عرش الدولة
 الخوارزمية^(٢).

(١) أبو الفدا : تاريخ أبي الفدا ، ج ٣ ، ص ٥٢ ، الذهبي : المصدر السابق ، ج ٤ ،
 ص ٢٢٦ ، حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٢٣ ، بارثول : المرجع
 السابق ، حيث ذكر في كلمة «فوما» يعنى بالصينية صهر الملك ، ص ٤٨٨ ،
 حاشية ٩٢٢

Henry H. Haworth · F.S.A., : History of the Mongols the 9th (the
 19th century, (London, 1876), p.7; Brigadier-General sir Percy
 Sykes : history of Persia, (London, 1912), vol. 11, p 53,
 Ibrahim : a short history of Turkish Islamic states excluding
 the ottoman state, p. 175.

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ١٩٥ ، محمد
 توفيق صادق : نشر خراسان من الفتح العربي حتى قيام الدولة المملوكية ،
 ص ٢١٥ ؛ Ibrahim : op. cit., p. 100.

وقد كلن ميرخواند رأي آخر في تلك الأحداث ، فهو يتفق مع المصادر العربية في استعانة تكش بالقرلخاي ووصل ذلك الجيش قرب حوارزم ، ولكن الاختلاف في أن سلطان شاه ووالدته بمجرد أن وصل إلى مسامعها وصول هذا الجيش حتى ترك هو ووالدته العاصمة وادّخ بالملك المؤيد وبذلك دخل تكش الجرجانية دون قتال وأعطى العرش في ٢٢ جمادى الأولى ٥٦٨هـ/للمائس من يناير ١١٧٣م.

ولقد نظم رشيد الدين اللوطولط شعرا يهنئه فيه بجلوسه على العرش ، فقال :

لقد قضى حقه على الظلم في زمانه وعزل والدك قضى على الإغريق
ولقد أصبح ملك بك لا تقا فسادا مستعسلا والحكم بين يديه
ثم يستكمل رايه عند استجداد سلطان شاه بالملك المؤيد ، وانتظار
تكش لهم قرب المفارقة عند قرية «سبارلي» ثم يتفق ميرخواند مع المراجع
العربية في بقية أحداث هذا الصدام ، والتي انتهت بمقتل «الملك
المؤيد»^(١).

(١) جنت وري زمانه از ظلم پشت
عزل پدرت شكستها كرد در سب
أي بر توفقای سلطنت آمده جست
هلق قلجة كخی كه بویت دولت تست
میرخواند : حبيب البحر في أخبار البشر ، ص: ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، بلر توك - تركستان
من الفتح العرب حتى تغزو المغولي ، ص: ١٨٩ ؛

Ibrahim : op. cit. p.155

ومع تطور تلك الأحداث اتجه السلطان شاه إلى الاستعانة بالغوريين^(١). ويعد أن استقبلوه بحفاوة أعلنوا عدم استعدادهم لمعاointه في صراعه مع أخيه^(٢).

وبدا تحكم القرطاي في علام النين تكش بسب تأخره في دفع الحرية ونقصه للعهد المزم بينهم ، وما أن سمع سلطان شاه بذلك حتى اتجه صوب الحطا طلباً للعون ، زاعماً أن كل خوارزم تؤيده ، فاستجاب له ملك الحطا ، وراسلوا معه جيشاً كثيفاً ، واتجهوا إلى خوارزم وما إلى علم تكش بذلك حتى أمر بإغراق الطرق بمياه نهر جبحون ، لذلك فشلوا في خطتهم ، فلقوا بالوم على سلطان شاه الذي طلب منهم مدداً للتجاه به إلى مرو ، وتمت الموافقة.

(١) الغوريون : الغور وهي في الأصل الغوز ، جبال وولاية بين سديتي هراء وهرة ، ولكبر ما في تلك المنطقة قلعة وهي غروركوه ، والتي كانت مقراً لملوكهم.

أما عن أصل هؤلاء وتسميهم : فليس معروف على وجه الدقة ، وإنما المعروف أنهم شعوب جبلية مستقلة نظراً لصحية الوصول إليهم ، ولقد ادعى هؤلاء أنهم من أصل فارسي ، فهم من أبناء المصالح بطل الشاهنامه لدى الفرس ، كان أحد أجدادهم الأعلى النين يتسمون إليهم وهو شنب الذي اعتنق الإسلام على يد الأمير علي بن أبي طالب ، لذا يطلق على هؤلاء في بعض الأحيان أن شنب. وهم طافلان : الأولى ، ملوك الغور الذين حكموا في هراء نفسها وعاصمتهم غروركوه ، (ويطلق عليهم أن شنب) ، وثانية ، ملوك طمارستان وعاصمتهم بساي ، ومن أشهر ملوكهم السلطان غوري ، علاه غوري حيدر ، الذي هزم بهرام شاه القرشي ، وعلى إثرها تمكن من الحصول لمدينة هرة ، وثالث بلقب «جيهسوزر» محرق الدنيا ، الغوري : نهاية الأرب في معرفة الأئب ، ج ٢٧ ، ص ٢٨ ، حاشية ١ : القنطي المروضي السمرقندي : جهر مائة ، ص ٩٥ ، حاشية ١ : إقبال محمد الأستيني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٢١٠ ، طه ندا : دراسات في شاهنامه ، ص ٩٣ ، حاشية ١.

(٢) ميرخوند : روضة الصفا ، ص ٣٦٧.

ولتجهوا إلى مدينة سرخس التي اقتصرها على القصر الذين بها ،
وفانكروهم شر قتال وحاصروا قلعتها ، وما أن وصلت تلك الأنباء إلى
طغانشاه ، حتى تقدم بجيش من نيسابور وتوجه إلى سرخس من أجل
مواجهته ، ولكنه فشل في الصمود أمامه ، لذا عاد إلى بلاده ، وأطلق
«مراقوش» القلعة ، وعاد إلى بلاده ، وتمكن من المدينة واستولى بعده
على طوس ، ولقد أيد بلاتوود ذلك ، بل وحد تاريخ هزيمة طغانشاه
وذلك في ١٢ من شهر مايو ١١٨١م ، ثم توجه إلى مرو بعد أن أمر
الفرقة التي معه من القراخطاي بالعودة إلى بلادهم ، وكان حاكم مرو هو
«ديار الغري» الذي تحصن بالقلعة في الوقت الذي استولى فيها سلطان
شاه محمود على مرو^(١).

وفي عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م ، خرج السلطان تكش من خوارزم
متجهاً صوب خرمان ، وفي الوقت نفسه كان سلطان شاه متوجهاً بطريق
آخر على رأس جيش جرار صوب خوارزم ، فقام الخوارزميون بغلق
البوابات ، وما أن علم تكش بذلك حتى أمر بإعداد معسكر خارج مرو ،
ثم عاد مسرعاً ، وما إن وصل إلى ساحل أموية كان سلطان شاه قد
سيطر على مرو ، فتوجه تكش صوب شاه باج وظل معسكراً خارج
المدينة ما يقارب من شهرين ثم عاد إلى خوارزم ولزم في طلب أهين
الدولة وهم «شهاب الدين محمود ، سيف الدين مردانشاه ، خوانسالار ،
بهاء الدين البغدادى الكاتب» ، من أجل إتمام الصلح ، وتيسير سبل للتفاهم
مع منجرشاه بن منغانشاه بن مؤيد حاكم نيسابور ومنكلي يوسف ، ولكن
فرض هذان الحاكمان عليهم ولزمهم إلى سلطان شاه ، وظلموا نسي
للحبس طوال مدة الصلح بين الأخوين.

(١) ابن خلدون - الجبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص ١٩٦ ؛ محمد النسوي - سير
السلطان جلالت الدين منكبرتي ، ص ٦١ - ٦٢ ، بلتولد : المرجع السابق ،
ص ٤٩١ ، حصة ١٠ : ميرخواف : روضة الصفا ، ص ٣٦٧.

وخلال هذا الصراع أعد سلطان شاه جيشاً جزاراً وتوجه صوب شاديخ وبعد عدة أيام أدرك أن فتح تلك المدينة ليس سهلاً فتركها واتجه صوب «سيزور» فضيق عليهم الحصار ، ونصب المجانيق لذا سبوه ، ولكن لجأ إليه الشيخ «أحمد بنيلي» (زعيم رجال الدين وهو من أهل المتصوفة) ، لكي يشفع لهم عند سلطان شاه محمود ، ولقد تلقاه بالترحاب ، ودخل المدينة وعفا عنهم.

وفي عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، نزل السلطان تكش مرة ثانية خارج مدينة شاديا ونصب المجانيق وبدأ بمعركة حامية ، أجبر على أثرها منكلى إلى اللجوء لشفاة الشفاء من أجل الأمان ، وقبل تكش تلك وخرج منكلى منها في ٧ ربيع الأول ، بعد أن أعاد كل ما كان قد سلبه من الناس ، ثم سلم إلى الإمام «فخر الدين عبد العزيز الكوفي» الذي حكم عليه بالقتل ، وما أن تم استخلاص مملكة نسا بور ووضعها تحت تصرف ابنه الأكبر «ناصر الدين ملكشاه» عاد إلى خوارزم ، وما أن علم سلطان شاه بذلك حتى أعد حملة واتجه إلى شاديخ ، فضاق ملكشاه من محاصرته ، لذا أرسل رسلاً إلى والده ، وعلى إثرها اتجه تكش صوب تلك المدينة ، وما أن وصل إلى نسا وعلم سلطان شاه بذلك حتى أحرق المجانيق واتجه إلى مرو ، ونزل تكش بتلك الولاية واعتلى بالرهبة وعمر ما حدث من خراب ، وذهب إلى مازندران ليقضى الشتاء هناك ، ولذئب الأمراء حولته ونالوا عطشه ، ثم اتجه صوب حراسان ووصل إلى راندان وأقام في قصر السلطنة وأجزل المطاء وحقق آمال الناس ، وإن كانت آثار الفتنة بين الأخوين ظلت موجودة وعندما هزم سلطان شاه في معركة مرو الروذ وتصلبت قوته فلم ياتعل كل على نقض العهد الذي عقده بينه وبين أخيه منذ زمن ، إذا تحرك تكش من خوارزم إلى تلك الولاية المتواجد بها ونزل عند مريض التي بها خزائن وأموال سلطان شاه واستولى على المدينة والقلعة وحرب برجها وحصونها ، ثم توجه

صوب رانكان واستولى على كل أرضيها ، ثم تم الصلح مرة ثانية بينهم
وأعد إصلاح قلعة سرخس وعمرها بالرجال والأسلحة وعاد تكش إلى
مقر حكمه وجلس على عرشه موقفاً^(١).

ومن الجدير بالذكر في ختام الصراع بين سلطان شاه محمود
علاء الدين تكش وجود تضارب بين ابن الأثير وابن خلدون ، ويتضح
هذا الخلاف في قول ابن الأثير ذكراً أنه في الوقت الذي فكر فيه سلطان
شاه محمود في الاتجاه إلى خوارزم بعد كل التوسعات التي قام بها كان
ذلك يراهن نفس توقيت صراع علاء الدين تكش مع طغرل الثالث
السلجوقي ، ولقد قلّوبه ومنعه أهل خوارزم لدرجة عدم استئذان
الاقترب من خوارزم ، لذا اتسحب منها ، وعلى أثرها عاد تكش إلى
مرو عام «٥٨٩هـ/١١٩٢م» طالباً أخيه وتردنت بينهما الرسل للصلح
وأثناء تقرير الصلح ورد رسول من متحفظ قلعة سرخس التي سبق
واستولى عليها سلطان شاه محمود يدعوه ليعلم له القلعة لكونه استوحش
من أخيه سلطان شاه ، لذا صار من خوارزم وتسلم القلعة وبعدها أثبت
المنية لسلطان شاه محمود في رمضان ٥٨٩هـ/١١٩٢م^(٢).

أما ابن خلدون فذكر تمكن سلطان شاه من خوارزم ومجيء
أعيانها إليه وكان معه «أبو غازي بن أخت عياث الدين الغوري» ولتموا
له فروض الطاعة والولاء وجعلوه الملك عليهم حتى وفاته عام
٥٨٩هـ/١١٩٢م ، في الوقت نفسه الذي علا فيه علاء الدين تكش إلى
خوارزم ليأخذ أمواله ودفائره ويعبر جيحون ويتجه إلى الغطيا تارك
خوارزم بكل سهوله لأخيه^(٣). وإن كان هذا أمراً صعب التصديق.

(١) ميرخوند : روضة السعيا ، ص ٣٦٩-٣٧٢.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٠٤.

Ibrahim, op. cit., p. 100.

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ١٩٩.

ب. السلطان الخوارزمي تكش وسيطرته على إقليم الجبل .

علام الدين تكش وقضاؤه على طغرل «الثالث» السلجوقي^(١).

وهو أحد أفراد أسرة خوارزمشاه ، ولقد بلغت الدولة الخوارزمية قوتها على أوجها واتسعت في الغرب حتى شملت ما يعرف بالعراق العجمي ، وخاصة بعد مقتل آخر سلاطين سلاجقة الغرب وهو «طغرل الثالث» ، وهم الذين خلفوا سلاجقة فارس وبسطوا سطوتهم ونفوذهم على بغداد^(٢).

الدوافع وراء اتجاؤه للتصاه على سلاجقة الغرب وطعمه في ملك العراق العجمي .

١- كون السلطان طغرل حاكماً تحت سلطة البيت السلجوقي وسطوته ، وبدلت قوته تزداد لتصبح خطراً يهدد السلطان الشاه الخوارزمي كحاكم مستقل قوى تضم بلاده أراضي شاسعة تفوق في لشاعها ما كان يملكه السلطان السلجوقي ، وتؤكد من أن السلطان طغرل الثالث لو تمكن من تثبيت حكمه في كل من العراق وكرديستان ، سوف يتجه بعدها إلى خراسان ثم خوارزم في الشمال الشرقي ، ويعود الشاه الخوارزمي للتبعية السلجوقية كما كانوا من قبل.

(١) طغرل السلجوقي ، هو طغرل بك شاه بن أرسلان شاه بن طغرلوك بن محمد شاه السلجوقي ، صاحب أنريجان آخر سلاطين سلاجقة العراق منذ عام ٥٧١-٥٩٠/١١٧٥-١١٩٤م ، مكثه الظروف من العودة إلى همدان ، وتروجه من أرميه بهلول الذي ولاه على أنريجان ، ودفنه من ذلك فتاه والاستيلاء على أصفهان والفرز ونهب حصن ملوك إلى جانب طلبه للسلطنة من الخليفة العباسي ، ووافي بغداد ، ويكون على قمة الملوك السلجوقية ، ليس العبد الحديلي ، صدرت له في أنجيل من ذهب ، ج ٤ ، ص ٣٠١ : دائرة المعارف الإسلامية : ج ١٥ ، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) أبو الفدا - المعصر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٩ : قبايب حقي : تاريخ العرب «طغرل» - ج ٢ ، ص ٥٧٧.

٢ وصول رسول من الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، والذي تولى منصب الخلافة منذ علم «٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٢١-١٢٢٥م» إلى نكش خوارزمشاه يشكو إليه من طغرل الثالث ، طالباً قصده بلاد ، مقابل أن يحصل له منشوراً يقطعاه البلاد التي يملكها طغرل الثالث من قبل^(١).

وأيضاً من شك في أن الخليفة الناصر قد ارتكب خطأ سياسياً فادحاً باستدعائه نكش للقضاء على طغرل الثالث ، وذلك لأنه بعد تمكنه من قتله ، أعطى لنفسه الحق الشرعي في ملك السلاجقة لسي الأراضي الإسلامية ، فكانت البداية في ذكر اسمه على السكة ، ثم تطلعه إلى فرض نفوذه على بغداد العاصمة العباسية وأدى ذلك بدوره إلى تعارض بين سياسة العباسيين والخوارزميين^(٢).

٣- كذلك كان قدومه إلى بلاد الجبل «منطقة غرب إيران» أمراً حتمياً تمثلياً مع سياسته التوسعية ، وينتزع ذلك من اتجاهه أول الأمر إلى

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠١ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٣٠-٣١ ؛ حافظ أحمد حمدي : التتبع الإسلامي قبل عمرو الممالي ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٠م) ، ص ٤٧ ، ١٦٤ ؛ حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ١٧٠ ، ٢٦٩ ؛ أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والمضلة الإسلامية ، (الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٥م) ، ج ٣ ، ص ٤٠٣-٤٠٤ ، حيث تحدثت عن استعانة الأتابك ثرل أرسلان بالسلطان الناصر ضد سلطان طغرل الثالث ، وبالتالي فقد تحقق النصر عليهم ، ثم كانت المرحلة الثانية باستعانة الخليفة العباسي بالخوارزميين ضد السلاجقة في معركة أطلق عليها «معركة لري» التي قتل فيها طغرل الثالث.

(٢) حافظ أحمد حمدي - المرجع السابق ، ص ٤٧.

تلك المناطق ، وتمكنه من عقد الصلح مع السلطان السلجوقي
 طغرل مقابل تسليمه مدينة الري ، وكان لتكش ذلك ، وعاد بعدها
 إلى عاصمته الجرجانية بعد أن رتب عسكره بها لكي يحفظها
 ويدافع عنها إذا ما تعرضت لأي هجوم^(١) . وعين عليها كذلك واحداً
 من أرفع عماله في البلاط الخوارزمي وهو «طمنج
 الخوارزمي»^(٢) .

وبنكر ميرخواند أنه بمجرد وصول السلطان الخوارزمي تكش
 لمدينة الري . وبناء على مشورة بعض مسئولى الدولة رشحو الحد
 الأعلى لمعا ملك الجويني ليشرّف بتقريب يد السلطان الخوارزمي ،
 ومنحه ، ولقد سعد السلطان الخوارزمي بهذا المديح ، فاعم على منشأه
 هذا المديح وأعاد مرفوع الرأس ، وبمجرد شروق الشمس توجه صوب
 العراق ، ووصل إلى الحدود التي وقع فيها الصلح بينهما^(٣) .

ولكن ما لبث طغرل ثلث بعد فترة وجيزة من الاتجاه لمدينة
 الري ، ومحاصرة قلعة طبرك ، بحسبها واستولى عليها وقضى على
 جذور الفتنة في مدينة الري ، وقتل الحاكم الخوارزمي عليها وهو طمنج
 الخوارزمي الذي حملت جنته إلى خوارزم «واعقل كبار الأمراء
 الخوارزميين ، وأرسلوا أسرى إلى قلعة «فرزين» ورجع السلطان
 السلجوقي بعدها همدان ، وترك على الري رجلاً يدعى «خواجة معين»
 لهجم جماعة من الخوارزميين على نولج جرجان وبسطام ودامغان ، لذا

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٧ ، ص ١٠٦ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ،
 التاج الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠١ ؛ يارنولد : المرجع السابق ، ص ٥٠٠
 ؛ مستوفي قزويني : تاريخ كزينة : المجلد الأول ، ص ٤٧٦

(٢) ميرخواند : روضة الصفا ، ص ٣٧٤ ؛ حسن أمين : المرجع السابق ، ص ١٧٠

(٣) ميرخواند : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ .

انضم «حواجة مجين» السلطان السلجوقي ، وهاجموا الخوارزميين في حوار الري ، وأمر على أقرها خمسة وعشرين شخصاً من أمراء حوارزم منهم : «سلجوق» ، «صوتكشي» ، محمد خان وغيرهم» لذا استنجد الأتابك قتلغ إينالج^(١) للمرة الثالثة بالسلطان الخوارزمي تكش معتزلاً عن بدر منه من قبل^(٢) . ويسماخ السلطان الخوارزمي تلك حتى توجه للعراق . وكان السلطان السلجوقي معتزلاً بقوة على الرغم من كثرة بعض أمرائه عنه بدليل مراسلاتهم للتابك قتلغ إينالج ، وكذلك من كانوا في خدمته من العظماء فاثبت لهم «حتى تقابلنا على باب الري مسلحاً بالسلطان وتكون هذه المسألة مفحاً لآب هذان^(٣) .

ولقد زامن استنجد الأتابك قتلغ إينالج بالسلطان الخوارزمي وصول رسول من قبل الخليفة بمكو إليه السلطان السلجوقي ، وبعد بإقطاعه أعمال السلطان فيما بعد^(٤) .

(١) قتلغ إينالج : هو المؤمن السيد بن خطاب لوتركور الذي تذكر السلطان طغرل الثالث ذي القل الرابع برغم سوء حظه ، وقد سجن هذا القائل من قبل لمهاراته الاهتمام على شخص السلطان ، ولكن عفا عنه بعد ذلك وقابل ذلك بأهنية لخراسان وكتب السلطان الخوارزمي تكش أيمده بقوة بحارب بها بيده .
المسيري : تاريخ بخارى ، ص ١٥٩ ، حاشية ١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٠٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٠١ ؛ القرواني : راحة الصدور وآية القصور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ص ٥٠٦ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص ١٠٧ ؛ دأود المعرف الإسلامية : ج ١٥ ، ص ٢٣٠ ؛ ميرخوند : روضة الصفا ، ص ٢٧٤ .

(٣) القرواني : المصدر السابق ، ص ٥١٢ .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٠١ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

وما إن علم السلطان السلجوقي بوصول تكش إلى سمنان حتى توجه لربارة الأئمة وتجميع جيشه ، وإن كان يتضح مما سبق عساكره عنه ، ولم ينتظر لإتمام جمعها وإعدادها مرة ثانية وسار بمن معه لمقابلة تكش ، وكان وقتها قد تحرك السلطان تكش وجيشه من تيسابور إلى الري ، وللتقرب من الري وذلك في ٢٤ جمادى الآخرة لعام ٥٩٠هـ/١١٩٣م ونشبت المعركة.

وفي الجولة الثانية هجم السلطان طغرل الثالث بنفسه في وسط عسكر خوارزمشاه في الوقت الذي تراجع فيه الجيش عن سلاطيه السلجوقي ، وظل وحيداً مع صاحب المظلة ، لذا أحاط به عساكر الخوارزمية ، وألقوه من فوق فرسه واحتلوا رأسه دون مراعاة لحرمة سلطنته ، وحملت رأسه للسلطان تكش ، وبعتها من يومه إلى بغداد ، حيث ظل مصلوباً على باب النوبي عدة أيام^(١).

(١) ابن الصمد الحلبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٠١ ، ذكر أن عسكر مصر السلطان طغرل الثالث «أنه عندما التقيا عند الري جاذبه لشجاعة في عسكره ، فضربه بملاوك له بشيف فقتله وقطع رأسه وحمله إلى تكش» ، وإن كان قد ذكر في أغلب المصادر أن الذي حز رأسه هم أعداؤه من الخوارزميين ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ ، أبو القدا : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٩ ، ابن العربي : تاريخ الأرملة ، ص ٢٢٨ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٠١ ، الروافدي : المصدر السابق ، ص ٥١٢ ، ٥١٤ ، المنزوي : المنوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص ٤٠ ، حافظ أحمد حسني : دولة الخوارزمية والمغول ، ص ٣٢ ، حافظ أحمد حسني : الشرق الإسلامي قبيل لغزو المغولي ، ص ٦٤ ، بدرى محمد همد : تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، (مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٣م) ، ص ٦٠ ، حسين أمين : المرجع السابق ، ص ٢٦٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ج ١٥ ، ص ٢٣٠ ، محمد مصدود بديس : تاريخ العراق والشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول ، (ط ١ ، ١٩٨٢م) ، ص ٣٤ ، خواندمير -

بذلك قضى السلطان تكش على السلطان طغرل الثالث على حدود الري ، وسيطر على كل أملاكه ، وصار بين الرعية سيرة العدل والإصناف^(١). ثم صك النقود باسمه ، وتطور الأمر لتكون له السلطة الفعلية في بغداد^(٢).

وتلى ذلك إرسال الخليفة العباسي عسكرياً لتجنته ومساعدته في مهمته ، ولكن بقي بوعدة أيضاً ، وذلك عندما أرسل مع وزيره «مؤيد الدين أبي الفضل محمد بن علي البغدادي المنشئ» (مؤيد الدين القصاب) ، الخلع السلطانية^(٣). تلك كانت وجهة نظر المصادر العربية ، ولقد تعارضت معها المراجع الفارسية في أن الخليفة العباسي الماكر قد أرسل جيشاً مع وزيره الداهية عدده ثمانية آلاف فارس (٨٠٠٠) لطمعه في الاستيلاء على بعض مناطق العراق التي كانت تربطه بديولته العلوية في بغداد ، كذلك أرسل الخلع والتشريفات الغالية لكي يكون الوزير ملازماً لتكش ومراقباً لتصرفاته^(٤).

= المرجع السابق ، ص ٦٢٨ ، رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ،

ص ١٩٣ ، منهاج الدين مزاح : طبقات نصري ، المجلد الأول ، ص ١٣٠

- Brigadier : General Sir Percy Sykes, history of Persia, vol.11, p.53.

- States excluding the ottoman state, 155.

ثالثاً : إنه قد هزم طغرل الثالث آخر ملجوك حاكم فارس ، وأضرب لجزء

الأعظم فارس الشرقية لإمبراطوريته.

Tbrahim : A Short History of Turkish Islamic

(١) هو انديمير : حبيب السير ، ص ٦٣٨.

(٢) حبيب حتى : تاريخ العرب مطبوع ، ج ٢ ، ص ٥٧٨.

(٣) ابن الأثير - المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ : ابن خلدون . المصدر السابق ،

ص ٢٠٢ : يارقوت : المرجع السابق ، ص ٥٠١.

(٤) حرانمير : المرجع السابق ، ص ٦٢٨ ، حبيب الله شملوثي : تاريخ إيران الزماد

تأملوي ، ص ٤٣٩-٤٤٠.

وما إن وصل الوزير على بعد فرسخ من مدينة همدان عند منطقة «أسداباد» حتى ألتاقه للفرور ، وذلك بسبب تجمع العديد من الأكراد وجنود العرب حول خيمته ، وما إن علم تكش بذلك حتى أرسله في الحضور ، ولكنه فيما يبدو أن الوزير أرسل رسالة أوضح فيها موقف الخلافة ومشور الحكومة وخلعة السلطنة وتسليمها إلى كميل مصالح الأمم وأعظم بنى البشر «مسلح الوزارة» المكلف بإيصالها موضحاً المعانة والتمتع الذي عمله في هذا السبيل ، وتقديراً لذلك تحتم حضور السلطان تكش في عدد قليل من أعوانه لتسقبله في تواضع ، وتسير في ركاب الوزير^(١).

ولقد أضاف مرجع فارسي آخر أن الوزير قد أمر تكش بالحضور بدون سلاح إليه^(٢). ونتيجة لذلك ترددت الرسل بينهما ، مما فتح المجال لظهور المكائد التي تؤكد السلطان تكش أن ذلك مجرد حيلة لإحضاره عنده ، ليلقى القبض عليه ، وبالرغم من ذلك ذهب إليه تكش ، وما إن علم الوزير بذلك حتى فر هارباً إلى الجبال الغربية واستمع بها^(٣).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ ، ابن خلدون : المصدر السابق ،

٢٠٢ ، ذكرنا أن لا مزيد الدين جيني في أن تحضر أنت وتلبس الفلانة من

خيمتي» ، خوفنديز : المرجع السابق ، ص ٦٢٨.

(٢) حبيب الله شمالي : المرجع السابق ، ص ٤٢٩.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ ، ابن خلدون : المصدر السابق ،

ص ٢٠٢ ، بارتولا : المرجع السابق ، ص ٥٠١ ، خوفنديز : المرجع السابق ،

ص ٦٣٩ ، وقد اختلف معهم ذكراً أن السلطان تكش الخوارزمي قد أرسل هجراً

من الرجال الأنطاك إلى يديوه ، حيث توجهت صوب أسد آباد ، ومع أول

سدلم تهرم لين القصب ، وترجع دينور ورفع راية الانسحاب ، حبيب الله

شمالي : المرجع السابق ، ص ٤٢٩.

ومن المرجح أن يكون هذا التصرف الأھوج من قبل الوزير ،
والذي يتم عن كبريائه المتعطل في إصراره على مجئ السلطان
الخورزمي إليه مما جعل الشكوك والوساوس تسيطر على السلطان من
كون تلك مكيدة للتخلص منه ، وقد تأكد ذلك للشعور أدبية بعون الوزير
ومن معه من الجنود خوفاً من النطش به ، ومن المؤكد أن يكون لطبائسة
ابن القصاب ، وكذلك السلطان تكثرت دور رئيسي في أحداث سوء
التصرف الذي بدر من الوزير ، وإثارة الحاكم الخورزمي على الحليفة
ووزيره^(١). وعندما وجد تكثرت ذلك ترك الوزير واتجه إلى همدان ،
وبوصله انهارت سلطة السلاجقة في العراق وكردستان ، واستولى على
المراق العجمي ، وسبع ذلك بالصيغة الشرعية ، وذلك بمجرد حصوله
على التقليد الخلفي واعترافه بالخوارزميين في تلك المناطق^(٢).

وثررت على ذلك إقطاعه الكثير من المدن لأمرائه فجعل على
الري ابنه «يونس خان» الحاكم العام للمنطقة عن والده ، والذي جعل من
مدينة الري مقراً لإدارة شؤون المقاطعة الجديدة ، وجعل عليها أحد تقائمه
وهو الأكاذيب مياحق ، وجعل قتلح لينانج على أصفهان ، أما السلطان تكثرت
لقد رجع إلى أطراف مبعوث من أجل محاربة الأكراد وسحقهم^(٣).

(١) سعد بن محمد حنيفة مسر القلندي : سقوط الدولة الجبلية ، (ص ١٨٠ ، ١٨١م) ،
ص ٨٤-٨٥.

(٢) حبيب الله شملوني - تاريخ إيران از ماد تا پهلوی ، ص ٤٣٩ ، قسلاً «ال»
أصبحت همدان ، الري ، أصفهان وأجزاء أخرى من موكر إيران كلها تحت
سيطرة خوارزمشاه.

(٣) حبيب الله شملوني : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ ، خولندميز . المرجع السابق ،
ص ٦٣٩ ، سعد بن محمد حنيفة : المرجع السابق ، ص ٨٩.

وانت لختلفت المصادر العربية في المنطقة التي لقطعها السلطان
الخوورمي نكش قتلغ لينانج الذي سلم له مدينة همذان وبعدها عاد إلى
خوارزم^(١).

• تحركات الوزير القصاب وسراعه على ملك العراق العجمي مع نكش
خوارزمشاه

تمكن ابن القصاب من الاستيلاء على بلاد خوزستان وملكها ،
وعلى كثير من بلاد فارس ، وقبض على بني شمله وأمرائها ، وبعث بهم
إلى بغداد ، ثم سار إلى مهستان من أصل خوزستان ، ولحق به قتلغ
لينانج بن البهلوان صاحب البلاد ، وذلك بعد أن غلبه خوارزمشاه هو
ومن معه من الأمراء بعد إظهارها للعصيان ، لذا توجه إليهم من الري
ابن السلطان نكش «يونس خان» في عدة كلمة ، وما إن رلوا حتى فروا
هاربين إلى بغداد ، وتقبهم وقللهم ما بين قزيتي «محمدى وسامين»
واستعدوا للمعركة ، واشتركوا فيها في شهر عام ٥٩١/١١٩٤م ،
وبفراهم إلى بغداد تحقق النصر للخوارزميين ، وبالرغم من ذلك فقد
أحدث العراقيون العديد من صور الخراب والدمار ونهب الأموال من
ولاية العراق.

وعلى هذا فقد انضموا إلى ملك «الأيوه» وحضروا عده وانفقوا
على ذهاب الحاجب الكبير «شمس الدين محمد بن محمود الكنجري» إلى
للخلافة ببغداد ، ومعه بعض من أعيان العراق ، وتعاقدوا مع وزير

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ ؛ أبو القدا : المرجع السابق .
ج ٣ ، ص ٥٢ ؛ ابن الجري : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ ؛ ولر اختلاف في ذكره
لسم الأتليك وهو هوتولغ لينانج بن البهلوان سلطان همدان سابقا ؛ غير خلون
: المصدر السابق ، ص ٢٠٢.

الحلقة^(١). الذي أمددهم بما يحتاجون إليه من الخيل والخيل ، ثم ساروا إلى كرمشاهان ، وانطلقوا في جيش عده خمسة آلاف جندي (٥٠٠٠) إلى دار الملك همدان ، وأغاروا على ما بقي من العراق ، وكان بالمدينة أن جوارزمشاه وقتلته ، وما أن قاربها الوزير حتى تركها للخوارزميون ، وتمكن منها الوزير عام ٥٩١هـ / ١١٩٤م ، ثم قصدوا مدينة الري ولبس بواجههم «يونس خان» بل اتجه إلى مدينة جرجان عارضاً الأمر على والده ، ولقد تعقبهم قلع ليناج ، واستولى على المدن التي جاوزها ، مثل : خرقان ، ومزدغان ، وسارة ، وآواه^(٢). لذا ترك الخوارزميون مدينة الري واتجهوا إلى مدينة «خولر الري» ثم تركوها إلى دافغان وبسطام وجرجان ، ولحقوهم ثم رجعوا عنهم بذلك تمكن الوزير من مدينة الري^(٣).

ومع توالي تلك الأحداث ، وبإغلاء أغلب بلدان العراق من الخوارزميين ، دب الخلاف بينهم «العراقيين وابن القصاب» وأعلن قلع العصبان على الوزير وحاصروا الري ودارت الحرب ، ولكن لم تنجح الروافض وعطهم «عز الدين النقيب» قواتهم «محاربتهم» ، وتمكن جيش بغداد من دخول المدينة حيث انتشر النهب والسلب ، وإن كان الوزير وجه إليهم نداء بالكف عن تلك التصرفات المشينة.

(١) الرواندي . المصدر السابق ، ص ٥٢١-٥٢٢ ؛ بدرى محمد فهيد : المرجع السابق ، ص ٦٠.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١١١ ؛ الرواندي : المصدر السابق ، ص ٥٢٢-٥٢٣.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١١١ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠٢.

وبعدها فر قتلغ إلى مدينة «أوت» أو كما نكرها الروافدي «بنة»
ومعه من دخولها شحنتها خلعى قشقة» ومن معه من الأكراد ، لذا
اتجه قتلغ وجمال الدين من بنة إلى همدان ، وما إن علم بمقدم السوزير
حتى توجه إلى مدينة الكرج ، واتخذوا بعدها طريق الري ، في الوقت
الذي ورع فيه الوزير الأسلحة على السادة والقضاة والأمراء قاتلاً لهم :
«كل شخص يريد أن يكون إماماً يجب عليه أن يقوم على قهر خصمه ،
وإلا يضر بروحه إذا ضاقت الأمور وتآزمت ، وكل ينشد هذا البيت :

تأخرت عن سبق الحياة فلم أجد نفسي حياة غير أن أتقدم
ولقد تقابلوا ووقع قتال بينهم ، وهزم قتلغ ليدافع ، وتمكن من
الدخول بنفسه^(١).

وعلى الرغم مما حدث لقتلغ لينتج فقد ذهب إلى الري والضيأ
نصيحة أخيه جمال الدين الذي قال له : «إن هذه الآفة هي وقت للكتابة
ولا يجدى فيها اضطراب ، ويجب أن تلجأ إلى مكان منزل حتى تمر
أيام البرص والنص» ولكنه لم يمتثل لأبيه وذهب واستولى على مائة
ومئتين ألف دينار من مخلفات «سراج الدين قهناز» وأخذ يعد العدة
والعتاد طمعاً في الملك.

وكان محمد خان ومياجق ومعهم مجموعة من الخوارزميين في
سمنان ودامغان ، قد أعدوا خطة للقضاء على قتلغ ليستهوا من ثوراتهم
المتكررة ، وكانت تتمثل في أن يطلبوا منه الانضمام إليهم ، ويعدوا له
بالإحلاص لخوفهم من بطش خوارزمشاه.

(١) ابن الأثير . المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١١٢ : ابن خلدون . المصدر السابق ،
ص ٢٠٢ : الروافدي : المراجع السابق ، ص ٥٢٤-٥٢٥ : بدرى محمد همد :
تاريخ فرق في العصر العباسي الأخير ، ص ٦١.

ويذكر الرواندي أن تلك المكيدة قد دبرتها بنت السلطان طغرل وروجة يونس خان ، لذا طلبوا منه إرسال طليعة جيشه إلى سرية ، وخرج منهم جماعة من الفرسان ، وتخلصوا منه ونجحوه نبح الشاه ، وينكر أن رجلاً يدعى «فخر الدين مرور» أخذ رأسه وجثمته وأرسلهم إلى همدان ، حيث دفن في جمادى الآخرة عام ٥٩٢هـ/١١٩٥م^(١).

• مقتل ابن القصاب واسترجاع تكش لأهله في العراق العجمي :

دول الوزير ابن القصاب قسراً بضاهي قصر خوارزمشاه في همدان ، وعين والياً يدعى «عماد الدين طغلو» وعندما كان ابن القصاب في قصر خوارزمشاه لفت نظره ألقاب خوارزمشاه ، ومنها لقب «كهف الثقلين» فأمر بإلقائه قتلًا : «من يكون هو حتى يكتب هذا»^(٢).

واستمر الوضع كما سبق وتكرنا لمدة ثلاثة أشهر ، وأرسله إليه السلطان تكش ينكر عليه ما فعله من قصده لبلاده وأخذها من عساكره ، طالباً منه إعادة تلك المدن ، عارضاً عليه الصلح ولكنه لم يلق أي استجابة من وزير الخليفة المملوكي. وعندما تكلم للوزير من مدينة الري اشتد عليه المرض ، وتوفي خارج همدان ، وذلك في غرة شعبان عام ٥٩٢هـ/١١٩٦م ، ودفن ليلاً في بوابة شورين ، وأحفوا قبره خوفاً من انتقام الناس منه لأفعاله الجائرة^(٣). وما إن علم أتابك السلطان

(١) الرواندي : رحلة الصدور وآية السور في ذكر لقولة المملوكية ، ص ٥٢١-

٥٢٨ : سعد بن محمد حذيفة مسفر القلندي : المرجع السابق ، ص ٩٧.

(٢) الرواندي : رحلة الصدور وآية السور ، ص ٥٢٨-٥٢٩.

(٣) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٤ ، ص ٣١١ : ابن

لاثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١١٢ : ابن حنون : المصدر السابق ،

ص ٢٠٢-٢٠٣ : يارنولد : تركستان من الفتح العرب حتى الغزو المغولي ،

ص ٥٠٦.

الخوازرمي بذلك حتى راسله طلباً لإرسال ٢٠٠٠ أو ٣٠٠٠ فارس إلى مدينة الري ، وتوجه إلى همدان حتى أصر البغداديون على أخلاء قبر ورير الخليفة وأصروا على القتل لمدة شهر ، والخصين تركه قصر حوارمشاء ، وقتلهم ميلجق أكثر من مرة هزم فيها ، ولكن بعد ضعف البغداديين تحقق النصر له ، وبش قبر الوزير وقطع رأسه وأرسلت إلى تكش خوارزمشاء^(١) ، ثم راسل مهاجق أهالي مدينة همدان ، قائلاً لهم : « لا تعصوا السلطان واحذروا أن يحرق المدينة والولاية » ولكنهم لم يسمحو له بدخول المدينة فادخلوا لم يروا السلطان الخوارزمي ، لذا حاصر المدينة وأكثر من السلب والنهب ، وبعدها بثلاثة أيام وصل تكش إلى مشارف همدان في ١٩ شعبان عام ٥٩٢/١١٩٦ م ، وأرسل إليهم الرسل قائلاً « إن لم تصدقوا أتي وصلت فأرسلوا رسلكم إلى حتى يروني ويسلموني المدينة ، وإلا سوف استولي عليها بالقوة ، ولزيتل جميع معاملها ولا استثنى حتى توافها ».

ولم يتحقق الناس من ذلك إلا بعد صعود « ركن الدين حافظ » المنبر وتسمه بكون خوارزمشاء تكش في القصر ، لذا توافد عليه لقياء المدينة وأقمتها ، وأقدموا له الولاء والطاعة وبعدها أمر خوارزمشاء بقتل كل عراقي يلبس فلسوة خوارزمي التي اشتهر بها الخوارزمية عن غيرهم ، وذلك لانتحالهم شخصية الخوارزميين ، فخيرون على البلاد. وبعدها أدم عليه « مجير الدين البغدادى » برسالة من دار الخلافة ، وما إلى

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١١٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ؛ الروافدي : المرجع السابق ، ص ٥٣٠ ، والذي احتلف معه كل من ابن الأثير وابن خلدون في أن الذي فقد الأعلى للمعركة كان السلطان تكش خوارزمشاء ، وهو الذي قام بقطع رأس ورير فمظلموا بكونه قتل في المعركة ؛ خواتمير : المرجع السابق ، ص ٦٣٩ - ٦٤٠ .

علم خوارزمشاه بذلك حتى قام تعظيما واحتراما للخليفة الجلسي ، وابعده برسالة الخليفة التي قال فيها : «أن ملك أيبك وجيك كان معحة منا وبحر الآن سلمه إليك فاقنع به كما كان فيما سبق ، ولا تطمع في أكثر منه ولا تسأكتب إلى الأمصار فك خارج علي فينهض الناس قى سقر الليل نعروك ونرفق النداء».

ورد عليه خوارزمشاه قائلا : «وما لنا إلا شحنة من قبله ، ولكن احدائي كثيرون ، ولا أستطيع أن أبقى دون جيش ، وقد عرض صاحب الديوان أن مائة وسبعين ألف فارس من ألبان لا يقومون على العمل باليسر من الخبر ، فليتخلف الخليفة علي بمنحى ولاية خوزستان حتى يكون في تلك كفيلة لألبان».

وحمل مجبر الدين الرسالة ، ولكن وافته المنية في اليوم التالي ، وكان معه رجل فصيح القسان ، وهو شهاب الخوارزمي الذي أرسله للخليفة.

وبعد ذلك نظم السلطان الخوارزمي الوضع في تلك المنطقة بعد استعادتها لكان لابنه يونس خان دار الملك بهمدان ، وألحق ابنه الآخر جقر بخدمته ، ثم كُذِّ «مندر الوزان» رئيس الشافعية بالري منصب القضاء ، وتمركز بعدها لتنفذ أحوال مملكة أصفهان ، ثم كانت الضرورة تحتم عليه العودة إلى خوارزم^(١).

(١) الرواندي : المصدر السابق ، ص ٥٢٣-٥٢٦ ، ابن خلدون : المصدر السابق ،

ص ٢٠٣ ، بلرتولد : المرجع السابق ، ص ٥٠١ ؛ خواتمير : حبيب السير ،

ص ٦٤٠.

- أوضاع إقليم بلاد الجبل «العراق العجمي» بعد مقتل الوزير ابن القصاب وعودة خوارزمشاه تكش إلى خوارزم :

هناك أكثر من سبب حال دون توطيد السلطان تكش لدعائم حكمه الراسخ في إقليم الجبل ، منها :

١ - المعاملة القاسية واللقطة من قبل الحكام والموظفين الإداريين المدنيين والعسكريين والخوارزميين للأهالي مما جعل حكمهم غير مرغوب فيه^(١).

٢- تصرفات الوزير ابن القصاب التعسفية التي تمثلت في مصادرة أراضي الناس وأموالهم وإعلانها ملكاً للخلافة العباسية في بغداد ، ولم تذكر المصادر المعاصرة موقف الخليفة العباسي من ذلك التصرف بالذات وذلك نظراً لكثرة الأحداث وتتابعها في وقت قصير^(٢).

كان ذلك وراء حدوث العديد من الفلاكل والفتراعات التي بدأت تظهر في ذلك الإقليم من آن لآخر ، مما ترتب عليه عيشه الناس حياة مملوءة بالثبوس والشقاء من جراء تلك الحروب المتواصلة والثورات التي سلتحدث عنها فيما بعد ، والتي عرضت ممتلكات هؤلاء للذهب والسلب والابتزاز أيضاً^(٣).

(١) الروافدي : المصدر السابق ، ص ٤٤٧ ذكر أن تغز لم يرتكبوا في خراسان مثل تلك المظالم ، ومن تلك القصة التي ارتكبتها الخوارزميون مع العراقيين من أتله بغير حق ، ومن ظلم ومهيب وتخريب بحيث أنه لو فصل كل ذلك لمسأ طرفة كتب من حجم هذا الكتاب «قصد كتابه» : سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي ، المرجع السابق ، ص ٩٦.

(٢) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : أوضاع الدولة الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص ٩٤.

(٣) الروافدي - المصدر السابق ، ص ٢٧٧-٢٧٨ ، ٢٨٠-٢٨٢ ، سعد بن محمد حذيفة الغامدي : المرجع السابق ، ص ٩٦.

ج- الثورات ضد الخوارجيين في إقليم بلاد الجبل

▪ الثورة التي قام بها القنطرة قتلغ لينانج محمود ، والتي أُنشِدت قبل استقلالها في معركة بالقرب من مدينة زنجان بين قتلغ ولأتاك مياجق حسب رواية ابن الأثير^(١) . أو بين قتلغ لينانج ويونس حسب حسب رواية الرواندي^(٢) .

▪ ثورة أهالي أصفهان ، قبل انتهاء عام ٥٩٢هـ/ ١١٩٦م استجد أهالي أصفهان «في شخص صدر الدين محمود بن عبد الطيف بن محمد بن ثابت بن محمد الخجندی العميد الأسبق للمدرسة النظامية في بغداد» بان وصلت دعوة من كبار رجال مدينة أصفهان يحثون الخليفة العباسي على إرسال جيش لضم تلك البلدة إلى ممتلكات بلاده ببغداد ، وقد شجعهم على ذلك قلة الوجود العسكري في تلك البلدة ، وخاصة بعد رجوع السلطان تكتش إلى خوارزم وعودة الإقليم إلى حوزته ، وتركه لحاميات عسكرية على أمهات مدن ذلك الإقليم ، وكانت منها أصفهان. فيذكر ابن الأثير أن الخجندی كان يساعد الأيمن للوزير ابن المؤيد في تلك الحملة التي أرسلها الخليفة العباسي إلى إقليم البلد لغيرته بداخلها ، ولكونه من أهل البلد الأصليين ، فهو يتمتع بمكانة كبيرة بين أهالي أصفهان «أي يعتبر الحاكم الأعلى لأصفهان ، ناهي الكلمة عنهم» ، وقد شعر الخجندی بعدم قدرته وحده على طرد الحملة الخوارزمية المتصصة ، رغم قلة عددها من أصفهان ، لذا أرسل الخليفة العباسي بأنه على أتم الاستعداد لتسليم البلد إلى من يصل إليه من ديوان الخليفة من العسكر ، فاستجاب الخليفة العباسي لذلك وأرسل أحد مملوكه الأكثر لك وهو سيف الدين

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١١١ .

(٢) الرواندي : المصدر السابق ، ص ٥١٩ .

طغرل» على رأس جيش عده ألف رجل (٢٠٠٠ رجل) وصارت الحملة نحو أصفهان^(١).

■ ولقد زامن استجداد الأصفهانيين بالخلافة العباسية قيام ثورة أخرى صد الحوارزميين في مدينة الري بزعملة شخص يدعى هور النير على كوكجه» وهو أحد مملوك الأتراك محمد البهلوان والذي اتفق المماليك والأمراء على أن يترصدهم كوكجه هذا ، فاستولوا على الري وما جاورها من البلاد ، ونجح كذلك في أخراج الحاميات العسكرية الخوارزمية من الري.

ثم رأي أن يصور بجيشه نحو مدينة أصفهان طالباً العساكر الخوارزمية ، وعندما قاربوها سمعوا بمقدم عسكر الخليفة العباسي عندها ، لذا فقد أرسل إلى مملوك الخليفة يعرض نفسه وخدمته في الديوان ، ولقد تقدم كوكجه وتبع الحوارزمية إلى طبرس (وهي من بلاد الإسماعيلية) ثم عاد وقصد أصفهان وملكها ، وبعدما أرسل إلى بغداد طالباً من الخليفة العباسي منشوراً بكل من : الري ، وخوار الري ، وسلوه ، وقم ، وقاجان ، وما ينضم إليها إلى حد مزدغن في الوقت الذي تكون فيه أصلهان وزنجان وقزوین لديوان الخليفة العباسي ، ووافقه الخليفة على ذلك ، وأرسلت له الخلع ، فعمم شأنه وهويت شوكته^(٢).

ومن المرجح أن يكون السبب وراء موافقة الخليفة على ذلك هو وعد المملوك كوكجه بأن يحكم البلاد باسم الخليفة العباسي ، ولقد وافقه

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٢٤ ؛ سعد بن محمد حنيفة العامدي : المرجع السابق ، ص ٩٦-٩٧ ؛ بدرى محمد فيد : المرجع السابق ، ص ٦٢.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١١٧ ؛ بدرى محمد فيد : تاريخ العراق في عصر العباسي الأخير ، ص ٦٢.

أيضاً على السماح له بإبقاء قوى عسكرية في أصفهان تحت قيادة أحد معاليكه الأتراك وهو جعفر الدين منقز الطويل» ولكن لم يستمر هذا الوسم طويلاً حتى استقل بجميع السلطات ، ولكنني بذكر اسم الحليفة والدعاء له في خطب أيام الجمع في إقليم بلاد الجبل^(١).

■ نورة الأتراك أوزبك بن محمد البهلوان «تتبعك أنريجان» : لقد أقام الأتراك أوزبك هو ومن معه من الأمراء وكبار رجال الدولة بإعلان طاعنتهم وولائهم للخليفة العباسي ملتجئين منه للحرن والنجدة وذلك بأن يرسل لهم من يقوم بتنفيذ سلطته في بلادهم وكان السبب وراء هذا التصرف هو تصرف القائد العسكري لحملات الفوارزمية «ميجاني» الذي كان يحكم المنطقة بشدة ونعسف نهاية عن السلطان تكش الفوارزمي ، من أجل استعادة نفوذ الفوارزميين على تلك الإقليم وفرض سلطتهم^(٢).

ولقد استجاب الخليفة العباسي لطلبهم فأرسل إليهم «أبا الهيجاء السمين»^(٣) ليكون القائد العسكري للقوات العباسية ، والذي فشل في المهمة التي كلف بها نسوء معاملته تجاه أوزبك وأتباعه ، وغضب الخليفة العباسي من فعلته تلك ، لذا خلف أبو الهيجاء من سيده فترك الخدمة عنه

(١) سعد بن محمد حنيفة مسفر القلندي : أوضاع الدولة الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص ٩٨.

(٢) الروافدي : راحة الصدور وآية السرور في تلخيص فتوة قسطنطينية ، ص ٢٩٠.

(٣) أبو الهيجاء السمين : لقبه حاكم الدين ، وهو رجل كردي من بلاد أربيل ، حيث كان في خدمة بني أيوب في مصر وهو من كبار الأمراء العسكريين في الجيش الأيوبي ، وكان قبل ذلك يشغل منصب إقطاع بيت المقدس والمناطق المجاورة ، سعد بن محمد بن حنيفة القلندي : المرجع السابق ، ص ٩٨ ، بدرى محمد الهدى - المرجع السابق ، ص ٦٤.

وهرب إلى مدينة أورل ولكنه مات قبل أن يصل إليها ، وقررت على فشل
 تلك القائد استطاعة للقائد ميلانجق فرض سلطانه على إقليم بلاد الجبل ،
 وبعد تمكنه من ذلك خرج على السلطان تكش الخورزمي وأعلن عصيانه
 وادعى استقلاله بحكم جميع الأراضي التي كانت تحت سيطرته^(١) . ثم
 أرسل ميلانجق إلى الخليفة العباسي الفاضل في بغداد يعبر عن ولائه ، أكرا
 أنه مجرد نائب من قبله .

وإن كنت أرجح أن غرضه من ذلك هو كسب الصفة الشرعية من
 قبل الخليفة العباسي^(٢) .

ونتيجة تلك الاضطرابات السياسية والثورات المتعددة ، وكذلك
 خيانة وتمرد قائد تكش ميلانجق أن خرجت جميع إقليم بلاد الجبل من
 سلطه الخورزميين ، لذا قرر تكش عام ٥٩٥/١١٩٠ م ، الاتجاه إلى إقليم
 بلاد الجبل لاستعادتها مرة ثانية ، ولقبض على قائده السلطان وقتله^(٣) .
 واستطاع تكش استرداد جميع أراضي إقليم بلاد الجبل حتى همدان غرباً ،
 وبعدها سورت الفلح من الخليفة العباسي لتكش خورزم شاه ، وولده علاء
 الدين محمد ، وتقليده بما في يده من البلاد^(٤) .

د - حملته على مدينة بخارا واستيلائه عليها عام ٥٩٤/١١٩٧ م

سار السلطان تكش إلى مدينة بخارى لأنقراؤها من الخطا
 (الفرغاطي) حيث كان سكانها من العرب البصريين بمصلون حكم
 الفرغاطي المخالفين لهم في العقيدة ، لذا وبمجرد وصول السلطان

(١) الرواندي : المصدر السابق ، ص ٣٩٦ ؛ سعد بن محمد حنيفة الغامدي - المرجع

السابق ، ص ١٠٠ ؛ بنو محمد قهد : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٢) سعد بن محمد حنيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٣) الرواندي : رحلة الصحور وآية السرور ، ص ٥٥٤ .

(٤) بر الأكبر : التكملة في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٥٢-١٥٣ .

الحوارزمي تكثف مرض الحصار عليهم ، فامتنع عنه الأهالي وقاتلوه مع القراخطاي حتى هزموه ، واقد وصل بهم التحدي أن لحضروا كلباً أعور و البسوه ثوب خوارزمشاه ، وطاقوا به على السور وطلقوا عليه حوارزمشاه (وخلصه أن خوارزمشاه كان أعور) ، ثم كفوه بالمنجنيق في معسكر عدوهم ، وصالحوا هذا سلطانكم.

لذا كان الخوارزميين يسيرون هؤلاء ويدعونهم بـ «جنود الكمار والمرتكين» وتمكن الخوارزميون في النهاية من اقتحام المدينة عدوة ، وعلى الرغم مما فعله هؤلاء «أهل بخارى» مع السلطان تكثف إلا أنه لا علا عنهم ، وأحسن إليهم ، ودفع لهم ذهباً ومالاً كثيراً ، ثم عاد إلى خوارزم بعدها^(١).

(١) ابن الأثير : المعتمد السابق ، ج ١٢ ، ص ١٢٧-١٢٨ ، ابن الجوزي : مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٢٥ ، أبو الفرج جمال الدين بن الجوزي : تاريخ الرمان ، ص ٢٣٠ ، أبو الفدا : المعتمد السابق ، ج ٣ ، ص ٩٢ ، عماد الدين أبي الفدا : إسماعيل «أبي كثير» : البداية والنهاية في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٦ ، ابن خلدون : المعتمد السابق ، ص ٢٠٥ ، حافظ أحمد حسني : الدولة الخوارزمية والمنول ، ص ٥٩ ، أحمد حليمة لاه : القاموس الإسلامي مجموعة للمعريف بمصطلحات الفكر الإسلامي ، المجلد الأول ، ص ٤٨٩ ، بارنولد : تركستان من الفتوح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٩٨ ، يوسف بارنولد عند ذهاب تكثف إلى مدينة بخارى ، وذلك قبل الحملة التي نحن بصدد الحديث عنها ، وهي عبارة عن رسالة وجهت من تكثف إلى بخارا ، وجاء بها أن خوارزمشاه قد عبر نهر امودريا وأرسل قوة إلى بخارا ، وأصدر أوامر عسكرية هناك بعدم التمرص للأهالي الأمن بسوء ، ولكن تجد مجموعة من الطغاة قد وقعوا في شباك الكفر في تلك الولاية ، واعتصموا بالمدينة على الرغم من أن خوارزمشاه كان حليماً مع هؤلاء الطغاة ولكم لم يستجروا له لذا بدأ يوم الثلاثاء -

٥ محاولة السلطان تكش الاستيلاء على مدين سرخس

اتضح ذلك من خلال تلك الرسائل التي كانت متبادلة بين السلطان تكش الخوارزمي والغوريين والتي انفرد بذكرها مارنولد دون أي مرجع أو مصدر آخر ، وإن كان ذلك المرجع قد اقتصر إلى التحديد الزمني لتلك الرسائل سواء للهجري أو الميلادي حيث لكتفي بذكر الشهور فقط ، وكذلك إلى تحديد الطرف الأول من الغوريين ، وأي من سلاطينهم كان يرأس السلطان تكش ، فذكر أن هناك رسالتين قد تمنا في خراسان في آخر شهر مايو في الوقت الذي كان السلطان تكش مشغولاً بمحاصرة مدينة سرخس^(١). وقد ذكر كما ذكر خواندمير عام ٥٨٩/١١٩٣م^(٢). في الرسالة الأولى يتحدث عن ثقته في سقوط مدينة سرخس في خلال أيام ، وبعدها سوف يتم المقابلة بينهما ولكن اتضح من الرسالة الثانية أنه لم يتمكن من تحقيق هدفه ، ويتضح ذلك من كون الرسالة قد كتبت عند باب مدينة سرخس^(٣).

٥٥٧٨ هـ ، الهجوم على المدينة وفتحوا الأسوار دون أن يتعرضوا للسكن الأمنين ، ولقد انتظر حتى صباح اليوم التالي من أجل الصلح والقبول ، وفي ساعة متأخرة حاول قائد العدو الهرب ، ولكن جند تكش تمكنوا منه وأسروه وولائه ، وكتبوا أكثر من (١٠٠٠ رجل) ووصلوا إلى خوارزمشاه لئلا يهجم عليهم استولى على المدينة. وهناك عهدان قد وقعا في تلك الواقعة : الأول ، يشكر فيه تكش أحد الأئمة وذلك حتى ما أبدله من ملابس في خدمة تكش أكثر من مرة ، والعهد الثاني : خالص بقتيبت الأمير «غور الدين» في منصب كان سبق وجبه فيها القندر برهان الدين ، وهي مناصب دوتية خاصة بالتدريس والإقامة والحطبة والإفتاء وشرطه في ذلك ذكر اسم السلطان عقب اسم الخليفة العباسي ، مارنولد : المرجع السابق ، ص ٤٩٢-٤٩٤.

(١) مارنولد : تركستان من القنح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٩٢.

(٢) خواندمير : حبيب السيرة ، ص ٦٣٧.

(٣) مارنولد : تركستان من القنح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٩٢.

و السلطان تكش خوارزمشاه وصراعه مع الغوريين والقراخطاي عام ١١٩٧/١١٩٤م».

وسبب تلك فتوحات السلطان تكش التي قام بها ، وخاصة في منطقة المراق العجمي «إقليم بلاد الجبل» ، وعلى أثرها فتحه لحاية العباسي الناصر لدين الله إلى الاستعانة بالغوريين طالباً عوْموماً ضد السلطان الخوارزمي وجيشه ، والذي تعرض بالأذى لجيش الخليفة العباسي وقائده الوزير ابن القصاب ، وطالباً للخليفة باسمه في بغداد ليحل محل ملوك الدولة السلجوقية بعد انتهاء عهد سلاجقة إيران.

وكان ذلك في صورة شكوى للسلطان الغوري الذي فتح ما لعله تكش ، ونهاه عن عدم الاتجاه إلى بغداد وهدده بأخيه سلطان شاه محمود ومسائلته في اخذ بلاده منه^(١). وكان رد فعل السلطان تكش هو الاتجاه إلى القراخطاي طالباً العون منه «وذلك كانت المرة الثانية التي طلب فيها العون منهم كما سبق ووضعتاه» ، يشكو إليهم السلطان الغوري قائلاً : «إنهم لم يتركوه فسوف يقصد بلاده ، ثم يقصد بعد ذلك بلادهم ، وبالتالي لم يتمكنوا من منعه ولا السيطرة عليه ، وخاصة في منطقة ما وراء النهر. وتمت الموافقة بينهما ، وأعد جيشاً تحت قيادة أعظم لواءه وهو «تانيكو» الذي كان بمثابة وزير لديه ، وعبر نهر جيحون في جمادي الآخرة من العام نفسه ، وكان وقتها وقت شتاء^(٢).

(١) ابن الأثير - المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٣٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص ٨٦٢ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠٤ ؛ بلوتوك : المرجع السابق ، ص ٤٩٧ ؛ بدرى محمد فهد : المصدر السابق ، ص ٦٢.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٣٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص ٨٦٢ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠٤ ؛ بلوتوك : المرجع السابق ، ص ٤٩٧.

• الجانب الثوري :

وكان ونهتا السلطان الغوري شهاب الدين في بلاد الهند ، أما السلطان غياث الدين ونظرا لإصابته بمرض الفرس الذي معه من الحركة ، فكان يحمل من مكان لآخر على محفة ، وذلك يعني عدم استطاعته واستداده لتلك الحرب لغرب شهاب الدين القائد الأعلى لجيشه ، ومعها أغلب جنوده.

ولقد شمرنا لكم النمل لعلهم يتقون ، وعبروا نهر جيحون حتى وصلوا إلى بلاد
الغور^(١) . مث : كرزبان وسرقان ، وغيرها من المناطق الأخرى ، وقتلوا
ونهبوا وأسروا خلقاً كثيراً لا يمكن إحصائهم^(٢) .

ولمظراً لقطاع أعمال هؤلاء اتصل الأمالي بالخوريين ، ولقد راسل الخطا حاكم ملك باميان ، وهو جهاء الدين سام بن محمد ، وخبروه ما بين تسليم مدينة بلخ ، أو دفع الجزية المقررة على المدينة من قبل.

(١) بلاد النغور : هي المنطقة الجبلية الواقعة إلى الشرق والجنوب الشرقي من همدان ، وإلى الجنوب من هرجستان وجوزجان أي المنطقة الجبلية الواسعة الواقعة بين كل من ولايتي هراء وغربة ، وهي عبارة عن وديان المنطقة الجبلية التي يطلق عليها الآن «كنه بابا» أي جبل بابا وسفيد كوه «الجبل الأبيض» ، وعن طريقها تتصل جبال خراسان بمنطقة جبال مفتوكوش ، إلى جانب أنها منبع للأنهار ومنها : تيزرميد ، لهريرود ، المرشاب التي جاور القسم الغربي منها ولاية هراء وكانت تسمى الفرجستان والجبال ، لهم متن وقرى كثيرة بؤتي منها الرافق والجوانس «الدرع» والأسمة الجيدة : مؤلف مجهول : حدود العالم من الشرق إلى الغرب ، ص ٨٠ ، التويري : المصدر السابق ، ج ٢٧ ، ص ٨٧ ، حاشية ١١ لوري حافظ عباس الأسفوني : علاقة خوارزم بالعالم الإسلامي خلال العهدين التيموري والسلجوقي ، ص ١٩٨ ، بارفود : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ ، نقلاً عن عباس الآشتيقي : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٢٠٩ .

(٢) لهر الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٢٥ ، يارثوك : تركستان من الفتح
أثيري ، حتى تغزو تمغولي ، ص ٤٩٧ .

وما إن عطلت الأمور حتى كتب عن السلطان الفوري غياث الدين الأمير «محمد بن جريك» وإلى الطالقان الذي كتب بدوره «الحسين بن حرميل» متولي أسر قلعة كرزبان ، واجتمع معهما كذلك الأمير «حروس الفوري» وتوجهوا إلى عساكر الخطا ، وتمكنوا منهم ، وذلك لأن من عادة القراخطاي عدم مغادرة مخيماتهم ليلاً وتركها دون حراسة ، لذا تمكنوا منهم وهزموهم ، ومات منهم الكثير منهم من كان مثائراً بجراحة ، ومنهم من ألقي بنفسه في مياه نهر جيحون خوفاً من وقوعه في الأسر ، وقد بلغ عدد قتلاهم ما يقارب اثني عشر ألفاً من الجنود (١٢٠٠٠ جندي) (١).

وبعد هزيمة القراخطاي قامت المفاوضات بين الفوريين والخوارزميين مقابل أن يعان السلطان تكش طاعته للخليفة العباسي ، وأن يعرض ما يهبه القراخطاي من الأموال ، وتمت تلك المفاوضات بنجاح ، وبذلك دخل السلطان تكش في طاعتهم كلاً : «ولما أنا فقد أصلحت الفورية ودخلت في طاعتهم ولا طاعة لكم عندي» (٢).

وما إن علم السلطان الفوري بوفاء السلطان تكش حتى أمر بعدم ضرب نوبته لمدة ثلاثة أيام ، وجلس للمراء (٣) ، وبذل ذلك على استمرار علاقات الورد والصداقة بين الخوارزميين والفوريين ، وكذلك احترام السلطان الفوري وتقديره.

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٣٦ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص ٨٦٦ ؛ فوري حافظ عباس المملوكي : المرجع السابق ، ص ٢٠٠.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ١٣٧ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠٥ ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص ٨٦٦ ؛ بارتولا : المرجع السابق ، ص ٤٩٨ ؛ فوري حافظ عباس المملوكي : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ ؛ بدرى محمد قيد : المصدر السابق ، ص ٦٣.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٥٦.

ز - السلطان تكش ومعرفته للإسماعيلية الحشيشية^(١)

لزيد نفوذ هؤلاء في العهد الساماني ، وخاصة في عهد السوالي نصر بن أحمد ، وكذلك أثناء حكم الديلمة من آل زيار ، وتعرضوا للضعف دون انتهائهم في العصر الغزنوي ، ثم تلاشي هؤلاء في عهد السلاجقة ، لكونهم على مذهب أهل السنة ، فاختلوا على عائقهم محاربة الإسماعيلية ، ولكن ما لبثوا أن عادوا للظهور ثانية في عهد ملكشاه علي بن زعيمهم الحسن الصباح بأحد أنصار المذهب النزارى ، وهو واحد من أفرع المذهب الإسماعيلي^(٢) وينسب إلى نزار بن المستنصر بالله الفاطمي «٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م» حيث حدث نزاع بين أبنائه على ولاية العهد ، وهما : نزار والمستعلي لذا أخذ أعوانه وأنصاره على عاتقهم نشر هذا المذهب بين الناس^(٣). وكان زعيمهم الحسن الصباح الذي رحل من

(١) الإسماعيلية الحشيشية : أطلق على هؤلاء العديد من المسميات منها الإسماعيلية لكونهم تابعين لإسماعيل جعفر الصادق ، وأطلق عليهم كذلك الجبلية لكونهم يطنون ما يظهرون بدلائلهم ، والملاحدة لأن مذهبهم واعتقادهم قائم أولاً وأخيراً على الاتحاد ، وأخيراً لقب الحشيشين نظراً لاستخدامهم مادة حشيش المفلح في التمثيل بقول من ينادون الدعوة : قللشندي : صبح الأضي في صناعة الإنشا ، ج ١٣ ، ص ٢٤٥ ؛ شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم النخعي «شاهي المعروف بأبي شامة» : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصالحية ، نشر وتحقيق : محمد طه محمد أحمد : (قاهرة : ١٢٨٧م) ، ج ١ ، ص ٥٢ ، ١٩٨ ؛ حافظ أحمد حمدي : الفترى الإسلامي قبل النور السولى ، ص ٧١ ؛ إقبال عباس الاشتراكي : المرجع السابق ، ص ١٢٥ ؛ أحمد عطية الله : قاموس الإسلامى ، المجلد ، ص ١٠٨ .

(٢) عبد القدير حصين : سلاجقة إيران والعراق ، ص ٧١ ؛ عبد الحميد أنجيلي رسائل إسماعيلية قديمة نادرة ، (مجلة المجمع العلمى العراقى ، ١٩٣٧٤/١٩٥٥م) ، المجلد الثالث ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ ؛ إقبال عباس الاشتراكي تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٢٥٤ .

الذي عام ٤٦٩هـ/١٠٧٦م ، إلى أصفهان ، وطاف العديد من البلاد حتى اتجه إلى إيران عام ٤٧٣هـ/١٠٨٠م ، وبدأ في الدعوة إلى المذهب الإسماعيلي واتخذ من قلعة «الموت»^(١) مقراً لدعوته وكثير مرابطه ، وتمكنوا من تأسيس العديد من المعاقل الكثيرة «القلاع» في أماكن جبلية في شمال إيران وشرقها في المنطقة الممتدة من حدود أذربيجان إلى كرمان خصوصاً في كل من ديلم وقومس وقهستان ، وكلها قلاع حصينة. وكان جيش الإسماعيلية يمثل بالحماس والاستعداد بالنصحية بالنفس في سبيل حماية الدعوة ، ومن بينهم - وهي أهم الطبقات لدى تلك الطائفة - الدلوية الذين استعانوا بهم في دعوتهم^(٢).

• مجاورتهم للدولة الغزنوية ودوافعهم للقضاء عليها •

تقع دولة هؤلاء إلى الشمال الغربي من دولة خوارزم ، وذلك يدخل ضمن الأسباب التي كانت وراء وقوع الصدام بينهما. وكذلك رغبتهم في القضاء على هؤلاء الذين طالما أهدثوا العديد من الفتن والمكائد التي كان لها دور في التأثير على علاقاتهم السياسية ما بين العباسيين ، وخاصة في عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله وابن تكش ، وكانت من الأسباب التي دفعت لإعداد حملته على بغداد^(٣). وبعد أن تمكن السلطان تكش من الاستيلاء على إقليم بلاد الجبل وجد من الضرورة الاتجاه إلى قلاع هؤلاء للملاحدة الذين كانوا في ذلك الوقت في قمة مجدهم.

(١) قلعة الموت الموت كلمة دبلوماسية معناها «المكمل الذي أُرشد عليه الخشب» ١

إبراهيم عيسى الاشتياقي : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ ، حاشية ٢.

(٢) فرري حلف جيلس المملوكي : المرجع السابق ، ص ١٩٦.

(٣) حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٧٢ ؛ عبد التعم حسن : المرجع

السابق ، ص ٧٢.

لذا وبعد أن رجع السلطان تكش وابنه قطب الدين محمد من محاربتهم للقباق وهزيمتهم بالقرب من مدينة «جند»^(١). توجه الاثنان معهم بعض الأشخاص الذين علوتهم في معركة بعض أسرار هؤلاء وبعدها قام بالإغارة على قلعتهم «وهي قلعة الموت» وهي التي فتحها السلطان أرسلان بن طغرل ، وأطلق عليها «قلعة أرسلان كشاي» بالقرب من قزوین فقتل عدداً كبيراً منهم ، وسيطر على مدينة قزوین ، وتسولى أمرها أحد أبنائه وشهرته «تاج الدين»^(٢).

وتكررت مهاجمتهم من قبل الخوارزميين مرة ثالثة بعد اغتيالهم لوزير «نظام الملك شمس الدين الشافعي» قاصداً قلاعهم^(٣).

وكان نائبه في البداية ابنه علاء الدين محمد من أجل تدمير قلاع هؤلاء الملاحدة ، لذا أعد الجلود لذلك ، وقام بمحاصره مدينة «ترشيز» وكاد يفتحها لولا وصول نبأ وفاة والده تكش الذي كان مصدباً بمرض الاختناق فعالجها الأطباء ونصروه بعدم الإرهاق ولكنه خالف ذلك ، وتوجه للملحدين ، وكان وقتها حاراً ، فما أن وصل إلى منطقة ندعى «جباب عرب»^(٤). وأغار على كل من قهستان وترشيز من أجل الانتقام لوزيره الذي اغتيل على أيديهم ، وذلك ليقتنهم بأنه المعرض الأول لاتجاه السلطان تكش إليهم ومحاصرتهم ، ولكنه مرض ومات عام

(١) برتوك : تركستان منفتح العربي حتى الفخو المخرلي ، ص ٥٢٨.

(٢) حبيب الله شافعي . تاريخ إيران فرمقا بهلوي ، ص ٤٤٠ ، ذكرنا تلك الأحداث في عام ٨٥٩٤/١١٩٧م ، واختلف معهم ميرخوند : روضة الصفا ، ص ٣٨٠ ، تحدث عن محاصره قلعة قزوین أربعة أشهر تقريباً ، وبعدها تم الصلح بينهم مقابل بركهم عن تلك المناطق المرتفعة ، وتوجهوا صوب الموت.

(٣) حمدالله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر المصنوعي القزويني : تاريخ كريدة ، المجلد الأول ، ص ٤٩٣.

(٤) ميرخوند : المرجع السابق ، ص ٣٨٠-٣٨١.

٥٩٦هـ/١١٩٩م ، وترك الجهاد من بعده لأبيه علاء الدين محمد^(١) . الذي
 م. إلى علم بوفاته حتى ترك لأحسان ، وتمت المصالحة ورفع الحصار
 عن مدينة ترشيز^(٢) . وعاد وذلك بعد أن صار صاحب خوارزم وبعض
 حراسان كاتري وبعض إقليم بلاد الجبل^(٣) .

ثالثاً علاء الدين محمد بن تكش خوارزمشاه « ٥٩٦ - ٦١٢هـ / ١١٩٩ - ١٢١٩م »

١ - توليته أمرش خوارزم ومراجه مع ابن أخيه « هندو خان »

كان من أبناء علاء الدين تكش « علي شاه » الذي كان متولياً أمر
 أصبهان وأضاف إليها خراسان ، وكان يونس خان متولياً أمر تاري ،
 وتاج الدين غوشاه ، نصير الدين ملكشاه « الذي توفي في حياة والده وترك
 ابنه هندو خان » ، علاء الدين محمد الذي استدعاه والده علاء الدين تكش
 عندما ائتم عليه المرض ، ولكنه حضر بعد وفاته فبايعه أعوان الدولة ،
 وتولى أمر خوارزم ، وتلقب بلقب علاء الدين محمد ، وذلك في ١٣
 أغسطس عام ١٢٠٠م ، ومرجع هذا التأخير تلك المفاسدة التي كانت بينه
 وبين ابن أخيه هندو خان ، والتي ترجع جنوبها إلى الخلاف الذي كان
 بين صه ووالده نصير الدين ملكشاه.

ونظراً لتهب هندو خان لغزائن جده وأمواله وذلك لوجوده بجانبه
 وقت وفاته إذا أعد علاء الدين محمد جيشاً تحت قيادة « جغتو التركي »
 وعلى إثرها حرب هندو خان إلى خراسان طالباً النجدة من السلطان
 الموري غياث الدين الذي أكرمه ووعده بالمساندة والنصر.

(١) ابن الجوزي : تاريخ الزمان ، ص ٢٣٢ ، حبيب الله شعالوني : المرجع السابق ، ص ٤٤ .

(٢) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ص ٣٨١ : ميرخاوند : المرجع السابق ، ص ٣٨١ .

(٣) ابن الجوزي : تاريخ الزمان ، ص ٢٣٢ .

ويواصل «جفر التركي» إلى مروا أخذه والده هندو خان وأبىءه
مكرمين إلى خوارزم ، لما السلطان الغوري غيث الدين قد راسل نائبه
في الطالقان ، وهو محمد بن جريك» طالباً تهديد القائد الخوارزمي ،
وبعد تمكنه من مدينة مرو الروذ والخمس القوي (بنج ده) طلب من القائد
الحوارزمي إقامة الخطبة باسم السلطان الغوري في مرو أو ترك المهلا

ولقد راسل القائد الخوارزمي السلطان الغوري مرأ طالباً الأمان ،
وكذلك تسلم تلك المناطق التابعة للدولة الخوارزمية مقابل أن يكون
حالكاً لديهم ولقد شجعت خيافته الغوريين على التقدم وطعنهم في أملاك
الدولة الخوارزمية معتقدين في ضعف السلطان الخوارزمي الذي تخلى
عنه قائده لذا راسل أخاه شهاب الدين للاتجاه إلى خراسان للاستيلاء على
أملاك السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد^(١).

ولقد ترتب على النزاع على العرش واتجاه هندو خان إلى
الغوريين ضياع بعض أملاك الدولة الخوارزمية.

ب - الغوريون واستيلائهم على بعض أملاك الدولة الخوارزمية ومواقف السلطان
الخوارزمي من ذلك :

بناءً على طلب غيث الدين الغوري لأخيه شهاب الدين ، والذي
أمره فيه بالاتجاه إلى خراسان وفتح مدينة غزنة إلى خراسان مصاحباً

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٥٧-١٥٨ ، ١٦٤ ، أبو الفدا :
المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٠ ، التوحيدي : نهاية الأرب في فنون الأدب ،
ج ٢٦ ، ص ٩٨ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ،
ص ٨٦٢ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، بلزوند . المرجع
السابق ، ص ٥٠٢ ، علق صخرة : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ،
ص ٩٨ ، ٩٩ ، سعد بن محمد حذيفة سحر القلمدي : لوضاع الدول الإسلامية في
الشرق الإسلامي ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، حبيب الله شعلوني : المرجع السابق ،
ص ٤٤١.

معه جنوده ولقد كان الأمير «عمر بن محمد المرغني» نقيبهم في مدينة هراة من المعترضين على زهابه لخراسان ، فلم يشجعه على ذلك ، وعلى الرغم من ذلك اتجه شهاب الدين بصلكره ، وكذلك عساكر من مدينة «سبستان» إلى قرية بين الطلقاتن وكرزيان وهي قرية (مبمنة) وذلك في جمادي الأولى عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م.

وتقابل مع القائد الخوارزمي «جقر التركي» الذي سبق وراسلهم من أجل تسليم البلاد ، واشتد القتال بينهم ، وحملوا عليه ودخلوا البلد وزحفوا بلغهم حتى قاربوا سور المدينة ، وما أن رأس الناس ذلك عنى طلبوا الأمان ، وتم لهم ذلك ، وخرج إليهم «جقر التركي» الذي وعدوه بالعودة الجميلة ، وتم تسليم المدينة وأعطيت إلى خدوخان ، واتجه جقر التركي مكرهاً إلى هراة.

ثم اتجه السلطان الغوري شهاب الدين إلى مدينة «مرخس» وتمكن منها وترك عليها الأمير «زينكي بن مسعود» وذلك بعد محاصرتها بثلاثة أيام تقريباً^(١). وكذلك مدينتي نسا وأبيورد ، وذلك لكونه من أولاد عمومته ، وتوجه شهاب الدين إلى طوس التي امتنع حاكمها عن تسليمها ، وظل مطلقاً بابها ما يقارب من ثلاثة أيام حتى ضاق أهلها فراسلوا شهاب الدين الغوري طالبين الأمان ، وتمكن منها ، وخلع أميرها ومسيره إلى هراة^(٢).

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٦٦-١٦٥ ، الفوري : المصدر السابق ، ج ٢٩ ، ص ٩٩ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص ٨٦٤ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠٧-٢٠٨ ، غياث صبره : التاريخ السيلسي للدولة الخوارزمية ، ص ٩٩.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٦٥ ، الفوري : المصدر السابق ، ج ٢٩ ، ص ٩٩.

ولم يكتف السلطان الغوري بذلك بل أرسل أخا السلطان
الحوارزمي «علي شاه» في نيسابور مطالباً بالطاعة أو الحرب والحاصر ،
وبالرغم من هذا التهديد ، فقد تلقى «علي شاه» ومن معه من عساكر
الحوارزمية على الامتناع عن تسليم تلك المدينة ، وقاموا بتحصيناتها ،
وتخريب ما حولها من مظاهر العمارة وما أن رأى السلطان الغوري ذلك
حتى ترك أمرها لابنه محمود ، والذي ظل بها حتى تم رفع علم الغوريين
علي سورها.

ومن ناحية أخرى هاجم السلطان غياث الدين المدينة من ناحية
السور ، حتى تهتم ومجأة فوجي الخوارزميون بتكبير هؤلاء وغولهم
المدينة وملكوها عنوة ، ونهبت المدينة ، ثم وبتاء علي لأمير السلطان
الغوري توقف الذهب والسلب حتى قاتل لجنوده : «من نهب مالا أو لاقى
أحد منهم حلال» ونفذ الجنود أوامره ، وتحصن الخوارزميون في جامع
المدينة ولكن أخرجهم غياث الدين منه^(١). وبعدها أخذ «علي شاه»
وأحضره عند غياث الدين راجلاً ، ولكنه أكر على من أحضره ذلك
وقال علي شاه لغياث الدين «أعكذا يعمل بأولاد الملوك؟ فقال : لا بل هكذا
وأخذ يبدد وأكعده معه على العرش وطيب نفسه ومهر جماعة الأسرى
الخوارزمية إلى هراة^(٢). وبذلك تمكن السلطان غياث الدين الغوري من
الاستحواذ على أغلب ما كان لخوارزم شاه بخراسان ، وكذلك مرو
ونيسابور وغيرها كما سبق ووضحنا ثم توجه إلى بلاد الهند^(٣).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٦٦ ، أبو الفدا : المختصر في أخبار
البشر ، ج ٣ ، ص ١٠٠ ، التويري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ١٠٠ ، ابن
خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص ٨٩٤-٨٩٥ ،
المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) التويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٦ ، ص ١٠٠ ، ابن الأثير
المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٦٦.

(٣) حبيب الله تيمالوني : تاريخ إيران از ماد تا بهلولي ، ص ٤٤١ .

Ibrahim : A short history of Turkish Islamic States Excluding
the Ottoman State, p.156.

• الموقف الخوارزمي من أعمال السلطان الغوري

رأسل السلطان علاء الدين محمد السلطان غياث الدين المصوري معاتباً له : «كنت أعتقد أن تخلف علي بعد أبي وإن تقتصرني على الخط وتردهم عن بلادى قحيث لم تقبل فلا أقل من أن لا تؤذيني وتأخذ بلادى ، والذي أريده أن تعيد ما أخذته منى إليّ ، وإلا استصرت عليك بالحطا وغيرهم من الأتراك أن عجزت عن أخذ بلادى قلتي إنما يشطى عن معكم عنها الاشتغال بعزاء والذي ، وتقرر أمر بلادى ، وإلا فب أنسا بعجز عنكم وعن أخذ بلادكم بخراسان وغيرها».

ولقد غالطه السلطان الغوري في القرب ، واستمرت المراسلات بينهما وما أن علم السلطان الخوارزمي بحال غياث الدين وعجزه عن الحركة وانشغال السلطان شهاب الدين بحروبه في الهند ، حتى رأسل نائبه «غياث الدين» في خراسان وهو «علاء الدين الغوري» بأمره بترك نيسابور ، وهو بدوره رأسل السلطان الغوري ، وأخبره بميل أهل نيسابور إلى الخوارزميين ، وعلى الرغم من ذلك طلب منه الممدد من أجل الحرب.

وفي منتصف ذى الحجة عام «٥٩٧هـ/١٢٠٠م» اتجه علاء الدين محمد وعساكره إلى نيسابور ، وما أن اقترب من مدينتي نسا وأبيورد ، وما إن علم ابن أخيه هندوخان بذلك حتى فر هاريا إلى غياث الدين بغيروركوه ، وتمكن السلطان الخوارزمي من مدينة مروالروذ ، وسار بعدها إلى نيسابور ، وتم الاضتيك بينهما وظل الحال على ذلك ما يقارب من شهرين ، وبعدما طالب علاء الدين الغوري الأمان ، ووافقتهم الشاء الخوارزمي على ذلك وسمح لهم بالخروج وأصن إليهم وخرج هو ومن معه محملاً بالهدايا وطلب منه ضرورة السعي في إحداث الصلح فيما بينهم وبين الغوريين فاستجاب لهم ، وصار إلى هراة ومنها إلى إقطاعه.

ويمكن بذلك من نيسابور ، وعند ما يشبه الصلح بين الشاه
 الخوارزمي و «الحسين بن خرميل» في أن يكون حلفاً وطيفاً له بدلاً من
 تعاونه مع القوريين ، ثم استكمل سيره إلى مدينة سرخس فحاصرها ، ما
 يقارب ٤٠ يوماً ، وبعد مفاوضات طلب أميرها الأمان والصلح ، وحقق له
 ما أراد ، ولكن السلطان الخوارزمي عاد وندم على إعطائه الأمان ورجل
 عنها ، وجهر عسكرياً فحاصرها ، ثم وقعت وتمت المراسلة بين «محمد
 بن جريك» من الملقان وهو من الأمراء القوريين و«بين زنگي من
 أجل القضاء على الخوارزميين الذين تركهم الشاه الخوارزمي».

وما أن أدرك الخوارزميون ذلك حتى تركوا سرخس ، وبقي
 الاثنان في مروالروذ ، ولقد إخراجها مما اضطر علاء الدين محمد
 خوارزمشاه إلى إرسال عسكر تحت قيادة حائه ، وتمت للمواجهة وهزم
 على الرغم من تفوق جيشهم عن جيش محمد بن جريك.

وترتب على ذلك مراسلة السلطان الخوارزمي للسلطان القوري
 راضياً في الصلح ولقد أجابه السلطان القوري على ذلك برسالة أرسلها مع
 أمير من القورية يدعى «الحسين بن محمد المرغني» فقبض عليه
 خوارزمشاه^(١).

ج- معاصرة السلطان علاء الدين خوارزمشاه لمدينة هراة وأصحاب ذلك .

إن السبب الرئيسي وراء محاصرته تلك المدينة هو رغبته في
 الاستيلاء على عليها ، وخاصة أنه كان هناك أهلون تلبان يعملان في
 خدمة سلطان شاه ابن أخي علاء الدين محمد ، وقد اتصلوا بخيانتهم

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٧ ، ص ١٧٣-١٧٥ ، لير العبري تاريخ
 الترمي ، ص ٢٣٤ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول
 ، ص ٨٦٦ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠٩-٢١١ ، حافظ أحمد
 صدي : فتوة الخوارزمية والممول ، ص ٢٥-٢٦ .

العوري ، ودهبا إليه ، ولكرمهما ، وفي الوقت نفسه راسلوا السلطان
الخوارزمي وضمعوا له تسليم مدونة هراة.

وما إن علم أمير هراة بذلك وهو «عمر بن محمد المرغني»
بمراسلتهم للسلطان الغوري حتى وثق فيهما ، وسلمهم معاتيج الميعة ،
وشجعهم على قتل السلطان الخوارزمي ، ولكن في الوقت نفسه وصلت
رسالة من «الحسين بن محمد المرغني» إلى أخيه «عمر المرغني»
بالتفاق هذان الشخصان مع السلطان الخوارزمي فاعتقلهما على الفور^(١).

ثم ما لبث أن وصل عسكر الغورية بقيادة «ألب غازی» أو
«ألبوغازي» ونزل على بعد خمسة فراسخ من هراة ومنع العبارة عنها
وقفل الحصار قائما أربعين يوما وكان معه السلطان غياث الدين في قلعة
من عدده ، ولكن وما إن علم بوصول السلطان شهاب الدين من الهند إلى
غزنة حتى راسل غياث الدين أمير هراة طالبا الصلح ، وتم ذلك على مال
أرسله إليه ، ورحل عن البلد في منتصف عام ١٢٠١/١٢٠١ م ، أما
الجيش الخوارزمي فقد انتقل إلى الطالقان للإغارة عليها ، وتمكن منهم
الحسين بن خرميل ، وهزمهم ، وعندما علم السلطان الغوري بما فعله
السلطان الخوارزمي في خراسان حتى اتجه من غزنة إلى بلخ ومنها إلى
باميان ثم مرو ، وعنده من وراء ذلك هو محاربة خوارزمشاه ووقع
القتال بينهما وهزم خوارزمشاه وإن كان قد تمكن من قتل الأمير سنجر
صاحب تيسابور أخيانته له.

ثم توجه السلطان الغوري إلى طوس لتضياء الشتاء به ،
ويمتكن بعدها حملته ضد السلطان الخوارزمي ويتجه إلى حصار رزم

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٢٦-١٢٧ ، ١٢٨-١٢٩ ، ابن

خلدون - المصدر السابق ، ص ٢١١-٢١٢ : علق سيرة : المرجع السابق ،

ص ١٠٣-١٠٤.

ولكن نظراً لوفاء أخيه ألقه إلى هراة ، تاركاً على مرو تلقيته «الأمير محمد بن جريك» الذي تشبك معه بعض الخوارزميين أيلاناً ، ولم يسج منهم الكثير ، وأرسل الأسرى ورؤوس القتلى إلى هراة.

وفي عام ٥٩٩/١٢٠٢م - وبعد أن تلقى السلطان شهاب الدين العراق - توجه إلى خوارزم عن طريق الرمل ، وفي الوقت نفسه سير للسلطان الخوارزمي جيشاً قائده «برغور التركي» الذي ذكر عند ابن خلنور تحت اسم «نصير التركي» وخرج إليهم على بعد عشرة فراسخ من مرو ودلوت بينهم المعركة ، وقصد الجانبان العديد من الجنود وهزمت الغورية ، ودخل محمد بن جريك في شرنة من الجنود مرو وحاصره الخوارزميون ما يقارب من خمسة عشر يوماً ، ثم راسلهم طالباً الأمان ووافقوا على ذلك ، ولكن بمجرد خروجه تمكنوا منه وقتلوه ، ولقد غضب السلطان الغوري من ذلك ، ثم ترددت رسل بينهما ، ورجع إلى غزاة وترك على هراة ابن أخيه «ألب غازي».

• «حصار السلطان علاء الدين محمد لهراة للمرة الثانية عام ٦٠٠/١٢٠٣م» •

ولقد ظل محاصراً لها من أوائل شهر رجب حتى بداية شهر شعبان مع استمرار القتال وتشداده بين الطرفين ، في الوقت الذي سار فيه السلطان الغوري إلى نهاور متجهاً إلى الهند ، أما الحصين بن خرميل الذي كان في قطاعه في «كرربلن» والذي راسل السلطان الخوارزمي طالباً إرسال العسكر من أجل استلام القولة وخزانة السلطان الغوري ، فأرسل له ما يقارب من ألف فارس ، ولكنها كانت مكيدة منه وكذلك الناصر بن محمد المرغني وهزم جنود الشام الخوارزمي ولم يسج منهم إلا القليل ، لذا ندم الشام على تصديق هذا الخائن.

وفي الوقت نفسه راسل السلطان الخوارزمي ألب غازي ليكسب في خدمته بدلاً من السلطان الغوري ، وكان هذا في ذلك الوقت مريضاً

محتش الموت فتمكن السلطان الخوارزمي من المدينة لذا خرج إليه ،
ولكنه سقط ميتاً أمامه ، وترك خوارزمشاه البلاد ، واتجه إلى سرخس
وأقام بها^(١).

• الموقف الفوري والحركة الفاصلة بينهما .

وما إن علم السلطان الفوري ما حدث ثنائيه في هراء ترك الهيد
واتجه إلى خوارزم في الوقت الذي كان فيه السلطان تكش - بعد مروره
على سرخس - في مدينة مروالروذ وما إن أدرك ذلك حتى غشى عواقب
الموقف واتجه إلى خوارزم ، وكعادة ملوك الدولة الخوارزمية منح
السلطان السدود لكي يترق المنطقة بالمياه فيعرق تقدم الفوريين.

وجاء السلطان الفوري إلى الجانب الشرقي من النهر ، ثم أمر
بالبحث عن معبر لنهر جهون بعد أن ظل لجيش الفوري يتقطع
المسافات والطرق ما يقارب من أربعين يوماً.

ونذكر المصادر العربية أنه قد حدث الاشتباك ما بين الدولتين عند
«صوفران» (الماء الأسود) وقتل من الفريقين الكثير ، وأسر السلطان
شهاب الدين جماعة من الخوارزميين ، وقام بقتلهم صبراً ، وما إن رأى
السلطان الخوارزمي ذلك حتى طلب العون من القرطاي ، ومعهم حاكم
سمرقند ، والذين ما لبثوا أن استجابوا وصاروا إلى بلاد الفور^(٢).

ولقد اختلف معهم المراجع الفارسية فنذكر أن السلطان
الخوارزمي قد طلب عونهم ومساعدتهم قبل حدوث أي اشتباك بينه وبين
الفوريين^(٣).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٨٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ،
المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢١٣-٢١٤.

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخير ، المجلد الخامس ، القسم الأول ،
ص ٢١٤-٢١٥.

(٣) خواندمير : حبيب البحر ، المجلد الرابع ، ص ٦٤٣ ؛ ميرخوفا : روضة الصفا
، ص ٢٨٥.

وإن كان الأرجح هو الرأي الأول فهو تطور طبيعي لسير أحداث المعركة. وتم اللقاء الثاني بينهما ، وحُزِمَ الغوريين ، وحاصرهم القراخطاي في منطقة «أيدحوي» وذلك في أول صفر عام ٦٠١هـ/١٢٠٤م ، وتحققهم السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد حنسي عاصمته هراسب ، وتمت هزيمتهم وفر السلطان الغوري^(١). ولقد أقام السلطان الخوارزمي حفلاً لنصره هذا وتمت المصالحة بين السلطان الغوري والسلطان الخوارزمي^(٢). على قيل ثالث لكي يعطيه لهم ، ولقد انتهى من ذلك ثم عاد إلى الملاقاة ، وبهذا شاع خبر مقتله في المعركة ، فاضطربت البلاد وقتل أكثر عساكره ونهبت خزائنه ، ولقد صار معه الحسين بن خرمل الذي جعله أمير حاجب خوفاً من تحيزه وانضمامه للسلطان الخوارزمي ، وسار إلى غزنة بعد أن جمع إليه كل ما يحتاج إليه بعد ما فقد كل شيء في تلك المعركة السابقة^(٣).

• تبعه الصراع بين الخوارزميين والغوريين في عهد غياث الدين بن محمود الغوري
لقد ازدادت الفرصة لدى السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد لتلويح على الغوريين وذلك لانقلاب ميزان القوى في الدولة الغورية وقربها من النهاية نتيجة الصراع الأسري الذي سوف يظهر ما بين غياث الدين محمود بن غياث الدين الغوري ، وصاحب بلبلان «بهاء الدين سام» «ابن أخت شهاب الدين» حيث تشكل المماليك ، وكذلك الوزراء في هذا

(١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٠٥ ؛ ابن خلدون : المقصد السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢١٤-٢١٥ ؛ بارثولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥٠٢-٥٠٤ ؛ حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران از عهد قاجار ، ص ٤٤٢.

(٢) خوانسمر : حبيب التبر ، ص ٦٤٢ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص ٣٩٦.

(٣) بارثولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥٠٥.

الصراع وكان على رأسهم «الغز» ولكن بعد وفاة بهاء الدين اشترك أبنائه من بعده في هذا الصراع وهما علاء الدين وكذلك جمال الدين ، الذي عهد بالملك لعلاء الدين الفوري ، ولقد استمر هذا الصراع بينهما طويلاً حتى استتب الأمر في النهاية للسلطان غياث الدين محمود في الوقت الذي لم تستقر فيه الأمور بينهما وبين الدولة الخوارزمية^(١).

الموقف في مدينة هراة

ما إن علم الأمير «الحسين بن خرميل» بخبر مقتل شهاب الدين الفوري حتى اجتمع بأعيان الناس في هراة ومتهم قاضي هراة «صاعد بن الفضل السيلري» و «عبد الخلف بن زياد» مدرس في المدرسة للنظامية في هراة وشيخ الإسلام رئيس هراة ، ونقيب الطوبىين وأخبرهم بوفاة السلطان وخوفه من السلطان الخوارزمي ، طالباً منهم المشورة والمساعدة.

ولقد أجابه القاضي وكذلك ابن زياد فذكروا «أننا نخلف على كل الناس إلا ولد غياث الدين» وكانت بن خرميل للسلطان الخوارزمي طالباً ، إرسال عسكر كي يكون في طاعته ، ويتمصن به على الدولة الفورية والفوريين وكما سبق وذكرنا تعرض السلطان الخوارزمي لنفس هذا الموقف من قبل هذا الأمير وقدافه للعديد من جنوده ، لذا طلب منه إرسال ابنه إليه رهينة ، وتمت الموافقة على ذلك ، وأرسل عسكراً في كل من نيسابور وغيرها من بلاد خراسان ، ليتجهوا إلى ابن خرميل في هراة ليكونوا تحت طاعته.

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٢٥ ؛
التوحيدي : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٦ ، ص ١٠٧ و ١٠٨ ولعمريد مر
المعلومات انظر الصفحات التالية من ١٠٨ إلى ١١١ عطف سيرة المرجع
السابق ، ص ١١١.

وكان رد فعل السلطان الغوري ، أن رسل ابن خرميل طالباً
 الطاعة له ومن ناحية أخرى شرع في الاستعداد لمهاجمة السلطان
 الخوارزمي ، واجتمع ابن خرميل مرة ثالثة مع أعوان هراة ومنهم «أبى
 رباد» الذي نصحه بضرورة طاعة السلطان الغوري ، وذكر الخطبة
 باسمه ورد عليه ابن خرميل قائلاً :

إني أخلفه على نفسي فامضي أنت وتوثق منه

فاتجه لصيات الدين وأخبره بخفايا ابن خرميل مع السلطان
 الخوارزمي ، وحثه على قصد هراة ، وذكر أنه سوف يسلمها إليه في
 فترة زمنية ، ولقد وافقه بعض الأمراء وخالفه غيرهم ، وقال له أيضاً :
 ينبغي ألا تترك حجة فترسل له تقليد ولاية هراة ، وقد تم له ذلك كله .

ولقد كاتب السلطان غياث الدين «أميران بن قيصر» صاحب
 الطالقان ، وكذلك صاحب مرو ليمسروا إليه وقد ذكروا له أهل البلد «إن
 لم تسلم البلد إلى غياث الدين وتوجه إليه سلمناك وقدنك وأرسلناك إليه»
 ، لذا اضطر إلى التوجه إليه فاطلع عليه الخلع وأقطع له إقطاعاً وأعطى
 الطالقان «شونج» مملوك أبيه المعروف «بأمير لشكر»^(١).

أما الحسين بن خرميل الذي نقض عهده مع السلطان الخوارزمي
 للمرة الثانية ، وذلك بذكر اسم السلطان الغوري في هراة بعد وصول
 الخلع له ، ولكنه على الرغم من ذلك استقبل الأمراء الذين أرسلوا من قبل
 إنشاء الخوارزمي أحسن استقبال ، ووزع عليهم الوظائف الكبيرة ، وبعدما
 علم بوصول السلطان الخوارزمي إلى مدينة بلخ ومحاصرتها ، ووقوع

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٢٤ ، ٢٢٥-٢٢٦ : الثوري
 المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ١١٢ : ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد
 الخامس ، القسم الأول ، ص ٢١٦ .

القتال بينه وبين صاحبها بظاهر المدينة ، حيث قدم ابن خرميل على استكعائه للخوارزمي.

ولقد أرسل السلطان الخوارزمي السلطان الغوري قائلاً : «بني على العهد الذي بيننا وأنت أترك ما كان لأبيك يخرسان والمصلحة أن يرجعوا حتى تنتظر ما يكون فعادوا وأرسل إليهم الهدايا الكثيرة» ، وكان رد فعل السلطان الغوري من ذلك أن أخذ إقطاع ابن خرميل وأرسل إلى كزربان وأخذ كل ما بها من مال ودواب ، وأخرج أصحابه من سجونه ، لذا كتب الأمراء به بالطاعة.

ولقد أظهر ابن خرميل الطاعة للسلطان الغوري وأجبر أهل البلد على ذلك ، ثم أمر أن يرسل بالعسكر الخوارزمي وفتحهم ابن خرميل وأدخلهم البلد وتخلص من الأعداء المخلصين للسلطان الغوري ومنهم ابن زياد الذي سمل عينيه وأخرج صاعد القاسي ، ولحق بالسلطان الغوري ، ثم سلم المدينة لعسكر السلطان الخوارزمي.

ولقد أرسل السلطان الغوري نتيجة تلك الأعمال جيشاً بقيادة «علي بن أبي طلي» ومعه صاحب الطالقان الذي كان جانب ابن خرميل ، وولست الواقعة وهزم الجيش الغوري ، وتم أسر كثير من أمرائه وبعدها أخرج ابن خرميل على بلاد بلخغنص وغيرها من البلاد ، وعلى الرغم من كل تلك الاضطرابات ، إلا أنه كان من الضروري عودة السلطان الغوري إلى هرات ، ولكنه انشغل بأمر في غزنة.

د- استيلاء السلطان علاء الدين محمد على كل من بلخ ، والترمذ والبلدان المجاورة لها ما إن علم السلطان الخوارزمي بمقتل السلطان شهاب الدين حتى أطلق سراح الغوريين الذين أسروا من قبل في خوارزم ، وحجزهم بين اليقده لديه ، أو الرجوع إلى قومهم ، ولقد بقي منهم «مصدق بن بشير» وأقطعته إقطاعاً له ، وقصد بعدها مدينة بلخ ، وتقدم إليه أخوه «علي شاه»

ومعه عسكره ، فدافع عنها أميرها «عمر بن الحسن»^(١) ونزل على بعد أربعة فراسخ ، وأرسل إلى أخيه يخيبر بما حدث ، فصار إليه في شهر ذي القعدة ، ونزل على بلخ وقام بمحاصرتها لمدة ٤٠ يوماً ، وغسبولى عليها ، ودخل في طاعة السلطان الخوارزمي أميرها ، وخطب له في مساجد مدينة بلخ.

استيلاء السلطان الغوري على الترمذ والبلخان المجاورة لها

ثم توجه إلى مدينة الترمذ حيث حاصرها من ناحية والأتركة القرخطاي من ناحية أخرى ، وتمكن منها ، ثم سلمها للخطا ؛ لكي يتمكن من ملك خراسان ، ثم يعود للاستيلاء عليها مرة ثانية^(٢).

ثم سار إلى مدينة «سبمنة» و«ندخوى» ، وكاتب كذلك سورج نائب السلطان الغوري في الطالقان ، وحاول استمالته إليه ، ولكنه فشل وقام بمحاربة القوات الخوارزمية ومقاومتها فالتقوا بالقرب من الطالقان ، وتمكن السلطان من الاستيلاء على الطالقان ، وترك عليها بعض أصحابه.

وتوجه بعد ذلك إلى قلاع كالويد وبيولر ، فخرج إليه «هسام الدين علي بن أبي علي» صاحب كالوين ، وقتله على رؤوس الجبال ، وهدده السلطان الخوارزمي بضرورة تسليم تلك المدينة ، فرد عليه قائلاً :

(١) القاضي الفاضل منهاج الدين مراج : طبقات ناصري ، المجلد الأول ، ص ٣٠٧ ، حيث ذكره تحت اسم «الملك عبد الدين مير الالهاري حاكم بلخ من قبل سلاطين بلخان».

(٢) ابن خلدون - المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص ٨٨١-٨٨٢ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢١٧-٢١٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥٠٧ ؛ عقاب صجرة : المرجع السابق ، ص ١١١-١١٢ ؛ منهاج الدين مراج - طبقات ناصري ، ص ٣٠٧ ، حيث خلقهم في معبر حاكم بلخ السدي أرسل إلى خوارزم.

«أما هذا أنا مملوك ، ولما هذه الحصون فهي أملاكه يدي ولا أسلمها إلا صاحبها» ولقد استحسن السلطان كلامه ورجع إلى هراة ونزل بظهره ولقد توجه الحمين بن خرميل إلى سجستان حيث واليها «جرب بن محمد» ودعا إلى طاعة السلطان الخوارزمي وذكر اسمه في الخطبة ، ووفق في وضعها تحت رئاسة الخوارزميين ، وتمكن السلطان الخوارزمي من السيطرة على مازندران بمساعدة أخيه «علي شاه» الذي ساعده في استرداد ملكه ، وضمها إليه عام ١٢٠٢/١٢٠٦ م ، وخطب فيها لخوارزمشاه^(١).

ويذكر أنه في فترة اعتدال الخلاف بين غياث الدين الغوري ومملوكه أندر ، انتهز السلطان الغوري الفرصة لإحداث مصالحة بينه وبين السلطان الخوارزمي بل أن السلطان الخوارزمي نفسه رغب في إحداث مصالحة فيما بينهما ، مقابل أن يمد غياث الدين بقوة ليغزو بها خزنة ، ويتقضى على خصمه أندر ، ولم يقسم الأموال فيما بينهما إلى جانب العسكر ، وتم الاتفاق ، وبقي نور التنفيذ.

ولقد جزع المملوك أندر من هذا الصلح ، واتصل بالسلطان الغوري سائلاً عن السبب وراء هذا الصلح ، فذكر أن السبب الرئيسي وراء ذلك هو عصبية السلطان الغوري ، لذا بدأ يستولي على بعض المناطق التابعة للغوريين ، مثل : «تكمياز بنت» ، وقطع عنهما الخطة للسلطان الغوري ، وإلى جانب ذلك حاول تعريض حاكمي سجستان وهراة من أجل تركهما لطاعة السلطان الخوارزمي وتعريض بعض الشخصيات من قبيلت الغوري نفسه.

(١) دبر المؤيد : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٥١ ؛ ابن خلدون - المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ ؛ التويزي : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٦ ، ص ١١٢-١١٨ ؛ عفيف صيرة : المرجع السابق ، ص ١١٢-١١٣.

٥- العودة إلى هراة والسيطرة عليها نهائياً عام ٨٦٥هـ/١٢٧٢م

سبق وتحدثنا عن الاستقبال الحسن من قبل الصينيين بن خرميل لأمراء السلطان الخوارزمي في هراة ، ولكنهم أسعوا إلى الناس وكثر عيبتهم في البلاد ، فحبسهم ابن خرميل ، وراسل السلطان الخوارزمي وأعلمه بأسرهم ، وكان في ذلك الوقت مشغولاً بحربه مع القرمان في منطقة ما وراء النهر فرد عليه موقفاً عمله ، طالباً بعثتهم إليه ، وفي الوقت نفسه أرسل إلى «عز الدين خاندك» (والى هراة أيام السلطان سنجر) ، ليذهب إلى هناك ويحاول استكراج ابن خرميل والقبض عليه ، ومعه من المسكر ٢٠٠٠ فارس ، وما أن خرج إليهم حتى أقروا القبض عليه. في الوقت الذي تحصن وزيره بالمدينة وأغلق الأبواب ، ونادى بشعار السلطان عز الدين الغوري ولقد عده نائب السلطان الخوارزمي بقتل ابن خرميل أن لم يسلم المدينة وخاطبه ابن خرميل نفسه ، وأخبره السلطان الخوارزمي بذلك ، والذي بدوره راسل ولاية خراسان وأمرهم بحصار هراة لذا ساروا في ١٠٠٠ فارس ، وبالرغم من ذلك امتنعت هراة.

وفي تلك الفترة كان علاء الدين محمد خوارزمشاه قد أسر على يد الخطا وسقطت تلك المدينة بعد فراره من الأسر ، واتجه بنفسه إلى خراسان ، ودخل نيسابور ، ثم اتجه إلى هراة ، واتصل بالوزير الذي كان قد وعده من قبل بتسليم تلك المدينة للسلطان الخوارزمي نفسه. ولكنه تخلى عن وعده ، ورجب في تسليمها للسلطان الغوري ، لذا أشك غضب السلطان الخوارزمي ، واستاء أهلها من شدة الحصار ، وحدثت فتنة داخلية فانتهز السلطان تلك الفرصة ، ولحقه المدينة وسلمت له وذلك عام ٨٦٥هـ/١٢٧٢م ، وترك عليها خاله «أمير ملك»^(١).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٥ : ابن خلدون : المصدر السابق ،

ص ٨٨٧-٨٨٩ ، علق صيرة : اتمرجع السابق ، ص ١١٤.

ويمكن السلطان من مدينة الري ، ثم طلب منه خاله ضرورة الاتجاه إلى مدينة هيروزكوه ، ليلقي القبض على صاحبها غياث الدين محمود غياث الدين الغوري ، وكذلك أخيه على شاه الخوارزمي ، قصار إليها ، وعلى الرغم من طلب غياث الدين الأمان ، فلمنه ولكن ما إلى خرج إليه حتى ألقى القبض عليه ، وكذلك على «علي شاه» وقتلهم ، ودخل هيروزكوه عام ١٢٠٨/١٢٠٥م ، وصارت خراسان كلها للسلطان الخوارزمي علاء الدين محمد^(١).

و- استيلاء علاء الدين محمد خوارزمشاه على غزنة وأعمالها -

بعد مقتل غياث الدين محمود استقل تاج الدين أئز ملك غزنة وأحسن السيرة في الرعية ، ودلم ملكه ، وخاصة بعد أن خلعوا طاعة الغوريين واستقلوا عنهم.

ولكن لم تطل مدة تمتعه بهذا الاستقلال ، لما إن فرغ علاء الدين محمد من عامة خراسان ، وملك باميان وغيرها ، راسل أئز طالباً الطاعة والخضعة ، وكذلك السكة باسمه في غزنة ، وقرر الصلح عليها ، ولقد شاور أئز أهل بلده بما فيهم فخلق تكين (من موالى السلطان شهاب الدين الغوري ، ونائبه في غزنة) ، فثأروا عليه بطاعته ، وسم ذلك وخطب له.

وأثناء ذهاب أئز في رحلة صيد راسل قتلغ تكين السلطان الخوارزمي مرأ ليرمل إليه من سلمه المدينة مرأ ، فجاء بنفسه وتسلم

(١) أير القدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١١٠ ؛ القويري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ١٢٠ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٨٨٦ ؛ حوائصير : حبيب السير ، ص ٦٤٢ ؛ محمد موسى هتلاوي : سحى لشيرازي شاعر الإنسية «عصره» ، حياته ، ديوانه البعثات ، (مكتبة الخفجي ، القاهرة ، ١٩٥١م) ، ص ٢.

للمدينة ، وفر الكز هاربا إلى لاهور فأحضروه خوارزمشاه وقتله ، وقتل كذلك قتلح نكين ، وحصل على أموال عديدة قد حملتها ثلاثون دابة ، وكذلك (٤٠٠ معلوك) وترك على غزوة لفته جلال الدين ١٢١٢/٥م^(١).

• سيطرته على كرمان ومكران والسند .

وفي عام ١٢١٢/٥م ، تمكن السلطان علاء الدين محمد من الاستيلاء على كرمان والسند ومكران ، حيث طالب السلطان الخوارزمي من «تاج الدين أبو بكر» متولي أمر قلعة «روزن» ضم كرمان لمجاورتها فوطئه ، وأرسل إليه عسكرياً ، وساروا إليها حيث واليها «محمد بن حرب أبي الفصل» (صاحب سجستان أيام السلطان منجم السلجوقي) ، وتمكن من بلاده ، ثم سار إلى مكران ومنكها كلها حتى

(١) من الآثار : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣٠٩-٣١٠ : ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٨٨٩-٨٩٠ : صلاح ملك الجويني : جهان كشا ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ : حافظ أحمد حمدي : الفتوة الخوارزمية والمغول ، ص ٢٦-٢٧ ، طه لدا : أصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١١٣

S. Iane Poole : the Mohammada Dynasties, p. 17.

ذكرنا «مغول» أفغانستان وأغذ خربة حلم ١٢١٤/٥م «قللاً» : وقد أضع

إمارة لغور Gur وبعد ثلاث سنوات أضع غزنة Ghazni : Percy Sykes

History of Persia, p.45 : فيليب حتى : تاريخ العرب «مطوّل» ، ج ٢ ،

ص ٥٧٨ ، أحمد ثلبي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ ، طه لدا

لغور لغور والإيرانيون ، ص ٣٩ : فوري حلمد عباسي المسلموني : المرجع

السابق ، ص ٢٠٦

Henry H. Howorth, F.S.A : History of the Mangols from the 9th to the 19th century, p.7.

خواتمير : المرجع السابق ، ص ٦٤٣ : حبيب الله شملغوني : المرجع السابق ،

ص ٢٤٣ : قصي سراج الدين : طبقات بلخري ، المجلد الأول ، ص ٣٠٩

السد من نولحي كابل ، ثم سل إلى هرمز من مدن فارس على ساحل البحر ، حيث صاحبها «تلك» فطاع خوارزمشاه ، وخطب له على مساجدها ، وأرسل الجزية إليه كل عام ، وكذلك خطب له بقلعت ، وبعض عمل من وراء القهر ، لكونهم يتقربون إلى صاحب هرمز بالطاعة نظراً لسيدهم ، بالتجار إلى مدينة هرمز لكونها مرسى للتجار الذين يسافرون إلى الصين من الهند^(١) . وبذلك انضمت مملكة العبر وغزنة للسلطان الخوارزمي علاء الدين محمد .

ز- القراخاني ونشأة السلطان علاء الدين محمد علي دولتهم :

أولاً : السياسة السلمية التي اتبعها السلطان الخوارزمي مع القراخاني وقد تمثلت في صور متعددة ، وكان أول صورها هذا التعاون عام ١٢٠٣/٥٦٠م ، وذلك عندما قام السلطان الخوارزمي بمحاصرة مدينة هراء لانتزاعها من الغوريين ، خاصة ولأنها لم تكن قد خضعت من قبل للسلطان تكش الخوارزمي^(٢) .

لكن وما إن علم السلطان الغوري شهاب الدين بمحاصرته حتى عاد مسرعاً من بلاد الهند إلى خراسان ، لذا استجد السلطان الخوارزمي بالقراخاني ، الذين كانوا يمثلون في ذلك الوقت أكبر قوة في بلاد ما وراء القهر ، وأعد رئيسهم كورخان جيشاً ، ولكن هزم القراخاني

(١) ابن الأثير . المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣٠٢-٣٠٤ ، حيث ذكر اسم صاحب هرمز وهو «تلك» ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٢٩ ؛ علاء ملك الجويني : المرجع السابق ، ص ١٨١ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والغزلية ، ص ٢٧ ؛ حبيب الله شمسالوئي . المرجع السابق ، ص ٤٤٢ ؛ مير حوات : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

(٢) بارتولد - تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥٠٣ ؛ فابري تاريخ بخارى ، ص ٥٢ .

وانتهت الحرب بعد مفاوضات ، وتم للصلح بشرط ألا يقدم الخطا مرة ثانية على عبور نهر جيحون إلى بلاده ولا يعبر هو إلى بلادهم^(١).

عام ١٢٠٥/٥٦٠٢ م.

وذلك عندما استولى السلطان الخوارزمي على مدينة بلخ وسلمها إلى الخطا ، وكان تفسير ابن الأثير لذلك أنه قد أقدم على ذلك الأمر حتى يتمكن بعد ذلك من فرض سيطرته على ملك خراسان ، ثم يعود مرة ثانية ويستردّها منهم وكأنها حق له ، ولقد حدث ذلك بالفعل حيث تم إخضاع كل خراسان له^(٢).

ولكن ما لبثت أن تبدلت الأحوال من التعاون إلى إعداد الجيوش واسترداد كل الأقاليم التي تمكن منها الخطا وملكوها في خراسان وما وراء النهر ، وخاصة أن علاء الدين خوارزمشاه ظل مواظباً على دفع الجزية المقررة عليهم منذ أيام جده الأول الأمير آتسز حتى عام ١٢١٠/٥٦٠٧ م ، حيث وجد بعدها أنه من العار عليه بعد أن اتسعت بلاده كل هذا الاتساع إلى الاستمرار على تلك التبعة ، لذا بدأ في التكرار في الاستحواذ على كل الأراضي الواقعة تحت سيطرة هؤلاء ، وبدأ في التخطيط لتحقيق ذلك بإعداد جيشه وتقويته في كل الأقاليم منتهزاً الفرصة لاستغلال ذلك والقضاء عليهم تماماً.

• الأسباب والظروف التي هابت لتسقط الخوارزمي القضاء على القراخاني :

١- كونه قد ضايق ذراعاً من الجزية التي يدفعها لهؤلاء ، وظل متحنباً لتروسة حتى سنحت عام ١٢٠٦/٥٦٠٥ م ، عندما واصل رسول الكورخاني إلى يلاطه لأخذ الجزية السنوية وتجرأ الرسول وجلوسه

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٨٥.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٣١.

إلى جانب السلطان الخوارزمي على العرش ، لذا أمر أن يرعى هذا الرسول في مياه نهر جيحون^(١).

ولقد اختلفت الآراء في مصير هذا الرسول ، فهناك من ذكر أن السلطان قد قتله شر قتلة ، وذلك بشرطه تصفين^(٢). أما فامبري فقد ذكر أن السلطان قد حرص على ألا يظهر بمظهر المخالف لوصية والده تجاه هؤلاء ، لذا غادر عاصمة ملكه فور وصول هذا الرسول ، وترك الأمر لوالدته التي رحبت بالرسول ، وعانوا مكرمين إلى بلادهم ، ولكن ما لاحظته هذا الرسول من تغيرات قد أثارت ثورة الكورخان ، وبدأ يستعد لمهاجمة السلطان الخوارزمي ، وإن كان لم ينتظر طويلاً حتى اشتبك السلاطين مع بعضهم البعض^(٣).

٢- مراسلة نصر الدين عثمان بن إبراهيم^(٤). السلطان الخوارزمي من أجل التعاون ضد الكورخان القراخطاي ، وكان السبب وراء ذلك هو رفضه للمصاهرة بينه وبين السلطان عثمان ، ورغبة السلطان عثمان في التخلص من تبعية الكورخان ، ويكون حليفاً أميناً وتبعاً مخلصاً للسلطان الخوارزمي ، ويكون مكلفاً بدفع الجزية للشاه الخوارزمي بدلاً من القراخطاي ، وبمسك السمكة باسمه ، ويخطب له على منابر سمرقند وبخارا.

(١) بارتوك : المرجع السابق ، ص ٥١٠.

(٢) حافظ أحمد حدي : الدولة الخوارزمية والرسول ، ص ٥١.

(٣) فامبري : تاريخ بخارى ، ص ١٥٣.

(٤) آخر من حكم في الدولة القراخطائية ، تولى حكم كل من بخارا وسمرقند منذ عام

٦٠٠ ٦٠٩/٥٦٠-١٢٠٢م ، بقية المعارف الإسلامية ، ج ٥ ،

ص ٤٠٤-٤٠٥.

واتضح ذلك من تلك الرسالة التي أرسلت إلى السلطان الخوارزمي قائلاً : «إن الله عز وجل قد أوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود أن تستغنى المسلمين وبلادهم من أيدي الكفار وتحلصهم مما يجزى عليهم من التحكم في الأمور والأخبار ونص صدق معك على محاربة الخطا ونحمل إليك ما نضمنه إليهم ، ونذكر اسمك في الخطبة والسكة» وتكى نزدا ثقة الخوارزميين في حاكم سمرقند وجمارا ، أرسل إليهم بعض أعيان بخارا وسمرقند بمثابة الرهينة ، ونليل حي وملومس على صدق كلامهم^(١).

• تنقلهم السلطان الخوارزمي لولا ياته :

بعد أن تهافت الأسباب للسلطان الخوارزمي من أجل مهاجمة القراخطاي ، شرع في تثبيت أقدامه في الدولة الخوارزمية ، وذلك بتولية بعض النوف في بعض الأقاليم لحمايتها من أي هجوم قد يتعرض له من قبل القراخطاي في الفترة القادمة ، فولى «علي شاه» على طبرستان وكذلك جرجان ، والأمير «كذلك خا» (وهو من أقارب أخواته وأعيان دولته) ، على نيسابور ، وأمنه بالمعسكر اللازمة له ، و«الأمير جلدك» على مدينة الخام ، والأمير «أمين الدين أبي بكر» على مدينة زوزن ، والأمير «قاسم بن خرميل» على هراة ومعه ١٠٠٠ من الجنود الخوارزمية ، ثم والأمير «ضياث الدين محمود» الذي صالحه على بلاد الغور وكرمين ، ثم ولى «هرتسه» (أحد أقرباء والنته تركن خاتون) ، لقباً له في بلاط الحاكم الخالي عثمان ، إلى جانب مواب آخرين على مرو ومرخس ، وخيرها من خراسان ولقد أمرهم بصن التصرف والمبايسة والحفظ ، إلى جانب الاتصياح لأوامره ، ثم عاد إلى خوارزم من أجل الاستعداد لخوض المعركة ضد القراخطاي^(٢).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٥٩ ؛ حقت أصد حندي الدولة

الخوارزمية والممول ، ص ٦٠ ٦١ ؛ قاميري : المرجع السابق ، ص ١٥٣

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٣ ، ص ٢٦٠ ؛ ابن خاتون : المصدر السابق ،

المجد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٢١ ؛ برونولد : المرجع السابق ، ص ٥١٣

• **حروبه المتعددة مع القراخطاي عام ١٢٠٤هـ/١٢٠٢م .**

اشتبك القريقان ، وحدثت بينهم وقتل عديدة قد أسفرت عن هزيمة المسلمين وإن كانت الخسائر متوازنة ، وعلى أثر تلك المعركة أسر السلطان الخوارزمي ومجموعة من أسرته ، ولقد استطاع بجليه أن ينفذ نفسه ويغادر معسكر القراخطاي ، وعث سالماً ، ورجع إلى جيشه على ضفاف نهر سيردريا ، فأنخل الفرحة في قلوب جنوده ، الذين اعتقدوا بمقتله في المعركة وخاصة بعد انتشار الحيد من الشائعات حول ذلك^(١).

ولم ينته الأمر لدى السلطان الخوارزمي بانكساره في تلك المعركة وإنما جمع جيوشه واتجه إلى مقابلة القراخطاي وذلك عام ١٢٠٥هـ/١٢٠٨م.

«١٢٠٦هـ/١٢٠٩م» والتقي الجمعان تحت قيادة القائد القراخطائي «طانيكو» الذي لم يحالفه الحظ في تلك المعركة وهزم ومير أسيراً إلى خوارزم وأثناء عودة السلطان الخوارزمي تمكن من السيطرة على مدينة أترار حيث لاقى مقاومة عنيفة من صاحبها ، ثم رجع إلى سمرقند ومنها إلى خوارزم ، حيث أمر بإعدام طانيكو «تانيكو» بإلقائه في مياه نهر جيهون^(٢).

(١) ابن الصاد الحلبي : ذخائر الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٥ ، ص ١٢٠ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٢١-٢٢٢ ؛ حسن بن محمد بن الحسن النبل البكري : تلويح التبيين في لمعان أنص التبيين ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٢٨٣هـ ، ج ٦ ، ص ٣٦٧ ؛ برونو : المرجع السابق ، ص ٥١٤ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية وقملول ، ص ٦٣-٦٤ ؛ فليبي : المرجع السابق ، ص ١٥٥ ؛ حجاب صيرة : المرجع السابق ، ص ١١٩.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٠ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٢٠ ، وإن كل لا يختلف معهم في مصير قائد لخطا «تانيكو» الذي أسر -

لما جيش القرلخطاي المنزوم وفذي انسحب ، وأثناء عودة هؤلاء هبوا العديد من المناطق لتتسعة للخوارزميين ، ومنها مدينة «يلاسغون» تلك التي كان يرلودها الأمل في مجيء السلطان محمد الخوارزمي ، وتخليص جميع بلاد «يدي صو» الأتقار السبعة ، من أيدي هؤلاء الكدر . وطلو ، على هذا الأمل ، على الرغم من طول الحصار عليهم من قبل لأمر «صمود باي» وأمراء الكورجان الذين معه ، ومحاولتهم إحصاع تلك المدينة ، ولكن بعد حصار دلم ستة عشر يوماً سقطت المدينة ، واستمر نهبها ما يقارب من ثلاثة أيام ، وهلك من أهلها ما يقارب من سبعة وأربعين ألف شخص.

ولقد كان تلك للعمليات العسكرية العديد من الأضرار على خزنة الكورجان مما غرقب عليه اندلاع العصيان في صفوف الجيش ، فالتهم كوجك خان بن تارونغ «أمر قبيلة التايماق التركية» هذه الفرصة انضم الثوار إليه ، وما إن علم كورجان بذلك حتى سارع بإظهار غروض الطاعة والولاء لكوجك.

وعلى الرغم من رفض كوجك لذلك إلا أنه استقبله استقبال لابن لوالده ، إلا أن السلطة آلت إليه ، وهذا ما سوف نوضحه فيما بعد^(١).

وعلى إثر هذا النصر ارتد السلطان الخوارزمي فخراً ، لذا فقد لقب نفسه بالعديد من الألقاب ، منها : «الإسكندر الثاني» ، و«فضل الله على لأرض» وهو اللقب المفضل له^(٢).

١- في المعركة ، فكرمه خوارزمشاه وأجلسه معه على سرير الملك ، ثم بحث به إلى خوارزم ، ولم يوضح مصيره ؛ الديار البكري : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥١٣ ، ٥٢٢ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٣٩ ، ٦١ ؛ فليوري : المرجع السابق ، ص ١٥٤ ؛ قصبي : طبقات المصري : المجلد الأول ، ص ٣٠٨.

(١) بارتولد . تركستان منفتح البحرى حتى افرو المغولي ، ص ٥١٦

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥٠٢ ؛ فليوري : تاريخ يخرى ، ص ١٥٤

ولكن بعد عودته لخوارزم ومعه حاكم سمرقند وبخارا الذي احتل
هناك بزولجه من كريمة خوارزمشاه ، ما لبثت أن اضطربت الأمور ،
وانتهت جماعة من جماعات قورخان نولحي جند ، إلى جلب معاودة
القراخطاي لمحاصرة سمرقند ، لذا سارع السلطان الخوارزمي إلى بلاد
ما وراء النهر ،

ولقد نجح سكان سمرقند في صد ما يقارب من سبعين هجمة من
هجمات القراخطاي ، ولقد وقفوا فيها كلها ما عدا واحدة تمكن العدو منهم
وأجبرهم على التقهقر داخل مدينتهم ، وما إن وصلهم قدوم السلطان
الخوارزمي ، وكذلك ثورة أمير الدايان في الجانب الشرقي من المملكة ،
حتى اضطر القراخطاي إلى الانسحاب والعودة إلى بلادهم ، وذلك بعد
صددهم هتنة مع أمالي سمرقند.

وفي الوقت نفسه رفض حاكم مدينة «أغناق» على الرغم من
كونه مسلماً الخضوع والطاعة للسلطان الخوارزمي ، وعلى أثرها أرسل
فصيلة للاستيلاء على المدينة وقد وفق في ذلك ، وجاء إليه مكبلاً
بالسلاسل والقيود.

ومن الظاهر أن الخوارزميين قد أسعوا الحكم في ما وراء النهر
، فلم يحترموا شعور المواطنين ، ولم يضمنوا أي اعتبار لحكام البلاد
الأصليين بها ، مما ترتب عليه العديد من الثورات التي انتهكت كرامة
الدولة الخوارزمية.

• الثورة في سمرقند :

بمجرد أن عاد حاكم سمرقند وبخارا إلى بلاده حتى عاود تعاونه
مرة ثانية مع القراخطاي ، وخاصة بعد شعوره بأنه لم يجد أي فارق ما
بين حكم الكفرة القراخطاي ، وحكم الخوارزميين وناقبهم في سمرقند ،
ولقد تم هذا التعاون في عام ٦٠٧هـ / ١٢١١م.

ولم يكن هذا العام على وجه التحديد في صالح دولة القراخطاي ،
وحاصه أنه في الجزء الشمالي من «يدي صو» حيث أمير السجدة
والنائب عن كورحلن القراخطاي والذي تنحى عن تبعيته لهم ، بسبب
وصول كتيبه من المغول بقيادة «كوبيلاي بوين» إلى هناك وقتلهم بهد
النائب الخلق.

وكان حاكم سمرقند وبخارا قد خلع تلك التبعية بعد أن وافقته
الرعية على ذلك ، ولم يلقه الأمر عند هذا الحد بل تطرق إلى معاملته
السبئية لزوجته كريمة إنشاء الخوارزمي ، تلك التي تقتصر عملها في
سمرقند على خدمة الأميرة القراخطائية فقط ، كذلك أمره بقتل كل
الخوارزميين الموجودين في المدينة ، ثم أمر بعدها بقتل زوجته لولا
تشفعها عنده ذكورة «أنا امرأة وقتل مثلي قبيح ، ولم يكن مني إليك ما
استوجب به هذا منك ، ولعل تركي أحمد عاقبة ، فلتق الله في ، فتركها
ووكل بها من يمنعها التصرف في نفسها».

وكما يذكر ابن الأثير أن أجسلم الخوارزميين قد شطرت إلى
نصفين وطفت في الأسواق كما يطلق القصابون اللحم ويدل ذلك على
الكره الشديد من قبل السمرقنديين للخوارزمية ، وما إن علم السلطان
محمد بذلك حتى وبخه على ما بدر منه ، قائلاً : «قد فعلت ما لم يفعله
مسلم ، واستحللت دماء المسلمين ما لا يفعله علن لا مسلم ولا كافر ،
وقد عفا الله عما سلف فلأخرج من البلاد وأرض حيث شئت» ، فاستمع
عثمان عن الخضوع لتلك التهديدات له من قبل السلطان الخوارزمي ، مما
اضطره إلى محاصرته.

ونظرا مرواية ابن الأثير من كونه كان يريد أن يقتل كل من في
خوارزم من العرباء ، ثم تقتصر هذا الحكم بعد ذلك على السمرقنديين ،
حيث حالت أمة بينه وبين حدوث ذلك ، ولم تطل مدة «علمة أهالي

ممرقند لذلك ، وظهر عثمان حليلاً سيفاً وقطعة من ثوبه علوناً وبليلاً على رغبته في السلام ، وإن كان قد اختلف بين الأكثر من قه أغلق بيده بعد استيلاء الخوارزميين عليها ، ورفض رجاءه بالصفو ، ثم احضره ، وبعدها أمر عسكره بقتلهم ، واستمر ذلك ثلاثة أيام تقريباً ، ولقد بلغ عدد القتلى ٢٠٠ ألف قتيل ، وإن كان هذا العدد ميلافاً فيه وبعدها تدخل الأئمة لدى السلطان الخوارزمي لوقف القتال وتم ذلك لهم.

ونقد أولاد السلطان الخوارزمي البقاء على حياة السلطان عثمان لولا تدخل ابنه التي أصرت على قتله ، فاعدم في الليلة التالية ، وذلك عام ١١١٢/١١١٣م ، وبعدها صارت ممرقند العاصمة الفعلية للسلطان الخوارزمي ، لبنى بها مسجداً جامعاً ، وبذلت في بناء صرح عال ، وكان في الغالب يريد أن يبنى قصراً هناك^(١). ثم أرسل السلطان الخوارزمي إلى أمراء فرغانة وتركستان بدعوهم إلى الخضوع والطاعة التامة ، ثم أرسل فصيلة من جيشه لاحتلال مدينة اسفنجاب من أجل مناوشة القراخطاي ومنعهم من استعادة قواهم ، ومرجع ذلك هو وصول الأخبار بتوغل كوجك وتمكنه من السلطة ببلاد القراخطاي^(٢).

(١) ابن الأثير : التكمال في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٦٨-٢٦٩ ؛ ابن خلدون : المعبر وديوان السبأ والخبر ، ص ٢٢٦ ؛ يارثوك : المرجع السابق ، ص ٥٢٤ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والفضول ، ص ٦٢-٦٣ ؛ دكترة المساريف الإسلامية ، ج ٥ ، ص ١٠٥ ؛

M A. Czapliska : the Turkes of central Asia in history at the present day, p.110; Henry H. Haworth, F.S.A. op. cit., p 7, Ibrahim Kafesoylu : op. cit., p. 157.

هارولد لامب : جنكيزخان إمبراطور القس كلهم ، ترجمة : بهاء الدين الخوري ، (مجلد ، دخت) ، ص ١٧٧-١٧٨ ، حاشية ١٠.

(٢) يارثوك : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥٢٥.

• الثورة في هراة :

ويرجع سبب نشوبها إلى سوء معاملة عسكر خوارزمشاه للرعية ، وتعديهم على الأموال ، وبالتالي فقد قبض عليهم حصين بن حرميل وحبسهم ثم بعث رسولا إلى السلطان الخوارزمي يعرقه بما قام به هؤلاء من أفعال وأضرار ، وفي ذلك الحين كان السلطان للخوارزمي منشغلا بقتاله مع الحملا ، وإن كان بعدها قد أرسل إليه يمتحن ما فعله ، وأمره بإرسالهم إليه ، وكونه سوف يرسل إليه رجلا ذا عقل راجح ، وحسن التصرف ليسانده في حكم هراة ، وهو «جلتك بن طغرل صاحب الخام» والذي أمره بالقبض على الحصين ابن حرميل.

وصار جلتك في ٢٠٠٠ جندي وكان للحصين وزير محلك يُعرف بـ «خواجه» تدارك الموقف ، وعرف ما ينوي عليه السلطان الخوارزمي ، لذا حذر الحصين بن حرميل من عدم الخروج إليهم ، ولم يوافقه على ذلك خوفا من الخروج عن طاعة السلطان الخوارزمي ، وتحقق ما توقعه الوزير وقبض على ابن حرميل ، وطلبوا الوزير بفتح أبواب المدينة وتسليمها ، ولكنه امتنع ، وذلك لولائه للسلطان الفوري ، واستمرت المناورات فيما بينهما ، ونتج عنها مقتل ابن حرميل ، ثم أرسل السلطان الخوارزمي في طلب «جلتك» وأرسل مكلفه كلاً من «كزلك خا» و«إبي نيسابور» و«أمين الدين أبي بكر» صاحب زورن ، حيث أرسلوا الوزير من أجل تسليم المدينة ولكنه لم يوافقهم على هذا الحال ، ولم يقبلوا عليه^(١).

وإن كان تبارتولد رأي آخر تقرأ حدوث تحول بين ابن حرميل والسلطان غياث الدين الفوري ، وما إن وصل السلطان الخوارزمي إليها

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٦٠-٢٦٢.

حتى انصم إليه وتدم على ما بدر منه ، فسلمحه خوارزمشاه لولا أن
مستشاريه قلوا له إنه ليس من الحكمة أن يعهد إلى شخص قد خال العهد
لكثر من مرة ، فاعدم ابن خرميل ، أما المدينة فقد تحصن بها وزيره ولم
تقع المدينة في أيدي الخوارزميين إلا بعد مدة طويلة من الحصار^(١).

• ثورة كزلي «كزلك» حاكم نيسابور :

وعلى إثرها دخل السلطان الخوارزمي نيسابور ، وذلك في
٢٠ مارس عام ١٢٠٨م ، وهرب ابن كزلي إلى ما وراء الهند طالباً
للعم من القراخطاي ، ولكن تمكن منه أعوان خوارزمشاه وقتل هو
وجميع أصحابه. أما كزلي فقد فر هارباً إلى خوارزم ، وقتل بأمر والده
السلطان الخوارزمي ، وأرسلت رأسه لأبيه^(٢). ذلك كان الوضع في تلك
الأيام بعد تمكن خوارزمشاه محمد من القراخطاي.

ثم وصل السفراء من قبل كرجك إلى السلطان الخوارزمي لعقد
تحالف ضد القراخطاي مقابل تركستان التي سوف تكون نصيب من
يحرز النصر على القراخطاي ، فإذا كان النصر حليف التيماني يكون
أميراً معترفاً به على جميع المناطق الواقعة شرقي نهر سيردريا ، أما إذا
كان في صالح السلطان الخوارزمي صار أميراً معترفاً به على جميع
الولايات إلى كاشغر ومدينة خفت^(٣). وقد تظاهر السلطان الخوارزمي
بالموافقة على ذلك.

(١) بارتولد ، تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥١٨

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥١٨-٢١٩.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ،

ص ٥١٤ ؛ حلفت أحمد حسني : المرجع السابق ، ص ٦٣-٦٤ ؛ قاسميري :

المرجع السابق ، ص ١٥٥.

في الوقت نفسه طلب الكورخان تنسلي الخلافات والاتحاد مع
 صد كوجك ، وتظاهر كذلك بالموافقة على ذلك ، وظل متفرجاً في ساحة
 القتال حتى ظهرت نتيجة المعركة بوزيمة الكورخان وأسره ، وما إلى
 رأي السلطان محمد الخوارزمي ذلك حتى أوهم كوجك بمشاركته في
 المعركة ، ولكن كوجك لم يقع بذلك وخاصة بعد أن طلب السلطان
 الخوارزمي منه أن يتنازل عن قسم من أراضيه الكورخاني^(١).

ولقد خالف النسوي ذلك ، وهو الذي منحت له الفرصة للتحديث
 مع آخر سفير من سفراء السلطان الخوارزمي وهو «محمد بن قراقاسم
 النسوي» إلى كوجك ، ذكر أنه بعد أن حرره كوجك من شدة العمل
 الذي قام به تظاهر بأن الكورخان بعد هزيمته على يد خوارزمشاه عرض
 عليه الصنح وأن يزوجه من كريمة «طفناج خاتون» وتزف إليه بمس
 تحويه من خزائن ذلك السلطان من جواهر ثمينة مقابل أن يتركه في
 أحياء بلاده.

وفي الوقت نفسه استغل كوجك الصنف الذي انتاب الكورخان ،
 فاتجه إلى أسلوب المهادنة ، فأرسل الهدايا إلى السلطان الخوارزمي ،
 وفي الوقت نفسه رفض تسليم الكورخان الذي سبق وأرسل إليه السلطان
 الخوارزمي في طلب تسليمه وابنته وأتباعه وغرائقه ، والسبب في ذلك
 هو الكورخان نفسه الذي خشي من المصير المؤلم أنه في خوارزم.

وعندما وجد السلطان الخوارزمي تلك المعاملة طلب من سفيره
 إغلاظ القول له «كوجك» الذي أراد لبعض عليه ، لكنه تمكس من
 الهرب أثناء الاشتباكات التي وقعت بين قوات كوجك وقوات السلطان
 الخوارزمي في كاشغر ومواضع أخرى^(٢).

(١) بارنولد : المرجع السابق ، ص ٥٢٦.

(٢) - رنوت - تركستان من فتح العربي حتى لغزو المغولي ، ص ٥٢٦.

وكان من نتائج ما سبق الآتي :

١- اعتلاء كوجك لعرش الخطا ، وبذلك صارت أملاكه مجاورة لأملاك الخوارزميين.

٢ ترتب على عدوة كوجك لتكيز خلن أن لفت الأنظار إلى تلك الأقاليم الغربية من آسيا رغبة في الانتقام من عدوهم.

٣- بعد تمكن كوجك من العرش بدأ يقوى نفوذه على حساب القسوى الموجودة هناك ، فأخضع عدداً كبيراً منهم ، والتي كان بعضها تابعاً للمغول لذا قضت أملاكه حتى شملت الأقاليم الممتدة من بلاد التبت حتى حدود الدولة الخوارزمية^(١).

٤- إرسال السلطان الخوارزمي العديد من الوحدات الصغيرة ليها يعرف بـ «حرب العصابات» ، وذلك لأنه لم يجد في جيشه المقننة على الخوض في معركة كبيرة مع كوجك ، ولقد عاتبه كوجك على أعماله تلك قائلاً : «ليس هذا فعل الملوك ، هذا فعل اللصوص ، وإن كنت سلطاناً كما تقول فوجب أن نلتقي ، فلما أن تهزمني وتملك البلاد التي يبدى ، وأما أن أفعل أنا بك ذلك» ، على الرغم من أنه نفسه كان يتبع هذا الأسلوب مع السلطان الخوارزمي ، والذي تروى عليه اندلاع المجاعات في اغلب المناطق فاضطر الأمالي إلى طاعتهم وفي الوقت نفسه وقف السلطان الخوارزمي عاجزاً عن تقديم المعون لهم ، وكذلك حماية الأطراف الشمالية في منطقة ما وراء النهر ، وإنما اقتصر عمله على البقاء صيفاً في سمرقند وتوابعها لئلا يحدث أي هجوم من قبل كوجك. كذلك أصدر أوامره بتخريب تلك المناطق تخريباً نهائياً خوفاً من هجوم كوجك الذي انتهت حياته على يد قائد من فراء الجيش المغولي عام ١٢١٥/١٢١٨م^(٢).

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول - ص ٦٤.

(٢) بارنولا : المرجع السابق ، ص ٥٢٨ ، حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٦٥.

د- الأوساع العامة لإقليم بلاد الجبل واستطاعت له منذ عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨م / ١٢١٧م -

من خلال تناولنا لهذا الإقليم نلاحظ أن تبعيته لشاهات خوارزم تتواجد بتواجد الشاهات أنفسهم ، أو تولاهم فيه ، وبمجرد تركهم له تنتهي تلك التبعية ، وذلك ما حدث في عهد علاء الدين تكش ، فبعد تمكنه منه ورجوعه إلى خوارزم ، ما لبثت أن نشبت الثورات فيه ، وهكذا حتى بدأ مرحلة جديدة في عهد السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، فكانت السمة السائدة على تلك المرحلة هي الثورات والحروب بين ولاياته ، والتي وقعت أحياناً على سكان ذلك الإقليم.

وكان متولي أمر هذا الإقليم بعد مغادرة السلطان الخوارزمي تكش «نور الدين علي كوكجة» (أحد مماليك الأتابك محمد البهلوان) ، وظل به حتى عام ١٢٠٣هـ / ١٢٠٣م ، بصفته تابعاً لسيده الأتابك الأعظم البهلوان ، ولكنه قتل على يد «شمس الدين أيتغش» (أحد مماليك أتابك أذربيجان) ، وبذلك سيطر على ذلك الإقليم ، واستمرت سلطته إلى أذربيجان ، الرآن الفعلي ، وصار الحاكم الفعلي ، ونشر نفوذه على أراضي أخرى ، وذلك كما يقول : «... من باب خراسان إلى أخلاط» ووضع تحت سيطرته كلا من الأتابك أربك وكذلك أبي بكر ، وحسب منطقته من أعدائه ، وهم : «مظفر الدين كوكيري - حاكم أربل» و«سنقر - حاكم مراغة» و«بدر الدين تولو - حاكم الموصل» ، وهزم قوة خوارزمية عندها (١٠) آلاف شخص لرويتها في غزو أرفنسليم ، وصار ممتلكاتهم وهاجم أراضي الإسماعيلية واستولى على خمس قلاع ودمر لهم أراضي بالقرب من منطقة قزوین ، ولكن لم يتم حكمه سوى ثماني سنوات ، أي حتى عام ١٢١٢هـ / ١٢٠٨م ، نظراً لتغلب «ناصر الدين منجلى - (أحد مماليك الأتابك محمد البهلوان) عليه ، وصار بعدها للحكم الفعلي لتلك

المناطق ، وفر لينغمش هاربا إلى الخليفة العباسي طائبا المساعدة ، ولقد استجاب له ورحب به واحتفل أهل بغداد به^(١) ، والسبب وراء ذلك إلى رغبة الخليفة في عدم التدخل في شئون إقليم بلاد الجبل ، وتهديد أمسه طوال السنوات التي حكمها هذا الولي المخلوع ، وتظراً كذلك لعدم تدخل هذا الولي في شئون الخلافة العباسية وتهديد أمنها ، لذا فإن احترام الخليفة العباسي وتكديره^(٢).

في الوقت نفسه سارع «منجلي» بإرسال وفد دبلوماسي برأسه ابنه ، في المحرم عام ١٢٠٩هـ/١٢١٢م إلى الخليفة العباسي خوفاً من تصرف لينغمش اعتقاداً منه كونه يطلب التدخل العسكري في شئون هذا الإقليم ، وخاصة أنه لم يكن قد تمكن من حكم هذا الإقليم ، ولقد أحترم الخليفة هذا الوفد ، وحسب رواية ابن الأثير أنهم بقوا في بغداد ما يقرب من عامين^(٣). ولكن لم يذكر السبب وراء بقائهم في بغداد طوال تلك المدة.

وإن كان من المرجح أن يكون الخليفة قد أوعىهم على البقاء خوفاً مما قد تسفر عنه الأحداث ، وخاصة كونه يفتقد إلى وجود قوات عسكرية لدية تسمح له بمناصرة هذا الحاكم ، والخوض في معركة ، كما أنه لم يكن يبغى إثارة الحاكم منجلي ، لذا أرسل لينغمش إلى همدان ووعده بالمساعدة والانتظار حتى يقدم جيش الخليفة العباسي ، كذلك من المرجح أن يكون الخليفة العباسي قد اتصل ببعض جيرانه من الحكام مثل : أتابك أنزيبجان ، وكذلك الموصل ، لمعرفة موقفهم من الوضع

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٣٨.

(٢) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص ١١٧.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٧ ، ص ٢٩٦.

الراهن في تلك الإقليم ، ولكن لم يجد استجابة ، وذلك لخطورة الحاكم منجلي.

هذا ولقد اتصل الحاكم اينتمش أثناء زهابه لهمدان بالقبيلة التركمانية الإيوانية من أجل المناصرة ، ولكنهم ونظراً لظروفهم الداخلية التي اضطرت رئيسهم سليمان الإيواني إلى أحبار منجلي بمكان اينتمش ، والذي من المرجح أن يكون منجلي قد أغراههم بالمال ، وفتج عن ذلك مثل اينتمش وأرسلت رأسه إلى الحاكم منجلي ، وربما يكون الخليفة العباسي أحد الخيوط التي ساهمت في نجاح تلك المؤامرة ، وبذلك صير منجلي قوة عسكرية وخطراً يهدد الحكام المجاورين وكذلك للخليفة لنباسي ، وأتابك أنريجان.

وبعد مرور عامين تقريباً من تلك الأحداث السابقة لذكر ، تكون وفد من الأتابك أريك ، وحسن الثالث «رئيس الطائفة الإسماعيلية» طالبين العون من الخليفة العباسي ضد الحاكم منجلي والتدخل في شئون إقليم بلاد الجبل^(١) ، وانضم إليهم كذلك حاكم أربل «مظفر الدين كوكبري» وكان القائد العام للقوات التي وجهت ضد منجلي وأحررت النصر عليه ، وذلك عام ٦١٢هـ/١٢١٥م ، ومعه في الحظف قوات الخليفة العباسي تحت قيادة «مظفر الدين وجه السبع» الذي كان تحت قيادته بعض القوات المرتزقة من رجال الموصل والجزيرة وكذلك من أراضي بلاد الشام^(٢).

ولقد ترتب على ذلك العديد من المكاسب لأطراف هذا الوفد وكان أولهم «حسن الثالث» الذي منح مدينتي أيجر «الواقعة إلى الغرب من مدينة قروين» ، وزنجان «الواقعة إلى الشمال من أيجر» مع جميع القرى والأرياف نظراً لما لاقاه من مشكلات في حربه ضد منجلي.

(١) سعد بن محمد حنيفة مسخر القلندي : المرجع السابق ، ص ١١٨-١١٩.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٠٦.

كذلك استرد الأتراك أذربيك بن محمد فيهلون جميع الأراضي التي كانت في حوزة الحاكم منجلي ، وهي : همدان ، والري ، وأصبهر وتوابعا ، وولي نقيب أعظميش «أحد المملوك التابعين لأخيه» ، مكافأة للنور العظيم الذي قام به في الحرب ضد منجلي^(١). في الوقت الذي لم يتحقق للحليفة العباسي أي مكاسب في ذلك الإقليم. فيذكر يارنولد أنه لم يطالب حتى بتسليمه في أراضي ناصر الدين منجلي ، والتي يبدو أن الخلاء قد اتفقا على هذا التقسيم قبل بدء تلك الحرب^(٢).

• أعظميش الحاكم الجديد لإقليم بلاد الجبل ، والتعهد بتقديم هلاء الدين محمد خوارزمشاه

كان أعظميش نائب أتابك أذربيجان يعمل في بلاط السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، وظل في خدمته فترة قبل مقبلة واشترائه في الحرب ضد منجلي ، ولم تنكر الفترة التي قضاها هناك ، ولا السبب وراء ذهابه ، ثم رجوعه إلى أتابك أذربيجان^(٣).

ولقد أوضح الجويني أن السبب وراء ذهابه لإقليم بلاد الجبل ، أن السلطان محمد قد أرسله في مهمة رسمية ، ولكن لم يفصح عن مسببها ، ولا الهدف منها^(٤).

ومن المرجح أن يكون أتابك أذربيجان قد طلب منه البقاء ليتولى منصب النائب في إقليم بلاد الجبل لما أبداه من مهارة وقدر عسكري في الحرب السابقة ، ووافق على ذلك ، وظل على ولايته لسيدة فترة ثم أعلن عصيانه ، وانضم بكل الأراضي التي تحت سيطرته إلى مسيوه الأول ،

(١) ميراثيور : انكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٣٠٧.

(٢) ميراثيور : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣٠٧ ، يارنولد : تركستان عن الفتح

للجوي حتى لغزو المغولي ، ص ٢٤٦.

(٣) ميراثيور : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣٠٧.

(٤) للجويني : المرجع السابق ، ص ١٢١.

وهو السلطان الخوارزمي ، وأعلن نفسه نائبا له ، وخطب له على منبر المساجد أيام الجمع ، وظل هذا الوضع قائما لمدة عام حتى اغتيل عند استقباله لواء الحجاج في لواتل عام ١٢١٤/٥١١٧م ، ولقد وجه الاتهام في أغلب المصادر والمراجع إلى الخليفة العباسي الذي كلف مجموعة من الاسماعيلية الحشيشية لتنفيذ تلك المؤامرة ، والتي بنجاحها انتهت سلطنة الخوارزميين الصورية على هذا الإقليم^(١).

ويذكر ابن الأثير ويكتك القسوي^(٢) أن تلك الحادثة كانت من الأسباب وراء قدوم السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد لإقليم بلاد الجبل ، واتجاهه بعد ذلك إلى بغداد حيث الخليفة العباسي.

أسباب قدوم السلطان علاء الدين محمد إلى إقليم بلاد الجبل :

١- لقد صار السلطان الخوارزمي ذا قوة جبارة وسلطات واسعة ، وخاصة بعد أن استولى على منطقة ما وراء النهر - على حد تعبيره - بالقرلخطاي «...أطاعة القريب والبعيد»^(٣) . لذا صمم على استرجاع سيطرتهم السابقة على إقليم الجبل.

٢- رغبته في الوصول إلى مرتبة السلطنة في العاصمة العباسية بغداد بقراءة الخطبة باسمه أيام الجمع والمناسبات ، بالإضافة إلى عدائه الشديد للخليفة نظراً لتصرفاته الغريبة معه^(٤).

٣- مقتل نائبه في هذا الإقليم أغميش على يد القذوية الاسماعيلية^(٥).

(١) دائرة المعارف الإسلامية : ج ٥ ، ص ٢١٠ ؛ سديد ختونة مصغر الماسدي : المرجع السابق ، ص ١٣٢.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢١٦ ؛ محمد القسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٥٢.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣١٦.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣١٦.

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣١٦.

وقد أضلّف الجويني أسباباً أخرى ، ونلاحظ على تلك الأسباب التي أوردناها أنها كلها مركزة على العداء الذي كان يسيّر لسلطان الحواريّمي والخليفة العباسي ، وإن معظم المؤرخين قد رجحوا تلك الأسباب ، ولقبي تتمثل في :

١- يذكر أن عوامل هذا النزاع ترجع إلى والده عملاء الدين تكش وهزيمته لجيش الخليفة العباسي في شخص وزيره ابن التصاب ، وأن السلطان محمد عند استيلائه على غزنة قد عثر على رسائل من قبل الخليفة العباسي إلى الخواريين ، وكذلك الفراهيدي ، طالباً القضاء على الخواريين بالهجوم على أراضيهم^(١).

٢- مقتل أطميش الذي اتهم فيها للخليفة العباسي ، وإن كان الخليفة قد اتهم بها جوراً ، حيث أن كل من الأتراك أزيك ، وجلال الدين حسن الثالث ، من المحتمل أن يكونا وراء هذا التصرف ومبرراتهم هي ذلك واضحة ، فبالنسبة للأتراك أزيك والذي كان أطميش نائبه ، ثم نقض ولاءه ، وتحول لتعبية السلطان الخواريّمي ، وبالتالي فقد خلق قوى قد أخلت بميزان القوى في المنطقة ، وترعب عليه تهدد أمن أتابك أنزريجان ومنع استقلاله ، أما جلال الدين حسن الثالث فهو صديق حميم للأتراك أنزريجان ، وخاصة بعد نبذه لعقده أسلافه المنطرفة من الإسماعيلية ، واعتناقه للمذهب السني وكانت أسبابه هي ذلك هي :

أ - كون أراضيهم هدفاً لهجوم جيوشه من الحكام من أهل السنة طوال أيام أسلافه من شيوخ الإسماعيلية.

(١) الجويني : المرجع السابق ، ص ١٨٢.

ب- سياسة أسلافه المتطرفة تجاه المذاهب الأخرى ، وما ترتب عليها من عيشتهم في عزلة تامة عن بقية المناطق والمجتمعات المجاورة ، وكانت نتيجتها كراهية هؤلاء لهم.

لكل تلك الأسباب ولكي يكون في مأمن من جيرانه المسيبيين عتق هذا المذهب ، ولتتيح له فرصة التعامل مع العالم الخارجي ، ولم يكتف باعتناقه لهذا المذهب ، ولكنه تبرأ من أفعال أسلافه ولعنهم على منابر المساجد ، ولحرق جميع كتبهم ، وأرسل والدته إلى الحج ، وحملها أموالاً وصنفاً لتتقها على قراء المسلمين^(١).

وباعتناقه للمذهب صار صديقاً حميماً لذلك الأتراك أربك ، ومكث عنده ما يقرب من عام ونصف ، لذا من المؤكد أن يكون قد خططوا للإطاحة بذلك السلطان الخوارزمي ، وكان لكل منهما مكاسب من وراء ذلك حيث استعاد أربك إقليم بلاد الجبل^(٢).

ومن الأسباب الأخرى : سفارة الشيخ شهاب الدين السهروردي الذي أرسله الخليفة مع كاض بعد تلك المراسلات التي أرسلها السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، لذا فقد أرسل الخليفة ذلك الشيخ ليكون رادعاً للسلطان عما يفكر فيه ويرجوه ، وكذلك تهدئة الجو بين الخليفة العباسي والسلطان الخوارزمي ، ولكنه لم يوفق في تلك المهمة^(٣).

ولقد ذكر النسوي أن تلك السفارة قد يمكت قبل مقتل أعلاميش عام ١٢١٧/٥٦١٤م^(٤). لذا فقد سارع السلطان الخوارزمي من منطقة ما وراء

(١) الجوزي : المرجع السابق ، ص ١٨٢ ؛ ابن الجوزي : تاريخ الزمان ، ص ٢٤٩

(٢) سعد بن محمد حنيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص ١٢٨-١٢٩.

(٣) سعد بن محمد حنيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص ١٣٥.

(٤) محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٥٢.

السهر بجيشه إلى إقليم بلاد الجبل من أجل استعاضته ، وذلك لكثرة منافسيه الذين اتبهم للرغبة في امتداد سيطرتهم على تلك الإقليم ، وهم : أتابك أذربيجان وقرآن وحاكم إقليم فارس وهو «سعد بن دكلا الملقب» ويقول النسوي : أن أتابك تمكن من السيطرة على تلك الإقليم ، وذلك باتجاهه من أذربيجان إلى أصفهان في الجنوب ، وسيطر على المدينة وذلك باتفاق من أهلها والذين وافقوا على تبعيتهم لهذا الأتابك كما كانوا من قبل تحت حكم إيلدكز وابنه محمد البلهوان^(١).

ولقد اختلف معه ابن الأثير وذلك باستيلاء سعد بن دكلا على تلك المدينة ، وذلك لكون أصفهان أقرب من حدود أراضي من الأتابك أتابك^(٢).

وإن كانت رواية النسوي أقرب إلى المنطقية ، وذلك لعدة أسباب

- ١ - تبعيتها لأتابك أذربيجان ، ويكون سكانها يفضلون حكم أسرة إيلدكز.
- ٢ - أن النسوي قد تناول تلك المعلومات من قبل وزير أتابك أذربيجان ، وهو «قصدت ربيب الدين أبو القاسم بن علي» حيث كان يصعب سيده أثناء سيطرته على تلك المدينة^(٣).

وفي الوقت الذي استولى فيه أتابك أذربيجان على تلك المدينة أسرع كذلك سعد بن دكلا بالاستيلاء على الري ، وقزوين ، وخوار ، وسمنان ، إلى جانب الأراضي المحيطة بهذه المدن.

وما إن رأى المملوك الخوارزمي ذلك للتصارع حتى ترك أمور أراضيه في إقليم ، ما وراء النهر إلى بعض كبار رجال دولته ، وتجه

(١) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٥٢.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢١٦.

(٣) محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٥٢-٥٤.

بحيثة إلى ذلك الإقليم ، وتمكن منه بسهولة ، وأسر سعد بن نكلا الذي ظل طوال الوقت على جوائه بجانب السلطان في كل مكان يذهب إليه ، أما أتابك أنزبيجان فقد هرب ، ولكنهما في النهاية خضعا لشروط السلطان الحواري علاء الدين محمد وزينة على ذلك فقد فرض صريبة على أتابك أنزبيجان أربك^(١).

ط - السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه والخلافة العباسية وحمته على بغداد

تقد سار علاء الدين محمد على النهج نفسه الذي سار عليه آيساره وأجداده من قبل مع الخلافة العباسية في بغداد وذلك من أجل تحقيق آمالهم للتوسعة.

وكمهد السلطان الخوارزمين لتسعت العلاقات بينهم وبين الخلافة في بدايتها بالود والولاء ، يتضح ذلك من خلال تلك الرسائل المتبادلة بين السلطان الخوارزمي والخليفة العباسي الناصر لدين الله.

وكانت بدايتها ذلك الرسول الذي أرسله السلطان الخوارزمي إلى الخليفة العباسي وهو وزيره «ابن الاصباغي» الذي توفي عام ١٢٠٣/٥٦٠م ، وكانت الخلافة نبالغ في احترامه والإتعام عليه ، لما كانت تعلمه أنه من فضله وموالاته للدولة العباسية^(٢).

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٣١٧ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٣٢ ، حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والعمول ، ص ٣٧ ، محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٥٤ ، ٥٩ ، بنري محمد فيد : تاريخ العراق في العصر المماليكي الأخير ، ص ٦٨ ، نافذة المعارف الإسلامية : ج ٥ ، ص ٢١٠ ، حيث قال : «أرغمه السلطان علاء الدين محمد على ذكر الحطية باسمه ، وكذلك صريرت للمكة باسم خوارزمشاه».

(٢) ابن القمعي الحازن : الجامع المختصر في غزوات الخواريزم وعروب السير ، (الطبعة لسريانية الكتونيكية ، بغداد ، ١٩٣٤م) ، ج ٩ ، ص ١٣٩ ، سعد بن محمد حنيفة سفر الفلدي : سقوط الدولة العباسية ، ص ١٣٥ ، عملا عن العبود : فتوة الخوارزمية ، ص ٩١.

كذلك أُنذ الخليفة العباسي إلى السلطان الخوارزمي ، وذلك عام ١٢٠١هـ/١٢٠٣م ، «فخر الدين بن الشيخ مجد الدين يحيى بن الربيع» مدرس المدرسة النظامية ، من المرجح أن يكون ذلك الرسول رداً على الرسول الذي أرسله السلطان الخوارزمي ، وذلك دليل واضح على صداة العلاقة فيما بينهما وفي العام نفسه أرسل السلطان الخوارزمي رسولا آخر ، وهو «عصمر بن أحمد الخرقى» ذلك الذي يعرف بـ «ابن الأسير» توفي عام ١٢٠٢هـ/١٢٠٦م^(١).

وفي عام ١٢٠٢هـ/١٢٠٥م ، وصل إلى بغداد من البلاط الخوارزمي رسول من السلطان ، وهو نظام الدين محمد عبد الكريم السمعاني» وما أن نزل عند باب التوبي حتى استقبلوه بموكب الديوان العزيز ، وفي ٢٠ من ذي القعدة من العام نفسه طالب بالسماح له بالجنوس عند باب «بدر الشريف» من أجل لرغظ والإرشاد وسمح له بذلك ، واتفق حوله الناس ، ولقد بالغ في الثناء على البيت العباسي وكثير من الدعاة لهم^(٢).

وفي عام ١٢٠٨هـ/١٢٠٨م ، أرسل الخليفة العباسي «العقاد جبريل المصري» إلى السلطان الخوارزمي ، وذلك من أجل لنجاز بعض المهام ، وأثناء عودته إلى بغداد أرسل معه السلطان الخوارزمي العديد من الهدايا^(٣).

(١) ابن الساعي : المصدر السابق ، ص ١٤٢ ؛ سعد بن محمد بن حنيفة مسافر لقناني : المرجع السابق ، ص ١٣٥.

(٢) ابن الساعي : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ١٦٧-١٦٨ ؛ سعد بن محمد بن حنيفة مسافر لقناني : المرجع السابق ، ص ١٣٥ ؛ فوزي حامد عباس المأموني : المرجع السابق ، ص ١٨٧.

(٣) سعد بن محمد بن حنيفة مسافر لقناني : المرجع السابق ، ص ١٣٥-١٣٦ ؛ فوزي حامد عباس المأموني : المرجع السابق ، ص ١٨٧.

وفي العام نفسه وصل رسول - أيضاً - من السلطان الخوارزمي إلى الخلافة العباسية حيث تلقاه الموكب الديواني الشريف ، وذلك في ٢ جمادى الأولى حيث جلس نائب الوزارة وهو «ابن مسينا» وبعدها احصر الرسول الذي ألصق عما أتى من أجله ، وقيل منه ذلك ، ثم انزلوه بالمنرسة القبية بباب الأرج ، ثم خلع عليه وأُذن له بعد ذلك بالعودة إلى خوارزم حيث السلطان الخوارزمي^(١).

تلك كانت الرسائل والرسائل المتبادلة ما بين الخوارزميين والعباسيين والتي تكل دلاله واضحة على الود والتفاهم السائد بينهما ، وإن كان ذلك لم يدم طويلاً ، وذلك لأسباب سوف نوضحها فيما بعد. أسباب تبدل العلاقات الودية بين الخوارزميين والعباسيين إلى صراع وحروب .

في البداية وقبل أن نتحدث عن تلك الأسباب الظاهرية وراء اتجاه السلطان الخوارزمي إلى طلب الخلافة في بغداد ، نذكر أن تلك الرسائل التي سبق ذكرها والمتبادلة بينهما كن هدف السلطان الخوارزمي منها هو كسب ود الخلافة ، وإن كان من الممكن أن نطلق عليها أنها تمهيد حتى يتمكن السلطان من القضاء على أعدائه المجاورين ، والذين كانوا بمثابة العقبة التي تكف في طريقه ، وكذلك طريق أجداده وأبائه من قبل.

بعد أن تمكن من القراخطاي والغوريين ، وبعد سيطرته على إقليم بلاد الجبل (المرق المجسى) لم يبق أمامه سوى تحقيق أمل أسلافه في ذكر اسمهم محل أسلافهم من السلاجقة في خطبة الجمعة ، وكذلك بجانب اسم الخليفة العباسي على المسكة ، وقد طالب بذلك مسن قبل السلطان الخوارزمي نكتش ، ولم تمنح الفرصة له ، فسلر على منواله ابنه

(١) ابن قاضي - المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٢٦٢ ؛ سعد بن محمد بن حنيفة مسعر الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، ص ١٣٦ ؛ عفاف صيرة : التاريخ العباسي للدولة الخوارزمية ؛ عن كل تلك الرسائل انظر : ص ١٣٤-١٣٦

من بعده ، وذلك كان هدفه الأساسي والذي حان الوقت لتتجذره ، واتخذ من تلك الأسباب التي سوف نذكرها سنداً له لتحقيق هذا الهدف.

أولاً : رغبة السلطان الخوارزمي في تحقيق السياسة التي كان يرغب فيها لجدده وأبائه من قبل ، وهي أن يكون لهم ما كان للسلطنة من مهور ومكافآت عظيمة في جوف الدولة العباسية ، وهذا ويذكر أن السلطان الخوارزمي قد أرسل أحد رجاله ويدعى «القاضي مجير الدين عمر بن سيد الخوارزمي» إلى بغداد أكثر من مرة مطالباً العباسيين بذلك الحق الشرعي من وجهة نظره ، وكان رد فعل العباسيين على ذلك الرفض والتكرار لهذا التصرف ذكراً أن الظروف هي التي أدت إلى تحكم السلطنة في بغداد وفي الوقت نفسه كانت الدولة في حاجة إلى مساعدة السلطنة.

ولقد رد الخليفة العباسي ذكراً «كن معي كما كانت الحفاه من قبلك مع سلاطين السلطنة كـ «ألب أرسلان» و«ملكشاه»^(١) . وأمرهم لنا عهداً السلطان سنجر فيكون أمر بغداد والعراق ، ولا يكون لك إلا الخطبة».

وكما سبق وذكرنا أن الخليفة قد أنكر ذلك متعللاً بأن الظروف هي التي أدت ذلك لتأخر السلطنة من قبل ، وأعلن أن الخلافة لن تقبل من يتحكم فيها من المتحكمين ذكراً لمجبر الدين «أوليس فيما أنعم عليه به من الممالك الواسعة والأقاليم الشاسعة بعينه عن الطمع في دار ملك أمير المؤمنين ومشاهد آياته الراشدين». هذا إلى جانب علمه بأشغاله بما وراء النهر وبلاد الترك^(٢).

(١) السبكي طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الطحو ، ومحمد

محمود الطحفي ، (١٥ - القاهرة ، ١٣٨٢/١٩٦٤م) ، ج ١ ، ص ٢٢٠

(٢) حافظ أحمد حسدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٣٥ : مصدر السوي .

لترجع أسبق ، ص ١١-١٢ ، ٤٩ : الحويلى : تاريخ جهل كندا ، ص ١٨١ ،

محمد بن محمد حنيفة مسير العلماء : سقوط الدولة العباسية ، ص ١٣٧-١٣٨

ويعد تلك المدلولات عاد رسول خوارزمشاه مصطحباً معه رسالاً من قبل الخليفة العباسي وهو «شهاب الدين التبروردي» ذلك الذي حاول جهداً أن يشي السلطان الخوارزمي عن قصد بغداد ، وأنكسه فشل ، وخاصة أن الخليفة العباسي كان قد استعان من قبل بالمسيل الذي كان لعن الثالث شيخ الجبل الباطني^(١).

ولقد ذكر السلطان الخوارزمي لرسول الخليفة أنه لن يسوي أي شخص من بني العباس ، على الرغم من أنه قد علم أنه لودع عدداً كبيراً من الأتراك من بني جنسه في السجون وهذا في حد ذاته لسانه إليه ، ولقد أبلغه أنه من الضروري توسيل ذلك للخليفة العباسي ، لأنه لو لم يأنفع له ، ولقد بذل الرسول قصارى جهده في الدفاع عن الخليفة ، وتبرير سخطه من كل ما نسب إليه^(٢).

ولقد وصف رسول الخليفة مقابلته للسلطان الخوارزمي ذلكراً «استدعاني فأتيت إلى خيمة عظيمة لها دهليز لم أر في الدنيا مثله رأسي دهليز ملوك المعجم على اختلاف طبقاتهم صاحب همذان ، وأصبهان ، والري وغيرهم ، فدخلنا إلى خيمة أخرى ، وفي دهليز ملوك خرسان مرو دهليزها كذلك ثلاث خيام» ، ثم استورد شهاب الدين في وصف

(١) سعد بن محمد خليفة مسفر القلندي : المرجع السابق ، ص ١٢٤ ، خوانسپور : حبيب سپهر ، ص ٦٤٦ ، ذلكراً أن من الأسباب وراء مقدم السلطان الخوارزمي هو أن الخليفة العباسي كما قد قدم رواية جلال الدين حسر فصياح التمسك الجديد والذي تيراً من حقيقته ، وأرسل لواءه على حسب مراسيم السلاطين ، على راية السلاطين الخوارزمي : ميرخواف : روضة قصصا ، ص ٢٥٤.

(٢) صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، بدري محمد فهد : المرجع السابق ، ص ٧١ ، سعد بن محمد خليفة مسفر القلندي : المرجع السابق ، ص ١٣٨.

علاء الدين محمد ، فقال : «هو صبي له شعرات ، قاعد على تخت ساج و عليه قباء بخارا يساوي خمسة دراهم ، وعلى رأسه قطعة من جلد تساوي درهماً ، ضمنت عليه قلم يرد ، ولا أمرني بالجلوس فشرعت وحطيت خطبة بليغة ذكر فيها فضل بن العجل ، ووصف الخليفة بالزهد والورع والتقوى والدين ، والترجمان يعيد عليه قولي ، قلما مرغت نال لترجمان : قل له هذا الذي وصفت ما هو في بغداد ، قلت : نعم ، قال : أنا أجيء وأقيم خليفة بهذه الأوصاف ، ثم ردا بغير جواب»^(١).

ثانياً : عثوره في دار المحفوظات لدى الغوريين - وذلك عندما تمكن من مدينة غزنة عام ١٢١٢/١٧١٥م - على العديد من الكتب التي أرسلها إليهم هذا الخليفة ، يحرضهم فيها على إيقاف توسع الخوارزميين ، وذلك بمهاجمتهم من الخلف ، وترتب عليها مهاجمتهم لأمالك السلطان الخوارزمي في بداية حكمه ، بالإضافة إلى استيلائهم على بعض الأقاليم الخراسانية^(٢).

وتم يقتصر التحريض فقط على الغوريين بل تطرق الأمر كذلك إلى القراخطاي أنفسهم مقابل تأييدهم في سلطانهم ، وكذلك إقطاعهم من

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة القورومية والمغول ، ص ٤٤-٤٥ ؛ سعد بن محمد : خطبة مسعر الفخامي . مطبوع الدولة العثمانية ، ص ١٢٨-١٢٩.

(٢) خطا ملك الجوبى : المرجع السابق ، ص ١٨٢ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة القورومية والمغول ، ص ٣٦ ؛ بدرى محمد فهد : المرجع السابق ، ص ٧٠ ، فاميري : تاريخ بخارى ، ص ١٥٧ ؛ سعد بن محمد : خطبة مسعر الفخامي ، مطبوع الدولة العثمانية ، ص ١٤٠ ؛ ولوضاح الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص ١٢٥ ؛ حبيب الله شالواني : تاريخ إيران از ماد تا بلووى ، ص ٤٤٤ ؛ خوانسار : المرجع السابق ، ص ١٤٦ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص ٣٩٨ ؛ Henry H. Howorth : op. cit., p.8.

أملاك الخوارزميين في حالة إحراق الناصر عليهم وأرسل إليهم الهدايا
والخلع من أجل ذلك.

ثالثاً : قام فسطاطي الخوارزمي بتأييد بعض حركات التمرد والعصيان
التي كانت تتم ضد الخلافة العباسية ، وخير مثال على ذلك ، عندما
عصى مماليك الديوان «ديوان الخلافة» وذلك عام ٤٦٠٨هـ / ١٠٦٧م
، حيث استجاروا به فأعانهم على عصيانهم ، ولقد أرسل للناصر
لدين الله إلى «مظفر الدين بن زين الدين» صاحب أربل يعرفه
بذلك ، واستجد كذلك بصكر الملك الأشرف وغيره ، وتمكن من
قمع التمرد^(١).

رابعاً : ويختل هذا السبب الرابع ضمن الأسباب التي احتلقتها السلطان
الخوارزمي وهي أن الخليفة الناصر لدين الله كان قد عهد لابنه من
بعده وهو «الظاهر بأمر الله» بولاية العهد ، وذلك في شهر صفر
عام ٥٨٥هـ / ١١٨٩م ، وإن كان عام ٦٠٦هـ / ١٢٠٣م ، عاد عن
رأيه وأسقط عنه الخطبة ، وكانت حجة في ذلك هي عجزه عن
القيام بولاية العهد ولقد اضطر السلطان الخوارزمي على ذلك
ذاكراً «قد صبح عندي توليته ولم يثبت عندي موجب عزله» وجعل
ذلك حجة لكي يتطرق إلى العراق بالمصاكر ليرد خطبته^(٢).

كل تلك الأسباب كانت مجتمعة ، وذلك لكي يواصل سيره إلى
الخليفة العباسي في بغداد وذلك عام ٦١٤هـ / ١٢١٧م لمحقق منه الأول ،
وبذلك من أجل السيطرة على حاضرة الخلافة العباسية انتقاماً من الخليفة
إلى جانب أنه قرر عزل الخليفة ، وذلك من وجهة نظر السلطان

(١) سعد بن محمد حنيفة مسفر الغلدي . لوضائع الدول الإسلامية في الشرق
الإسلامي ، ص ١٤٠.

(٢) سعد بن محمد حنيفة مسفر الغلدي . حقوق الدولة العلية ، ص ١٤٠.

الخوارزمي أن الجلوس ليس لهم الحق في تولية منصب الخلافة هذا لأنهم مفتسبون للخلافة من سلالة الصين من علي بن الخطاب ، لذا فقد حصل على قوى من رجال الدين في مملكته ، بأن القاصر لا يستحق المنصب الذي هو عليه ، وكذلك أسرة بني العباس كلها أصبحت أمثلة لذلك ، لكنهم قد تقاعسوا عن وليفتهم القضية ، وقد أخذ على عاتقه إصلاح تلك الأوضاع التي تمكنت في تعيين شخص آخر من سلالة علي بن أبي طالب ، وهو «علاء الملك القرمذي»^(١). وهو رجل من ترمذ خطب له على منابر الدولة الخوارزمية ، وقد مكه اسمه على القصة وذلك بعد أن قطع الخطبة باسم الخليفة العباسي في خوارزم ، وقد سر القضية في فارس من ذلك لتحول بعد جبهة دلم أكثر من ستة قرون - منذ وفاء فرسول - ونجحوا في قلبه خلفه شرعية طوية^(٢).

ولكن طهر فارغ من عزل الخليفة العباسي ، وقطع خطبته من خوارزم ، وتعين هذا الشخص إلا أن الجويني والمصنوع التي تناولت ذلك لم تمتد بأية معلومات عن ذلك للشخص لا عن تعيينه ، ولا مكانه ، ولا مكان وجوده فيما بعد كخليفة ، حيث لا بد أن يكون له مكر للملك وسلمان الخلافة^(٣).

(١) الجويني : تاريخ جهان گشا ، ص ١٨٢ ؛ سعد بن محمد حنيفة مسفر القلندي : سقوط الدولة العباسية ، ص ١٤٢-١٤٣ ، وأوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص ١٢٠.

(٢) صلاح ملك الجويني : المرجع السابق ، ص ١٨٢ ؛ حافظ الأسد حسدي : دولة الخوارزمية والفتول ، ص ٢٨ ؛ الأسد شابي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ ؛ سعد بن محمد حنيفة مسفر القلندي : سقوط الدول العباسية ، ص ١٤٣ ، وأوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص ١٢٢ ؛

Percy Sykes : op. cit., p. 54

(٣) سعد بن محمد حنيفة مسفر القلندي : سقوط الدولة العباسية ، ص ١٤٣.

خامساً : وهو السبب الأخير الذي يعتبر نتيجة طبيعية لكل الأسباب السابقة الفكر والتي تؤكد ضرورة اتجاه السلطان الخوارزمي إلى بغداد وهي الظروف الطبيعية ، وكذلك التاريخية التي سارت عليها الدولة الخوارزمية في ذلك الوقت ، وخاصة بعد وصولها إلى ذلك الاتساع حيث امتدت حدودها من حدود بغداد من بحر أرال إلى الخليج الفارسي ، وبالتالي صار مطلقه لا يعطيه سلطان آخر في العالم الإسلامي ، وذلك بعد قسمة على ملوك العالم في ذلك الوقت ، وهم القرطبيون وكذلك الغوريون ، إلى جانب حربه للسلوطة الطائفة الإسماعيلية وسيطرته على قبة فارس وأذربيجان ، وبالتالي صار محاصراً للخلافة العباسية من ناحية الشمال وكذلك الشرق ، لذا لم يبق أمامه سوى بغداد^(١).

توتيات السلطان علاء الدين الخوارزمي للهجوم على العاصمة العباسية بغداد :

١- لقد أمر في بداية الأمر أن تضرب على بابيه نوبة ذى القرنين تعظيماً له ، ووقتها وقتا للشرق والغروب ، وذلك بدل من تلك النوبات الخمس التي كانت تضرب له في أوقات الصلوات الخمس ، والتي أوجدها لأولاه من بعده ليضربوها في الأقاليم ، وكان أول يوم ضربها فيه علاء الدين خوارزمشاه قد اختار لضربها ٢٧ ملكاً من كبار الملوك وأولادهم ، وقد كانت آلات النوبة من الذهب ، ودرست مضاربها بأنواع الجواهر^(٢).

(١) حفظ أحمد حسني : الدولة الخوارزمية والنفوذ ، ص ٣٨-٣٩.

(٢) سعد الصوي : حيرة السلطان جلال الدين منكبرسي ، ص ٦٥ ، الفريزي : ملوك فرقة دول الملوك ، ج ١ ، القسم الأول ، ص ٤٦ ، حاشية ١ ، ذكر أن المكان الذي نخط فيه ملوك الفرق الموسيقية وأوقات وتوزيعها ، وهي الطبخلة : وهي كلمة فارسية معناها فرقة موسيقية تابعة لموسيقى السلطان ، حيث من المعتاد أن تنق نوبة في كل ليلة بعد صلاة المغرب ، وتكون كذلك في مسجدة السلطان في الأنار والحروب.

٢- قام بتطعيم لحوال بلاد ما رواء النهر فأمر الملك فيها إلى «تاج الدين بكلكان» صاحب أكرار في مدينة نسا لكي يقيم بها ويصبح المسئول عنها^(١).

٣ أما فيما يتعلق بأمر خوارزم فقد عين الخطيب «برهان الدين محمد بن أحمد ابن عبد العزيز البخاري» المعروف بـ «صدرجهان رئيس الحليفة» بخاري وخطيباً عليها^(٢). ووزع بعدها ملك خوارزم بسين أولاده ، وذلك قبل خروجه إلى بغداد فكانت (خراسان ، خوارزم ، مازندران) إلى ولي عهده «قطب الدين أوزاغ شاه» حيث فضله عن بقية أخوته والذي كان على رأسهم السلطان جلال الدين منكبرتي وأيضاً ركن الدين غورشايجي ، نظراً لأتباعه لأولمر والدته «تركان خاتون» ورثها وتعهده مرضاتها^(٣).

ثم عين ابنه جلال الدين منكبرتي على ملك (غزنة ، باميان ، الغور ، همت ، نكاهلا ، رمين داور وما يليها) وعين ابنه غياث الدين بيرشاه على (كرمان ، كيش ، مكران) وجعل له وزيراً وهو «المصدر» «تاج الدين بن كريم الشرف النيسابوري».

أما العراق المعجمي فقد ترك عليها ركن الدين غورشايجي وكان وزيره على ذلك هو «الملك محمد بن المشيد السلوي»^(٤).

(١) محمد السوي : المرجع السابق ، ص ٦٦.

(٢) محمد السوي : المرجع السابق ، ص ٨.

(٣) محمد السوي : المرجع السابق ، ص ٧١-٧٢ ، حاشية ١ ، وكذلك ص ١٢٦ ، حاشية ٢ ، حيث ذكر أن السلطان الخوارزمي وهو على طرفي الصوت عزم ١٢٢٠/٥١٨م ، قد هرب تلك الوصية وأوصى بولاية لابنه جلال الدين منكبرتي ، وذلك لثقته في شجاعته ، ولأن له تركان خاتون قد وقعت في أسر للمغول.

(٤) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢٩ ، محمد السوي :

المرجع السابق ، ص ٧٢ ٧٣ ؛

Henry H. Howorth : History of the Mongols, p.8.

واستكملاً لتلك الترتيبات فقد وجه إلى شيخ الإسلام بمدينة
ممرقند ، وهو «جلال الدين» وكذلك ابنته «شمس الدين» وأخيه «أبو حمد
الدين» إلى تما وذلك تخوفاً من ثورتهم^(١).

خط سير السلطان الغورزمي إلى بغداد .

توجه السلطان الغورزمي علاء الدين محمد علي رأس حملة إلى
بغداد ، مسيراً أمامه العساكر والتي غطت البيداء من كثرتها ، وبالتالي
لقد أدخل العرب في كل من مر بهم هذا الجيش.

ويذكر أنه قد التقى في الحراق بالأتابك «سعد بن زنگي» والذي
توجه إليها من أجل الاستيلاء عليها ، بعد أن حرصه على ذلك الخليفة
العباسي كما ذكرنا من قبل ، ولقد انتصر عليه وهزمه ، وبعدها قبل
الدخول في طاعته ، وتعهد بأن يتكفل عن ثلث خراج فارس وهرسنه إليه
سنوياً ، إلى جانب إعطائه العديد من الامتيازات ، ولقد أوقع الهزيمة
كذلك بـ «أزبك بن البهلون» (أتابك أنربيجان) والذي حرصه كذلك
الخليفة العباسي ، وقد آمنه السلطان على حياته ، وضرب النكبة في تلك
الولاية باسمه ، وبعدها توجه إلى بغداد^(٢).

ولقد وصف النسوي لجيش حتى وصل إلى قلعة «أسد أبان» إلى
أن حدثت المفاجأة فهبت عليهم الأمطار والثلوج تلك التي فرقت وشلت
حركاتهم ، ولقد استمر ذلك ثلاثة أيام دون توقف ، ولقد جاء تعليق على
لسان الشاعر الشامي قائلاً :

لنثر المحارب من المساء لراحمها وكما الجبال من الحواصل ملبساً
وأنريسج باردة للهبوب كأنها أنفاس من عبق الحصان وأقلما

(١) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٧٠.

(٢) الجوزي : المرجع السابق : ص ١٨٢ ، محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٥٢.

S. lane Poole : The Mohammadn dynasties, p. 172 .

ولقد كانت الأمطار وراء هلاك العديد من رجاله ، ولجأ دوايس
«وصارت الأرض كلها بيضاء سوداء ، وشمل الهلاك خلقاً كثيراً من
الرجال ، ولم ينج شيء من الجبال»^(١).

ولقد وصف كمال الدين إسماعيل تلك القاتل :

مثل حبة القطن قد اختبأت في قطن بحثت لاختفت في الجبال الثلج^(٢).

وبعد تلك الهزيمة التي منى بها السلطان علاء الدين على بسلده
مرة ثانية ، نادى عما بدر منه في حق الخلافة العباسية ، ولقد اضطر إلى
مقابلة «الشيخ السهروردي» راسلاً معه إلى دار الخلافة ، مستشفعاً بالله
منيراً ، وعن البغي محذراً.

(١) محمد القسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرسي ، ص ٦٤ ، عن ابن مسعود
الجوهري : المرجع السابق ، ص ١٨٢ ، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ،
ج ٢ ، ص ١١٨ ، ابن خلّوق : المختصر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ،
ص ٢٣٢ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٤٩ ، هامبري : تاريخ بخارى ،
ص ١٥٧ ، حافظ أحمد حمدي : التوبة الخوارزمية والمنقول ، ص ٤٤ ، ٤٦ ،
أحمد شلبي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ ، هارولد لامب : المرجع السابق ،
ص ١٧٦ ، Brigadier : general sir percy sykes, Persia, p.53 ،
خولدمير : حبيب سير ، ص ٦٤٦ ، ذكرنا أن قهرمان كل شجاعاً لذا فقد أصيب
أطراف الجسد بالتمدد ، وعدم الحركة فهلك معظم جنده ، وكذلك هلك العاشية
، كل ذلك اضطره إلى العودة إلى خوارزم ، حبيب الله شمسوئي : المرجع
السابق ، ص ٤٤٥ ، ذكرنا أن بعض المؤرخين قد كتبوا أن السلطان علاء
الدين محمد رجل يؤمن بالفكرات ، وأنه ما أن رأي التلويح من تلك الجهة
اصعد أن السبب في ذلك هو رغبته في القضاء على الخلافة العباسية ، وفي
الحقيقة أن المغول كانوا قد عرضوا في ذلك الوقت لحدوده الشمالية ، لذا رأي
من الأراجيع العودة إلى بلاده ، لذا جاء إسماعيل بن مسعود عام ١٢١٨/١٢١٥
H. Howorth : History of the Mongoles, p.8.

(٢) محمد القسوي : المرجع السابق ، ص ٢٠ ، حافظ أحمد حمدي : التوبة
الخوارزمية والمنقول ، ص ٤٦ ، الجويني : المرجع السابق ، ص ١٨٣ ،
لصدي : الوافي بالوفيات ، ج ١ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، سعد بن محمد بن مسعود
للغامدي : مخطوط الدولة العباسية ، ص ١٤٧.

هذا ولقد ذكر له بعض أعرائه أن ذلك غضب من الله حين قصص بيت الحلامة^(١).

ولقد توافق رأي النسوي مع ابن الأثير ، وكذلك الجويني بأن من يتجرأ على الخلافة يخسر الدنيا والآخرة ، وذلك لأن بيت الخلافة بيت يؤيده الله بملأكة سماكة ، وله مر في بقلته عرائس في عقاله حمرانا للدي والآخره وهذا هو الخصران المبين^(٢).

ونتيجة لذلك قام بتعيين ابنه عياث الدين بهر شاه - كما سبق وذكرنا - على كرمن ، كيش ، مكران ، ونظراً لثناء معظم مسا كان للسلطان الخوارزمي من الجمال ، لذا فقد أحضر من نيسابور ٤٠٠ من البختي التركيين^(٣).

ثم ما لبث أن تبدلت الأحوال في الدولة الخوارزمية ، وذلك بظهور الخطر المغولي الذي هدد تلك الإمبراطورية المتمركزة الأطراب إلى الزوال ، وذلك عام ٦١٧هـ / ١٢١٩م^(٤).

(١) السبوحى : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٤٩.

(٢) محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرش ، ص ٢١ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٣١٨ ، الجويني : المرجع السابق ، ص ١٨٣ ، حافظ أحمد حسني : فتوة الخوارزمية والمغول ، ص ٤٦ ، سعد بن محمد حديفة مسير العنودي : سقوط فتوة الجبالية ، ص ١٤٧.

(٣) محمد قنصوي : المرجع السابق ، ص ٧٤ - ٧٥.

(٤) حافظ أحمد حسني : فتوة الخوارزمية والمغول ، ص ٣.

الفصل الثالث

نظم الحكم والإدارة في

الدولة الخوارزمية

محتويات الفصل

مقدمة تمهيدية.

- ١ - نظم الحكم والإدارة المتوارثة في خوارزم حتى قيام الدولة الخوارزمية
 - ٢ - نظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية.
- أولاً : البلاط السلطاني :

- ١ - السلطان الخوارزمي.
- ٢ - الوزير الأعظم.
- ٣ - عميد السلطان.
- ٤ - كبير الحجاب.
- ٥ - وكيل البلاط.
- ٦ - صاحب الشحنة.

ثانياً : الدوائين :

- ١ - ديوان الوزارة.
- ٢ - ديوان الرياسة.
- ٣ - ديوان الرسائل.
- ٤ - ديوان البريد.
- ٥ - ديوان المشرف.
- ٦ - ديوان الاستفتاء.
- ٧ - ديوان الحفظة «الشرطة».
- ٨ - ديوان الحسبة.
- ٩ - ديوان الأوقاف.
- ١٠ - ديوان القضاء.
- ١١ - ديوان المظالم.

ثالثاً : حكم الأقاليم.

الفصل الثالث

نظام الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية

مقدمة تمهيدية .

١ - نظام الحكم والإدارة المتوارثة في خوارزم حتى قيام الدولة الخوارزمية

لقد ذكر الجويني أن التنظيمات الفزنوية الإدارية قد ظلت راسياً في خوارزم ، ومن المرجح أن يكون ذلك أثناء تسمية الأسرة الثانية «الكنونية» الفزنوية وذلك عام ٤٠٨-٤٢٩هـ/١٠١٧-١٠٣٧م ، مما يؤكد أن الإمارة التابعة تطبق عليها الدولة الحاكمة نظماً إدارية.

ثم يستطرد الجويني قائلاً : إنه على الرغم من استفادة الخوارزميين من التنظيمات السلجوقية الإدارية إلا أنها قد طبعها بالطابع المحلي الخاص بها ، يتضح ذلك من اعتمادهم على القبائل التركية وقوتها مما تركب عليه ازدياد نفوذ رؤسائها ، والذي كان سلاحاً ذا حدين ، أحدهما ساهم ومساعد على ظهور تلك الإمبراطورية ووصولها إلى أقصى اتساع لها ، والآخر سبباً في إضعاف الدولة المركزية فيما بعد ، وذلك عكس السلاجقة الذين شاركوا الشعب في الأعمال الإدارية التابعة لهم^(١).

٢ - نظام الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية :

أولاً : البلاط السلطاني .

١ - السلطان الخوارزمي :

والذي كان على رأس البلاط السلطاني ، وذلك بصيغته القائد الأعلى للقوات العسكرية ، وخاصة أن تكوين الحكومة الخوارزمية شأنها شأن الحكومات الأخرى التركية تقام على أساس القوات المغتلة والجيش ، لذا كان حكمه حكماً مطلقاً ، وإن كان ذلك لم يمنع من استماتته في إدارة دولته بعدد من الموظفين من أهل الكفاءة والقدرة^(٢). ومن هؤلاء الوزراء الأعظم.

(١) عطا ملاك الجويني : جهان گشا ، ص ١٦٨.

(٢) مريم ميرآحيدي : نظام حكومت ایران در دوران إسلامي ، (مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي ، دخت) ، ص ٢٨٤.

٢- الوزير الأعظم «خواجه بزرگي»:

والذي يحتل المرتبة الثانية بعد السلطان «الشاه» الخوارزمي ،
ويلقب بالوزير الأعظم أو سيد الدنيا في ديوان الوزارة ، وفي عصر
الأحبال يكون نيلية عن السلطان في إدارة شئون الدولة.

ومن لشروط الواجب توافرها في الوزير : «الإيمان والصنق ،
والتيقن» ، وذلك لأن أمان السلطنة ينحصر في سلوك الوزير الحسن ،
حيث صلاح السلطان والرعية وفسادها رهينان بالوزير وحين التصرف
في الأمور وثقة في تنفيذ أوامره وأحكامه ، وسلامه البدنية ، وحسن
السياسة^(١).

وزراء الدولة الخوارزمية :

١. نظام الملك سعد الدين مسعود بن علي الأبهري :

من الوزراء العظام على عهد السلطان الخوارزمي علاء الدين
نكش ، ومن صفاته إصابة الرأي وصفاء الضمير ، ولقد ظهر ذلك
بصورة جلية عندما اضطربت الأمور بسبب ما نتج عن الصراع على
العرش بين الأخوة ، فآخذ على عاتقه إحتباب الأمن في البلاد ، وذلك
بقيادة جيش الدولة^(٢).

٢. نظام الملك صبر الدين علي بن سعد الدين مسعود :

تولى الوزارة نيابة عن والده من قبل السلطان نكش ، وذلك تلبية
وإكراماً لوالده بعد استشهاده على يد الإسماعيلية العشوية ، إذ كان

(١) نظامي عروضي السمرقندي : جواهر مقالة ، ص ١٦٩ ، نظام الملك الطوسي ،
سياست نامه ، ص ٩٠ = مرع مير أحمددي : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ ، هند
حسين عطية : الأئمة العريفي في إقليم خوارزم ، ص ٨١ ، ص ٣٠٧.

(٢) عياث الدين خوافشهر : دستور الوزراء ، ترجمة وتطويق : حري أمين سليمان ،
تقديم : فولاد عبد المصطفى الصمد ، ص ٣٠٩.

حريصاً على تنفيذ ما كان يقوم به والده من تكبير شؤون الديوان والاهتمام بالترعية وحل مشاكلهم ، وعلى رأسهم رجال العلم وأهل التفضيلة ، وهو ما اشتهر به بلاط الخوارزميين وظل بالوزارة حتى عهد علاء الدين محمد بن تكتش خوارزمشاه.

٣ نظام الملك محمد بن صالح .

تولي الوزارة بعد وفاة الوزير السابق وظل بها ما يقارب من سبع سنوات ، ولكنه اتهم بمسء التصرف والإسراف في أموال الديوان ، على الرغم من كرمه وجوده ، لذا عزله السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، ثم أعاده للوزارة مكرهاً بناء على طلب والدته «والتي كان محمد بن صالح أحد علمائها» وذلك بعد أن علمت بمؤامرة السلطان محمد من أجل قتل ذلك الوزير والتخلص منه نهائياً^(١).

وترتب على تصرف تركان خاتون هذا وعلى الرغم من وجود العديد من الشخصيات الملائمة لهذا المنصب وهم موجودون في بلاطه ، ومنهم : تاج الدين كريم الشرف النيسابوري ، وضياء الدين السمناني ، والشريف محمد النسوي ، ونجم الدين كيلايادي ، ومجير الدين المنشي ، لكنه لم يول أحدًا من هؤلاء لمنصب الوزارة ، ونجح عن ذلك وفزع الناس

(١) بارنولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥٤٠ ، ٥٤٢ ،

خواندميز : المرجع السابق ، ص ٣١٠-٣١١ ، حيث ذكر نهاية هذا الوزير قتلًا : وفي الوقت الذي كان أمراء جنكيزخان يحاصرون به قلعة أبلان كان محمد بن صالح موجوداً دخلها بصحبة والده السلطان ، وبعد أن تم إخضاع القلعة حمته الأمراء إلى الخلق ، وقالوا : إن هذا الوزير كان مطروداً ومضروباً عليه من قبل السلطان محمد ، وألقوا عليه أن يجثو من بين رجال الخلق ، وبمء على ذلك اعتمد جنكيزخان على محمد بن صالح كواحد من رجاله ، وكان يكفاه أحياناً بتعظيم صفات بعض الولايات ، وخلال تلك الظروف خفت علاقة بييه وبين «بله هونكيجه جنكي» وعلم بهذه العلاقة الخلق لما غضب عليه وقتله.

في حيرة من أمرهم حيث لم يجدوا من يرجعوا إليه في تدبير شئون الديوان ، وظل هذا الوضع قائماً حتى نهاية حكم السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه^(١).

٤. شرف الملك شعر الدين علي الجفندي :

كان متولياً لرئاسة ديوان مدينة «جند»^(٢) - من قبل السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، وارتكب بذلك المدينة العديد من المظالم حتى استغاث الأهالي بالسلطان الذي أمر بالتقويض عليه ومسحه كما يسحب الطائر على السوخ ويلقي في النار ، وما أن علم بذلك حتى فر هارباً^(٣).
ويتضح مما سبق أن تعيين وزراء الولايات - وخاصة تلك التي يتوب فيها عن السلطان أحد أبنائه - يتم عن طريق السلطان «أي من حق العرش»^(٤).

٥. محمد بن أحمد بن علي بن محمد النشي النسوي :

من أشهر وزراء الدولة الخوارزمية ، والذي كان في البداية يعمل برتبة سكرتير الديوان ، ثم تولى أمر الديوان ، وتحمل كل مسئولياته^(٥).
ويتضح من خلال دراستنا لهؤلاء الوزراء عدة أشياء ، منها :
١- وراثته ذلك المنصب ، والذي ظهر بصورة جلية على عهد السلطان الخوارزمي علاء الدين تكش كما سبق وذكرنا^(٦).

(١) خوارزمير : دستور الوزراء ، ص ٣١٠-٣١١.

(٢) جند أو جند : من قرى نيسابور بمنطقة خراسان وفتح الآن في أفغانستان
والقسم ، وتطلق كجند عليهم ، (وتعني الأرج السور كالقبة ونحوها) ، بقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١٦٨.

(٣) خوارزمير : دستور الوزراء ، ص ٣١١.

(٤) باريوك : تركستان من القبح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥٣٩.

(٥) مريم مير لخصي : المرجع السابق ، ص ٢٨٤.

(٦) انظر الفصل الحالي من الكتاب ، ص ٢٨٧.

٢ - وجود بعض الوزراء - وإن كل ذلك ذاتياً - يجمع ما بين السيف
«أي قيادة الجيش» والقلم «إدارة شئون البلاد» ، وعندهم الوزير سعد
الدين مسعود بن علي الأبهري.

٣ - كذلك الاحترام والتقدير الذي يلقاه هؤلاء الوزراء من قبل ملاطيين
تلك الدولة وتمثل ذلك في السماح لهم بالجلوس على ميمنة السلطان
في المجلس العلمية ، إلى جانب عدم وقوفه لمن يدخل عليه في
مجلس الوزراء مهما علت مكانة ذلك الشخص.

٤ - عهد السلطان «خواجه محمد» :

وهو من الشخصيات البارزة في الجلائ السلطاني ، وتركز
أعماله في شئنين : «تنفيذ قرارات السلطان الخوارزمي وأوامره» ، ثم
ختم تلك القرارات السلطانية وذلك يعني أنه شخص الوحيد الذي يحصل
الختم الملكي ، لذا يتحتم عليه الاتصاف بالأمانة والثقة إلى أبعد الحدود^(١) .

تعد كانت تلك الوظيفة راجعة في الدولة الخوارزمية ، وخاصة في
أواخر أيامهم فهو معروف بأنه مستشار (أو مشرف على رأس العمل)
«هيش كار» في قصر السلطان ، وصاحب ذلك المنصب يكون في بعض
الأحيان خلفاً للوزير ومختاراً للوزارة من بعده^(٢) .

(١) مريم ميرآمدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ .

(٢) مهبسلار ونصفي أميراً صاحب قهضة قوية ، ورئيساً دا شلي ، ووظيفته تتمثل
في السيطرة والمراقبة وإحكام السيطرة على الأمور ، مريم ميرآمدي ، المرجع
السابق ، ص ٢١٩ .

(٣) نظام الملك الطوسي : المرجع السابق ، ص ١٥٩ : محمد بن أحمد النسوي
سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٦٢ ، حاشية ٢ : أبيه في تاريخ بيهق
، ص ٨٩ - ٩٠ : عسليم الدين عبد الرؤوف : تاريخ الإسلام في جنوب غرب
أسيا في العصر التركي ، ص ١٥٢ : ١٥٤ : محمد محمود إدريس ، رسوم
السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ، (نظمية الأولى ، القاهرة ، ١٩٨٣ م) ، ص ٩٢

• ومن أهم اختصاصاته :

أ - نقل أوامر السلطان إلى الوزير وكبار رجال الدولة ، ومن ناحية أخرى ينقل أوامر الوزير وكبار الموظفين إلى السلطان.

ب - الإشراف التام على المقر الملكي للسلطان ومجلسه وكل شئونه الخاصة.

ج - استشاره السلطان له في كل مهام الدولة صغيرها وكبيرها ، ويمكن أن يسند إليه السلطان مهمة قيادة الجيوش والحملات العسكرية ، ويعرض هو بدوره على السلطان الأمور الهامة التي يجب عليه بحثها وإبداء الرأي فيها.

ولقد ازدادت أهمية صاحب هذا المنصب لدرجة قيامه بتدبير أمور الدولة في حالة غياب السلطان ، وكذلك تنظيم بلاطه ، فينظم أماكن وقوف العبيد والخدم والأساغر فكل منهم مكان محظوم ، وكذلك أماكن الجلوس ووزاعي في ذلك حسن التنظيم فيقف الخوادم من حول العرش مثل حملة السلاح والسقاة ، ويبعد من دون ذلك ويضاف إلى ذلك إشرافه على إتمام المراسم السلطانية دون إحداث أي خلل بها.

ونظراً لأهمية تلك المنصب كان هناك لكل واحد من أصحاب تلك الوظائف نائب ومعاون له في مهامها ، ويعهد إليه بإتمام بعض المهام والأعمال^(١)، لذا كان للحاجب نواب يساندونه في الأمور الجسام الواقعة على كاهله^(٢).

(١) حريم مورلحدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٥.

(٢) عصم الدين عبد العزوف : المرجع السابق ، ص ١٥٣ + محمد محمود إدريس

السابق ، ص ٩٢.

ومن أشهر حجب الدولة للخوارزمية وخاصة في عهد السلطان علاء الدين تكش «شهاب الدين مسعود الخوارزمي» ذلك الذي اتهمه الورور نظام الملك سعد الدين مسعود بن علي الأبهري بأمر غير لائق في المجلس ووفق في الحصول على أمر من السلطان بقتله ولكن حال دون ذلك مقتله «أي الوزير» على أيدي الإسماعيلية القنادوية^(١).

ونذكر ابن خلدون وظيفته «أمير الأمراء والحجاب» ويبدو أنه متعلقة بالحجاب الكبير ، ومن تولى تلك الوظيفة أبنائهم غالب علاء الدين محمد ووالده على بخارا^(٢).

وترى الباحثة أن تلك الوظيفة ما هي إلا تطور لوظيفة كبير الحجاب في الدولة الخوارزمية.

٥ - وكيل البلاط «أو الباب» «وكيل» -

وهو المندوب المباشر للولايات والأقاليم في البلاط ومن حله الاستقرار في العاصمة مندوباً عن الأمراء التابعين ، وكذلك الولاة في كل الأقاليم المختلفة بصفته وكيلهم في إنجاز الأعمال وكذلك مراقبة مصالحهم ويقوم كذلك السلطان الخوارزمي نفسه باختيار وكيل بلاطه الخاص لإنجاز أعمال البلاد ويكون معاوناً له أو همزة الصلة بينه وبين الوزير في توصيل التعليمات والأوامر لشغيفته للوزير وبمجرد وصولها يقوم الوزير بتحريرها ليتم تنفيذها^(٣).

(١) محمد السري : المرجع السابق ، ص ٧٣ ؛ غياث الدين خوارزمي : مسعود الوزراء ، ص ٣٠٩ ؛ مريم ميراحمدي : المرجع السابق ، ص ٧٨٦.

(٢) ابن خلدون : المغر وديوان المبتكأ والغير ، المجلد الخامس ، القسم الثاني ، ص ٢٥٣.

(٣) مريم ميراحمدي : نظم حكومت إيران دوران إسلامي ، ص ٢٨٥.

٦ - صاحب الشحنة^(١):

وهو ذلك الشخص المسئول عن الأمن والاستقرار ومطابقة العائدين ومعاييرهم وهو تابع للوزير فمن حق الوزير عزله في حالة عدم كفاءته أو حتى سوء تصرفه ، وبالتالي من واجبه تنفيذ أوامر السلطان والوزير ورفع التقارير إليهما ولقد تمتع بسلطات إدارية وبوليسية واسعة النطاق^(٢). ومن تولى تلك الوظيفة شخص ما في مدينة دمشق بعد أن تقلب عليها سلاطين خوارزم^(٣).

ثانياً الدبلوماسي^(٤):

١ - ديوان الوزارة :

يرأس هذا الديوان الوزير الأعظم الذي سبق وتحدثنا عنه في بداية الفصل ومن الشخصيات التي تساعد في أمور الديوان الأمين وهو

(١) الشحنة : هي الرتبة من الخول في البلد لضبطه وليس باسم للأمر أو اللاد كما ذهب العامة ، والنسبة إليه بمعنى وضعية ولا نقل شطكية ولا شطبية ، وهذه الكلمة عربية صحيحة واشتقاقها من شحت البلد بالخير إذا ملكه بها ، والالأزهري : في كتاب لسان العرب لابن منظور : شحنة الكورة من فهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان ، ابن منظور : فصل العرب ، المجلد الرابع ، ٢٢٠٩ + القليدي : تاج المروس من جواهر القلموس ، القاهرة ، ١١٨٧ هـ ، ج ٩ ، ص ٢٥١ : أبو الحسن هلال بن الحسن الصليبي : رسوم الخلافة ، على بنعينة والتعليق عليه : ميخائيل هوك ، (دار الرأي العربي ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٦ م) ، ص ٩.

(٢) محمد محمود إبراهيم : رسوم السلطنة ونظمهم الاجتماعية ، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٣١٦.

(٤) الدواوين : من المصطلحات النوبانية في المتن الخوارزمية ، وخاصة هي سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ويستنتج أن الدواوين الماضية مثل ديوان الاستفتاء ، وكذلك ديوان الرسائل والبريد ، وديوان المصاهرات ، وغيره من دواوين كانت تقوم بالوظائف السابقة نفسها ، وكان من وكلف برئاسة أعمال هذه الدواوين يطلق عليه «خليفة» أو «خليفة جهن» وهو يطلق بشكل خاص على ديوان الوزارة : مريم ميرزاغاجي : المرجع السابق ، ص ٢٨٤.

الشخصية التالية للوزير ، ومن الواجب أن يتصف بالقدس ، والوفاء ،
ومعاملة الناس بالصدق وبجانب رقيب الوزير أنه كذلك « ١٠٪ » من دخل
البلدة التي يتولى وزارتها.

٢ - ديوان الرياسة «أمير السلطان» .

يرتبط ذلك الديوان بديوان الوزارة ، وتتركز مهامه في حفظ
جميع الأحكام والأوامر الملكية ، ويرأسه عميد الملك^(١).

٣ - ديوان الوسائل «الإتشاء» :

سبق وتحدثنا عن الإتباع الذي وصلت إليه الدولة الخوارزمية^(٢)،
التي أصبحت بحكم موقعها ومجاورتها لكثير من الدول والأتابكيات تقوم
بتنظيم العلاقات الخارجية بإرسال مبعوثيها وسفرائها وتبادل المعاهدات
مع القوى المجاورة ، أمثال : القراخطاي والغوريين وغيرهم ومن هنا
جاءت أهمية هذا الديوان الذي اختص بتنظيم تلك الأمور ، وإرسال
الفرمانات الشاهية إلى الأقاليم.

وكان يعرف صاحبه - كما نكر النسوي في كتابه -
بـ «صاحب ديوان الإتشاء» ويطلق على من يتولى الكتابة لقب «كاتب
الإتشاء»^(٣).

وكان رشيد الدين العمري المعروف بلوطوط أشهر من تولى
رئاسة ديوان الإتشاء ولقد تولاها ما يقارب من سبعة عشر عاماً^(٤). ومن

(١) منهم مير محمد : المرجع السابق ، ص ٢٨٤.

(٢) انظر : الفصل الثاني من الباب الثاني من الكتاب ، ص

(٣) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والفتول «عزو جنكيز خان للعالم
الإسلامي وأثره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية» ، ص ٨٣ ؛ محمد بن

أحمد النسوي : حياة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٣٢ ؛ حسين أمين

تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ٣٦٧.

(٤) رشيد الدين بلوطوط : حقائق السحر في دقائق الشعر ، ص ١٦.

أشهر السفراء في الدولة الخوارزمية كذلك محمد النعوي المؤرخ لحياة السلطان جلال الدين منكبرتي^(١).

• مهام ديوان الإنشاء :

تحرير المراسم ، وكذلك وثائق تولية والعهود والمراسل العسرية ، وأيضاً السياسية ، ومن خلال تلك المهام ازدادت أهميته ، وتمثل ذلك في حضوره في مجلس السلطان الذي يعقد للتشاور في الأمور الداخلية والسياسية للدولة^(٢).

وذلك يعنى اختصاص هذا الديوان بالمكاتبات الرسمية للخلافة أو لعمال الولايات^(٣)، مما يجعله يختلف بعض الشيء عن ديوان البريد كما سنوضح فيما بعد.

• مساهمة صاحب^(٤) ديوان الإنشاء :

يستعين صاحب الإنشاء بعدد من الكتاب والموظفين لكي يكتمل الشكل الوظيفي لهذا الديوان ومنهم :

أ - كاتب الإنشاء : ويشترط فيه النفاذ في التلخيص ، والمهارة في قراءة الخطوط الغريبة ، وحسن الفرض للموضوعات ، وغير ذلك من المؤهلات التي تتطلبها الأعمال الكتابية.

ومن أهم اختصاصاته : ترتيب الكتب وتلخيصها وعرضها على صاحب الديوان.

(١) حافظ أحمد حدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٣.

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : المرجع السابق ، ص ١٦٩.

(٣) فتحى أبو يوسف : خراسان تاريخها السياسي والحضاري من سقوط الحكم الطاهري إلى بداية الحكم الغزنوي ، ص ٢٠٧.

(٤) صاحب : يطلق على رؤساء الدواوين مثل : صاحب ديوان الإنشاء ، وكذلك صاحب ديوان البريد ، ولقد كان من صفات الحولس والعظمة في ذلك العصر ؛ مروج ميرأصدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٧.

ب - المراجعون : ومن أعمالهم قراءة كل ما يكتب في الديوان ومراجعته وتصحيحه ، وذلك قبل مراجعة صاحب الديوان له.

ج - الخطاطون : يختصون بنقل الكتب من مواد للنسخة الأولى وتبويبها.

د - الخازن : ذلك الذي يحفظ أصول المكاتبات التي ترسل إلى الديوان ، وخاصة الأمور الرسمية التي تصدرها الدولة ، وكان يحتفظ بسجل خاص للمنشورات ليسهل العثور عليها في وقت الاحتياج إليها ، وكذلك يسهل حصرها^(١).

هـ - السكرتير : تتركز وظيفته في التسجيل وتنظيم الإحصاء وإعدادها وإظهار ذلك في السجلات المعنية ، ومن المؤكد وجود مناصب أخرى ، منها : «منشي للنظر» ووظيفته إنشاء قواعد المناظرة وتسجيلها^(٢).

٤ - ديوان البريد :

من الدوائر الهامة في أية دولة ، ويفتقر بهذا الديوان بعض المصطلحات الإسلامية مثل صاحب الخبر والنهى وغيرها^(٣).

ويعرف رئيس ديوان البريد بـ «صاحب البريد» ومقره في عاصمة الملك وبعد صل رئيس الديوان من الناحية النظرية من الأعمال الدقيقة المهمة ، لذا فعليه أن يعهد لمن يعمل معه من أناس لا يركي إليهم الشك بأي شكل من الأشكال إلى أيديهم ، وألسنتهم ، وأقلامهم.

وهذا ويربط نظام الملك الطوسي ما بين قوة الدولة الحاكمة ومدى عنايتها واهتمامها بتكسيب أصحاب الخبر والمهنيين ، ومن اختصاصاته - أيضاً - اطلاع الماطلان على كل الأخبار التي ترد إليه من موظفيه المنتشرين في كل أنحاء البلاد^(٤).

(١) عصام الدين عبد فرغوف : المرجع السابق ، ص ١٦٧.

(٢) مريم ميراصدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٦.

(٣) بارتولد - تركستان منفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٢٢٦.

(٤) نظام الملك الطوسي : سياست نامه ، ص ١٢٩ ، فتحى أبو سيف : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ ، عصام الدين عبد فرغوف : المرجع السابق ، ص ١٦٨.

ولهذا الديوان صال ودواب على كل الإقليم انقل أخبار تلك
الولايات والأقاليم التابعة للدولة ، وذلك بكتابة التقارير وإرسالها إلى
مركز الدولة حيث صاحب رئيس ديوان الإنشاء التابعين له^(١).

والديوان البريد محطات يطلق عليها «المكك» تزود بالخيول
وراكيبها ، وكل ما يحتاج إليه من أجل السرعة في إرسال تلك
الرسائل^(٢).

• وظيفة الرسول «يلجي» .

وهي من الوظائف المتعلقة بديوان الإنشاء ، وكذلك ديوان البريد
، وهي وظيفة هامة تحتاج إليها الحكومة المركزية وكذلك الولايات
والأقاليم من أجل توصيل الرسائل الرسمية ، وكذلك التقارير وأخبار
المملكة ، وعلى الرغم من اعتباره منصباً إلا أن هذا المصطلح من
الممكن أن يبقى في أسرة لقباً لها^(٣).

٥- ديوان المشرف :

ويقصد به الإشراف على الأمور المتعلقة بالندوليين ، ويتولى أمر
ذلك الديوان مشرف مهمته مراقبة ما يحدث في الدواوين ، وكتابة التقارير
للسلطة المركزية إذا احتاج الأمر ذلك ، وله مندوبون في كل الولايات ،
يعنى ذلك تركيز أعماله في مراقبة الأجهزة الحكومية المسؤولة عن
الأموال الخاصة للأمراء وأوجه الصرف فيها^(٤).

(١) نظم الملك الطوسي : المصدر السابق ، ص ٩٤ ؛ فتحي أبو ميسوف : المرجع
السابق ، ص ٢٠٩.

(٢) أبيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٤٣٧ ؛ عصام الدين عبد الرؤوف : المرجع السابق ،
ص ١٦٨.

(٣) مريم ميرآصدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٨.

(٤) حسن أمير : المرجع السابق ، ص ٣٧٠ ، ملحق رقم (١٨) ، ويذكر أن تلك
الديوان مكمل لديوان الاستفتاء ، وكون هذا المشرف مثل المستوفي ، ويستطيع
أن يدوب عنه في كل ولاية لقب يسمى «المشرف للقب» ، وهو بمثابة رئيس
التفتيش المالي.

ومن الوظائف المتعلقة بذلك تدوين ما يلي :

أ - وظيفة مهردار : وهو المسئول عن الاحتام السلطانية في البلاط الكبير فصاراً لانشغال السلطان عن توقيع بعض الأوامر ، وكذلك مندوبي ومسئولي الدولة الرسميين حيث يتم إرسالهم في مهمات خاصة بتصريح أو سند يطلق عليه اسم «برواتكي» وهو بمثابة تصريح مرور بدخل هذا التصريح يسجل اسم الشخص أو المندوب وكذلك وظائفه ، ولكي يكتب هذا السند صفته الشرعية كانوا يختصونه بالختم السلطاني.

ب - العطشدار : وقد تحدثنا عنه من قبل^(١).

ج - آبدار : وهم السقاة.

د - دواتدار أو الدواتدار^(٢) : المسئول عن تحرير الكتابة.

٦ - ديوان الاستيفاء :

وظيفة صاحبه - وذلك بمساعدة معاونيه وموظفيه - حصر أموال من يتولى الولاية أو منصباً كبيراً حيث يكتب هذا الشخص إقراراً على نفسه بالأموال والممتلكات التي في حوزته ، فإذا ما تم عزلهم يتولى المحاسب «والذي سوف نتحدث عنه في وقته» أو المسئولي بحصر

(١) الطبر : الفصل الأول من الباب الثاني من الكتاب ، ص ١٠ ، حاشية

(٢) الدواتدار : اسم فارسي مركب من لفظين ، أحدهما عربي وهو دولة ، والآخر دار ومناه معناه : وصاحب تلك الوظيفة هو الذي يحصل دولة السلطان أو الأمير وغيرهما ويتولى أمرها مع ما يلحق ذلك من المهمات مثل جلب الخيول من السلطان أو الأمير وإيلاخ حمله الأمور ، وتقديم البرية وغيرهما من المهام ، محمد القسوي : المرجع السابق ، ص ٢١٨ ، حاشية (٥) ؛ المقرري : السيرة لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، القسم الأول ، ص ١٤٦ ، حاشية ١ ؛ القلندر صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥ ، ١٩ ، ٤٦٢ ؛ مريم ميرآحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

أموالهم ، فإذا ما ثبت حصوله على ذلك المال دون وجه حق تصانر تلك الأموال وتعاد إلى خزانة الدولة^(١).

وذلك يعني أن من مهام هذا الديوان - بجانب ما سبق - جمع الضرائب ، وضبط دخل الدولة وخراجها ، فهو لذلك يشمل من ديوان الجراج^(٢).

ومن تولى منصب المستوفي في خوارزم «محمد بن منصور أبو سعد المستوفي» الذي لقب بـ «شرف الملك» ، وتوفي عام ٥٤٩٤/١١٠٠م^(٣).

• أهم موظفي الديوان

صاحب الخزينة «الغائب أو الغائب» :

وهو المشرف على ديوان المال ، ويساعده في ذلك محاسبون يقومون بتسجيل الولد والمنصرف من الأموال^(٤). وذلك يعني أن موارد الدولة كانت عبارة عن تلك الضرائب التي تفرض من قبل السلطان على حكام الأقاليم التابعين للدولة وكانت قيمة تلك الضرائب تختلف من إقليم إلى آخر حسب ثروته ، وإن كان الجزء الأكبر من الضرائب المفروضة على تلك الأقاليم يدخل معظمها في خزائنه حكام الأقاليم ، وخاصة في الفترة الأخيرة من الدولة عندما كانت تعاني من الضعف والانهيار^(٥).

(١) البیهقي : تاریخ بیهق ، ص ١٣٦ ؛ مسلم الدین عبد الرزاق : المرجع السابق ، ص ١١٧.

(٢) حتى أبو مویز : المرجع السابق ، ص ٢١١.

(٣) ابن الجوزی : المنتظم من تاریخ الملوك والأمم ، ج ٩ ، ص ١٢٨.

(٤) محمد نسوی : المصدر السابق ، ص ١٤٨ ، ٢٤٩ ، حقیقة ٧.

(٥) نظام الملوك الطوسي : المصدر السابق ، ص ٢٩٧ ؛ حقیق أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٤.

ولقد كان لدى العاملين بديولن الاستيفاء دفاتر مفيد بها أسماء من يدفعون الخراج ، ويسجل أمامهم كذلك كمية الخراج الذي ينبغي عليهم دفعه وما تبقى عليهم ... إلى غير ذلك ، وكان يطلق على تلك الدفاتر اسم «أولرج»^(١).

ويذكر نظام الملك الطوسي أن لكل دولة خزائين الأولى : يطلق عليها خزنة الأصل ، وهي التي يحول إليها كل الأموال المحصلة من الضرائب وغيرها ، ولا يتم الإنفاق منها إلا في الضرورة القصوى ، أو على سبيل القرض الذي يعاد إليها مرة أخرى ، والثانية : يطلق عليها خزنة الإنفاق.

ولم يكن الملوك ينفقون مما كان يدخل خزائنه من دخل الولاية ، وذلك لكي تؤدي النفقات في أوقاتها ، وبالتالي لا يحدث أي خلل أو أي نقصان في أثناء العطاءات لذلك تظل الخزنة عامرة دائماً^(٢).

٧- ديوان الخزنة «الشركة» :

في البداية نجد أن المهام لادنيه ، وكذلك السياسة تعتم على الولاة والأمراء والسلطين إعداد جيش قوى قادر على حماية أطراف البلاد وارض سيطرته على ما حوله من المناطق المجاورة ، وتعتمد القوة العسكرية في الدرجة الأولى على القوة البشرية وأكثر المناطق التي تتواجد فيها تلك القوى هي الأقاليم الشرقية الخام البكر ، كما يطلق عليها في منطقة خوارزم وما وراء النهر^(٣).

(١) آدم مزر الحضارة الإسلامية في القرون الرابع الهجرى ، ص ١٩٢ ، حتى أبو سيف : المرجع السابق ، ص ٢١١.

(٢) نظام الملك الطوسي : ميسات نامه ، ص ٢٩٧.

(٣) فخر الدين عبد القادر الحنفي : أرباع خراسان ، ص ١٥٩.

وخاصة أن من السمات المميزة للدولة الخوارزمية أنها دولة عسكرية من الطراز الأول ، استطاعت بقوتها العسكرية البشرية أن تمتد إلى أقصى اقصاد لها على مدى قرن ونصف القرن تقريباً .

من التلطف الهملة التي تتناولها في ديوان الشرطة ، ما يلي .

أ - كيفية الانضمام إلى الجيش :

بعد هذا الديوان من أهم النوليين وأعظمها في الدولة الخوارزمية ، وذلك لكونها دولة عسكرية - كما سبق وذكرنا - من الدرجة الأولى ، حيث أخذ سلاطينها على عاتقهم توسيع أركان الدولة حتى صارت شاسعة ممتدة الأرجاء . ويختص هذا الديوان بتكبير كل ما يلزم الجيش من أسلحة ونخائر وعتاد وأموال^(١) .

أما عن الانضمام إلى هذا الجيش فيتم عن طريق الاندماج في الخدمة العسكرية حباً في الجهاد وسعياً وراء الأجر^(٢) . أو عن طريق الرق والشراء بالمال^(٣) . وهناك من ينضم إلى الجيش المظلم بمحض إرادته لإثبات فروسيته ، وإن كان ذلك من فلة الأمراء^(٤) .

ب - العناصر البشرية التي يتكون منها الجيش :

يتضح من خلال أسماء القواد عسكريين أن معظمهم من الترك . ونبينا على ذلك أننا نجد في عهد الأمير أبي العارث محمد بن علي بن مأمون بن محمد خوارزمشاه قلداً في الجيش الخوارزمي ، وهو «غمارتاش» والذي كان عدد جيشه في ذلك الوقت ما يقارب من ٥٠ ألف فارس^(٥) .

(١) القلندي : صبح الأضي ، ج ٤ ، ص ١٢ ؛ حافظ أحمد حسدي : الدولة الخوارزمية والمنول ، ص ٨٤ .

(٢) الإسطخري : المسالك والممالك ، ص ٢٩١ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٩٠ .

(٤) الإسطخري : المسالك والممالك ، ص ٢٩٢ ؛ طاهر عبد الستار لاجيني : المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

(٥) الملي : تاريخ الفتى ، ج ٢ ، ص ٣٥٦ ؛ قبيقي : تاريخ بيتق ، ص ٧٤٤ .

ويقصد بهم - على وجه أوضح وأشمل - القبائل التركية التي كانت تتجمع حول رئيسها وتقل ما يميله عليها ، وهم جند مرتزقة مأجورون يحاربون مع الجيش الذي يقدم لهم أكثر الأموال ، وكان السبب وراء الاسعنة بهم هو ما كانوا عليه من الجراءة في القتل والاعتزاز بالنفس والكبرياء والاستقلال في الفكر إلى جانب ما كان فيهم من صفات البدو إلى جانب ميلهم إلى القتل والنهب ، وبالتالي فهم في حاجة إلى يد من حديد من أجل السيطرة عليهم ، ومن تلك القبائل نجد : «كجات - جفراق - خفجاق»^(١).

وبالتالي فقد كان جيش المرتزقة هو الدعامة الوحيدة «للعرش» لذا فقد اضطر السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد من أجل مصالحته ومصالحه بلاده أن يمنحهم الأسبقية على العناصر الدينية^(٢).

وبجانب القبائل التركية هناك عنصر آخر كان له تاريخه منذ أن وطئت أقدام العرب إقليم خوارزم ، ألا وهو عنصر الخوارزميين الذين اشتهروا بالمقدرة العسكرية في إقليمهم ومدينتهم خوارزم التي تعتبر من مدن الثغور الهامة التي تحرم على حماية حدودها ، ودليلنا على ذلك ما حدث أيام القائد قتيبة بن مسلم الباهلي عند ذهابه إلى الإقليم ومحاولة فتحه ونشر الدين الإسلامي ، وتثبيت التواجد العربي به وقد تم له ذلك إلى حد ما ، لذا فقد كان في جيشه الأساسي من العناصر المحلية ، وإن كان لم يحدد عدد من خرج معه من خوارزم بل نصحجه مع خرج من بغارا تحت بند العناصر المحلية ، ويشمل في ٢٠٠٠٠٠ مقاتل تقريباً^(٣).

(١) قتيبي : تاريخ بيهق ، ص ٣٤ ، ٨٨.

(٢) بارتولد : تركستان من فتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥٢٨.

(٣) البعقوبي : تاريخ البعقوبي ، ج ٢ ، ص ٧٨٧ : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٧٢ ؛ ابن خلدون : المعجم وديوان الميثاق والخبر ، المجلد الثالث ، القسم الأول ، ص ١٢٨ ؛

• الجيش المركزي «الملك» :

يمثل في تلك الفترة الخليفة بالملك أو السلطان التي تدافع عنه وعن البلاد وفي حالة احتياجهم إلى مدد فليس هناك قواتين لجمع الجيش يرسلون إلى الأقاليم التابعة لهم ، وفي بعض الأحيان وعند اشتداد الأزمات يتم الجمع لهذا الجيش من الأقاليم المجاورة بصورة إجبرية ونكون السلطة تحت يد الحاكم الأعلى وهو الملك.

ونظراً لكونه دولة دولة عسكرية من الدرجة الأولى فقد كان الاهتمام كبيراً بتلك الشخصيات التي تتولى تلك المناصب.

الوظائف الهامة في ديوان الشرطة .

١ - القائد الأعلى «صاحب الشرطة» :

يعتبر صاحب الجيش أو «صاحب الشرطة» المسئول عن جهود الدولة^(١) ، فيشرف على الأجناد ويخبرهم إذا ما خرجوا للقتال ، ولكن يجب إلا نعتقد أن هناك جيشاً ثابتاً قوياً للخوارزميين ، وذلك لاحتوائه على عناصر مختلفة لا يربطها رابط ، لذا لم يبق الخوارزميون في جيشهم كل التقة ، وكان السلطان في الغالب يفود الجيش بنفسه ، وبلازمه حرسه الخاص به^(٢) . وكذلك حامل المظلة.

وعلى الرغم من أن للجيش ديواناً خاصاً به ويشرف على شئونه العسكرية وكذلك مهامه الإدارية إلا أن المصادر لم تذكر أية معلومات عن رواتب هؤلاء القواد وجنودهم^(٣) .

(١) محمد النعماني : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ١٠٤ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٤ .

(٢) الرواندي : راحة الصدور وقوة السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ص ٥١٢ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٨٥ .

(٣) النعماني : بقرعة الدهر ، ج ٤ ، ص ٧٠ ؛ طحان عبد الستار الخطيبي : المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

ب. وظيفة استهملار:

وهو قائد الجيش وولي في مرتبته مرتبة صاحب الجيش «القائد الأعلى»^(١).

ج. المعارض

من الوظائف الهامة في الجيش وأقد ذكر في المرجع الفارسي صاحب أعلى منصب في الجيش بعد السلطان وذلك يتعارض مع ذكره السوي المعاصر للدولة كما سبق وأوضحنا^(٢).
أهم مهامه :

إعداد الخطط الحربية ، وكذلك الإحصاء الدقيق لأفراد الجيش ، ومسئولته الكاملة عن الأمور المالية للجيش ، إلى جانب صلاحية عزل الجنود وتولييتهم وإقاص أجورهم ورواتبهم^(٣). ولا بد أن يكون ملماً بحوائج الجند ومطالبهم الحربية ، وكذلك أسلحتهم ، وعلى هذا الأساس يطالب خزائن السلاح بإمدادهم بأدواتهم العسكرية ، وغير ذلك من المهمات العسكرية^(٤).

ويقع تحت إشرافه طلائع الفرسان والرجالة تلك التي تقوم بوظائفها كاملة وبالنسبة للجند الموقنين «الجنود المرتفعة» فكانوا تابعين للحكام المحليين أو زعماء قبائلهم.

(١) استهملار : لفظ مركب من لفظين ، الأول فارسي وهو «أسته» بمعنى المتقدم ، والثاني تركي «سلار» ويعني الصكر فمكون معناه مقدم الصكر «أي قائد الجيش» ، حسن باشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والأخبار ، ص ١٤٦ ؛ القرشي : تاريخ بغدادي ، ص ١٣٢ ؛ قطان عبد الستار الحنفي : المرجع السابق ، ص ١٧٨.

(٢) مريم ميراحمدی : المرجع السابق ، ص ٢٩٠.

(٣) مريم ميراحمدی : المرجع السابق ، ص ٢٩٠ ؛ قطان عبد الستار الحنفي : أرباع خراسان ، ص ١٨٣.

(٤) قطان عبد الستار الحنفي : المرجع السابق ، ص ١٨٣.

وفي العصر الخوارزمي كان ضياء الملك علاء الدين محمد بن
مودود النسوي متولياً منصب عارض الجيش أو صاحب الجيش ، كما
كانوا يطلقون عليه تلك الصفة الأخيرة^(١).

و- قاضي الجيش .

وتتركز وظيفته في مراقبة الأمور الشرعية للجيش وكذلك رفع
المشكلات المذهبية ثم تدرجت بعد ذلك وشملت تنظيم دفاتر الجيش
العسكري وشؤونه المالية حسب الأمور الشرعية وذلك بناءً على القرار
الذي أصدره على نفسه من أجل الأمور الشرعية ، ولقد ظل هذا المنصب
متواجداً في العصر الخوارزمي ، إلى جانب مسئولياته الملكية المسالفة
الذكر ، ومن قضاء الجيش : صدر الدين خجندی قاضي الجيش
بنيسابور^(٢).

٥- مين دار ، بولغار ، وكون دار :

من الوظائف الهامة في الجيش ، ويكون تحت إمرة الأول
«مين دار» ١٠٠٠ شخص ، والثاني «بولغار» ١٠٠ شخص ، أما الثالث
«أون دار» ١٠ أشخاص في الجيش تقريباً ويكون الثلاثة متصددين
للخاصة ويمتلكون وظائفهم تلك عهداً ملكياً وذلك يعني أن وظيفتهم في تلك
الوظيفة يتم عن طريق السلطان أو من يتوب عنه.

ولقد ظلت تلك المناصب التنظيمية موجودة في حكومة الترك ،
ولعل استعمالها حتى عصر الجار في الشؤون الملكية^(٣).

وبجانب ما سبق من الوظائف الهامة في ديوان الشرطة توجد
بعض العناصر الأخرى التي يمكن اعتبارها عناصر مساعدة ومساندة
بسيطة ، ولكن لا يمكن الاستغناء عنها.

(١) مریم میرلسدی : المرجع السابق ، ص ٢٩٠.

(٢) مریم میرلسدی : المرجع السابق ، ص ٢٩٠.

(٣) مریم میرلسدی : المرجع السابق ، ص ٢٩١.

وهو من الاصطلاحات العسكرية ، فيكون له مطلق اليد على الجنود الذين يخرجون في الحملات العسكرية ويكون صاحب تلك المنصب مثل سابقة بعهد ملكي^(١).

نقيبجي

وهم النقبليون ، وهو ذلك الشخص صاحب القبضة العليا على القلعة ، إلى جانب جماعة من المهندسين وصانعي وممهدى الطرق المرافقين للجيش ، ولهؤلاء النقبليين مساعدون وآلات خاصة بهم^(٢).
الجهلاء «جانداز»^(٣).

من الوظائف المهمة بين المناصب العسكرية في دولة خوارزمشاه ، وفي وثيقة تحمل اسم السلطان علاء الدين نكش يرد ذكر ذلك الشخص بين كبار حشم السلطان الخوارزمي ، وفي عهد السلطان علاء الدين محمد كان يعمل بتلك الوظيفة شخص يدعى «يايز» وهو ذلك المكلف بتنفيذ أحكام الإعدام ولقد لقب «جهان بهلون» أي : «بطل العالم» ، وكانت تحت قيادته فرقة مكونة من ١٠ آلاف فارس^(٤).

(١) مريم ميرآحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٩٢.

(٢) مريم ميرآحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٩٢.

(٣) الجاندازية : قلعة مركبة من فطين فارميين ، أحدهما : جان ، ومساعد سلاح ، والثاني : داز ، ومساعد معك ، أي : حامل السلاح ، وهناك أيضاً وظيفة أمير جانداز السلطان ، تعني أن صاحبها يستأذن على دخول الأوامر للخدمة ، ويذهب أياهم في الدويران ، المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك - ج ١ ، القسم الأول ، ص ١٣٢ ، حقية (١) : القنصدي : صحيح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ ج ٥ ، ص ٤٥٩ ، صحت النسوي : المرجع السابق ، ص ٢٦٥ ، حاشية (٣)

(٤) برونولد - تركستان من فتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٣٩٥

ويرتبط بتلك الوظائف وأشخاصها بنظم :

• **الاطاعات العسكرية :**

لقد قسّم نطق الإطاعات العسكرية على عهد السلاطين السلاجقة ، ثم ظل معمولاً به في دولة شاهات خوارزم ، وغير مثال على ذلك ما حدث في عهد السلطان علاء الدين تكش ، من وجود أحد القسود والذي تم بتعيينه حاكماً لمدينة «هارجانفكنت» وكذلك منح قرية من كبريات قرى المقاطعة ، وهي «رباط طغاغين» عن طريق ديوان الشرطة بمرسوم على سبيل الإنعام.

ومثال آخر : وهو تسليم ابن السلطان الخوارزمي تكش ، وهو الأمير «بغان دغدي» أرض ملك خاصة له مغطاة من الضرائب «طربة لوخاس» تلك التي أعطت بموجب الشرع ملكاً مطلقاً لا صاحب له. وأمثلة أخرى عديدة قد ذكرت لدى محمد النسوي ، ومنها : مقطع سلوة لبهاء الدين لـ «شكر» ومقطع كاشاني لـ «نور الدين جبرئيل» ، ومقطع سنان لـ «شامي» وآخر مقطوع كرج لـ «صيف الدين»^(١).

• **بيت السلاح «السلاح خانه» :**

وهو يتبع ديوان الشرطة وهو أعظم البيوت وأهمها ، ويتولى أمرها رجل يعرف بـ «السلاح دار» وتتركز مهمة هذا الشخص في حفظ ما يدخل إليها وكذلك ضبط ما يخرج منها مما يتسلمه من أنواع متعددة من السلاح ويقوم بالعمل معه عدد من كبار الصناع الذين يعملون بصصلاح الأسلحة وإعدادها^(٢).

(١) مريم ميرآحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ ، بازتولد : المرجع السابق ، ص ٥٣٩.

(٢) القوي : نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء الثامن ، ص ٢٢٧ ، محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٥٦ ، حاشية (١) ، ص ١٤٤ ؛ حافظ أحمد حدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٤.

• جريدة لشكر «جريدة الجيش» .

وهي جريدة خاصة لاستقصاء الأراء النظامي ، وتعداد الجنود الموجودين في الجيش وتثبيت أسيولهم في هذه الجريدة ، ويفيد بها أسماء الأكراد الحاضرين وكذلك القتلى ، ووقع الوفيات ، والفارين وغير ذلك من الأعضاء الدائمين ، وكذلك رسوم الجيش في العاصمة أو دار الملك ، ومراكز أخرى مختلفة.

ولقد كان هذا السجل مهيناً للعمل على الدوام ، حيث يحفظ في الإدراج لحين إرساله في وقت التعداد ، أو إرساله للملكية ، ويدون بها أيضاً مقدار العنوفات والتجهيزات والتدريبات وهناك أمور أخرى مرتبطة بالجيش ومن هذه المشاغل الخاصة بالاصطبل والمربين والأفراد الموجودين في خدمة ذلك^(١).

٨ - ديوان الحسبة «الحساب أو الاحتساب» :

يرتبط نظام الحسبة عند الخوارجيين بنظلمهم القضائي «والذي سرف تحدث عنه فيما بعد».

وتتمثل مهام هذا الديوان في المحافظة على النظام في الشوارع والأسواق ومعالجة من يفرج عن الشريعة الإسلامية ، وكذلك تحديد أسعار الأشياء ومنع الغش وأحكامه تكون علنية^(٢).

الاحتساب «والى الحسبة ومهامه» :

وهو موظف يتم تعيينه عن طريق الخليفة أو الوزير أو القاضي من أجل النظر في شئون الحسبة في الدولة الإسلامية^(٣). وكذلك بشكل

(١) مريم مبراهيمي : المرجع السابق ، ص ٢٩١.

(٢) سهام مصطفى أبو زيد : الحسبة في مصر الإسلامية من فتح العربي إلى نهاية قصر الملوكي ، تحقيق : سيدة إسماعيل لكثف : (الجنة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م) ، ص ١٠٥.

(٣) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ١٢٢ ، سهام مصطفى أبو زيد : المرجع السابق ، ص ١٠٥.

محدود النظر في شئون الرعية ، وذلك بما يتوافق مع الشرع وبينهاهم
عنا بخالف أسلافهم سواء القنوية ، وكذلك الدلية ، وهو ما ليس من
اختصاص الولاية والجباه والقضاة ، ويخلف في تطلعه الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر في كل ما يتعلق بالمسلمين في الأسواق ومجتمعاتهم
وعلاقتهم بهمسهم البعض.

ويتبع على عاتقه أيضاً تعيين من يراه مناسباً لذلك من الأعوان
والأنصار^(١). كذلك مراقبة حركة البيع والشراء وذلك من خلال صحبته
لبعض رجال الشرطة في الأسواق من أجل مراقبة المكيل والموزين ،
لضبط من يحاول الص فيهما ، ويشمل ذلك مراقبة المأكولات المختلفة ،
ويوقع العقوبات على من يبيع طعناً فاسداً ، كذلك المحافظة على النظام
في الأسواق ، وذلك بأن يحول دون بروز الحوانيت في طرقاتها مما
يعوق نظام المرور^(٢). إلى جانب نظره في تلك القضايا التي تتعلق بالنظام
العام ، وأيضاً الجنايات ، وهي التي يحتاج للفصل فيها إلى السرعة ،
وهذا بخالف اختصاصات القاضي الذي يقوم بفرض الملتزمات التي ترتبط
بالدين بوجه عام^(٣).

الشروط الواجب توافرها في المعتصب :

أ - أن يكون مؤمناً ، مكلفاً من أولى الأمر حتى يشعر أنه يؤدي واجبه
على الوجه الأكمل ويحاسب إذا قصر في أداء واجبه ، ولكن ليس
حالة عدم تكليفه لا يكون ملزماً بالقيام بالأمر والنهي ولا يجد من
يحاسبه.

(١) محمد السوي . المرجع السابق ، ص ١٧٢ ، حاشية (١) ، مهمل الدين مصطفى

أبو زيد : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٢) حسن إبراهيم حسن ، علي إبراهيم حسن : انظم الإسلامية ، ص ٣٥٥ ، حافظ

أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٥ .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السلسي ، ج ٢ ، ص ٣١٦ ، حافظ أحمد

حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٥ .

ب - أن يكون قادراً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، رأي وصراحة وأن يكون أمره عن علم ومعرفة وفقه بالدين وبأحكام الشريعة وتلك لكي يعلم ما يأمر به وينهى عليه للصحة.

ج - أن يكون عارفاً بكل أنواع المهن والوظائف والحرف ، خبرة في الموارد والمكاييل ، وتلك لكي يتوصل إلى حل مع التباعة في حالة الغش والتكليس ، ويمكن من التمييز ما بين الصحيح وغير الصحيح يتصف بالحناف والشفقة عفيفاً عن أموال الناس وعديا لهم.

د - أن يكون قاصداً في قوله وفعله وجه الله تعالى وطلب مرضاته ، خالص النية ، شيمته الرفق ، لين القول طلق الوجه بشوش ، حسن الخلق ضد أمره للناس ونهيه لهم ، فتلك ألبح لاستمالة القلوب متلباً غير مبذر في العقوبة ، وبالتالي لا يؤخذ أحد من أول ذنب يصدر منه ، ولا يعاقب بأول ذلة.

هـ - وأخيراً يكون متحلياً بالعلم والصبر على ما يصيبه من الأذى ، مواظباً على سنن الرسول ، وذلك من حيث الطهارة والنظافة في أداء الفرائض والواجبات^(١). ولقد تولى الفقيه الفاضل «عالي الدين الشافعي» وظيفة المحتسب في خولزم^(٢).

أهوان المحتسب :

نظراً لتضخم واجبات المحتسب الدينية والاقتصادية ، وكذلك للصحة وبالتالي يكون له الحق في اتخاذ المصاعدين والأعوان ، وهو

(١) ياقوت الحموي : معجم الأعيان - (الطبعة الأخيرة منقحة ومضبوطة ولها ريدات ، القاهرة ، دت) ، ج ١٩ ، ص ٢٢-٢٣ ، رشيد الدين الطولوط : مجموعة رسائل الطولوط ، ج ١ ، ص ٨٠ ، سبام مصطفي أبو زيد : الصحة في عصر الإسلام من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي ، ص ١٠٦-١٠٩.

(٢) محمد القسوي : سيرة السلطان جلال منكبرتي ، ص ١٧٢.

الوحيد الذي له الحق في تعيينهم وفي بعض الأحيان يطلق عليهم العرفاء أو الدواب^(١).

ويتم اختيار من توفر فيهم الخبرة في الصناعة أو التجارة وله الحق أيضاً في أن يتخذ عيونا في الأسواق لتوصيل الأخبار إليه منصفة أحوال السوق والتجار والصناع هذا ومن واجب المحتسب أن يعرفهم كيف يتصرفون ويعملون إذا أرادوا طلب أحد للتجار حيث يجب عليهم ألا يرملوا في استعائه إلا بعد مشاورة المحتسب إلى جانب عدم أخباره بسبب طلبه للحضور ، ومن حقه أن يحاسبهم إذا أخطأوا ويكون راتبهم من بيت المال نظير تلك الأعمال التي يقومون بها^(٢).

٩- ديوان الأوقاف .

يترأس هذا الديوان شخص يطلق عليه «مهتم الأوقاف» ويندرج تحت هذا الديوان المؤسسات الدينية والخيرية ، ومنها المدارس والمكتبات والمستشفيات ، حيث يصرف عليها من خالصة ، وكانت الحكومة علاوة على ذلك تخصص مبلغاً مجدداً كل عام لتتفق منه على المرافق العامة لرعاية التام.

١٠- ديوان القضاء .

نظراً لأهمية القضاء وديوانه في الدولة الفوارزمية فقد عين الخوارزميون في كل مدينة قاضياً يحكم بين الناس حسب الشريعة الإسلامية ، وإن كان الأمر يختلف في المدن الكبرى ، والتي تشمل على أكثر من مذهب بين سكانها ، لذا فقد عين الفوارزميون أكثر من قاض حتى يتكامل ذلك مع تعدد المذاهب^(٣).

(١) حسن إبراهيم حسن ، على إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ٢٥٥ ، مساهم مصطفى أبو زيد : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٢) مساهم مصطفى أبو زيد : المرجع السابق ، ص ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٣) محمد قنصوى : المرجع السابق ، ص ٧٧ ، حقيقة (٧) ، حافظ أحمد حمدي : الدولة الفوارزمية والمغول ، ص ٨٥ ، محمد أحمد الصوفي : الزمخشري ، ص ٢٥ .

• صفات القاضي .

التجابة ، والزهدي ، والورع ، والتدين ، والعفة ، والإقبال على العلم الربيع وتجنب موانع الكلام ، والعدل^(١).

• مهام القضاة .

بمعنى القاضي هو الحكم في القضايا المذهبية ، وإصدار الأحكام الشرعية ، وأيضاً كل ما يتعلق بالإرث والزواج ، وفي بعض الأحيان يمكن أن يكون القاضي خطيباً إذا دعت الظروف إلى ذلك ، وخاصة أن الخطباء يتقنون الوعظ والإرشاد والخطابة . وكان بدليل البلاط السلطاني خطباء من أجل إنشاء الشعر وقراءة الرسائل ، وكان الخطيب يتمتع في الولايات بمسلمات أكبر ومن أشهر هؤلاء جرهان الدين صدر جهان^(٢) الذي كان له شهره كبيرة وطيبة.

وفي بعض الأحيان تكون الصلات طيبة ما بين القاضي ورئيس الناحية والبعض يتمردون على حاكم المدينة.

وهناك إشارة في الدولة الخوارزمية إلى قاضي المنطقة ، وكذلك قاضي المدرسة ؛ وهو من يقوم بتدريس العلوم الدينية في المدارس والمساجد^(٣).

ومن قضاء خوارزم : «ساعد بن إسماعيل بن مساعد» والمقلب به «أبي الملا الخطيب» ، من أهل نيسابور ، توفي عام ١١١٢م/٥٠٦^(٤).

(١) رشيد الدين الوطواط : مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط ، ط ١ ، القاهرة ، ١٣٦٥ هـ ، ج ١ ، ص ٧٩.

(٢) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٧٩ ؛ مريم ميرزاغاسبي : المرجع السابق ، ص ٢٨٨.

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك ، ج ٩ ، ص ١٧٢.

رئيس ديوان القضاء «القاضي القضاة» :

ويشترط فيه أن يكون على درجة عالية في فهم أمور الدين وأحكامه وكان أغلب من شغل تلك المناصب فقهاء المذهب الفقهاء المعروفة من شافعية وحنفية ومالكية وحنبلية^(١). ومثال على ذلك القاضي «صدر الدين محمد بن الوزان» رئيس الشافعية بمدينة الري ، والذي عينه السلطان علاء الدين تكش^(٢).

كذلك يذكر في القضايا الخاصة ذات الأهمية العظمى في الدولة مثل نظرة في تصف عمال الولايات وجورهم ، وخاصة إذا لم ينظر فيها أمراء تلك الدولة^(٣).

أما من بقية الجهاز القضائي فتجده يمارس مهامه في تلك القضايا التي تعرض عليه ، حيث يمكن تصنيفها إلى : قضايا تتعلق بالدولة وشؤون مالياتها ، مثل : امتناع شخص عن دفع الخراج أو بعض الضرائب ، حيث يحكم القاضي بإجباره على الدفع أو السجن ، وإضارب أخرى تتعلق بحدود الدين ، وفيها يأمر القاضي بإقامة الحدود ، وأخرى تتعلق بالمعاملات بين الناس حيث يعتمد القضاة فيها على الشهود لتدول من أجل الوصول إلى البينة التي هي أساس الحكم^(٤).

٩٩- ديوان المقاطع :

ويرتبط بديوان القضاء السابق ، وهو هيئة قضائية عليا «تشبه في الوقت الحاضر محكمة الاستئناف» ويطلق على رئيس ديوان المقاطع «صاحب المقاطع» ومطلته أعلى بكثير من مطلقة القاضي^(٥).

(١) محمد القسوي : المرجع السابق ، ص ٧٧ ، حاشية (٤) : يروى : تركستان من الفتح قسري حتى الفرو مغولي ، ص ٢٣٢ ، فتحى أبو زيد : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

(٢) الروائدي : المصدر السابق ، ص ٥٣٤ .

(٣) فتحى أبو سيف : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

(٤) فتحى أبو سيف : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(٥) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السليبي ، ج ٣ ، ص ٣١٤ ، حفظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٨٦ .

لما بالنسبة للقضايا الكبرى التي لها أهمية قصوى فيتولى السلطان أمرها وينظر فيها في اغلب الأمور بنفسه حيث يعرضها عليه رجل يدعى «القصة دار» وذلك كل ليلة جمعة من كل أسبوع^(١).

ثانياً حكام الأقاليم :

لقد عهد شاهنشاه خولوزم بحكم الأقاليم التابعة لدولتهم إلى رجال قد أطلق على الكثير منهم لقب «الوزير» ، وهم حكام لتلك الأقاليم ، هذا ولقد كان الوزراء في تلك الأقاليم تمتد إليهم للوزارة ، وهي إقامات خاصة بهم ، ومنحة من السلطان لهم فيستولون على دخلها وتكون لهم بمثابة الضبعة إلى جانب مرتباتهم^(٢).

ونجد وزير تلك المقاطعة ملزماً بالدفع لخزانة الدولة سنوياً عشر خراج الإقليم الذي يحكمه^(٣).

وهناك مصطلحات خاصة بحكم الأقاليم ، ومنها : الرئيس : وهو حاكم المنطقة الذي تم انتدابه رسمياً للحكومة في الولايات والأقاليم ، وكان ولجبه تنظيم الأمور العامة الإدارية والعسكرية ، وخاصة فيما يتعلق بالعاصمة الأم ، ومن هؤلاء في العصر الخولوزمي : رئيس أصلهان «صدر الدين خجندی».

وذلك يعنى أنه منصب من المناصب الهامة في الدولة ، إلى جانب أنه يمكن أن يطلق اسم «الرئيس» على حاكم المدينة أيضاً ، ومن المحتمل أن يكون لديه رخصة بجمع أموال الجباية من المدينة^(٤).

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخولوزمية والمغول ، ص ٨٦.

(٢) محمد قنوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرسي ، ص ٨١ ، حاشية ٣ ،

ص ١٤٩ : حفظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٨٢.

(٣) محمد قنوي : المرجع السابق ، ص ١٥٣ : حفظ أحمد حمدي : المرجع السابق

، ص ٨٢.

(٤) مريم ميرزاغلي : المرجع السابق ، ص ٢٨٦.

كذلك من الوظائف المتعلقة بحكام الأقاليم ووظيفة صاحب «أي الأمير» أو الشخص الإقطاعي المستول عن حكم تلك الولاية ، ومن الممكن أن يكون مندوباً عن الدولة ، أو عن جيش في الولاية ، لذا فقد كان نفوذهم ممتداً ، والأمانة على ذلك كثيرة منها : صاحب بلخ «عماد الدين» وصاحب ترمذ «مالك بهرامشاه» ، وصاحب باميان «علاء الدين»^(١).

وكل ما سبق - بالنسبة لتلك الوظيفة - يدل على مدى الاتساع الذي وصلت إليه تلك الدولة ، ولكن ما إن زالت هيئة الدولة أصبح حكام الأقاليم شبه مستقلين عن السلطان ، لا يبحثون إليه إلا للدر القليل ، وبعد السلطان ليس أمامه في تلك الحالة إلا الموافقة مجبراً.

ومن الممكن أن يكون هناك سبب آخر لتصرف حكام الأقاليم هذا ، وهو أن الدولة كانت تجمع الأموال من البلاد التي تدخل تحت أيديهم بعد السيف ، سواء أكانت تلك البلاد قد دخلت تحت حكم الخوارزميين المباشر أم تلك التي تركها فيها الخوارزميون حكمها في مناصبهم وذلك نظير جزية سنوية مثل : أتابكي فارس وأذربيجان^(٢).

يتضح من خلال عرضنا السريع لنظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية أنها إلى جانب كونها دولة عسكرية من الدرجة الأولى استطاعت بجيوشها توسيع مملكتها - أيضاً - أنها دولة امتازت بسلطين عظام اهتموا إلى حد كبير بشئون الدولة الداخلية من خلال تعيين موظفين لهم مكائهم ومسئولين للسلطان الخوارزمي «رأس الدولة» في كل شئونها ، ومن خلال كذلك مجموعة من الدواوين لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقامت بمعالجتها وترتيب أمورها فظهرت دولة قوية ذات كيان متمسك ما يقارب قرن ونصف القرن.

(١) مريم مير آصدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٧.

(٢) حافظ أحمد حسني : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٤.

الختمة

الطائفة

نختتم تلك الدراسة ببعض النتائج الآتية :

١- تمتع تلك المنطقة ، وخاصة خوارزم بموقع جغرافي ممتاز ، فعلى الرغم من تطرفها وبرودتها الشديدة إلا أنها منطقة وصل ، ونقطة تلاقي لأغلب الطرق التجارية سواء الآتية من الهند أو الهند ، وكذلك تمتعها بكثرة الثروات سواء لكائنات زراعية أم حيوانية أم معنوية إلى حد ما لقلة المعادن بها إذا ما قورنت ببلاد الصفد

٢- عذرت أيضاً بالاعتماد الجنسي لسكانها وهم الفرس من الجنس الآري القديم ، والذي كان له دور واضح وجلي في التاريخ المبكر لتلك المنطقة ، حيث اعتمدوا في تاريخهم على تاريخ الفرس ، وظلوا على ذلك حتى افكتوا بتأريخ المسلمين ، ثم الترك ، وخاصة الترك الخوارزميين الذين جاؤوا من أجل تلك الإمارة ، وتمتع هؤلاء بقدرات عسكرية فائقة لحد قد ظهرت بصورة جلية منذ مقدم القائد العربي قتيبة بن مسلم لآباهي لإقليم خوارزم واستعانته بهم في فتحه لبعض مدن ما وراء النهر.

ثم العرب وتواجدهم في خوارزم أثناء الفتوحات العربية ، وبقيتهم في تلك المنطقة ، من طريق الحامية العسكرية العربية ، والتي كانت البذرة الأولى لهذا التواجد العربي ، ثم توالفهم للتجارة حرفتهم الأولى ، وكذلك الموقع الجغرافي وأهميته لهم ، ثم رسوخ ذلك للتواجد العربي إلى حد ما من خلال مجموعة القولاة العرب الذين تولوا أمر تلك المنطقة في عهد الأمويين ، وكذلك العباسيين ، وفي عهدهم بدأ العنصر الفارسي يستحوذ على زمام الأمور والعوذ والمكانة الأولى ، وحرصهم على إقامة دول مستقلة مع احتفاظهم بتبعيةهم الاسمية للخلافة العباسية في بغداد ، وبجانب ما سبق وجود طوائف أخرى عديدة منها اليهود والمسيحيين وما بينهما من تجانس.

٣ كذلك تمتع سكان تلك المنطقة وخاصة الفرس بمقدرتهم وبراعتهم في الزراعة ، وكذلك الرعي وتغلبهم على الظروف الجوية القاسية وخلق مناخ جديد خلص وملام لزراعة بعض المحاصيل ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل نجد تفوقهم في تصنيع العادة الحام وتحولها لصناعات متعددة يشترك في صناعاتها النساء والرجال باعتبارها مصدر دخل لهم ، ولتغطية احتياجاتهم ويصدر العائض منها للبلاد المجاورة.

٤- ظهور بعض الكيانات شبه المستقلة في خوارزم ، والتي لم نعملها المصادر السابقة حقها في الدراسة ومنها تلك الأمر التي تحدث عنها على مدار البحث سواء أكانت الأمورية والألتونداشية وأمرام كل من الأسرتين وأحداثهما السياسية ودورهم المباشر في نشأة الدولة الخوارزمية وبداية قيامها.

٥- امتياز أمرام تلك الكيانات السياسية وكذلك سلاطين الدولة الخوارزمية بسيورهم على سياسة واحدة وهدف واحد متمثل في رغبتهم في الحصول على استقلال دولتهم وإنهاء تبعيتها لتلك الدول التي تعاقبت عليها سواء غزنوية أو سلجوقية ، ونماهم في تحقيق ذلك الهدف بقيام دولة شاهات خوارزم واستمرارها ما يقرب من نصف القرن تقريباً.

٦- كذلك حرص سلاطين الدولة على اتباع سياسة اللود والتعاون مع الدول المجاورة وذلك حتى تقوى شوكتهم ، ثم تتحول إلى حرب وصراعات ويعد جهاد طويل تصل إلى حدتها المرسوم وهو الاستقلال وفرض النفوذ على تلك الدول ولقد اتضح ذلك بصورة جلية من خلال علاقاتهم على سبيل المثال - بدولة القرلخطاي ،

وكانت بدليتها تنقسم بالود والتعاون وذلك منذ عهد الأمير آتسز الحوارزمي ، وكذلك ابنه من بعده وهو السلطان أيل أرسلان وبقية سلاطينها حتى عهد علاء الدين محمد الذي استولى في النهاية على أراضيهم بالرغم من ذلك للتعاون الذي كان بينهما في بداية عهده

٧- من أهم السمات والصفات التي امتاز بها سلاطين تلك الدولة كونهم رجالاً عسكريين من الدرجة الأولى اتضح ذلك من خلال عصرين ، أولهما : حرصهم الشديد والأكيد على قيادة الجيوش ، فبعد القائد النعم والمخطط والمطاع في توامره يسافده في تلك الأسور قائد الجيش والتابع له ، والخصر الآخر : ويمثل في ذلك الانتساع الذي وصلت إليه تلك الدولة من خلال جهودهم.

٨- حرصهم الشديد على استمرار علاقاتهم الأكدية مع الخلافة العباسية في بغداد من أجل صبغ الدولة بالصيغة الشرعية والروحية ، ولقد ظهر ذلك بصورة جلية من خلال تبدل الهدايا والقطع من كل من الطرفين ثم ما لبثت أن تبدلت الأحوال بين الخليفة الناصر لدين الله والسلطان الخوارزمي تكش ومن بعده السلطان علاء الدين محمد ، وذلك لسببين الأول : وهو سوء فهم كل منهما للآخر وتصوره معه ، والآخر تدخل الحاقدين الذين وشوا لكل منهما برغبة الآخر في التغلب من الثاني ، حتى وصلت الأمور إلى ذروتها في أواخر عهد السلطان علاء الدين محمد ، وإن كانت في بدايتها انشغلت بالود والتعاون وتبادل المرسلات والرسول ولكن لعدة أسباب سبق وذكرت في متن الكتاب مهدت للسيل للسلطان الخوارزمي لإعداد حملة اتجهت إلى بغداد طمعا في ملك العباسيين وطمعهم ، وفشله الفريع في ذلك وتلمه على ما اقترفه في حق الخلافة والخلفاء.

٩ كان السلطان الخوارزمي على رأس الجهاز الإداري المركزي الذي يديره ويتحكم في كل صغيرة وكبيرة من بلاطه إلى جانب وجود شخصيات لها وزنها تقوم بدور عظيم في إدارة الدولة وتسيير السلطان الأعظم في البلاط السلطاني.

هذا ويتضح من خلال تناولنا لنظم تلك الدولة أنهم إداريون من الدرجة الأولى ، فعلى الرغم من ثقل المادة العلمية للمعالجة لنظم الحكم والإدارة والتي لم تذكر في الدراسات السابقة إلا في دراسة حافظ أحمد حمدي بإشارات بسيطة لا تتعدى صفتين حول ذلك ، فقد وقفنا إلى حد ما في تغطية ذلك الجانب من خلال الإشارات التي ذكرت في المراجع والمصادر العربية والفارسية والتي وفقت في تغطية ودراسة ذلك الجانب. والتي تمثلت في مجموعة الموظفين الإداريين التابعين للسلطان الخوارزمي صاحب الحق المطلق في كل نظم للدولة ، وكذلك مجموعة الدوليين التي ظهرت وتجلت في تلك الدولة ، والتي تكل على مدى براعة سلاطينها ورجائها ، وذلك من خلال تخصيصهم لكل جانب من جوانب الدولة دورا خاصا يتولى شئونها ، ومتولى أمره شخص يكون رئيس ذلك الدewan ، يرأسه مجموعة من الموظفين البلوعين في إدارة تلك الدولة ، مما ساعد على صيغ الدولة بالصيغة الإدارية ، فصارت بجانب قوتها العسكرية واهتمامها بضرورة توسيع أرجائها دراسة ذات نظم إدارية منسقة صارت جنباً إلى جنب مع الجانب الآخر .

١٠- لقد كان للنساء «الملكات» دور واضح في تلك الدولة ، وهو يتجلى في أمرين ، أولهما : الشخصية القوية لهن وكذلك تسلطن لشديد في بعض الأمور مثلما حدث مع زوجه السلطان عثمان خس حاكم سمرقند وابنه علاء الدين محمد خوارزم شاه وتصميمها على قتل زوجها الذي أهلكها بزواجه من ابنة ملك القرخطاي والآخر : هو

حسن تصرفهن في بعض الأمور البسيطة الشكل الجهرية
المحتوى مثلما فعلت تركاں حاتون عند استقبالها لرسول الحط من
أجل الحصول على الفدية السنوية المقررة عليهم.

١١ تمتع تلك الإقليم بأزدهار ثقافي واسع المدى ، وذلك من خلال تلك
السمة التي امتاز بها هؤلاء السلاطين وهي اهتمامهم البالغ بالعلم
والعلماء ، واحتواء بلاطهم على نخبة لا يأس بها من العلماء في
مختلف التخصصات ، مثل : الطب والهندسة والرياضيات والفلك
والموسم العقلي ، وكذلك الطرم النقلي.

وتقد كن ذلك الأزدهار أسبابه ، منها ما نكرهه سالفنا من اهتمام
سلاطين تلك الدولة بالطعم والعطاء ، مولاتها الجغرافي الممتاز ، وما تمتع
به من حماية طبيعية ، وكذلك التنوع البشري والتجانس فيما بينهما ، وما
ترتب على ذلك التنوع والاختلاط من تبادل الثقافات واللغات والإنصاح
العلمي وخاصة ما بين الفرس والعرب وحرص كل منهما على تعلم لغة
الأخر وترجمة أعماله كذلك.

كذلك تلك الدول التي تعاقبت على إقليم خوارزم وذلك منذ عهد
السامانيين الذين اهتموا بثقافات العربية والعمل على نشر الإسلام ، ومع
تعاقب تلك الدول تعاقبت الثقافات المتعددة ، وصارت تلك الثارات
المتنوعة داخل الإقليم.

كذلك حرص السلاطين العظم على تنجيف الطبقة العامة من
الشعب ، لكي تيسر لهم فرصة نشر العلم والتعلم بين الناس لذا أنشأوا
المدارس في المدن الرئيسية وكذلك دور الكتف ، والتي يدرس بها نخبة
من العلماء والأدباء الذين كان لهم دور واسع في ازدهار الحياة الثقافية
في ذلك الإقليم وهو ما سوف نغرد له حديثا حاصا في دراسة قادمة أ
شاء الله.

وبعد فهذه هي أهم النتائج التي خرج بها البحث بعد دراسته.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً . المصادر المخطوطة

- ابن الأثير

: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن
محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
، هـ ١٢٣٣/١٦٣٠ م .

١- الكامل في التاريخ ، دار صادر ،
بيروت ، ١٣٨٦/١٩٦٦ م .

٢- اللباب في تهذيب الأنساب ، عن نسخة
الخزانة التيمورية المحفوظة في دار
لكتب المصرية ، مكتبة القس ،
القاهرة ، ١٣٥٧ هـ .

- الإدريسي

: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن
إدريس بن يحيى بن علي الحمودي الحسني ،
هـ ١١٦٦/١١٦٠ م .

٣- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ،
مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بنون
تاريخ .

- الإصطخرى

: أبو إسماعيل إبراهيم بن محمد الفارسي ،
هـ ٩٥١/٩٤٠ م .

٤- المسالك والممالك ، مجلد ١ ، بيروت
١٩٣٧ م .

- الأصفهاني

: حمزة بن الحسن

٥- تاريخ سني ملوك الأرض والأقيام ،
دم ، دت .

- الأنطاكي

: دلود بن عمر ح ١٠٠٨هـ / ١٤١٨م.

٦- تذكرة لولي الأكلاب والجامع للعجب
العجائب ، دس ، الطبعة الأخيرة ،
١٣٧١هـ / ١٩٥٢م.

- بدر الدين المعلى

: شيخ المحمودي أبو محمد محمود بن أحمد
بن موسى ابن الحسين بن يوسف بن محمود
بن أحمد

٧- السيف المهند في سيرة الملك المزيّد ،
حقه وقدم له : فهيم محمد شلتوت ،
راجعته : محمد مصطفى زينة : دار
الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة
، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

- ابن بطوطة

: أبو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي ،
ح ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م.

٨- تحفة النظار في غرائب الأمصار
وعجائب الأسفار ، شرحه وكتب
هوامشه : طلال حرب : دار الكتب
العلمية للطباعة الثانية ، بيروت ،
١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

- البغدادي

: عبد القاهر بن طاهر بن محمد الاسعرائي
التميمي ، ح ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م.

٩- لفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محي
الدين عبدالصيد : المكتبة العصرية ،
ط ١ ، بيروت ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

- للبلاذري : أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر ، هـ
٢٧٩/٨٩٢م.

١٠- فتوح البلدان ، حققه وشرحه وعلق
على حواشيه وأعد فهرسه وقدم له :
عبدالله أنيس للطباع ، وعمر أنيس
الطباع : بيروت ، لبنان ،
١٤٠٧/١٩٨٧م.

- البروني : أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي ،
هـ ٤٤٠/١٠٤٨م.

١١- الآثار الباقية عن القرون الخالية ، دار
صادر ، بيروت ، ١٩٦٣م.

- الشعالبي : أبو منصور عبد الملك ،
هـ ٤٢٩/١٠٣٧م.

١٢- التنزيل والمحااضرة ، تحقيق : محمد
عبد الفتاح محمد الحلو ، دار إحياء
الكتاب العربي ، القاهرة ،
١٣٨١/١٩٦١م.

١٣- يتيمة الدهر ، ج ٤ ، ط ١ ، القاهرة ،
١٣٥٣/١٩٣٤م.

- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر البصري ،
هـ ٢٥٥/٨٦٩م.

١٤- فتاح في أخلاق الملوك ، تحقيق :
أحمد زكي باشا : القاهرة ،
١٣٣٢/١٩١٤م.

١٥ - التيسر بالتجارة في وصف م
 مستطوف في البلدان من الأمعة
 الرقيقة والأعلاق النفيسة والجواهر
 الثمينة ، مكتبة الخانجي ، ط ٣ ،
 القاهرة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

١٦- فضائل الترك «رسائل» ، أبو الفتح بن
 خاقان وزير المتوكل وما لخصوه من
 الشجاعة وعلو الهمة وحسن البلاء في
 خدمة الإسلام ، القاهرة ، ١٨٩٨م .

- الجواليقي

: أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن
 الفضل ، هـ ٥٤٠ / ١١٤٥م .

١٧- المغرب من الكلام الأعجمي على
 حروف المعجم ، تحقيق وشرح :
 أحمد محمد شاكر ، دار الكتب ، ط ٢
 ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

- ابن الجوزي

: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن
 علي القرشي ، هـ ٥٩٧ / ١٢٠١م .

١٨- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار
 صادر ، ط ١ ، بيروت ، ١٣٥٨م .

- حاجي خليفة

: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحلبي
 الشافعي ، كاتب سبب جليلي ،
 هـ ١٠٦٧ / ١٦٥٧م .

١٩- كشف الظنون عن أسامي الكتب
 والفنون ، أربعة مجلدات ، دار الفكر
 ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

- الذهبي

: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن
عثمان بن قايماز ابن عبدالله التركماني
الأصمعي الشافعي ،
ت ١٢٤٧/١٢٤٨-١٣٤٨م.

٢٠- المعبر في خبر من غير ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، بغداد ، ديت ، ج ٣
تحقيق : فؤاد سعيد : الكويت ،
١٩٦١م ، ج ٤ تحقيق : صلاح الدين
المنجد : الكويت ، ١٩٦٣م.

٢١- تاريخ دول الإسلام ، جزءان ، وهو
محقق على ترتيب السنين منتهى إلى
٥٧٤٠ ، ثم نوله السخاوي إلى ١٠٩
ديلا مختصرا وسمه الذيل التام لدول
الإسلام ، مدينة حيدر آباد ، ط ١ ،
١٣٣٧هـ.

- ابن حزم

: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن
غالب الأنصلي ، ت ٤٥٦/١٠٦٦م.
٢٢- جمهرة انساب العرب ، باريس ،
١٩٤٨م.

- الحسيني

: صدر الدين علي بن ناصر.
٢٣- زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك
السلجوقية ، تحقيق : محمد نور الدين
، دار اقرأ ، الطبعة الأولى ، بيروت ،
١٤٠٥/١٩٨٥م.

- الحميري : محمد بن عبد المنعم ،
هـ ١٥٠٠/٨٩٠٠ م.
- ٢٤- الفروض المصنوع في خبر الأنظار
«معجم جغرافي» ، حققه : إجمان
عباس : مؤسسة ناصر للثقافة ،
الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ م.
- ابن حوقل : أبو القاسم محمد النصيبى البغدادي الموصلي
هـ ٩٧٧/٨٢٦٧ م ،
٢٥- صورة الأرض ، مجلدان ، ط ١ ،
بيروت ، ١٩٣٨ م.
- ابن خرداذبة : أبو القاسم عبدالله بن عبدالله بن خرداذبة ،
هـ ٨٨٥/٨٢٧٢ م ،
٢٦- المسالك والممالك ، دار صادر ، ط ١
، بيروت ، ١٨٨٩ م.
- ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ولي
الدين التونسي الأشبيلي المالكي ،
هـ ١٤٠٦/٨٨٠٨ م ،
٢٧- المعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام
العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر ، ط ١ عليه
: شكيب أرسلان : بيروت ،
١٩٣٦/٨١٣٣٥ م.
- ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن
أبي بكر ، هـ ٦٨١/١٢٨٢ م.

٢٨- وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،
المجلد الثالث ، دار الثقافة ، بيروت ،
لبنان ، ١٩٧٠م ، المجلد الرابع ، دار
الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧١م.

- الخولوزمي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف ،
ت ٩٧٧/٥٣٨٧م

٢٩- مفاتيح العلوم ، مطبعة الشرق ، ط ١ ،
القاهرة ، ١٣٤٢هـ.

- خليفة بن خياط : ت ٨٥٤/٥٢٤٠م

٣٠- تاريخ خليفة بن خياط ، حققه وأتم له
: لكرم متواء المصري : جزءان ،
مطبعة الآداب في المتحف الأثري ،
ط ١ ، ١٣٨٦/١٩٦٧م.

- الديلملي البكري : حسين بن محمد بن الحسن ،
ت ١٥٥٨/٩٦٦م

٣١- تاريخ الخميس في أحوال أناس ناس ،
ج ٢ ، القاهرة ، ١٢٨٣هـ.

- الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود ،
ت ٨٩٥/٥٢٨٢م

٣٢- الأخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم
عمر : مراجعة : د/ جمال الدين
تشيك : بغداد ، بدون تاريخ.

- ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر ،
ت ٩٠٢/٥٢٩٠م

٣٣ - الأعلام النفيسة ، المجلد السابع ،
طبعة بيريل ، ١٨٩١م.

- الرواندي

: محمد بن علي بن سليمان

٣٤- راحة الصدور و آية السرور في تاريخ
الدولة السلجوقية ، نقلة العربية :
إبراهيم أمين الشولبي ، وعبدالعظيم
محمد حسنين ، وفؤاد عبد المعطي
الصبياد ؛ مراجعة ونشر : إبراهيم
أمين الشولبي ؛ مؤسسة الثقافة
الجامعية ، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.

- الزبيدي

: أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الرزاق
الحصيني ، هـ ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م.

٣٥- تاج العروس من جواهر القاموس ،
القاهرة ، ١١٨٧هـ.

- الزركلي

: خير الدين الزركلي.

٣٦- الأعلام «قاموس تراجم لأشهر الرجال
والنساء من العرب والمسلمين
والمستشرقين» ط ٢ ، دم ، د.ت.

- الزهري

: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر «توفي أواسط
القرن السادس الهجري»

٣٧- كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد حاج
صائق ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت.

- ابن الساعي الخازن

: أبو طالب علي بن أعجب تاج الدين ، هـ
١٢٧٤هـ / ١٢٧٥-١٢٧٦م

٣٨- الجامع المختصر في غولر التاريخ
وعيون السير ، عنى بنسخة ونشره
وإصلاح تصحيحه وتعليق حواشيه
وعمل فهرسه : مصطفى جواد :
لمطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ،
١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

- السبكي

: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن
عبد الكافي ، «١٣٦٩هـ/١٧٧١م»
٣٩- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد
التقاح محمد الحلو ومحمد محمود
الطنطاخي : ط١ ، القاهرة ،
١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

- الميوطي

: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ،
«١٥٠٥هـ/١٩١١م»
٤٠- تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد مهدي
الدين عبد الحميد : مطبعة المدني ،
ط٤ ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

- أبو شامة

: شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن
إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي.
٤١- التوضيحين في أخبار الدولتين النورية
والصلاحية روية الشيخ الإمام محمد
الدين أبي المنذر يوسف بن محمد بن
عبد الله الشافعي سمعا عنه ، نشر
وتحقيق : محمد حلمي محمد أحمد :
ج١ ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ

- الشهرستاني : أبو الفتح عبد الكريم ،
 هـ ١١٥٢/٨٥٤٨ م.
- ٤٢- المال والنحل ، جزءان ، مكتبة المثنى ، بغداد ، دت.
- شيخ الربوة : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب
 الأنصاري الصوفي الدمشقي ،
 هـ ١٢٢٧/٨٧٢٧ م.
- ٤٣- نخبة لأدب في عجائب البر والبحر ،
 بطبروز ، ١٢٨١/٨٦٥ م.
- الصابي : الحسين بن مالك بن المحسن بن إبراهيم
 الصابي الكاتب ، هـ ١٠٥٦/٨٤٤٨ م.
- ٤٤- تاريخ أبي الحسين مالك بن المحسن
 بن إبراهيم الصابي الكاتب ، ج ٨ ،
 القاهرة ، ١٣٣٧/١٩٨٩ م.
- ٤٥- رسوم دار الخلافة ، على بتعليقه
 والنطبق عليه : ميخائيل صواد : دار
 التراث العربي ، ط ٢ ، بيروت ، لبنان
 ، ١٤٠٦/١٩٨٦ م.
- ابن صاعد الأندلسي : أبو القاسم صاعد بن أحمد.
 ٤٦- طبقات الأمم ، بيروت ، ١٩١٢ م.
- الصندي : صلاح الدين خليل بن أبيك ،
 هـ ١٢٦٣/٨٧٦٤ م.
- ٤٧- السوفي بقوفيات ، ج ٢ ، اعتناء
 من حيدرنيغ : ط ٢ ، ١٤٠١/١٩٨١ م
 ، اعتناء من حيدرنيغ : الطبعة الثانية ،
 دت.

- الطبري

: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ،
ت ٢١٠هـ / ٨٢٣م .

٤٨- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد
أبو الفضل إبراهيم ، ط ٤ ، متفحة
ومحلاة ، ١٩٦٥م .

- ابن العبري

: أبو الفرج جمال الدين غريغوريوس
هيبارون الملقب بالعرياني ،
ت ١٢٨٥هـ / ١٢٨٦م .

٤٩- تاريخ الزمان «نصوص» ، دوس ،
المجموعة التاريخية ، نقلة للعربية
الأب إسحق لوملة : قدم له الأب
الكتور/جان موريس فبه : دبلر
المشرق ، بيروت ، لبنان ، ١٩٤٩-
١٩٥٦م .

٥٠- تاريخ مختصر الدول : دبلر المشرق ،
ط ٣ ، بيروت ، ١٩٩٢م .

- ابن عريشاه

: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدالله
الدمشقي الانصاري .

٥١- عجائب القصور في أخبار تيمور ، ط ١
، القاهرة : ١٢٨٥هـ

- ابن السامد الحلبي

: أبو الفلاح عبدالحمي بن أحمد بن محمد
الدمشقي الصمصامي الحلبي ،
ت ٨٤٤هـ / ١٠٥٦م .

٥٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،
٥ أجزاء ، الطبعة الثانية متفحة ،
بيروت ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٩م .

١ - ابن غازي الطبري

: جمال الدين أبو الحسن علي بن عتيق الإمام
أبي منصور ظافر بن الحسين الزدي ،
هـ ١١١٣/١٢١٦ م.

٥٣- أخبار الدول المنقطعة بتاريخ الدولة
العباسية ، مكتبة الدر ، المدينة
المنورة ، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م.

- القارقي

: أحمد بن يوسف بن علي الأزرق
٥٤- تاريخ القارقي ، حققه ولام له : بدوي
عبداللطيف عوض ، بيروت ، د.ت.

- أبو القداء

: عماد الدين إسماعيل ، هـ ٧٣٢/١٣٣١ م.
٥٥- تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ،
د.ت.

٥٦- المختصر في أخبار البشر ، ٣ أجزاء
، المطبعة الحسينية ، د.ت.

- ابن فضلان

: أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن
حصاد ، هـ ٣٩٠/٩٩٩ م.

٥٧- رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة
إلى بلاد الترك والخزر والروس
والصقالبة ، حققها وعلق عليها وأقدم
لها سامي الدهان ، دار صادر ،
بيروت ، ١٣٧٨ هـ/١٩٥٩ م.

- ابن العتيق

: أبو بكر أحمد بن محمد ، هـ
٢٩٠/٩٠٣ م.

٥٨- مختصر كتاب البلدان ، طبعة لندن ،
ببريل ، ١٣٠٢ هـ/١٨٩١ م.

قدامة بن جعفر

: «ت ٩٤٨/هـ ٣٣٧».

٥٩- نبذة من كتب الحراج وصناعة الكتابة ،
وهو مذكور في نهاية كتاب ابن
خرداذبة «المعاليك والممالك» ،
بيروت ، ١٨٨٩م.

- القرمانى

: أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد
الدمشقي ، «ت ١٩٠/هـ ١٦١٠م» .
٦٠- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ،
بيروت ، د.ت.

- القزويني

: زكريا بن محمد بن محمود ، «ت
١٢٨٣/هـ ١٢٨٢م» .
٦١- آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ،
١٢٨٠/هـ ١٩٦٠م.

- القلشندي

: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله
، «ت ٤١٨/هـ ١٠٢١م» .
٦٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،
نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية
ومفولة بتصويبات واستدار كات
وفهرس تفصيلية مع دلالة ونقطة ،
المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والطباعة والنشر والترجمة ، د.ت.
٦٣- نهاية الأرب في معرفة أئساب العرب
، دار الكتب العربية ، بيروت ، لبنان
، د.ت.

: عماد الدين أبو القداء إسماعيل ،

أبو كثير

«ت ١٣٧٤/١٣٧٣م»

٦٤ - البداية والنهاية في التاريخ ، ط ١ ،

بنفقة المطبعة السلفية ، ومطبعة

السعادة ومكتبة الخانجي ،

١٣٥١/١٩٣٢م.

: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري

- الثموري

البنغازي ، «ت ١٤٥٠/١٠٥٨م».

٦٥ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية ،

بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥/١٩٨٥م.

٦٦ - الوزارة - أدب الوزير ، تحقيق :

محمد سليمان داود ، وفواد عبدالمع

لعمد : دار الجامعات المصرية ،

١٣٩٦/١٩٧٦م.

: أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد بن أحمد

- العظمي

بن زرار التتويحي الحلبي ، «ت

١١٣٨/٥٣٢م»

٦٧ - تاريخ العظمي ، باريس ، ١٩٣٨م.

: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ،

- المسعودي

«ت ٩٥٦/٥٣٤٥م»

٦٨ - التنبيه والأثراف ، عني بتصحيحه

ومراجعته عبدالله إسماعيل الصاوي ،

بغداد ، ١٣٥٧/١٩٣٨م.

٦٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر . ط ١ ،

بيروت ، ١٩٨٢م.

: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الحارثي

الرفزي الأصل الاصفهاني المسكن ، «ت

١٤٢١هـ/١٠٣٠م».

٧٠- تجارب الأمم ، ج ٢ ، القاهرة ،

١٣٣٣هـ/١٩١٥م.

- مطهر بن طاهر : «ت ٥٥٠٧هـ/١١١٣م».

المقدسي

٧١- البدء والتاريخ ، اصطفى بنشره

وترجمته من العربية إلى الفرنسية :

كلمان هوار ، ١٩٠١م ، طهران ،

١٩٦٢م.

: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف

بالبشاري ، «ت ٩٨٥هـ/٣٧٥م»

٧٢- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،

الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٠٦م.

: تقي الدين أحمد بن علي ، «ت

٨٤٥هـ/١٤٤٢م».

- المفريزي

٧٣- السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه

ووضع حواشيه : محمد مصطفى

زيادة Ph. d ، الجزء الأول ، القسم

الأول ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم

الخزرجي الإفريقي ، «ت ٧١١هـ/١٣١١م».

- ابن منظور

٧٤- لبنان العرب ، المجلد التاسع والعشر

، دار صائد للطباعة والنشر ، بيروت

، ١٩٥٦م/١٣٧٥هـ.

- المصبي

: أحمد بن علي بن عمر بن صلاح بن أحمد

بن سليمان بن إدريس بن إسماعيل بن

يوسف بن إبراهيم الحنفي الطرابلسي لأصل

المتنلي المولد النعماني المنشأ

٧٥- الفتح للوهبي في شرح تاريخ أبي

نصر العتي ، جزءان ، دس ، دت.

- مؤلف مجهول

:

٧٦- حدود العالم من المشرق إلى المغرب ،

تحقيق : يوسف الهادي ، الدار الثقافية

للنشر ، ط١ ، القاهرة ،

١٩٩٩م/١٤١٩هـ.

- ابن النديم

: أبو الفرج محمد بن إسحق ،

ت ٩٩٣م/٤٣٨٣هـ.

٧٧- الفهرست ، دار المعارف للطباعة

والنشر ، تونس ، سنة ، دت.

- للنسري

: محمد بن أحمد ، ت ١٢٣٢م/٤٦٣٠هـ.

٧٨- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،

تحقيق ونشر : حافظ أحمد حمدي :

دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣م.

- المويري

: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ،

ت ١٣٢٢م/٤٧٢٢هـ.

٧٩- نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ١ ،

٨ ، ١٠ ، ١١ ، القاهرة ، وزارة

الثقافة والإرشاد القومي ، نسخة

مصورة عن طبعة دار الكتب ،

المؤسسة المصرية للعلمة للنشر

والتأليف والترجمة والطباعة ، دت ،

ج ٢٢ ، تحقيق : محمد فوري العنيل

، مراجعة : محمد طه الحاجري ،

الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

القاهرة ، ١٤١٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ٢٧ ،

تحقيق : سعد عبد الفتاح عاشور ،

ومراجعة : محمد مصطفى زيادة ،

وفؤاد الصياد : الهيئة المصرية العامة

للكتاب ، القاهرة ، ١٤١٥هـ / ١٩٨٥م .

: رين الدين عمر بن المظفر بن عمر بن أبي

القوارس على العمري الحلبي ، «ت

١٣٤٨هـ / ١٧٤٩م» .

٨٠- تاريخ ابن الوردي ، دم ، جز ١ ،

١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م .

: رشيد الدين محمد العمري الكتّاب البلخي ،

١١٧٧هـ / ١٥٧٣م» .

٨١- مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط

، جز ١ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ،

١٣١٥هـ .

- ابن الوردي

- الوطواط

- ياقوت الحموي

: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله
الحموي الرومى البغدادى ، هـ
١٢٢٧/١٣٢٩م.

٨٢- للمشرك وضعاً والمفتروق صيقلاً ،
مكتبة المتى بغداد ، بدون تاريخ.

٨٣- معجم الأدياء ، ج ١٩ ، الطبعة الأخيرة
منقحة ومضبوطة وفيها زيادات ،
القاهرة ، د.ت.

٨٤- معجم البلدان ، ٥ مجلدات ، دار
صادر ، بيروت ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

- اليعقوبى

: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن
واضح الكاتب ، هـ ٢٧٨/٨٩١م
٨٥- البلدان ، طبعة بيرل ، ١٨٩١م.
٨٦- تاريخ اليعقوبى ، مجلدان ، بيروت ،
د.ت.

ثانياً . المراجع

١- المراجع العربية

- آثم متر

١- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع
الهجرى ، نقلة للعربية : محمد عبد
الهادي أبو ريدة ، جزءان ، القاهرة ،
١٣٦٠هـ/١٩٤١م.

٢- أحمد أمين

٢- فجر الإسلام ، الهيئة المصرية للعلمة

لكتاب ، ١٩٩٦م.

٣- ظهر الإسلام ، ج ٤ ، الطبعة الأولى ،
للقاهرة ، ١٩٥٥م.

- أحمد المسعود سليمان

٤- تاريخ النول الإسلامية ومعجم الأسرات
الحاكمة ، جزءان ، دار المعارف ،
للقاهرة ، د.ت.

- أحمد شلبي

٥- كيف تكتب بحثاً أو رسالة ، ط ٢ ،
للقاهرة ، ١٩٥٤م.

٦- موسوعة التاريخ الإسلامي والعصر
الإسلامي ، ج ٣ ، ط ٨ ، القاهرة ،
١٩٨٥م.

- أحمد عطية الله

٧- القلمون الإسلامي ، المجلد الأول ،
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،
١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

- أحمد محمود السداتي

٨- تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية
وحضاراتهم ، الجزء الأول من الفتح
العربي حتى قيام الدولة المملوكية ، ٨٩-
١٩٣٢هـ / ٧٠٧-١٥٢٦م ، مكتبة الأدب ،
للقاهرة ، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م.

- إدوارد بروي

٩- موسوعة تاريخ الحضارات العلم ،
المجلد الثالث ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٩٤م

- إسماعيل عبد الهادي قنديل

١٠- فنون الشعر القلروبي ، دار الأنكلس ،
ط٢ ، بيروت ، لبنان ،
١٤٠٢هـ / ١٩٨١م.

- أسعد السمراني

١١- السابئة ، الزرادشتية ، الفيزيدية ، دار
النفاثس ، ط١ ، بيروت ،
١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

- أغناطيوس بوليانوفتش كراتشكوفسكي

١٢- تاريخ الأدب الجغرافي ، ترجمة
صلاح الدين عثمان مجلدان ، القاهرة
، ١٩٦٣م.

- بدر الدين حي الصيني

١٣- العلاقات بين العرب والصين ، القاهرة
، ١٩٥٠م.

- بدرى محمد فهد

١٤- تاريخ العراق في العصر العباسي
الأخير ، ٥٥٢-١١٥٧هـ /
١٢٥٨م ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ،
١٩٧٣م.

تدبع محمد جمعة

- ١٥- دار مسات في الألب المقارن ، ط٢ ،
بيروت ، ١٩٨٠م.
١٦- من روائع الألب الفارسي ، دار
النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط٢
، بيروت ، ١٩٨٣م.

- بروكلمان

- ١٧- تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله
للعربية : نبيه أمين فارس ، ومدير
تأليف : ط٥ ، بيروت ، ١٩٦٨م.

- بطرس البستاني

- ١٨- كتاب دائرة المعارف ، «قاموس عدم
لكل فن ومطلب» ، المجلد الرابع ،
مطبعة المعارف ، بيروت ، ١٨٨٥م.

- بوكشيشيفسكي

- ١٩- جغرافية الاتحاد السوفيتي ، الطبعة -
المكان - الاقتصاد ، بإشراف :
كلزافسكي ، دار التقدم ، موسكو ،
١٩٧٦م.

- جرجي زيدان

- ٢٠- تاريخ القطن الإسلامي ، مطبعة
الهلل ، القاهرة ، ج ١ ، ١٩٠٢م ؛
ج ٢ ، ١٩٠٣م ؛ ج ٣ ، ١٩٠٤م ؛ ج ٤ ،
١٩٠٥م ؛ ج ٥ ، ١٩٠٦م.

- حافظ أحمد حدي

٢١- الدولة الخوارزمية والمغول «غزو
جنگیزخان للعالم الإسلامي وأثاره
السياسية والدينية والاقتصادية
والثقافية» ، دار الفكر العربي ،
القاهرة ، ١٩٤٩م.

٢٢- الشرق الإسلامي قبل الغزو المغولي
، دار الفكر العربي ، القاهرة ،
١٩٥٠م.

- حسين إبراهيم حسن

٢٣- تاريخ الإسلام السياسي والديني
والثقافي والاجتماعي في العصر
العباسي الثاني في الشرق ومصر
والمغرب والأندلس ،
(٢٣٢-٨٤٧/٨٤٧-١٠٥٥م) ، ج ٢
، ط ٣ ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ج ٣ ،
ط ٧ ، القاهرة ، ١٩٦٥م.

- حسن أحمد محمود

٢٤- الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين
العربي والتركي ، الهيئة المصرية
للعامة للكتاب ، ١٩٧٢م.

- حسن الباشا

٢٥- الأقطاب الإسلامية في التاريخ والوثائق
والأكثر ، جزءان ، مكتبة النهضة
المصرية ، ١٩٥٧م.

- حسين أمين

٢٦- تلويخ العراق في العصر السلجوقي ،
بغداد ، ١٢٨٥هـ / ١٩٦٥م.

- حسين مجيب المصري

٢٧- من أدب القروس والترك ، القاهرة ،
١٩٥٠م

- حسين مؤنس

٢٨- ابن بطوطة ورحلاته ، تحقيق ودار
سة وتعليق : دار المعارف ، القاهرة ،
بدون تاريخ.

- زامباور

٢٩- معجم الأنساب والأمراء الحاكمة في
التاريخ الإسلامي ، تأليف : ركني
محمد حسن ، سيدة إسماعيل الكاشف
، حسن أحمد محمود ، حافظ أحمد
حمدي : دار الفكر العربي ، بيروت ،
بدون تاريخ.

- زبيدة صفا

٣٠- للترك في المصور الوسطى «بيزنطة
وسلاجقة الروم والمغولانيون» ، دار
الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ.

- ركني محمد حسن

٣١- الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي
، مكتبة دار الكتب المصرية ، القاهرة
، ١٩٤٠م.

سبوت ، و ، لوفولد توينبي

٣٢- الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة العربية :

حسن إبراهيم حسن ، عبدالمجيد

عابدين ، إسماعيل النحرلوي : القاهرة

، ١٩٤٧م.

- سعد بن محمد بن هذيفة مسفر الغلمدى

٣٣- أوضاع الدول الإسلامية في الشرق

الإسلامي ، ٥٧٥-٦٢٩هـ/١١٨٠-

١٢٣١م ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ،

الرياض ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣٤- سقوط الدولة العباسية «دراسة جديدة

لفترة حاسمة من تاريخ أمتنا الإسلامية

٥٤٩-٦٥٦هـ/١١٥٤-١٢٥٨م»

- سعد زغلول عبدالحميد

٣٥- تاريخ المغرب العربي من النتح

العربي إلى بداية عصر الاستقلال

طيبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ،

منشأة دار المعارف ، الإسكندرية ،

١٩٧٩م.

- سلطان طريحيم المدهن المرهاني

٣٦- جامع أفساب قبائل العرب ، أثر الثقافة

، قطر ، الدوحة ، د.ب.ت.

- سميرة عبد السلام عاشور

٣٧- تاريخ القوس الأسطوري عند الطبري

والفرنوسي ، الإسكندرية ، ١٩٩٢م.

— سهام مصطفى أبو زيد

٣٨- الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح
العربي إلى نهاية العصر المملوكي ،
تقديم سيدة إسماعيل الكاشف : الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م.

- السيد أحمد بن زيني بحلان

٣٩- الدول الإسلامية بالجدول المرضية ،
القاهرة ، ١٣٠٦هـ.

- السيد شهاب العربي

٤٠- المغول ، دار النهضة ، بيروت ،
١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- شاهين مكاريم

٤١- تاريخ إيران ، القاهرة ، ١٨٩٨م.

- شكري فوصل

٤٢- حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول
الهجري «دارسة تمهيدية لنشأة
المجتمعات الإسلامية» ، دار الكتاب
العربي ، القاهرة ، ١٣٧١هـ/١٩٤١م.

- شيرين عبد النعيم حسنين

٤٣- مسلمو تركستان والغزو السوفيتي من
خلال التسريح والأوب ، القاهرة ،
١٩٨٥م.

- طه ندا

٤٤- دار سلت في تشاننامه ، دار الطالب
، الإسكندرية ، ١٩٥٤م.

٤٥ - أصول من تاريخ الحضارة الإسلامية

، بيروت ، ١٩٧٥م.

٤٦ - التصوف الفلسفية ، دار المعارف ،

الإسكندرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨م.

- عبد السلام عبد العزيز فهمي

٤٧ - تاجيكستان : ماضيها وحاضرها ،

القاهرة ، ١٩٩٦م.

٤٨ - كوروش الكبير ، مؤسسة

الإمبراطورية الهخامنشية ، القاهرة ،

١٩٧٢م.

- عبد العزيز الدوري

٤٩ - تاريخ العراق الاقتصادي في القرن

الرابع الهجري ، بغداد ، ١٩٤٨م.

- عبد المنعم ماجد

٥٠ - تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور

الوسطى ، الطبعة الرابعة ، مزيدة

ومنتقة ، القاهرة ، ١٩٧٨م.

٥١ - التاريخ السياسي للدولة العربية ،

الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة ،

القاهرة ، ١٩٦٠م.

- عبد النعيم محمد حسنين

٥٢ - الإيرانيون القدماء ، دار التراث العربي

، القاهرة ، ١٩٧٤م.

٥٣ - صلاحة إيران والعراق ، ط٢ ،

القاهرة ، ١٣٨٠هـ / ١٩٧٠م.

- عصام الدين عبد الرؤوف

٥٤- تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا
في العصر التركي ، دار الفكر العربي
، القاهرة ، ١٩٧٥م.

- عفاف السيد صبرة

٥٥- التاريخ السياسي للدولة الحوادرية ،
القاهرة ، ١٣٠٨هـ / ١٩٨٧م.

- علي إبراهيم حسن ، وحسن إبراهيم حسن

٥٦- النظم الإسلامية ، مكتبة النهضة
المصرية ، ط١ ، القاهرة ،
١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م.

- علي الشامي

٥٧- الأدب الفارسي في العصر الغزنوي ،
تونس ، ١٩٦٥م.

- عم رضا كحالة

٥٨- محجم المؤلفين جراح مصدلي الكتب
العربية ، مكتبة المثنى ، دار إحياء
التراث العربي ، بيروت ،
١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.

- فاسيلي فلاديمير وفش بلرتولد

٥٩- تركستان من الفتح العربي حتى العرو
المعولي ، نقله عن : الروسية ؛
صلاح الدين عثمان هاشم ، أشرف
على طبعه قسم التراث العربي ،
لكويت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

- فتحي أبو سيف

٦٠- خراسان : تاريخها الميسر
والحضاري من سقوط الحكم الطاهري
إلى بداية الحكم الغزنوي ، القاهرة ،
١٩٩٤-١٩٩٥م.

- فولاد عبدالمعطي الصبيح

٦١- دار سات في الحضارة الإسلامية
«التقاء الثقافتين العربية والفارسية» ،
القاهرة ، ١٩٧٩م.

- فون كريمر

٦٢- الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها
بالمؤثرات الأجنبية ، تريب :
مصطفى بدر : دار الفكر العربي ،
القاهرة ، ١٩٤٧م.

- ف. وستفند

٦٣- جدول الفنين الهجرية بلياليها
وشهورها بما يرافقها من المسنين
الميلادية بأيامها وشهورها ، ترجمة :
عبدالمعظم ماجد ، عبد المحسن
رمضان : مكتبة الأنجلو المصرية ،
القاهرة ، ١٩٨٠م.

- فيليب حتى ، د. إدوارد جرجي ، د. جيرتيل جبور

٦٤- تاريخ العرب المعطول ، ج ٢ ، دار
الكشاف للطباعة والتوزيع ، ط ٢ ،
١٩٥٠م.

• كحظان عبدالستار الحديثي

- ٦٥- أرياع خراسان المشهورة ، وزارة
التعليم والبحث العلمي ، جامعة
البصرة ، ١٩٩٠م.

- كي نسترينج

- ٦٦- بلدان الخلافة الشرقية ، نقلة للعربية :
كوركنس عواك ، بشور فرنسيس :
مؤسسة الرسالة ، ط٢ ،
١٤٠٥هـ/١٩٥٨م.

- مبيو ماسبيرو

- ٦٧- تاريخ الشرق ، ترجمة : أحمد زكي
بك : الطبعة الأولى ، بولاق ،
١٣١٤هـ/١٨٩٧م.

- مجمع اللغة العربية

- ٦٨- المجمع الوسيط ، قام بإخراجه إبراهيم
مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ،
وحامد عبد القادر ، ومحمد علي
النجار ، وأشرف على طبعه : عبد
السلام هارون : ج ١ ، القاهرة ،
١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

- محمد أحمد الحوفي

- ٦٩- الزمخشري ، الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ.

محمد جمال الدين سرور

- ٧٠- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق
من عهود نفوذ الأتراك إلى منتصف
القرن الخامس الهجري ، دار الفكر
الحربي ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م.

- محمد علي حيدر

- ٧١- الدويلات الإسلامية في المشرق ،
القاهرة ، ١٩٧٤م.

- محمد فريد وجدي

- ٧٢- دائرة المعارف لقرن ١٤ ، ٢٠ ، ج ٩
، الطبعة الثانية ، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م.

- محمد محمود إدريس

- ٧٣- تاريخ العراق والشرق الإسلامي خلال
العصر السلجوقي الأول ، الطبعة الأولى
، ١٩٨٣م.

- ٧٤- رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ،
١ ، القاهرة ، ١٩٨٣م.

- محمد موسى هندواي

- ٧٥- سعدى الشيرازي شاعر الإنسانية
«عصره ، حياته ، ديوانه أبوستان» ،
مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥١م.

- نعيم ركني فهمي

- ٧٦- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين
الشرق والغرب في أواخر المعصور
الوسطى ، الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، ١٩٧٣م.

- هيريك لامب

٧٧- جيفري جان إمبراطور للناس كلهم ،
ترجمة : بهاء الدين نوري : بغداد ،
بدون تاريخ-

- هند حسين عطية

٧٨- الألب العربي في إقليم خوارزم مسد
للتفتح العربي ٩٣٠ هـ حتى سقوط الدولة
الخوارزمية ١٢٨٠ هـ : بغداد ، ١٩٧٦ م.

- ول ديورانت

٧٩- قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدار
ن ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
القاهرة ، ١٩٥٠ م.

پ- التراجع العربية عن الفارسية

- إنولود جرانفول برلوان

١- تاريخ الأدب في إيران ، تعريب :
إبراهيم أمين الشواربي ، جزءان ،
مطبعة السعادة ، القاهرة ، جزءان ،
١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م.

- آرثر كريمقسن

٢- إيران في عهد السلانيين ، ترجمة :
يحيى الخشاب : دار النهضة العربية ،
بيروت ، ١٩٤٦ م.

- أرمينيوس فليوري

٣- تاريخ بخارى ، ترجمة : أحمد محمد
المادتي ، مراجعة وتقديم : يحيى
الخشاب : المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،
١٨٧٢ م.

- إقبال عباس الأمشيتلي

٤- تاريخ إيران بعد الإسلام : من يدبنة
الدولة المملوكية حتى نهاية الدولة
الفلجارية ، ٢٠٥-٨٨٢٠/١٣٤٣-
١٩٢٥م ، نقله عن الفارسية وقدم له
وعلق عليه : محمد علاء الدين منصور
؛ راجعه : السباعي محمد السباعي : دار
الثقافة للنشر والتوزيع ،
١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- البيهقي

: أبو الفضل محمد بن حسين ،
ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م

٥- تاريخ نصر الدين محمود بن مسيكين
وسماه الناصري «تاريخ بيهقي» ، ترجمه
للحريية يحيى الخشاب وصادق نشأت ،
مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،
١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

- حوانمير

: حياث الدين بن حمام الدين الحسيني ،
ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م

٦- دستور الوزراء ، تأليف وترجمة وتعليق
: حبيب أمين سليمان ؛ تقديم : فؤاد عبد
المعطي الصبيح : الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، ١٩٨٠م.

- ميرخواند

: محمد حسن خانوند شاه ،
ت ٩٠٣هـ/١٤٩٧م

٧- روضة الصفا في سيرة الأئمة والملوك
والخلفاء ، تاريخ الدولة الطاهرية
والصفارية والسمانية وآل بويه
والإسماعيلية والملاحدة ، ترجمه عن
الفارسية وعلق عليه وقدم له : أحمد عبد
القادر الشاذلي : راجعه وقدم له :
السباعي محمد السباعي : الدار المصرية
للكتاب ، الطبعة الأولى ،
١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

- دونالد ولير

٨- إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة :
عبد النعيم حسنين : دار الكتاب المصري
، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الثانية ،
بدون تاريخ .

: ج٢ ١٣٨١هـ / ١٣٨٢م

- عطا ملك الجويني

٩- جهان گشا ، سلسلة تاريخ المغول ،
ترجمة : السباعي محمد السباعي : دار
الزهراء للنشر ، القاهرة ،
١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

- ف. بارثولد

١٠- تاريخ الترك في آسيا الوسطى ،
ترجمة : أحمد السعيد سليمان : راجعه
: إبراهيم صيري : مكتبة الأنجلو
المصرية ، القاهرة ،
١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .

١١- تاريخ الحضارة الإسلامية ، نقطة إلى
العربية : حمزة طاهر ، وقدم له :
عبد الوهاب عزلم : ط٧ ، القاهرة ،
١٩٥٢م.

- ف هايد

١٢- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في
العصور الوسطى ، عربي عن
الفرنسية : أحمد محمد رضا ،
مراجعة وتقديم : عز الدين فودة : ج ١
، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
١٩٨٥م.

- الكردبزي

: أبو سعيد عبد الحى بن الفضل بن
محمودت ٤٤٢-٤٤٣هـ/١٠٥٠-١٠٥١م
١٣- زين الأخبار ، ترجمة : عفاف السيد
زينان ، ط١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- محمد الترنجي

١٤- المعجم الفارسي الذهبي «طرهنگ
طلاتی» ، دار العلم للملايين ، الطبعة
الثانية ، ١٩٨٠م.

- محمد دبیر میانی

١٥- سلطان جلال الدين خوارزمشاه ،
ترجمة : حبيب أمين سليمان : تهران
، دت.

- ناصر خسرو علوي : هـ ٨٤٨١/١٠٨٨ م.

١٦- سفر نامه ، ترجمة : يحيى الخشاب ؛
تصنيف : عبد الوهاب عزلم : الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، الطبعة
الثانية ، ١٩٩٢ م.

- الرشحي

: أبو بكر محمد جعفر ، هـ ١٣٤٨/٩٥٩ م.
١٧- تاريخ بخارى «بخارى العرب» ،
عربة عن الفارسية وقدم له وحققه
وعلق عليه : أمين عبد المجيد بدوي ،
ترجمة : نصر الله مبشر الطرلازي ؛
دار المعرف ، القاهرة ،
١٣٨٥ هـ / ١٩٥٦ م.

- النظمي العروضي السمرقندي

١٨- جهاز مقالة ، المقالات الأربع فسي
الكتابة والشعر والنجوم والقطب ، نقله
للمربية عبد الوهاب عزلم ، يحيى
الخشاب : الطبعة الأولى ،
١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م.

: هـ ١٤٧٧/١٠٧٩ م.

- نظام الملك الطوسي

١٩- سياست نامه ، ترجمة وتعليق : السيد
محمد المعزاي : دار التراث العربي ،
القاهرة ، ١٩٧٥ م.

- القوطاط

: رشيد الدين محمد السري الكاتب البلخي ،
٢٠- حدائق السمر في تقائق الشعر ، نقله
لأول مرة للمربية مع تعريب مقتضاته
وتوضيح حواشيه : إبراهيم أسير
الشورابي ، القاهرة ،
١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م.

ج- المراجع الفارسية

- استاذ خليلي

۱- سلطان غزنویان ، د.م ، د.ت.

- حبیب الله شمالوئی

۲- تاریخ ایران از ماد تا بهلولی ، د.م ،

د.ت.

- حمدالله بن ابی بکر بن احمد بن نصر مستوفی قزوینی

۳- تاریخ گزیده ، بسعی و اهتمام ابنورد

برون انگلیسی ، المجلد الأول ، دار

السلطنة ، لندن ، ۱۳۲۸/۱۹۱۰م.

: غیاث الدین بن همام الدین الحسینی ،

- خواندمیر

«ت ۵۹۴۲/۱۵۳۵م»

۴- حبیب المیر فی أخبار أفراد البشر ،

المجلد الثاني ، ج ۴ ، تهران ، ۱۳۵۲.

- رشید الدین فضل الله : «ت ۵۷۱۸/۱۳۱۸م»

۵- جامع التواریخ «تکر تاریخ آل

سلجوق» به تصحیح و تحشیه : محمد

روشت ، مصطفی موسوی : المجلد

ثالثی ، الجزء الخامس ، تهران ،

۱۳۷۲هـ.

- علی لکبر دهخدا

۶- دائرة المعارف فارس ، تهران ،

دانشگاه طهران ، دانشکده ادبیات و علوم

ایمانی ، ۱۳۴۹م.

- قاضی منهاج سراج : قاضی القضاة صدر الدین جهان أبو عمرو
 منهاج الدین بن عثمان بن سراج الدین بن
 عمر

۷- طبقات ناصری ، المجلد الأول ، دیم ،
 ۱۳۴۲ هـ

- محمد حسین بن خلف تبریزی مختصر برهان
 ۸- برهان قاطع ، تهران ، المجلد الأول ،
 ۱۳۴۱ هـ

- مریم میراحمدی

۹- نظام حکومت ایران در دوران اسلامی
 پژوهشی در تشکیلات اداری کشوری
 و لشکری ایران از صدر اسلامی تا عصر
 معقول ، مؤسسه مطالعات و تحقیقات
 فرهنگی ، دخت.

- میرخواند : محمدین سید برهان الدین خولود شاه
 هـ ۹۰۳/۱۸۶۷ م

۱۰- تاریخ روضه الصفا ، از انتشارات
 کتابفروشیهای ، ۱۳۳۹ هـ

د- المراجع الأجنبية

- (1) Lewis (Bernard), the Arabs In History, London, 1950.
- (2) Brigadier. general, Sir Percysykes, Persia, Oxford, 1922.
- (3) _____ A History of Persia, vol. 11, London, 1921.
- (4) Bosworth (C. E.), the Islamic dynasties, vol. 5, press, 1893.

- (5) Gibb, (H. A. R.), M. A, the Arab Conquests In central Asia, London, 1923.
- (6) _____ Mohammedanis-man Historical survey, London, n.d.
- (7) H. Howorth, Henry, (F. S. E), History of the Mangols from the 9th to the 19th century , London 1876.
- (8) Ibrahim Kafeso Glu, Hakkidu Rsum Yildiz Erdo GammerciL and Mehamet Saray , A short History of Turkish Islamic State Excluding the Ottomen State , Ankara, 1994.
- (9) John Malcolm, (K. C. B, K. L. S), the History of Persia from the most early Period to the Present time, vol. I, London 1815.
- (10) Wellhausen (J.), Translated by Margaret Grahame Weir, M. A, Calcutta, the Arab Kingdom and its fall, n. p.1927.
- (11) Czaplicka (M. A.), the Turks of central Asia In History and at the Presentday, Oxford, 1918.
- (12) Frye (R. N.), the Cambridge History of Iran, the Period from the Arab Invasion to the Saljuqs, vol., 1975.
- (13) Dozy (R. P. A.), dictionnaire de Taille des noms des vêtements (Amsterdam, 1845).
- (14) Lanne - Pool (S.), the Mohammadn dynasties, n.p. n.d.
- (15) L. - Langer (William), An Encyclopedia of World History , (Boston, n.d).

